الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القـــادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة
رقم التسجيل :.....
الرقم التسلسلي :.....

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية

البنية الإسنادية ودورها في التحوّلات الدلالية في ضوء نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية والدراسات القرآنية

"تخصص نحو وصرف"

إعداد الطالب:
صالح خطاب

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابـــــح دوب

لجنة المناقشة

الرتبة	الاسم واللقب	جامعة الانتماء	الصفة
أ.د	زين الدين بن موسى	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيساً
أ.د	رابـــــح دوب	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مشرفاً ومقرراً
أ.د	كريم خلدون	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مناقشاً
أ.د	صالح خديش	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشاً
أ.د	يوسف بديدة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشاً
أ.د	بلخير أرفيس	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشاً

السنة الجامعية : 1442-1443هـ/ 2020-2021م

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز الإسلامية

الإهداء

إلى روح الذي قضى وهو يدفعني إلى الكمال والدي رحمه الله.

إلى روح التي قضت وهي تتطلع إليَّ حلما جميلا والدتي رحمها الله.

إلى كل الذين انتظروا بصبر أيوب أن أتمّ هذه الرّسالة من أسرتي وأحبتي

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل وأسأله عزّ وجلّ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وأتوجّه بالشّكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

وأخصّ بالذكر: المشرف الأستاذ الدّكتور رابح دوب

أخي أحمد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمـــــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

لاتـزال علاقـة التّركيـب بـالمعنى، وعلاقـة التّأليف بالدلالـة تشـغل البـاحثين وتشـحذ أقلامهـم بغية الوصول إلى أقصى ما يمكن من معرفة دقائقها واستبانة تفاصيلها، ولعل ربط النّحو بالدلالة كان أبْيَنَ الطرق وأوضح المسالك نحو تلك الغاية.

اعتنى الكثيرون بهذا الموضوع، وبرز من القدماء في التراث العربي عبد القاهر الجرجاني الذي قرن بين النحو والدلالة، وجمع بين التركيب ومعناه دراسة وتقعيدا، فتحدّث عن نظم الألفاظ، ونظم المعاني وترتيبها في النفس، وبيّن ما يقتضيه الإفصاح عنها من انتقاء اللفظ وترتيبه، وفصله ووصله، وذكره وإضماره، فكانت نظرية النظم منهجا للتحليل وقواعد للتأليف؛ فاعتنى فيها بما يرتقي بالكلام مبنى ومعنى، أو بما يرفعه تركيبا ودلالة محدّدا عوامل التحول وأدواته انطلاقا من التركيب الأصلي زيادة أو حذفا، تقديما أو تأخيرا، مُبيّنا كل ما يمكن أن تُحْدِثه تلك العوامل على المعنى؛ وما على المؤلف أو المتلقي أن يتوخاه في معاني النحو ليبلغ المقصد التواصلي والمستوى التداولي في غير تعقيد ولا غموض.

ولم يكن تشومسكي أقلّ من الجرجاني اجتهادا، فأضفى على اللسانيات النزعة العقلية، وبيّن الأصول وتوخي المدخلات في معاني التركيب مُفصّلا ذلك في تحديد مرحلتين: مرحلة وضع الفكرة أساسا، ثم مرحلة الانطلاق منها إلى المعنى المراد تبليغه. وهما البنية العميقة التي تتركب من محمول وموضوع يقتضي ارتباطهما إسناديا أن يكون موجبا مجردا يتحول بفعل الزيادة أو الحذف أو بالتقديم أو التأخير أو بالإقحام أو غيرها وفق قواعد النحو إلى معنى تواصلي مفيد يدركه العقل ويفهمه، وإن لم يسمعه من قبل، وهو التركيب ذو المعنى التواصلي الذي اصطلح عليه البنية السطحية.

ويتفق كلاهما في أن الفكرة الذهنية إنما هي البنية الإسنادية الأساسية – وإن اختلفا في الاصطلاح عليها– وأنها منطلق كل المعاني التي تنبني عليها (الفكرة الذهنية أو البنية العميقة)، وأن تلك المعاني ما هي إلا نتيجة عمليات تحويل تطرأ على الأساس وفق قواعد التحويل والنظام النحوي لكل لغة.

إن التحويل بمفهومه التركيبي هو عملية توليد مبنًى جديد أُسّه البنية الإسنادية ويكون بمعنى مضاف أو بمعنى مغاير لما كان عليه الأس، والتحويل في المعنى هو التحول الدلالي الذي يحدثه التوليد فتتعدد المعاني الناتجة عن كل تركيب.

ولأن في النظريتين –رغم تباعد زمنيهما– تقاربًا يكاد يوحي أن إحداهما بنيت على الأخرى، فَهُما تشتركان في أهم المرتكزات، وتربطان النحو بالدلالة، وتعتمدان البنية الأساسية منطلقا لأي معنى يراد الوصول إليه، وتشترطان الكفاية والأداء، ولم تتعارضا وإنْ اختلفتا في مجال الدراسة والغاية العامة؛ فإن كان الجرجاني يصب عنايته في الإعجاز اللغوي مبينا دور النظم وأهمية توخي معاني النحو في ذلك، فقد انصبت عناية تشومسكي على توحيد النحو (التركيب) في كل اللغات استنادا إلى واحدية العقل البشري، وكون اللغة عملية عقلية أساسها المنطق. وعليه، كان الأرجح هو القول بتقاطع النظريتين في أغلب مكوناتها؛ ومع ذلك لم تنل نظرية النظم حظها من العناية باعتمادها منهجا للتحليل ومنظومة لقواعد التركيب والتأليف رغم ما كتب عنها، ولعل ما كتبه كمال أبو ديب: "نظرية الجرجاني في التصوير الشعري" كان كفيلا بإبرازها إلا أنها لم تُعتمد فيما عرفت به منهجا تطبيقيا، وهو ما دفع إلى اختيار هذا البحث الذي يعرض مرتكزات النظريتين وأدائهما ومجالات دراستهما وإثبات التشابه وإظهار الاختلاف بينهما تنظيرا وتطبيقا.

وعلى الرغم من أن بحوثا كثيرة تناولت الدلالة والإسناد، مثل 'المعنى الإسنادي للجملة العربية بين التأصيل والفنية' لمراد فقي، ومقالات متنوعة مثل 'البنية الدلالية للجملة' لتركي عواض العرابي، و'تحليل البني العميقة لصور الوحدة الإسنادية المؤدية إلى وظيفة المضاف إليه' لرابح بومعزة، فإن البحث اختلف في أنه يعتمد نظريتي الجرجاني وتشومسكي منهج تحليل يفسر ظواهر التحول من البنية الإسنادية إلى المعنى التواصلي أو البنية السطحية في مفهوم التوليدية التحويلية.

يُعنى هذا البحث بالتحول الدلالي الذي يكون للبنية الإسنادية دور فيه، بمعنى أن الجملة المتحولة هي المركب الإسنادي بدلالته الأصلية مع انزياحه إلى المعنى المراد تبليغه بعد عمليات التحويل التي لا بد أن تكون بمراعاة مقتضيات النظم وقواعد التحويل وفق مجموعة النظام النحوي الذي تقره كل من نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية.

ومن هنا وجب طرح السؤال: كيف تتم عمليات التحول الدلالي انطلاقا من المبنى الإسنادي؟ وما مظاهر ذلك التحول وآلياته؟

للإجابة عن هذا، كان لابدَّ من التعريف بالجملة العربية ومكوناتها الأساسية، وبأنواعها من حيث التركيب ومن حيث الدلالة، وما يقتضيه تأليفها وتحولاتها، وما قاله القدماء فيها وما أضافه المحدثون؛ فكان هذا الفصلَ الأولَ من هذا البحث، وقد احتوى سبعة مباحث حاول كل منها الإشارة إلى أهم ما عُرف عن الجملة.

أما الفصل الثاني فقد وُسِمَ بنظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني، وفيه تعريف النظم والإرهاصات الأولى لظهوره، ومكوناته ومرتكزاته، ومظاهر التحويل فيه، ثم ختم ببعض ما قيل في النظرية وأهميتها وقيمتها العلمية من القدماء والمحدثين على اختلاف مناهجهم وآرائهم. وكان ذلك في سبعة مباحث تقصّت ما أمكن عن النظرية، ولخصت أهمّ ما جاءت به وأبرزت أدقّهُ مما يخدم هذا البحث.

وأما الفصل الثالث فكان بعنوان "النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي" فعرض أسباب ظهورها، واختلاف رؤى تشومسكي عن البنويين، وبيّن ومرتكزاتها وقواعدها ومظاهر التحويل فيها، وخُتم بذكر ميزات النظرية ثم بآراء بعض الباحثين فيها. وقد جاء في أحد عشر مبحثا لخصت إرهاصات نشأتها وميزاتها وبعض ما عرفت به من تفاصيل قيمتها العلمية في الدرس اللساني المعاصر.

ويُختم البحث بفصل رابع هو الفصل التطبيقي، عرض موازنة بين تشومسكي وعبد القاهر الجرجاني مبينا أوجه التشابه بين نظريتيهما، وتناول الأسس المشتركة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية كمدخل، ثم عرض الشواهد وتفاسيرها وإعرابها، وبيّن مظاهر التحول في كل شاهد وفق نظريتي النظم والتوليدية التحويلية، مبينا دقة النظم وأصولية المعاني واستقامتها وكيفيات تحولها من بنى إسنادية إلى خطاب وأحكام؛ ويختم بما استنتج من التحليل. وقد اشتمل الفصل على أربعة عشر مبحثا وُسمت بعناوينَ مستوحاةٍ مما خلُص إليه التحليل في ضوء النظريتين.

اعتمد البحث المنهج الوصفي مستعينا بالمنهج التاريخي حين يتعلق الأمر بعرض قواعد وآراء عبر مراحل تاريخية مختلفة، لأن التسلسل التاريخي يسمح بعرض ما زِيد وما حُذف، وما نُقّح وما صُحح، كما يسمح بتحديد المرحلة التاريخية وتواتر النصوص التقعيدية وأصولها.

لقد حرص البحث على أن تكون فصوله متوازنة، فكانت كذلك باستثناء الفصل التطبيقي لما يحتويه من نقل عن المفسرين ومعربي القرآن الكريم، واختلافهم في التأويل وفي الإعراب أحيانا، الأمر الذي أوجب عرض أكثر من تفسير، وأكثر من إعراب، وأوجب الالتزام بنقل النّص كما هو من مصدره حين يكون التصرف في المنقول مُخلاً بجوهره أو حين يكون حذف بعضه مفسداً لكلّه.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض النصوص طويلة في مصادرها، ولم يكن بالإمكان بترها ولا تلخيصها، فجاءت كما تقتضي الأمانة أن يكون التضمين وما تستوجبه الدقة في الاقتباس، سيّما والتحليل يقتضي التعرض للسياقين الداخلي والخارجي وتحليل النص مفصلا، وذكر سبب النزول ومعرفة كل التفاصيل المتعلقة بالنص تحرياً للدقة وضمانا لصحة التوجيه ابتغاء الاستنتاج السليم.

اعتمد البحث مصطلحات حديثة كمصطلح "المركب الإسنادي" حين يتعلق الأمر ببنية تامة مستقلة، ومصطلح "الوحدة الإسنادية" حين تكون البنية منضوية تحت بنية إسنادية أخرى تمثل طرفا فيها كما هي الجملة الكبرى والجملة الصغرى، كما اعتمد مصطلحات توضيحية كمصطلح " المركب العطفي" و"المركب التعريفي".

لم يفصل البحث بين النظريتين في التحليل فيما تتحدان فيه، إلا أن يكون هناك اختلاف فإنه يشير إلى النظرية ويستعمل مصطلحاتها، وكذلك يبين أوجه التوافق، وأوجه الاختلاف في مقارنة ضمنية لأنه لو فَصّل لكل نظرية لتكرر الكلام وتضاعف العمل من دون جدوى.

استند هذا البحث على مصادر ومراجع متنوعة أبرزها: القرآن الكريم، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط للغرناطي، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاجي، وروح المعاني للألوسي، وكذلك الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ثم الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد وشرح المفصل لابن يعيش وحاشية الصبان على الكافية للأشموني

ومغني اللبيب لابن هشام، والكافية الكبرى للإسعردي، وإعراب القرآن لعبد الواحد الشيخلي، وإعراب القرآن للدرويش وإعراب القرآن للنحاس، الجملة العربية (دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية، حسين منصور الشيخ، واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، والألسنية التوليدية لميشال زكريا، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني، والبنى التركيبية، ومظاهر النظرية النحوية لنعوم تشومسكي،ومناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي لـ بريجيته بارتخت، والقضايا الأساسية في علم اللغة لـ كلاوس هيشن، والتحليل اللغوي للنص لـ كلاوس برينكر وغيرها...

لم يكن البحث في هذا الموضوع بالأمر الهيّن، ذلك أن طبيعته تقتضي الاطلاع على مصنفات أشهر النحاة، وأبرز المفسرين، والبلاغيين من القدماء والمحدثين وأشهر اللسانيين، وهي مصنفات تشابهت مفاهيمها وتضمن بعضها بعضا، فكان لا بد من التمييز بين المؤصّل والمؤسس، والمؤوّل والمقتبس لاستخلاص ما توصلوا إليه وتوظيفه في تحليل الشواهد ابتداء من تحديد البنى الإسنادية ودلالاتها الأصلية، وصولا إلى ما آلت إليه دلالاتها بفعل التحويل مع تبيان جوانب التحويل وأبرز مظاهره فيها وآثارها في التركيب والتأويل وما نتج عن ذلك مما يجب أن يشار إليه.

لقد اختيرت الشواهد كلها من القرآن الكريم كونه منزّها عن الخطأ، وهو ما تطلب اللجوء إلى كتب التفسير وكتب التوجيه النحوي، فأتاح توكيدًا لمفاهيم، وإقرارًا بتأويلات، وترجيحاً لبعض على بعض فيما تعددت فيه الرؤى سواء على مستوى التأويل أو الإعراب أو عليهما معا.

ما كان لهذا البحث أن يبلغ غاياته ويصل ما وصل إليه من دون مساعدة وتوجيه، ولا يفوتني هنا أن أنوّه بما قدمه المشرف **الأستاذ الدكتور رابح دوب** من توجيهات، وأن أشيد بحرصه الشديد على التدقيق في كل كبيرة وصغيرة بغية الدفع بالبحث إلى الارتقاء إلى مستوى يرى أنه اللائق به. كما أتوجه بجزيل الشكر إلى ذوي الفضل ممن مدّوا يد العون لإنجاز هذا البحث وإخراجه في حلته هذه، والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة.

الفصـــــــل الأول

الجملة العربية ومكوناتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

قبل أن يبرز مصطلح 'الجملة' في النحو العربي كان مصطلح 'الكلام' هو الشائع، إذ ورد في كتاب سيبويه بمفاهيم متعددة ومعان مختلفة، فكان يعني اللغة ويعني الحديث ويعني النثر كما يعني الجملة أيضا، وكان الحديث عن الإسناد الفيصل في إيضاح المقصود النحوي للتركيب الذي اصطلح عليه الجملة فيما بعد، إذ به يُفهم أن المقصود هي الجملة، وبه يُفرَّق بينها وبين تلك المعاني؛ وللسياق في ذلك دورٌ رئيس.

وتكاد تتفق المصادر أن مصطلح 'الكلام' الذي يعني 'الجملة' لابد أن يتوفر على شرطين أولهما اللفظ المركب في مقابل لفظ المفرد الذي يفيد معنى الكلمة وثانيهما حصول الفائدة التي يحسن السكوت عليها.

لقد بيّن النحاة أن الجملة إنما هي مركب إسنادي يتكّون من عنصرين أساسيين أُسند أحدهما إلى الآخر أو ارتبط أحدهما بالآخر إسناديا فكان أحدهما المخبر عنه والآخر المخبر به. ويكاد يجمع العلماء على أن عنصري الإسناد وما ينتج عن ارتباطهما من إفادة هو أساس الجملة، وهو المعنى الأولي الموجب والمطلق؛ كما لاحظوا أن علاقة الجملة باللواحق والقيود تضيف معان أخرى، وتحوّل دلالات وتغير تركيبا أيضا؛ ومن ثمّ فصلوا بين الأساسي والملحق بما اصطلح عليه 'العمدة' وما اصطلح عليه 'الفضلة'.

لا ريب أن ذلك الفصل لم يأتِ اعتباطيا وإنما ليبيّنوا أن المركب الإسنادي هو أساس كل تحول دلالي، وأن أي تحول دلالي إنما مصدره الجملة النواة بحكم أنها قابلة للتوسع بالزيادة مكوناتٍ ودلالةً، والتنوع تركيبا وأحوالا. ولم يخْفَ ذلك على قدماء النحاة، فقعّدوا له وضبطوه بما أتيح لهم، ولم يهمله محدثوهم فأضافوا وصححوا، وعدّلوا ونقّحوا ووصلوا بالجملة إلى ما هي عليه، فقسمت تقسيمات بحسب التركيب والدلالة والإعراب، وبحسب موضعها من الكلام، ووظائفها النحوية والدلالية والتركيبية وغيرها.

لقد دقق النحاة واللسانيون كلٌّ في مجال صناعته في العصر الحديث، ورأى أغلبهم أن المركب الإسنادي هو الجملة النواة التي تنبثق منها جمل أخرى بتراكيب متنوعة ودلالات مختلفة، تستقيم أو تستحيل حسب كفاية المتكلم وقدرته على الأداء، وتأويل المتلقي وسعة مداركه.

الجملة العربية ومكوناتها.

أولا: تعريف الجملة العربية:

لم يرد مصطلح الجملة في مراحل التأسيس الأولى للنحو العربي،"ولعل أبرز ما يلفت النظر في منهج الدراسة النحوية أن يبدأ بتعريف الكلام تعريفا يحدد مفهومه ويجمع خصائصه وصفاته ويكاد النحاة يتفقون على أن الكلام هو اللفظ المركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[1].

لقد بدأ مصطلح 'الكلام' دالا على الجملة النحوية وعلى غيرها، "فتردد في كتاب سيبويه بمعناه اللغوي وهو عنده يعني اللغة كما يعني الحديث ويعني النثر ويعني الجملة أيضا، فهو يستخدمه بتلك المعاني، وهو حين يتحدث عن الجملة لا يتحدث عنها بمفهومها الاصطلاحي وإنما تحدث عنها بمدلولها من خلال الإشارة إلى عناصر المسند والمسند إليه ونفهم منه أن الجملة تكونت من المسند والمسند إليه كالمبتدأ والخبر والفعل وفاعله"[2].

لقد عرّفت أكثر مصادر النحو الكلام بأنه "اللفظ المركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[3]، وهذا يشير إلى أن الكلام في معناه اللغوي كما يؤدي معنى الجمل المفردة، يؤدي معنى الجمل المتضامة مع بعضها بعضا[4]، وإن كان الزمخشري يقول باتحاد معنى الكلام مع الجملة في قوله:"الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك(زيد أخوك) و(بشر صاحبك) أو في فعل واسم نحو قولك (انطلق بكر)ويسمى الجملة"[5].

---

1 – نحو التسير، أحمد عبد الستار الجواري،المجمع العلمي العراقي، بغداد،ط1،1987، ص 122 123

2– الجملة في النظام اللغوي العربي،عبد المجيد عيساني، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد5، 2006، ص92.

3 – الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت،ج1، ص17-18

4 – الجملة العربية، (دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية)، حسين منصور الشيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط1، 2009، ص26.

5 – شرح المفصل موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، تحقيق: أحمد السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة،د ط، دت، مج1، ج1، ص40.

ولعل ذلك هو الذي عزا ببعض المحدثين إلى القول باختلاف معنى الكلام اللغوي عن معناه الاصطلاحي؛ والكلام يشمل أكثر من جملة كقولنا: القرآن كلام الله أُنزل بالوحي...

1- الجملة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت713هـ):"الجملة واحدةُ الجملِ، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة وأجمل له الحساب كذلك والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره يقال أجملت له الحساب والكلام قال الله تعالى'لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة' قد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة وفي حديث القدر كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص، وأجملت الحساب إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده،أي أحصوا وجمعوا فلا يُزاد فيهم ولا ينقص"[1].

وجاء في القاموس المحيط قول الفيروز أبادي(ت817 هـ):"جمل جمع وأجمل الشحم أذابه كأجمله واجتملهُ وأجمل في الطلب اتّأد واعتدل فلم يفرط، وجمل الشيء جمعهُ عن تفرقه، وجمل الحساب رده إلى الجملة، وجمل الصنيعة حسنها وأكثرها وكامير الشحم يذاب فيجمع، والجملة بالضم جماعة الشيء"[2].

وجاء في كتاب 'دروس في أصول فقه الإمامية' لعبد الهادي الفضلي: " تعني كلمة جملة في اللغة العربية التجمع في مقابلة التفرق، ومن هنا أطلقوا كلمه جملة على جماعة كل شيء وقالوا أخذ الشيء جملة وباعه جملة أي متجمعا لا متفرقا"[3].

---

1 – لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة،ص685-686.

2 – القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص1005.

3 – دروس في أصول فقه الإمامية، عبد الهادي فضلي،مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ط2، 2006، ج2، ص146.

2- الجملة اصطلاحا:

جاء في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري قوله:"والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ قام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُرِبَ اللص، وأقائم الزيدان؟ وكان زيد قائما، وظننته قائما"[1].

وعرفها محمد سمير نجيب اللّبدي بقوله "الجملة هي لبنة الكلام المرسل وغير المرسل وعنصر فقاره الرئيس، وقد اختلف فيما إذا كانت مرادفةللكلام أو غير مرادفة"[2].

2-1-: الجملة في مصنفات القدماء:

2-1-أ: الجملة عند سيبويه (ت180 هـ).

"...وإنما تردد في كتابه ذكر مصطلح الكلام بمعان مختلفة،بمعناه اللغوي وهو عنده يعني اللغة كما يعني الحديث، ويعني النثر ويعني الجملة أيضا، ونفهم منه أن الجملة ما تكونت من المسند والمسند إليه المبتدأ والخبر، والفعل وفاعله"[3].

2-1-ب:الجملة عند المبرد(ت285هـ).

لقد كان المبرد أول من استخدم مصطلح الجملة عندما عرفها بالقول:" وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب لأنه هو والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: قام زيد فهو بمنزلة قولك :القائم زيد"[4].

2-1-ج: الجملة عند أبي علي الفارسي(ت377 هـ).

عرفها الفارسي بقوله:"ما يأتلف من هذه الألفاظ الثلاثة*كان كلاما مستقلا وهو الذي يسميه أهل العربية الجمل، واعلم أن الاسم يأتلف مع الاسم يكون منهما كلام"[1].

---

1 - حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، محمد عرفة الدسوقي، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009، ج2، (الباب2)، ص47

2- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، مؤسسة دار الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص52.

3 - الجملة في النظام اللغوي العربي، عبد المجيد عيساني، العدد5، 2006،ص 92.

4 - المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، ج1، عالم الكتاب،بيروت لبنان، دط، دت، ص8.

2-1-د:الجملة عند الرماني: (ت384هـ)

عرف الرماني الجملة بأنها "الكلام ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى"[2].

2-1-هـ: الجملة عند ابن جني (ت392هـ).

عرفها بقوله: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجملة،نحو زيد أخوك، وقام محمد، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمره المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد قولك زيد قائم أو لم يفد كقولك إن يكرمني فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه وتكون الجملة أعم من الكلام مطلقا"[3].

2-1-و: الجملة عند ابن فارس(ت 395 هـ).

قال ابن فارس :"زعم قوم أن الكلام ما سُمع وفُهم، وذلك قولنا: قام زيد وذهب عمرو، وقال قوم الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى، والقولان عندنا متقاربان لأن المسموع المفهوم لا يكون إلا بحروف مؤلفة دالة على معنى"[4].

2-1-ز:الجملة عند الجرجاني (ت471 هـ).

يعرف الجملة بقوله:" إن الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفادت كقولك زيد قائم، أو لم يفد كقولك إن يكرمني فانه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعمّ من الكلام مطلقا"[5].

2-1-ح: الجملة عند الزمخشري (ت538هـ):

---

*اسم وفعل وحرف

1 - المسائل العسكريات في النحو العربي، أبو علي الفارسي، تحقيق علي جابر المنصوري، جماعة بغداد، ط2، 1983، ص83

2 - الحدود في النحو: الرماني، ضمن كتاب (رسائل في النحو واللغة)، تح: مصطفى جواد ويوسف مسكوني، ص42، نقلا عن: محاضرات في التطبيق النحوي، أحمد قريش، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، ص3.

3 - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج1، ص، 17.

4 - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 سنة 1997، ص 47.

5 - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دط،1981، ص 356.

عرف الزمخشري الجملة بقوله:" الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى الجملة"[1].

2-1-ط: الجملة عند ابن الأنباري (577 هـ).

عرف ابن الأنباري الجملة بأنها: "ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه"[2].

وقال أيضا: "وأما الكلام فلا ينطق إلا على المفيد خاصة"[3].

2-1-ي: الجملة عند ابن معطي: (ت628هـ).

عرف ابن معطي الجملة بقوله: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع"[4].

2-1-ك:الجملة عند الشلوبيني. (ت 645 هـ).

قال الشلوبيني هي:" لفظ مركب وجوداأو نية مفيدبالوضع ...والمركب نية كقولك: قم واقعدي"[5].

2-1-ل: الجملة عند ابن الحاجب (ت 646 هـ).

يقول ابن الحاجب:"الكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد"[6].

2-1-م: الجملة عند ابن مالك: (ت672هـ).

قال ابن مالك في ألفيته المشهورة:

"كلامنا لفظ مفيد كاستقم *** *** اسم وفعل ثم حرف الكلم"[7]

---

1 - شرح المفصل، ابن يعيش، مج1، ج1، ص40.

2 - أسرار العربية عبد الرحمن بن محمد الأنباري دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت لبنان، د ط،1971، ص 23.

3 - المرجع نفسه ص 23.

4 - الفصول الخمسون لابن معطي، زين الدين أبو الحسن يحي بن معطي المغربي، تحقيق محمد محمود الطناحي، منشورات عيسى البابي الحلبي، دط، دت، ص149.

5 - التوطئة لأبي علي الشلوبيني، تحقيق: يوسف أحمد المطوع،جامعة الكويت، ط2، 1981، ص 112.

6 - الفوائد الضيائية شرح الجامي لكافية ابن الحاجب، نور الدين عبد الرحمن الجامي، دار الكتب العلمية، بيروت،دط، 1971، ص42.

7 - متن الألفية، محمد بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية بيروت، دط، دت، ص2.

وقال في غير الألفية:

"هو ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته"[1].

2-1-ن:الجملة عند أبي حيان الغرناطي (ت745هـ):

عرف أبو حيان الجملة بقوله: "الكلام قول دال على نسبة إسنادية وهو طلب نحو اضرب، ولا تضرب،وخبر نحو زيد قائم،وإنشاء نحو: بعت"[2].

2-1-س:الجملة عند ابن هشام (ت761 هـ):

يعرف ابن هشام الجملة بقوله:"الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه،والجملة عبارة عن فعل وفاعل كـ قام زيد والمبتدأ والخبر كزيد قام، وما كان بمنزلة أحدهما"[3].

2-1-ع: الجملة عند السيوطي (ت 911 هـ):

يقول السيوطي:"والجملة قيل ترادف الكلام والأصح أعم لعدم شرط الإفادة، فإن صدرت باسم فاسمية أو فعل ففعلية أو ظرف أو مجرور فظرفية وإن تقدمها حرف، والعبرة بصدر الأصل،واسمية الصدر فعلية العجز ذات وجهين وتسمى الكبرى إن كان خبرها جملة، والصغرى إن كانت خبرا، ولما بينها اعتباران، ذهبت طائفة إلى أن الجملة والكلام مترادفان، وهو ظاهر قول الزمخشري في المفصل فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: 'ويسمى جملة' والصواب أنها أعم منه إذا شرطه الإفادة بخلاف ما قال ابن هشام في المغني، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا فليس كلاما وعلى هذا فحد الجملة القول المركب"[4].

2-1-ف: الجملة عند الإسعردي (ت 1259 هـ):

---

1 - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو محمد بن مالك جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مالك، المطبعة الميرية، بمكة،ط1، 1319هـ، ص1.

2 - صرف اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام الأنصاري تحقيق صادي نهر دار اليازوري ا عمان الجزء الثاني د ط 2007 ص 265.

3 - حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، محمد عرفة الدسوقي، ج2، (الباب2)، ص47.

4 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي،تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 1998، ج1، ص49، 50.

يقول الإسعردي:"الكلام ما تضمن كلمتين حقيقة أو حكما بالإسناد أي تضمن حاصلا بسبب إسناد إحدى الكلمتين إلى الأخرى بحيث يمكن أن يفيد المخاطب فائدة تامة، فيرادف الجملة، ومن جعل أخصّ قيّد الإسناد بالمقصود لذاته فلا يشمل الجمل المتعلقة بالغير على الخبرية[1].

إن أهم ما يلاحظ من تعريفات الجملة في مصنفات القدماء إنما هو تأخر ظهور مصطلح الجملة، وبظهوره اختلف في التفريق بين الجملة والكلام وأشهر التصويبات التي شاعت كانت عدّ الكلام أعم من الجملة، ووضعت الجملة في معايير عرفها كل عالم وفق رؤيته وتحليله، ولعل أوضح ذلك وأشهره ما ورد في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري حين رد على الزمخشري في تعريفه الجملة والكلام تعريفا موحدا. ثم وضح السيوطي ذلك في همع الهوامع كما سلف ذكره.

إن ما دعا النحاة إلى التفريق بين الكلام والجملة هو رؤيتهم أن الجملة الشرطية تتألف من جملة الشرط وجملة جواب الشرط، وإذا عددنا كلا منهما جملة مستقلة فقدنا عنصر الإفادة في كلتيهما، ذلك كون الجملة تقوم على الإسناد فقط، بينما هناك شرط الإفادة في الكلام..والظاهر "أن الذي عليه جمهور النحاة أن الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة،ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد، فهي أعمّ من الكلام إذ كل كلام مفيد، وليس كل جملة مفيدة"[2].

2-2-: الجملة عند المحدثين:

لا غروَ في أن يختلف علماء اللغة المحدثون في تعريفهم للجملة عن القدماء كون الأحكام القديمة تطورت بسبب الدراسات اللغوية الحديثة وبسبب انتمائهم إلى المدارس والمذاهب اللغوية المختلفة لكنهم بنوا جلّ أحكامهم من منطلق الموروث فأضافوا وأنقصوا وهذبوا ونقّحوا ... فجاءت تعريفاتهم متقاربة مع اختلاف تقتضيه تأويلاتهم وحالات التفسير.

1 – الكافية الكبرى في علم النحو، خليل ابن الملا حسين الإسعردي الكردي، تحقيق: إلياس قبلان التركي، دار صادر بيروت، دط، 2007،ص26.

2 – الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان الأردن، ط2، 2007، ص12.

2-2-أ: الجملة عند تمام حسان.

يعرف تمام حسان الجملة بقوله هي:"المجموعة الكلامية""لذلك فالكلام عنده مجموعة من الجمل على اعتبار الكلام أعمّ من الجملة، فهو يرى أن الذي يتكون من عملية الإسناد يسمى الجملة وهي ذات علاقة إسنادية مثل علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله ونائب الفاعل والوصف المعتمد بفاعله ونائب فاعله"[1].

2-2-ب: الجملة عند عبد السلام المسدّي.

يعرف المسدّي الجملة فيقول" فالجملة المستقلة هي أكبر وحدة نحوية في الكلام،وتتميز بشيئين أولهما أن أجزاءها تترابط عضويا، وثانيهما أنها لا تندرج في بناء نحوي أوسع منها"[2].

2-2-ج: الجملة عند خليل عمايرة.

يقول خليل عمايرة: الجملة "هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، ونسميها الجملة التوليدية أو المنتجة بشرط أن تسير على نمط من أنماط البناء الجُملي في اللغة العربية"[3].

2-2-د: الجملة عند الحمزاوي.

يعرف الحمزاوي الجملة بأنها "تركيب يحتوي على عنصرين مسند ومسند إليه سواء أفاد أم لم يفد، وأنها لدى فريق آخر تركيب نواتُه قائمة على عنصرين أساسيين وهو تركيب ذو وظيفة دلالية"[4].

2-2-هـ: الجملة عند إبراهيم أنيس.

يعرف إبراهيم أنيس الجملة بقوله: "إن الجملة في أقصى صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[1].

---

1 – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، د ط، 1979، ص194.

2 – اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1986، ص153.

3 – في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،جدّة، ط1، 1984، ص71.

4 – الجملة الدنيا والجملة الموسعة،(دراسة وصفية وتحليلية) في كتاب سيبويه، على إسماعيل الحمزاوي، جامعه المنيا، دط، دت، ص11.

2-2-و: الجملة عند مهدي المخزومي.

يقول المخزومي في تعريفه للجملة:"هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد، وهي المركب الذي بَيّنَ المتكلم به صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه،ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[2].

2-2-ز: الجملة عند محمد إبراهيم عبادة.

وقد عرف عبادة الجملة بقوله: "ليست الجملة مجرد سلسلة من طبقات تراكمية ولا من متتابعات من المفردات أو الهيئات التركيبية دون علائق ترابطية ترى في عناصرها بل لها علاقة الإسناد وعلاقة التقييد وعلاقة الإيضاح"[3].

2-2-ح: الجملة عند محمد حماسة عبد اللطيف.

يقول محمد حماسة في تعريف الجملة :"كلام تمّ به معنى يحسن السكوت عليه هو الجملة وإن كان من كلمة واحدة"[4].

2-2-ط: الجملة عند فاضل صالح السامرائي.

يقول السامرائي: "تتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وهما عمدتا الكلام، ولا يمكن أن تتألف الجملة من غير مسند ومسند إليه كما يرى النحاة، وهما المبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر، والفعل والفاعل ونائبه، ويلحق بالفعل اسم الفعل"[5].

2-2-ي:الجملة عند عباس حسن.

يقول عباس حسن: "الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل، فلا بد في الكلام من أمرين معا هما: التركيب والإفادة المستقلة"[6].

2-2-ك:الجملة عند عبده الراجحي.

---

1 – من أسرار اللغة العربية، إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط،1958،ص276-277.

2 – في النحو العربي (نقد وتوجيه)،مهدي المخزومي،دار الرائد العربي بيروت، دط،دت، ص31.

3 – الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،دط، 1984،ص209.

4 – العلامة الإعرابية في الجملة، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الفكر العربي، كليه العلوم والآداب، القاهرة، دط، دت، ص 57.

5 – الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص13.

6 – النحو الوافي،عباس حسن، دار المعرفة مصر،ط4، 1971، ج1، ص14.

يقول الراجحي في تعريفه للجملة:"والجملة في تعريف النحاة هي الكلام الذي يتركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل"[1].

2-2-ل: الجملة عند ميشال زكريا.

يعرف ميشال زكريا الجملة بأنها: "وحدة كلامية يمكن لحظها عبر السكوت الذي يحددها"[2].

2-2-م: الجملة عند عبد السلام هارون.

يعرفها عبد السلام هارون فيقول:"هي القول أفاد أم لم يفد، قُصد لذاته أم لم يقصد، وسواء كانت مركبة من فعل وفاعل أمن مبتدأ وخبر أم مما نزل منزلتهما كالفعل ونائب الفاعل والوصف وفاعله الظاهر"[3].

2-2-ن:الجملة عند عبد الرحمن يحي اليماني:

"وكل قول مفيد كلام، وكل مفيد مركب لفظا أو تقديرا، وكل مركب له أجزاء، وأجزاء الكلام هي الكلم، وكل كلمة دالة على معنى"[4]

من خلال تعريفات اللغويين المحدثين للجملة يلحظ الدارس أن تعريفات القدماء حاضرة بكل تفاصيلها لدى أغلب المحدثين مع زيادة في تحديد مفاهيمها اللسانية والنحوية التي بنيت على الدلالة والتركيب وعلى علاقة مكوناتها ببعض؛ كما يُلْحظ أن الإفادة من عدمها، والإسناد الذي حظي بعناية القدماء وصنع الفارق بين مفهومي الجملة والكلام لم تختف إلا بقدر ما كانت عليه قديما وظلت تتراوح بين ذاكر لها معتمدٍ إياها، وبين ساكت عنها...ولعل بعض اللغويين اللسانيين هم الذين أضافوا بعض المفاهيم التي لم نعتدها في كتب القدماء و مصنفاتهم وهو ما يؤكد أن تعريفات عصور التأسيس وما تلاها من القرون لا تزال حاضرة في تفاصيل الدرس اللغوي على الرغم مما أضيف إليه تدقيقا وتصويبا.

---

1 – التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية مصر،ط2، 1998، ص83.

2 – الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1986، ص24.

3 – الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 2001، ص25.

4 – مجموع رسائل النحو واللغة، عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني، تحقيق: أسامة بن مسلم الحازمي، دار عالم الفوائد، ط1، 1434هـ، ص9.

رغم اختلاف النحاة في تصورهم للجملة العربية واختلافهم في تسميتها جملة أو كلاما،فإنهم يتفقون في أنها تتألف من أكثر من طرف، وبذلك تتحقق الإفادة في (الكلام) أو العلاقة بين الطرفين وإن لم تفد، وهو ما اصطلح عليه (الإسناد) فـ"ضمّ كلمة إلى أخرى بحيث ينعقد بينهما الإسناد المستقل، وهو الذي يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنها"[1].

لقد وضّح الاستراباذي في شرح الكافية الفرق بين الكلام والجملة بقوله: "والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمّنه الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا،كالجملة التي هي خبر المبتدأ،وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه؛ والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"[2].

ويبقى الاختلاف قائما بين النحاة في تحديد الجملة وطرائق تأليفها، ولعل الرأي الأكثر شيوعا هو القائل بأنها تتألف من طرفين رئيسين بطريقة الإسناد.

ومن ذلك لا بد من أن يُمعَن النظر في تلك الآراء التي يرجح فيها مبدأ الإسناد وهو الغالب لأن "هناك فرقا بين النظام النحوي، والحدث اللغوي، فالنظام النحوي يقول إن أقل قدر من الكلام المفيد يتم بعنصري الإسناد، وما سواهما زيادة قد تكون ضرورية، وقد يستغنى عنها،ولكنها لا تبني جملة في الأساس من حيث هي، فإذا كان الكلام مفيدا فإن العنصرين الأساسيين لابد أن يكونا موجودين لفظا وتقديرا، وأما الحدث اللغوي ـ وهو المجال الذي ينطلق منه النظام النحوي ـ فإنه قد يهتمّ ببعض الفضلات بحيث تكون في بعض الأحيان هي الغاية والقصد، مثل قوله تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)[الدخان 38.].فالعنصران الأساسيان مستوفيان من أجل نفي خلقهما في هذه الحالة المعينة (لاعبين)، وإذا حذفت هذه الحال اختلت الجملة أيما اختلال في معناها رغم اكتمال عناصرها الأصلية من الفعل والفاعل"[3].

1 – القواعد الأساسية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص9.

2 – شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص 31-32.

3 – في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، ط1، 1982، ص 46-47.

ومن هنا يتضح أن النظام النحوي يقوم على الإفادة بفعل الإسناد وأن تلك الإضافات إن هي إلا لواحق تضيف للمنشأ الأصلي للجملة معنى أو معان تدخل في إحداث أسلوب أوضح في الدلالة أو تدقيق في الكيفيات والمفاعيل والظروف وغير ذلك مما يراد إيصاله للسامع، لكنها لا تخلّ بالبنية الأساسية التي (تحدث سيبويه بتحولها بما يضاف إليها، وأقرّ تشومسكي بأنها المنطلق الأساس لإنشاء ما لا نهاية من الجمل)؛فالبنية الإسنادية هي الفكرة الذهنية التي تؤسس لكل المعاني التي تنشأ بالإضافة لها،وهي البنية العميقة التي تنطلق منها كل الدلالات والمعاني التي تظهر في ما سمي بالبنية السطحية.

أما القول باختلال الجملة الأساس من حذف الفضلات فلا يحدث إلا بالفصل بين الفضلات المترابطة لإنشاء أسلوب معين . ففي الآية السابقة لا ينتفي الفعل بحذف لاعبين لأن البنية الإسنادية من الفعل والفاعل (خلقنا)موجبة ثابتة، وأن النفي لم يأت لنفي الفعل أو الفاعل إنما لنفي الحال (لاعبين)لإثبات حال لم تذكر،والشيء بضدّه يعرف، فالله خلق السموات والأرض وما بينهما لحكمة تلخصت فيها كل الغايات التي لا تحصى بنفي حال (لاعبين). وهو ما يؤكد إيجاب البنية الإسنادية إلا أن تلحقها القيود واللواحق.

ثانيا: أنواع الجملة العربية :

قسّم العلماء الجملة العربية قديما وحديثا تقسيمات متعددة:

1- من منظور ما تبدأ به:

والجملة العربية إما:

1-1-أ:اسمية وهي التي تبدأ باسم،وركناها المبتدأ والخبر نحو: الشمس ساطعة، والدين النصيحة.

1-1-ب: فعلية وهي التي تبدأ بفعل،وركناها الفعل والفاعلأو الفعل ونائب الفاعل نحو:قام زيد،ويُقام حفلٌ.

وأضاف ابن هشام قسما ثالثا وتبعه السيوطي في ذلك وهو:

الجملة الظرفية. فالجملة الظرفية هي التي تبدأ بظرف نحو أعندك زيد؟ أو تبدأ بمجرور نحو أفي الدار رجل؟ ومع ذلك ظل أغلب النحاة يعدّونها ضربا من الجملة الاسمية.

كما لم يتفق النحاة على أن الشرطية قسم مستقل من تقسيمات الجملة.وتحديد نوع الجملتين لدى النحاة إنما بُنِي على أساس لفظي لم يُراعَ فيه المعنى ولا الدلالة " ونلاحظ أن النحاة في تصنيفهم هذا لا يستندون إلى المعنى، فنوع الكلمة ذات الموقع المتقدم يحدد نوع الجملة، سواء كانت مسندًا أم مسندًا إليه، وهذا مرجعه إلى نظرية العامل، لأن الفعل عامل والفاعل معمول، ولا يجوز عندهم أن يتقدم المعمول على العامل"[1].

ويصف المخزومي هذا التحديد بأنه " ساذج، يقوم على التفريق اللفظي المحض"[2].

2- الجملة من منظور إعرابها:

والجملة من منظور إعرابها قسمان:

2-1-جمل لها محل من الإعراب:

وهي الجمل الواقعة موقع المفرد، ولا تكون النسبة بين طرفيها ملحوظة، وإنما ينظر إلى مجمل مدلولها، ويعامل معاملة المفرد الذي يرتبط بمفرد آخر وهي جملة غير مستقلة المعنى ويكون لها محل إعرابي كالواقعة مقولا للقول،أو حالاً،أو وصفًا. وهي سبعٌ:

2-1-أ: **الواقعة خبر** المبتدأ أو لفعل ناقص أو لحرف مشبه بالفعل أولفعل من أفعال الشروع.

2-1.ب: الواقعة مبتدأ كالقول: عليك أن تؤدي واجبك.

2-1.ج: الواقعة حالا نحو: جئت والمطر يهطل.

2-1.د: الواقعة مفعولا به: مثل: علمت أنك قادم.

2-1.هـ: الواقعة مضافا إليه مثل: سأحضر حين يكون لحضوري فائدة.

1- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، دار وائل، عمان،ط1، 2003، ص34.

2- في النحو العربي (نقد وتوجيه) مهدي المخزومي، ص39.

2-1.و:الواقعة جوابا لشرط جازم: اقترنت بالفاء أو بإذا الفجائية كقوله تعالى: (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه7].

2-1.ز:التابعة لإحدى الجمل السابقة نحو: الله يحيي ويميت.

وقوله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) [الروم:36]

ويضيف ابن هشام الجملة الواقعة نعتاكما في قوله تعالى: (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ)[البقرة 254] ولا يعد الواقعة مبتدأ من التي لها محل من الإعراب.

يقول السامرائي: " قد تعطف المفردات على الجمل التي لها محل من الإعراب فتعرب مثل إعرابها وذلك كعطف الخبر المفرد على جملة الخبر وكعطف الحال المفرد على جملة الحال والنعت على جملة النعت وهكذا، وذلك نحو قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) [الأنعام 95]فعطف مخرج على جملة يخرج التي هي خبر ثان لـ إنّ، فارتفع كما هو محل جملة الخبر"[1].

ويعد النحاة ما يصح تقديره بالمفرد من الجمل جملا لها محل من الإعراب، ثم يضيفون جملا لا تخضع لمعيار التقدير بالمفرد كجملة خبر ضمير الشأن في قوله تعالى:(قل هو الله أحد)الإخلاص1، أو جمل أخبار أفعال المقاربة والشروع كقولنا كاد الفقر يكون كفرا، أو جعل يقترب.

2-2:الجمل التي لا محل لها من الإعراب وهي:

2-2.أ- الواقعة جوابا للقسم نحو: 'إنه لحق' في القول: والله إنه لحق.

2-2.ب-الواقعة صلة لموصول نحو:'سأل عني ' في الجملة: لقيت الذي سأل عني.

2-2.ج-الواقعة جوابا لشرط غير جازم أو جازم غير مقرون بالفاء أو إذا مثل: إذا عزّ أخوك فهن. وقوله تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)[الزلزلة 7]

2-2.د-الواقعة ابتداء للكلام نحو:'الله ربنا'.

2-2.هـ-الواقعة مفسرة نحو: أشرت إليه 'أن قم'

1 - الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص.196

2-2.و-الواقعة معترضة (اعتراضية) نحو: قوموا'-رحمكم الله-' إلى صلاتكم.

2-2.ز-والواقعة تابعة لجملة لا محل لها من الإعراب.

"وأضاف الغلاييني الجملة الاستئنافية التي تقع أثناء الكلام نحو قوله تعالى: (خلق السموات والأرض بالحق 'تعالى عما يشركون'.) [النحل:3]والتعليلية وهي التي تقع أثناء الكلام تعليلا لما قبلها نحو قوله تعالى: وصلّ عليهم "إن صلواتك سكن لهم"[التوبة 103]"[1].

و"نجد أن تعريف المعجم المفصل:في النحو العربي تعريف شامل جامع مانع لهذين النوعين من الجمل، إذ عرف الجمل التي لا محل لها من الإعراب بأنها الجمل التي لا تحلّ محل المفرد وتكون كلاما مستقلا عن غيره، وعرف الجمل التي لها محل من الإعراب بأنها الجمل التي تحل محل المفرد، وهي التي تكون غير مستقلة عما قبلها"[2].

3- الجملة من منظور معناها: (التواصلي والبلاغي)

تنقسم الجملة من المنظور البلاغي قسمين :

3-1-:الجملة الخبرية:

وهي الكلام الذي يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا"[3].

3-2-:الجملة الإنشائية:

وهي:"الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[4].

لكن السيوطي أضاف الطلب مستقلا عن الإنشاء وخالف بعض النحاة والبلاغيين فهو يقول في الهمع: "اختلف الناس في أقسام الكلام: فالحذاق من النحاة وأهل البيان قاطبة

1- الجملة العربية (دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية)، حسين منصور الشيخ، ص66

2- المرجع نفسه، ص64.

3 - علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985،ص 46.

4- المرجع نفسه، ص69.

على انحصاره في الخبر والإنشاء، وقال كثيرون: أقسامه ثلاثة: الخبر والإنشاء والطلب. لأن الكلام إما أن يقبل التصديق والتكذيب، أولا.الأول: الخبر والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب"[1].

4- :الجملة من منظور تركيبها:.

وهي التي قسمها النحاة كبرى وصغرى.

4-1-الجملة الكبرى: و"هي الجملة الاسمية التي خبرها جملة نحو زيد قام أبوه، أو نحو زيد أبوه قائم، وقد اصطلح عليها الجملة المركبة أو الجملة الأصلية"[2].

4-2-الجملة الصغرى: وهي الجملة المبنية على المبتدأ، كالجملة المخبر بها عن مبتدأ الجملة الكبرى أو الرئيسة؛وقد اصطلح عليها الجملة الفرعية:فأبوه قام، أو أبوه قائم خبر من زيد في قولنا: زيد أبوه قام أو أبوه قائم، فالجملة أبوه قام خبر لزيد في الجملة الكبرى. فالجملة زيد أبوه قام أو أبوه قائم هي الكبرى ولا يمكن للجزء إلا أن يكون أصغر من الكل.

فالجملة الكبرى هي الجملة المكونة من جملتين أو أكثر تكون إحداها المبتدأ أو الفاعل أو الخبر أو المفعول الثاني لفعل ناسخ،أو بعبارة أدق هي التي اصطلح عليها بعض المحدثين الجملة المركبة؛ وليست الصغرى إلا الجملة البسيطة التي تكون خبرا عن غيرها.

5- :الجملة من منظور صحة التركيب ودلالته:

وهي قسمان: المستقيمة والمحال (الأصولية وغير الأصولية):

5-1-المستقيمة (الأصولية): وهي ما كان تركيبها مستقيما ومعناها حسن،فهي الصحيحة تركيبا، المستساغة دلالة.

5-2-المحال (غير الأصولية): وهي ما ليس في تركيبها ولا دلالتها ما يستوعبه العقل من معنى، فهي التي يختل ترتيبها فلا يكون لدلالتها ما يستوعبه العقل، أو ما لم تكن دلالتها مما يفهمه العقل، أو هي التي تختل تركيبا ودلالة.

---

1 - همع الهوامع، السيوطي، ج1، ص34.

2 - حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب، محمد عرفة الدسوقي، ج2، (الباب 2)، ص54.

لقد أفرد سيبويه لذلك بابا جاء فيه: " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال؛ ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك:أتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فتقول: حملت الجبل وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولكقد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1].

يفهم من كلام سيبويه أن الكلام مستقيم ومحال، وأن من المستقيم منه ما هو حسن وهو الذي استقام تركيبا ودلالة، فلا تناقض في ترتيب عناصره ولا استحالة في منطقية معناه،وأن الكلام قد يكون مستقيما تركيبا غير مستساغ عقلا ومعنى،وهو الذي أسماه المستقيم الكذب، أما المستقيم القبيح فهو التركيب فاقد الترتيب المقدم فيه بعضه على بعض أو المؤخر في غير مُسوّغ للتقديم أو التأخير؛ أما ما أسماه المحال فهو ما ناقض أوله آخره دلالة وهو أقرب إلى المستقيم الكذب، أما المحال الكذب فهو الجمع بين المستقيم الكذب والمحال وهو ما لا يستساغ. ويمكن اختصار ذلك بالقول :المستقيم المفيد والمستقيم غير المفيد والمحال.هي أقسام الكلام من منظور التركيب والدلالة.

ومن هذا يُفهم أن تقسيم الجمل تنوّع بحسب أساس التقسيم فهي: اسمية أو فعلية حسب بدايتها، وهي إخبارية أو إنشائية حسب المعنى الذي تؤديه، وهي كبرى وصغرى حسب أصالتها وفرعيتها، وهي أيضا لها محل من الإعراب أو لا محل لها بحسب وظيفتها الإعرابية، وهي مستقيمة أو محال بحسب صحة تركيبها دلالتها.

ويمكن إضافة نوع آخر من التقسيم وهي الجمل المقصودة لذاتها أو المقصودة لغيرها، وتنضوي تحت الجملة الكبرى والجملة الصغرى.

1- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004، ص25-26.

ثالثا: تأليف الجملة العربية

تتألف الجملة العربية – بحسب أغلب النحاة– من طرفين رئيسين هما: المسند والمسند إليه بطريق الإسناد الذي يحقق الارتباط بينهما.وتكون بذلك بنية إسنادية، فما الإسناد؟ وما طرفاه؟

1- الإسناد لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (س ن د):فلان سندٌ أي معتمد.

وجاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي في باب الدال فصل السين: السّنَدُ: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح،ومُعتمد الإنسان، وضرب من البرود... والمسند من الحديث ما أسند إلى قائله.

2- الإسناد اصطلاحا:

والإسناد عند النحاة يعني ضمّ كلمة إلى أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا، ويسميان:المسند والمسند إليه، وهذا الأخير عند سيبويه هو المحدّث عنه، ولا يكون إلا اسما، وهو المبتدأ الذي له خبر وما أصله ذلك، والفاعل ونائب الفاعل. أما المسند فهو المحدّث به ويكون فعلا كما يكون اسما، فالفعل مسند على وجه الدوام ولا يكون إلا كذلك، والمسند من الأسماء ما كان خبرا للمبتدأ، وما أصله ذلك؛ وكذلك المبتدأ الذي له مرفوع أغنى عن الخبر نحو: أقائم أخوك؟ فقائم مسند وأخوك مسند إليه.

خَصّص سيبويه للمسند والمسند إليه بابًا في كتابه حين قال:"هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا.فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك... ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقا، وليت زيدا منطلق لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"[1].

1 – الكتاب، سيبويه، ج1،ص24.

2-1: المسند:

عرف الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ) المسند بقوله:"الكلام سند ومسند كقولك: عبد الله رجل صالح، فعبد الله سند ورجل صالح مسند إليه"[1].

فالمسند هو ذلك الاسم أو الفعل (وما يحل محل الفعل) الذي لا يكتمل الإسناد إلا بوجوده ولا يمكن أن يستغني عنه المسند إليه، وهو في عرف النحاة الحكم المراد إسناده إلى المحكوم عليه.

2-2: المسند إليه:

"فهو ما لا يستغني عنه المسند ولا يجد المتكلم منه بدا، وهو في عرف النحاة الجزء المحكوم عليه كالفاعل من الجملة الفعلية والمبتدأ من الجملة الاسمية"[2].

"وقد يكون المسند إليه معنى كما يكون ذاتا، فمن الأول انتشر الفساد في الأرض. فالفساد معنى،وهو مسند إليه معنى من المعاني وهو الانتشار، ومن الثاني حضر الغلام اسم ذات وهو مسند إليه"[3].

وجاء أيضا في كتاب فاضل صالح السامرائي معاني النحو "الجملة العربية كما يرى النحاة تتألف من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا اسما والمسند وهو المتحدث به ويكون فعلا أو اسما، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداهما فضلة أو قيد"[4].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المسند ركن من البنية الإسنادية التي هي الجملة النواة وهي أقصر ما ينبني عليه الكلام، (وتضاف إليها الفضلات والقيود لتتحول دلالة إلى ما قُصد تبليغه تحقيقا للتواصل بما يقتضيه الحال) وهو في اصطلاح النحاة (الفعل أو ما يقوم مقامه من المشتقات التي تعمل عمل فعلها) أو هو الخبر بأنواعه إن مفردا أو جملة أو شبه جملة. أما المسند إليه فهو الركن الآخر من ركني البنية الإسنادية، فلا يمكن للمسند الاستغناء عنه ولا

---

1 – كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ج2، ص283.

2- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر،الأردن، ط1، 2000، ج1، ص14.

3- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص106-107.

4- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج1، ص14.

يمكنه الاستغناء عن المسند.فهما معا يشكلان ثنائية الإسناد ويؤلفان البنية الإسنادية بمختلف تسمياتها،وهو في عرف النحاة المحكوم عليه بالمسند ويكون اسما ظاهرا أو ضميرا بارزا أو مستترا أو مقدرا وهو المبتدأ الذي يعده سيبويه ركن الجملة الأول "فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد، والنكرة قبل المعرفة"[1]. وبه تعرف الجملة الاسمية؛ كما يكون المسند إليه فاعلا أو نائبا عن الفاعل.

3- :مفهوم الإسناد:

للإسناد مفهومان اثنان:تركيبي ودلالي.

3-1-الإسناد التركيبي:هو انضمام كلمة إلى أخرى على وجه يفيد صحة التركيب في نسبة إحداهما إلى الأخرى،نحو: قام زيد، قام مسند وزيد مسند إليه، وزيد قائم، قائم مسند وزيد مسند إليه.

3-2-الإسناد الدلالي:وهو ارتباط طرفيه ارتباطا عضويا على وجه يفيد الحكم بأحدهما على الآخر ثبوتا أو نفيا؛ فالمسند هو الحكم أو المحكوم به، والمسند إليه هو المحكوم عليه، المتحدث عنه أو المخبر عنه، ويعني ذلك أنه الذي يسند إليه أمر من الأمور.

4- طرفا الإسناد والصور التي يأتيان عليها:

لطرفي الإسناد صور خاصة بكل منهما:

4-1-المسند إليه: ويأتي في مواضع متعددة وصور مختلفة وهي:

4-1-أ:المبتدأ الذي له خبر.

4-1-ب:الفاعل.

4-1-ج:نائب الفاعل.

4-1-د:ويؤول منها أسماء النواسخ (الأفعال الناقصة والحروف المشبهة بالفعل).

4-1-هـ:المفعول الأول من ظنّ وأخواتها

4-1-و:المفعول الثاني من رأى وأخواتها.

1- الكتاب، سيبويه، ج1 ، ص24.

4-2-المسند:ويأتي المسند في صور متعددة أيضا وهي:

4-2-أ:خبر المبتدأ.

4-2-ب:الفعل التام.

4-2-ج:المبتدأ الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه مثل: أقائم أبوك؟

4-2-د:أخبار النواسخ (الأفعال الناقصة والحروف المشبهة بالفعل).

4-2-هـ:المفعول الثاني من ظن وأخواتها.

4-2-و:المفعول الثالث من رأى وأخواتها.

4-2-ز:المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله عليه الصلاة والسلام: (صبرا آل ياسر) بمعنى اصبروا.

إن الإسنادعملية يجب توفرها لتحقيق التبليغ،وقد ذكر الجرجاني في دلائل الإعجاز ما لخص به الإسناد ووضح وجوهه:"الكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[1].

لأن التبليغ غاية تتحقق بالكلام المسند بعضه إلى بعض وما زيد عن المسند والمسند إليه إنما هو إضافة إلى المعنى الأصلي شبه المجرد والذي قد لا يحقق التبليغ إلا بملحقاته وقيوده.

5- الإسناد في الجملة الاسمية.

والجملة الاسمية كما عرفها سيبويه ـ هي التي تبدأ باسم، وهي في أبسط حالاتها تتكون من مسند ومسند إليه،ولا يكون المسند فيها فعلاكما في القول: محمد رسول الله (ص) فالمسند رسول الله وصف دال على الدوام ثابت لمحمد أي دوام اتصاف المسند إليه بصفة المسند وقد وضح المخزومي ذلك بقوله: "وهي الجملة التي يكون فيها المسند دالا على الدوام، أو بعبارة أخرى هي التي لا يكون المسند فيها فعلا، وذلك نحو: محمد أخوك، والحديد معدن، فكل من (أخوك ومعدن) دالان هنا على الدوام، أي دوام اتصاف المسند

1- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص 367.

إليه بهما، لأن الأخوة ثابتة لمحمد لا تتغير، ولا تصير من حال إلى حال، ولأن المعدنية وصف ثابت للحديد لا يتغير، فكل من هاتين الجملتين جملة اسمية"[1].

فالإسناد في الجملة الاسمية يقوم على أساسين أولهما إن المسند إليه اسم ولا يكون فعلا والثاني إن يكون دالا على الثبوت والدوام ولا يتحول من حال إلى حال.

6- الإسناد في الجملة الفعلية .

الجملة الفعلية كما عرفها النحاة هي التي تبدأ بفعل أسند إلى اسم أو إلى ضمير أو ما قام مقامهما يأتي بعده ولا يتقدم عليه: فالفعل مسند والفاعل أو نائب الفاعل مسند إليه. والإسناد في الجملة الفعلية يتميز بتجدد المسند وتغيّره وهذا التجدد إنما يتم بدلالة الفعل الذي من سماته دلالة التحول وقد قال المخزومي في ذلك:" وهي التي يكون فيها المسند دالا على التجدد والتغير، أو بعبارة أخرى، هي التي يكون فيها المسند فعلا، لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على تجدد الإسناد وتغيره، وذلك نحو: قام خالد، وخالد يقوم"[2].وفي الحالتين يظل الإسناد فيها قائما على ضمّ المسند –وهو الفعل– للمسند إليه وهو الفاعل وان لم يظهر الفعل إلا بدلالة ما ورد بعده.

وقد يشير هذا التعريف إلى ما يعني أن جملة (خالد يقوم) هي جملة فعلية من منظور إسنادها، لكن الذي يُلْحظ –لمخالفة ما قيل– هو أن الفعل (يقوم) مسند إلى الضمير العائد على خالد لا إلى خالد الواقع في الابتداء.

7- الإسناد في الجملة الظرفية

اختلف النحاة قديما وحديثا في الجملة الشرطية، فالزمخشري عدّها جملة مستقلة عن غيرها من الجمل، وعدّها ابن هشام في الجمل الفعلية، وعدّها المخزومي فعلية... وفي كل الحالات يظل الإسناد فيها قائما على ضم المسند (وهو الفعل) للمسند إليه وهو الفاعل وإن لم يظهر الفعل إلا بدلالة ما ورد بعده.

1- في النحو العربي (قواعد وتطبيق)،مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1972، ص87.

2- المرجع نفسه، ص87

والجملة الظرفية هي الجملة التي لا تبدأ بفعل ولا تبدأ باسم،فهي ليست اسمية ولا فعلية بحسب ركنيها، ومثلما بُنيت الجملتان الاسمية والفعلية على الإسناد فإن الظرفية لا تختلف عنهما، وكان للإسناد دور في تركيبها. لذلك يمكن القول إن الإسناد في الجملة الظرفية يقوم على أن يكون المسند ظرفا أو مضافا إليه وهو يشكل طرفا رئيسا في بناء الجملة فهو عمدة فيها لا فضلة ولا لاحق أو قيد. وقد أشار المخزومي إلى ذلك في كتابه في النحو العربي بقوله: "وهي الجملة التي يكون المسند فيها ظرفا أو مضافا إليه بالأداة نحو: عند فريد ثمرة، وأمامك عقبات، ونحو قوله تعالى (أفي الله شك؟)[إبراهيم،110] وقولك في الدار رجل. هذه الجمل وأمثالها ليست فعلية، لأن الفعل لا يظهر فيها، وليست اسمية ما كان فيها المبتدأ أو المسند إليه فيها صدرا ما لم يطرأ على المسند ما يقتضي تقديمه، وتقدم المسند في هذه الجمل ليس طارئا، ثم إن المسند فيها يشير إلى الكينونة العامة أو الوجود العام مما يجعلها إلى أن تكون فعلية أقرب منها إلى أن تكون اسمية..."[1].

ومما سبق يتضح إن للمسند الدور الرئيس في تحديد نوع الجملة فهي فعلية إنْ كان مسندها فعلا واسمية إنْ كان اسما وظرفية إنْ كان ظرفا مضافا.

ولعل الدارس يلحظ أن الفرق قائم على منظور الإسناد فيرجّح القول بفعلية (خالد يقوم) وظرفية (عندك ثمرة)، وأن الحجة هنا أقوى من مجرد موقع اللفظ والابتداء به.

رابعا: أنـواع الإسناد:

يكاد النحاة قديما وحديثا يجمعون على تعريف واحد للإسناد وهو ضم إحدى كلمتين إلى أخرى على وجه الإفادة التامة أو تعليق خبر بمخبر عنه نحو: زيد قائم أو طلب بمطلوب نحو: "أكرم" وأطلقوا على هذا الإسناد الأصلي، ومادام هناك إسناد أصلي فلا بد أن يكون له نوع يقابله وهو ما أطلقوا عليه مصطلح الإسناد غير الأصلي.

ويفهم من ذلك أن الإسناد نوعان:

أصلي وغير أصلي، فأما الأصلي فما كان من ضمّ عمدة إلى عمدة، وما عداه فهو الإسناد غير الأصلي.

1- المرجع السابق، ص87.

1- الإسناد الأصلي

" وهو ما تألف منه الكلام، إسناد الفعل إلى الفاعل وإسناد الخبر إلى المبتدأ"[1]. بمعنى أن الأصل في الإسناد أن يحكم بعمدة على عمدة فالفعل ركن رئيس في الجملة والخبر كذلك، وليست الجمل إلا من متعلق أحد هذين بمتعلقه المناسب له.

2- الإسناد غير الأصلي

"وهو إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف، فإنها مع ما أسندت إليه ليست بكلام ولا جملة،وأما نحو: أقائم زيد؟ فلأنه بمنزلة الفعل ومعناه"[2]، فهي تعد جملة وقد ورد في شرح ابن عقيل: "أن الفعل مع فاعله جملة، واسم الفاعل مع فاعله ليس بجملة فعندهم أن نحو: رأيت المنطلق غلامه أن المنطلق مسند إلى الغلام والغلام مسند إليه، وأن نحو (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ). [القمر:7] أن خشّعا التي هي حال مسندة إلى الأبصار والأبصار مسند إليها، وأن نحو (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) [النساء:75]أن كلمة الظالم التي هي نعت مسندة إلى الأهل، وجاء في شرح الرضي على الكافية: "فإن نحو حسنا في قولك: 'إن رجلا حسنا غلامه في الدار ' مسند إلى غلامه بعد دخول إن عليها وليس بخبرها"[3]. وجاء أيضا في قوله:"لأن كون الشيء مسندا إلى شيء ومسندا إليه شيء آخر في حالة واحدة لا يضر كما في قولنا:'أعجبني ضرب زيد عمرا' فأعجبني مسند إلى ضرب ومسند إلى زيد"[4].

والذي نراه أن هذا الإسناد ناقص، وأن ما عدّوه مسندا في نحو ما مر ليس بمسند فإن قولك: رأيت المنطلق غلامه أن المنطلق مفعول به وهو فضلة وغلامه فاعل لاسم الفاعل الذي هو فضلة، فإن اسم الفاعل وعموم الصفات ترفع اسما ظاهرا أو مستترا على كل حال سواء كانت عمدة أم فضلة، وأن قولك يا مسافرا أخوه، مسافرا منادى وهو مفعول به عند النحاة رفع اسما ظاهرا، وأن قوله تعالى (خاشعة أبصارهم) (المعارج)44 خاشعة حال وأبصارهم

1- الجملة العربية تعريفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي،ص25.

2- المرجع نفسه،ص 25.

3- شرح الرضي على الكافية، ج1، ص110.

4 - المرجع نفسه ج1، ص83-84

فاعل لاسم الفاعل الواقع فضلة. فأنت ترى هذه فضلات، فكيف تكون مسندا والمسند عمدة لا فضلة؟. وأمثل من هذا التقسيم فيما نرى أن يقسم الإسناد على قسمين:

3- الإسناد التام

"وهو ما اشتمل على طرفي الإسناد مذكورين أو مقدرين أو مذكورا أحدهما والآخر مقدر، وذلك نحو: الحق واضح ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات 25' سَلَامًا ' مفعول لإسناد تام حذف طرفاه وتقديره نسلم أو نحوه و'سَلَامٌ' إسناد تام حذف منه المسند والتقدير سلام عليكم. وقوم إسناد تام حذف منه المسند إليه والتقدير أنتم قوم"[1].

4- : الإسناد الناقص.

"وهو ما ذكر فيه أحد الطرفين من دون ذكر للطرف الآخر لا لفظا ولا تقديرا. وذلك نحو إعمال الوصف الرفع لا لكونه وصفا، نحو (رأيت المنطلق أخوه) فأخوه مسند إليه لاسم الفاعل منطلق وليس له مسند، فإن المنطلق فضلة وهو مفعول به، فهذا إسناد ناقص إذ ذكر المسند إليه وليس له مسند، نحو قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[النساء75] فأهلها فاعل لاسم الفاعل الواقع نعتا فهذا مسند إليه وليس له مسند لأن الرافع له فضلة وليس عمدة فهذا إسناد ناقص"[2].

ولا يتألف الكلام إلا من الإسناد التام أي أن البنية الإسنادية لا تتألف إلا من مسند ومسند إليه مجردين للإسناد، فاسم الفاعل مع مرفوعه لا يشكل مسندا في القول:'رأيت المنطلق أخوه' لأن 'المنطلق' مفعول به للفعل رأى، ومن هنا لم يكن صالحا ليكون مسندا إلا إذا تجرد للإسناد كما في قولهم: 'أقائم زيد؟'فقائم تجرد للإسناد فصح أن يكون مبتدأ وفاعله سد مسد الخبر على الأرجح."فإن لم يتجرد لأن يكون مسندا لمرفوعه فليس ذلك بجملة، والإسناد ناقص وذلك نحو: 'رأيت الفائز أخواه'، فالفائز لم يتجرد للإسناد إلى فاعله بل هو

1- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص25

2- المرجع نفسه، ص26.

مفعول به لما قبله فاسم الفاعل هنا مع مرفوعه ليس بجملة"[1]، ويعدّ من الإسناد الناقص ما تكرر فعله للتوكيد كما في: أتاك أتاك اللاحقون، فأتاك الثانية توكيد، والتوكيد فضلة وليس له مسند إليه.في هذه الجملة.

قد تتألف التوابع أحيانا من جمل كالحال والصفة وعندها تتألف من مسند ومسند إليه نحو: رأيته وهو يقفز. ورأيت ولدا يقفز عاليا.

كما رأى بعض النحاة أن هناك أفعالاً لا فاعل لها مثل 'حاشا' واعتبر هذا الإسناد إسنادا ناقصا وفُسّر الإسناد هنا بمطلق الربط والتعليق لا بالإسناد المعلوم وهو لذلك ناقص.

5- الإسناد المعنوي والإسناد اللفظي

5-1- الإسناد المعنوي:"وهو أن تنسب للكلمة ما لمعناها، نحو 'حضر أخوك وخالد مسافر، ومعنى ذلك أنك تنسب الحضور في الأول للشخص الذي هو أخوك لا للفظ، وتنسب السفر للشخص المسمى بخالد وليس للفظ، وهذا الإسناد هو الإسناد الشائع في اللغة، وإذا أطلق إنما يراد هذا النوع من الإسناد.

5-2-الإسناد اللفظي: فأن تنسب الحكم إلى اللفظ نحو: ('زعموا' مطية الكذب). أي هذا اللفظ مطية الكذب، ومنه حديث الصحيحين ' لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة' أي هذا اللفظ كنز من كنوز الجنة أي كالكنز في نفاسته"[2].

والملاحظ أن الوحدة الإسنادية 'زعموا' في الجملة الأولى مبتدأ وخبرها 'مطية الكذب'، وأن 'لا حول ولا قوة إلا بالله' أيضا مبتدأ وخبرها 'كنز'.

ومما سبق يلاحظ الدارس أن البنية الإسنادية تختلف باختلاف المنظور الذي عُرّفت به، فالإسناد الأصلي بحسب تعريف القدماء هو الذي يتألف من عمدتين: المسند والمسند إليه اللذين يؤلفان معا معنى مفيدا، فالفعل مع فاعله إسناد مفيد، لأنه معنى ذهني، ولا يكون المعنى الذهني أو النفسي إلا مفيدًا؛ فالمتكلم لا ينشئ إلا معنى ينطلق منه إلى معان أخرى، أو هو ينطلق من بنية عميقة يضيف إليها ما يناسب المعنى أو المعاني التي يراد تبليغها،

1- المرجع السابق، ص 27.

2- المرجع نفسه، ص 30.

فالإسناد الأصلي ليس إلا تركيبا يحسن السكوت عليه، أما الإسناد غير الأصلي فهو إسناد ما يقوم مقام الفعل كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ونحو ذلك إلى مسند إليه، وعندها يكون الإسناد قائما على عمدة وفضلة وهو بذلك غير أصلي. فالأصلي هو ما كان ركناه عمدتين يحسن السكوت عليه، وسواه ليس أصليا.

أما من منظور التمام والنقصان، فإن الإسناد بطرفيه – مذكورين أو مقدرين، أو مذكور أحدهما والآخر مقدر– فهو تام بتوفر ركنيه، والناقص هو أن يوجد طرف من دون الآخر لا لفظا ولا تقديرا، وعندها يكون الإسناد ناقصا بنقصان أحد الركنين.

ولعل أكثر النحاة قديما وحديثا تعاملوا مع التركيب الإسنادي شرطا في الجملة أو الكلام، وذكروا الفوارق بين الكلام والجملة، وخلُصوا إلى ما يحسن السكوت عليه كونه تركيبا مستقلا معنى ومبنى قابلا للإضافة، أما التراكيب الإسنادية التي لا يُسوّغ السكوت عليها لافتقارها لذلك الاستقلال فاخْتُلِف في نسبتها إلى الجمل أو الكلام، لكن النحاة المحدثين حاولوا أن يدققوا في ذلك ويفرقوا تفريقا دقيقا بين هذا وذاك؛ وقد أشار رابح بومعزة إلى أن التركيب الإسنادي يجب أن تتّسم به الجملة التي يحسن السكوت عليها لكونها تتمتع بالاستقلال مبنىً ومعنىً؛ أما التي لا يسوغ السكوت عليها كونها تفتقر للاستقلال فهي وحدات إسنادية وظيفية. فالمركب الإسنادي هو الذي تحصل به الإفادة وهو الجملة ويحسن السكوت عليه بينما الوحدة الإسنادية لا تتم بها الإفادة، ولا يحسن السكوت عليها وإنما تكون وحدة بالإسناد في بنية سطحية أو جملة موسّعة.

والوحدة الإسنادية عند بومعزة هي وحدة بنائية إخبارية يعبر بها عما يختلج في النفس ويخامر الذهن.

أما من منظور الدلالة فإنه يلاحظ أن البنية الإسنادية قد تكون أصولية مستقيمة أو غير أصولية مستحيلة، سيما تلك التي تقوم على النفي فالمسند إليه المتحول المتجدد من فعل أو خبر قد يُسند إلى ما لا يُسَوَّغُ معنًى إلا في تركيبه الإسنادي المنفي فإننا لا نقول (الرجل حجر) ولو مجازا إلا بالنفي لإثبات الضد، ومن هنا تظهر إمكانية أن البنية العميقة والمعنى الذهني كلاهما غير مستقيم أو غير أصولي (محال عند سيبويه غير أصولي عند تشومسكي).

خامسا: التراكيب الإسنادية لدى اللسانيين المحدثين:

خَلُص بعض اللسانيين المحدثين إلى أن بعض التراكيب تؤدي وظائف بعينها تختلف عن تراكيب أخرى، فوضعوا لها مصطلحات وترجموا لها مصطلحات أيضا. وقد بيّن رابح بومعزة في مقاله الحد الدقيق للجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في لغتنا العربية مشيرا إلى اجتهادات بعض العرب ونقد بعض مصطلحاتهم أو تأييدها. ومما جاء في مقاله:

"وحدة بنائية إخبارية يعبر بها الإنسان عن حدث أو موقف يعيشه، يخالج وجدانه وباطنه، يتفاعل معه ويخامر ذهنه. إنها بيان رأي أو حكم أو انطباع أو إحساس أو طلب أو أمر أو استفهام أو تعجب. وتكون الوحدة البيانية جزءًا من الجملة، كما قد تكون جملة كاملة؛ وتتألف الوحدة البيانية من عنصرين أساسيين هما الفاعل والفعل الذي قد يعوض بالاسم وتنشأ عنهما علاقة ترابط وبيان أو استناد يسميها اللسانيون الغربيون رأيا أو حكما"[1] والوحدة الإسنادية هي تركيب إسنادي أساسي قاعدي في بناء اللغة العربية ونسيجها، عماده المسند والمسند إليه اللذان يلاحظ أن بينهما رابطة إسنادية معنوية تسمى الإسناد، تجعل كلا من الركنين المشار إليهما متعلقا بالآخر، سواء أكان ذلك التعلق والائتلاف بين الاسم والاسم، أو بين الاسم والفعل،فيحصل بتكاملهما وبتجاورهما علاقة بيان تؤديها هذه البنية القاعدية الصغرى للغة ذات الشكل الثنائي؛ ذلك أن أصغر وحدة إسنادية تحمل معنى وتبلغ فائدة لا يمكن أن يتجاوز تحليلها إلى أقل من العنصرين المذكورين"[2].وقد قسم بعض المحدثين البنية الإسنادية قسمين:

1-المركب الإسنادي:

وهو ما كان بنية مستقلة مبنى ومعنى فلا تكون طرفا في بنية أخرى ولا جزءا من تركيبها.

1 – الحد الدقيق للجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في لغتنا العربية، رابح بومعزة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد8، جوان 2005، ص7.

2- المرجع نفسه، ص8.

2-الوحدة الإسنادية:

هي البنية التي تكون طرفا من أطراف الإسناد في بنية أخرى.وهي نوعان:

2-1-الوحدة الإسنادية البسيطة:

"وهي التركيب المتضمن مسندا ومسندا إليه يَرِدان مفردين،أي غير مركبين، ولا يكونان معنىً مستقلا، وهذا في أقصر صورها. فهي من حيث البنية الشكلية مثل الجملة البسيطة تنتهي حدودها في إطار المسند والمسند إليه لفظا أو تقديرا، وقد تأتي الوحدة الإسنادية فعلية أو اسمية؛ ونقف على مثالين لهما في الآيتين الكريمتين:

.- المثال الأول"قال تعالى: (**قَالَ هِيَ عَصَايَ**)طه[18]. ذلك أن التركيب الإسنادي (هي عصاي)وحدة اسمية بسيطة مركبة من المسند إليه (هي) الذي يسمى مبتدأ، ومن المسند الخبر (عصاي.) وعدّ هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يستقل بنفسه لارتباطه بالتركيب الإسنادي السابق (قال)، ويسجل أن هذه الوحدة الإسنادية قد أدت وظيفة المفعول به (مقول القول)"[1].

-المثال الثاني: ويتعلق بالوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة قال تعالى: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) [يوسف16] فهذه الآية اشتملت على وحدة إسنادية فعلية بسيطة هي(يبكون) المؤلفة من المسند الفعل المضارع (يبكي) والمسند إليه (الفاعل المتمثل في واو الجماعة) ونسمي هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يتوفر على شرط الاستقلال، حيث إن هذه الوحدة الإسنادية تأخذ إعراب المفرد وتقوم بوظيفة الحال. وتسمى وحدة إسنادية بسيطة لأنها تنهض على دعامتين أساسيتين ممثلتين في الفعل والفاعل اللذين جاءا مفردين لا مركبين، أما التركيب الإسنادي المبتدأ به هذه الجملة المركبة في هذه الآية (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)فيعدّ جملة فعلية بسيطة، والوحدة الإسنادية البسيطة قد لا يظهر في بنيتها الإسنادية السطحية (الظاهرة) ركناها الأساسيان (المسند والمسند إليه) في نحو الوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة في قوله تعالى: (فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ) [الإسراء23] ذلك أن 'أفٍّ' هي وحدة إسنادية فعلية

1- المرجع السابق، ص10.

بسيطة بنيتها العميقة (أتضجر). مشتملة على مسند: فعل مضارع ومسند إليه وتقديره الضمير المستتر أنا..."[1]

2-2-الوحدة الإسنادية المركبة:

"هي التركيب الإسنادي الذي يكون عنصرٌ أو أكثر من عناصره الأساسية أو المتممة وحدةً إسنادية بسيطة، على أن يكون هذا التركيب الإسنادي غير مستقل بنفسه"[2]. قال تعالى:(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ)[البقرة 69].الوحدة الإسنادية في الآية هي 'إنه يقول إنها بقرة'.ورد خبر إن فيها وحدة إسنادية فعلية مركبة، وهو وحدة إسنادية لأنه مرتبط بتركيب سابق 'قال'، وحتى لا تختلط الوحدة الإسنادية بالجملة المركبة وتكون رديفتها كان لا بد من التنبيه إلى أن الوحدة الإسنادية دالٌ يحيل إلى مدلول محدد ينبغي أن لا ينصرف ذهن المتلقي إلا إليه عند انطلاقه، هذا المدلول الذي يجمله هذا الدال المتمثل في الوحدة الإسنادية إنما هو التركيب الذي يتوفر فيه شرط الإسناد ولا يتوفر فيه شرط الاستقلال"[3].

سادسا-القرائــن الإسنادية:

إن فهم النّص فهما صحيحا يستوجب النظر في العلاقات التي تربط مكوناته بعضها ببعض، ولا يتأتى ذلك إلا بتوفر قرائن تكون ظاهرة مذكورة أو مستوحاة من البنى الكلامية على أن تؤخذ في سياقها، لأن المبنى الواحد قد يختلف معناه باختلاف السياقات، "والعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى، فعلاقة الإسناد مثلا هي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر ثم بين الفعل وفاعله أو نائبه، وتصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية"[4].

وتختلف القرائن حسب اختلاف الإسناد في اللغات، وهذا ما أشار إليه تمام حسان قائلا: "وهكذا يكون الإسناد في اللغة إحدى القرائن أما في اللغات الغربية فهو دائما لا يفهم إلا بواسطة نوع من القرائن اللفظية التي يسمونها الأفعال المساعدة فلا يمكن بدون هذه

1- المرجع السابق، ص 11.

2- المرجع نفسه، ص12.

3ا- المرجع نفسه، ص 12

4 - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص192.

القرينة أن نفهم علاقة الإسناد بهذه اللغات... وتحتاج اللغات الأخرى إلى كلمات خاصة للدلالة على الإسناد"[1].

والقرينة تعني ذلك الرابط المعنوي الذي يدل على نسبة المحكوم به إلى المحكوم عليه، وقد ذكر سيبويه أنهما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدّا، ولا يعرف ذلك إلا بالقرينة، وليست تلك القرينة ظاهرة مذكورة في العربية. وقد قال الجرجاني بأن الإسناد "إضافة الشيء إلى الشيء وإمالته إليه وجعله متصلا وملامسا"[2].

ومن قول الجرجاني تبدو الإمالة والاتصال والملامسة حقيقة ما كانت لتدرك من دون تلك القرينة التي نتصورها.

تعد قرينة الإسناد "الأصل من بين القرائن، فهي التي ترتكز عليها التراكيب النحوية المختلفة"[3].

وقرينة الإسناد هي الأصل بين القرائن لأن التراكيب النحوية في الجمل الاسمية والجمل الفعلية على حد السواء تقوم عليه في إيضاح المعنى بإيضاح الارتباط بين طرفي كل جملة؛ فالإسناد يربط الفعل بفاعله أو بما ناب عنه، ويربط الخبر بمبتدئه.

ومن هنا كانت إمالة المسند إلى مسند هو ملامسته له واتصاله به الرابط الأقوى في تحديد المعنى وإبانته، سواء كان معنى نواة الانطلاق لما يراد تبليغه أو هو ذاته المراد تبليغه؛ وسواء كان في مركب إسنادي يحقق الإفادة التامة في بنيته المكتملة أو في وحدة إسنادية تحقق إفادة تركيبها مستقلة عن جملتها الأم أو الكبرى ثم إفادتها في الجملة الكبرى.

وقد أشار الجرجاني إلى الفرق بين الإخبار والإسناد في قوله: "واعلم أن الإسناد مجراه مجرى الإخبار فكأنه قال: وما الفعل في كان خبرا عن شيء ولم يكن مخبرا عنه، غير أن في

1- المرجع السابق، ص192.

2 – المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دط، 1982، ص77.

3 – أثر قرينة الإسناد في التوجيه النحوي عند الجرجاني في مصنفه المقتصد في شرح الإيضاح، سعد حسن عليوي، عفراء محمد علي عبد الجبّار،كلية التربية والعلوم الإنسانية،جامعة بابل،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية، العدد23، .تشرين الأول2015، ص169.

الإسناد فائدة ليست في الإخبار وهي أن من الأفعال ما لا يصح إطلاق الإخبار عليه كفعل الأمر نحو: ليضرب زيد، إذا الأمر لا يكون من حيث أن الخبر ما دخله الصدق والكذب"[1].

1- قرينة الإسناد في الجملة الفعلية:

معلوم أن الجملة الفعلية تتألف من فعل مسند وفاعل أو نائب فاعل مسند إليه، وبما أن للإسناد قرينة تربط طرفيه فإن هذه القرينة تختلف باختلاف المسند.فقرينة الإسناد في الجملة التي تتألف من فعل وفاعل فعلها مبني للمعلوم تختلف عن الإسناد في الفعلية التي بني فعلها لما لم يسمَّ فاعله (بُني للمجهول).

1-1- قرينة الإسناد في الفعل والفاعل:

يكون المسند في هذه الحالة فعلا أو ما أشبه الفعل "وإسناد الفعل إلى الفاعل، لأن الفاعل أقوى من الفعل وأسبق بالوجود، ولولا وجود الفاعل لما وُجد الفعل، فيكون الأوَّل مسندا والثاني مسندا إليه"[2].

"ويقصد بإسناد الفعل بناء نسق منتظم من كلمتين إحداهما تنتمي إلى مبنى الأسماء تربطها رابطة معنوية تجيء الأولى لتُبنى عليها الثانية"[3].

ومما سبق يتضحأن إسناد الفعل هو ما اصطلح عليه بالجملة الفعلية وهي "المصّدرة بفعل أيًّا كان نوعه (تاما أو ناقصا، لازما أو متعديا)"[4] وتبنى على صورتين:

فهناك جملة مبنية للمعلوم بحيث يكون الفاعل معلوما (مرفوعا) وأخرى مبنية للمجهول وهي ما لم يُسمَّ فاعلها وناب عنه مفعوله (إذا كان الفعل متعديا).

ما يلفت النظر في الجملة الفعلية هو ترتيبها الثابت، وهو برغم اختلاف الفاعل أو نائبه من اسم ظاهر أو ضمير بارز أو مستتر يظل الترتيب هو ذاته، فلا يتقدم الفاعل على

---

1 – المقتصد في شرح الإيضاح ،عبد القاهر الجرجاني،ص76-77.

2 – محاضرات مقياس التطبيق النحوي،أحمد قريش، كلية الآدب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص13.

3 – أثر قرينة الإسناد في التوجيه النحوي،عند الجرجاني في مصنفه المقتصد في شرح الإيضاح، سعد حسن عليوي، عفراء محمد علي، دط، دت، ص171.

4 – إعراب الجمل، وأشباه الجمل، شوقي المعري، دار الحارث، دمشق، ط1، 1997، ص11.

فعله رغم قوة الفاعل وأولويته، لأنه لولا الفاعل لما كان الفعل. فالترتيب في الجملة الفعلية هو في ذاته قرينة الإسناد.

والفعل المبني للمعلوم ومرفوعه (فاعله)أسند أحدهما إلى الآخر دون تحويل وترتيبهما في ذاته قرينة. كما إن الفعل وهو عامل الرفع في فاعله يعد قرينة.

عرف ابن الحاجب الفاعل بقوله:"وهو ما أسند إليه الفعل أو شبهه، وقدم عليه على جهة قيامه به مثل:قام زيد"[1]وحكمه الرفع يقول الجرجاني في ذلك: "واعلم أن الرفع للفاعل، وكونه في الابتداء فرع على ذلك، لأن أصول الكلام على ثلاثة معان الفاعلية والمفعولية والإضافة فالرفع للفاعل...فالمبتدأ والخبر داخلان على الفاعل، ويدلك على ذلك أن المبتدأ إنما يؤتى به ليخبر عنه"[2].

"أما ما يخص عامل الرفع في الفعل المضارع فقد اختلف النحاة فيه فيرى الكوفيون أن عامل الرّفع في الفعل المضارع "هو تجرّده من الناصب والجازم". وقد وافقهم في ذلك الأخفش والزجاج من البصريين أما أهل البصرة فيرون أن العامل هو وقوعه موقع الاسم، أما الرأي الثالث فيذهب إلى أن العامل في رفع المضارع هي الزوائد التي تكون في أوله وهذا رأي الكسائي، ورُدَّ عليه بأن لو كانت هذه الزوائد عاملة لما دخلت عوامل النصب والجزم، والعوامل لا تدخل على العوامل والزوائد هي جزء من الفعل والجزء لا يعمل في نفسه، أما الرأي الأخير فهو أن العامل هو المضارعة وهو عامل معنوي وهو رأي ثعلب"[3].

وأما قضية الرتبة فكما هو سائد أنه "لابد للفعل من اسم وما كان بمنزلة الاسم كالضمير أو المصدر"[4] فمرتبة الفعل هي التقدم ومرتبة الفاعل هي التأخر عن الفعل أي المرتبة الثانية ولكن لا يمكن أن يستغنى عن الفاعل مهما كان فإن لم يكن ظاهرا كان مضمرا، ولعل هذا ما أكده الجرجاني في قوله: "إن الفعل لا يعرى من الفاعل فإذا لم يكن مظهرا كان مضمرا"[5] أي أن هناك علاقة تلازمية بين الفعل والفاعل، وهذا ما أكده الرضي

1 – شرح الرضي على الكافية، ج1، ص185.

2 – المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني،ص210.

3 – ينظر، أثر قرينة الإسناد في التوجيه النحوي عند الجرجاني،سعد حسن عليوي، ص171-172.

4 – المرجع نفسه، ص172.

5 – المقتصد في شرح الإيضاح الجرجاني،ص337.

أيضا في شرحه للكافية فهما كوجهي الورقة الواحدة لا يمكن الفصل بينهما البتة في نظامهما وتجاورهما، وقد قال بهذا الرأي أغلب النحاة المتقدمين والمتأخرين،"ولكنَّ ابن مضاء له رأي شذَّ فيه عن جميع الآراء فقد أجاز فيه تقديم الفعل عن الفاعل"[1].

ومن كل ذلك يتضح أنّ للفعل علاقة بفاعله معلوما أو غير معلوم، وتتضح تلك العلاقة بمفهوم يستشف من المبنى بأن الفعل عامل في فعله رفعاً وأن الفعل المضارع إنما يرفع لوقوعه موقع الاسم وينصب ويجزم بعوامل النصب والجزم، فترتيب الفعل والفاعل في ذاته قرينة إسناد برغم اختلاف بعضهم كابن مضاء القرطبي الذي أجاز تقديم الفاعل عن فعله، فإنه لم يكن الترتيب دالا على ارتباط الفعل بالفاعل فإن الفاعل المقدم عند ابن مضاء هو ذاته المبتدأ الذي لا يستغني عن خبره بقرينة الإسناد، فالقرينة معنوية في الحالتين وبفضلها يرتبط المسند بالمسند إليه في الجملة العربية على اختلاف ترتيبها.

1-2- الفعل الذي لم يُسمَّ فاعله ومرفوعه (نائب الفاعل):

والمقصود هنا الفعل المتعدي الذي يُحذف فاعله لسبب من الأسباب فينوب عنه مفعوله ويعرب إعرابه والقول: "بني الفعل للمفعول به دلالة على هذا التغيير وإخبار بأن الفعل لما أريد إسناده إلى المفعول به بناءً مخصوصا"[2] وقد عدَّ الجرجاني الفاعل ونائب الفاعل شيئا واحدا في الاصطلاح في قوله: "فلا فصل بين ضُرب زيد،وضَرب زيدٌ،في جواز تسمية كلَّ واحد منهما فاعلا، وإذا جاز أن يسمّى نحو: مات زيد،فاعلا مع أنه عارٍ من الفعل"[3].

أما بالنسبة للفعل المتعدي لأكثر من مفعول فإنه يُنقَص مفعولٌ واحدٌ من المفاعيل في حال بُنيت الجملة للمجهول.ويقدم الثاني أوّلَ والثالث ثانيا.

ولعلّ هذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "وبناء الفعل للمفعول به يجعل المفعول فاعلا ويسقط الفاعل الأصلي، وإذا كان كذلك زاد لا محالة ثم مفعولٌ ونقص هنا مفعولٌ"[4].

1- ينظر، كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1974، ص25-26.

2 - المقتصد في شرح الإيضاح الجرجاني،ج1، ص345.

3 - المرجع نفسه،ج1، ص346.

4 - المرجع نفسه، ج1، ص349.

أقر الجرجاني "إن عري الكلام من ذلك ووجدت فيه مصدرا ومجرورا أو ظرفا كنت بالخيار في إقامة أي ذلك شئت مقام الفاعل وذلك قولك:سرت بزيد يوم الجمعة فرسخين سيرا شديدًا ،فإذا حذفت الفاعل قلت:سِيرَ بزيد يوم الجمعة...فوصفت بزيد موضع الفاعل...وجملة هذه الأشياء متساوية في استحقاق محل الفاعل لعدم التفاضل بينها"[1]لذلك فإن المعنى هو الفيصل في إسناد هذه الأشياء.

أما الإسناد العقلي فهو حسب تمام حسان: "قرينة الإسناد العقلي لا تكفي وحدها بل لابد من تضافر القرائن المعنوية واللفظية ليظهر المعنى المقالي وظيفيا ودلاليا"[2] فهذا يعني أن قرائن الإسناد العقلي وحدها غير كافية.

مما سبق يُخلص إلى أن العملية الإسنادية في الفعل والفاعل (الجملة الفعلية) باقية على حالها،وكل ما في الأمر أن الفاعل يستغنى عن ذكره لغرض دلالي وبلاغي، ويظل المعنى هو الدال إلى الإسناد وكاشف علاقة طرفي الإسناد ببعضهما؛ وإن تحول المفعول مسندا إليه في المتعدي إلى مفعول واحد أو بعد اختيار أحد المفعولين في المتعدي إلى أكثر من مفعول أو تقدم أحدهما على الآخر. ومنه تظل القرينة هي ذاتها وتلمح بإدراك العلاقة بين المسند والمسند إليه من المعنى.

"والملاحظ أن النحاة كانوا يَلْمَحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة... كما يلْمحونها أيضا بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة، وهذا هو المعنى الذي نلاحظه في إعراب جملةٍ مثل (يؤتي الحكمة من يشاء) حين نعرب (من) مفعولا أول على رغم تأخرها والحكمة مفعولا ثانيا على رغم تقدمها، ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من علاقة شبيهة بفكرة الإسناد إذ نقول إن (مَن) هي الآخذ و(الحكمة) هي المأخوذ.

والخلاصة إن مراعاة الآخذية والمأخوذية هنا هي الاعتبار الذي تم إعراب المفعولين طبقا له وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد. ويتم كل فهم للقرينة معنوية كانت أو لفظية في حدود ما تسمح به نمطية اللغة"[3].

1 – المرجع السابق، ج1، ص352-353.

2 – ينظر، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان،.ص191-193.

3- المرجع نفسه، ص194.

فالمعنى يبيّن الرابط بين المسند والمسند إليه، والدلالة تحدد الذي ينوب عن الفاعل من المفعولات حين يبنى الفعل للمجهول، وإدراك المعنى الدقيق والعلاقة بين طرفي الإسناد وملامسة بعضهما بعضا هي الفيصل في تحديد القرينة.

2- قرينة الإسناد في الجملة الاسمية:

"وهي الجملة التي يكون فيها المسند دالا على الدوام، أو بعبارة أخرى هي التي لا يكون المسند فيها فعلا، وذلك نحو:محمد أخوك، والحديد معدن، فكل من أخوك ومعدن دالان هنا على الدوام،أي دوام اتصاف المسند إليه بهما، لأن الأخوة ثابتة لمحمد لا تتغير،ولا تصير من حال إلى حال، ولأن المعدنية وصف ثابت للحديد لا يتغير،فكل من هاتين الجملتين جملة اسمية"[1].وهي جملة تتألف من مسند ومسند إليه فما قرينة الإسناد فيه؟.

2-1-الإسناد في المبتدأ والخبر:

-المبتدأ: "هو (الاسم المجرد عن العوامل اللفظية للإسناد) فـ(الاسم)جنس يشتمل الصريح كزيد في نحو (قام زيد)"[2].

-الخبر: "هو(المسند الذي تتم به مع المبتدأ فائدة) فخرج بقول (المسند) الفاعل في نحو: (أقائم الزيدان) فإنه وإن تمت به مع المبتدأ الفائدة، لكنه مسند إليه، لا مسند، وبقولي(مع المبتدأ) نحو(قام) في قولك (قام زيد)"[3].

فالإسناد في الاسم أعم من الإسناد في الفعل لأنه لا يتوقف على التصديق والتكذيب، فيحتمل كلاهما. يقول الجرجاني في ذلك:"اعلم أن الاسم له وجهان من التصرف في باب الإسناد، لأنه يكون خبرا أو مخبرا عنه ألا ترى أنك إذا قلت: زيد منطلقُ (كان

1- في النحو العربي (قواعد وتطبيق)، مهدي المخزومي، ص87.

2- شرح قطر الندى وبل الصدى،لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الخير، مكتبة طيبة، دط، دت، ص117.

3- المرجع نفسه، ص117-118.

منطلق) خبرا عن زيد مع أن كل واحد منهما اسم ...لأن كل واحد من الجزأين اسم، وقد جُعل الأول مخبرا عنه والثاني خبرا والفعل له (حيز) واحد لأنه يكون مسندا إلى غيره البتة"[1].

ويعزى عامل الرفع في المبتدأ إلى الابتداء، وقال آخر بأن عامل الرفع أنه معرًّى من العوامل الظاهرة (ناصب أو جار).

فالمبتدأ عند سيبويه والمبرد والبصريين والجرجاني مرفوع، ويرون أن رّفع المبتدأ ناتج عن تجرّده من العوامل اللفظية.

أمّا الكسائي فيرى بأنهما يترافعان، وكلٌّ منهما يرفع صاحبه، وخلاصة القول فإن النّحاة أجمعوا على أن رفع المبتدأ يتأتّى من عدم دخول موانع عليها كالنواسخ، وغيرها حيث أن الإسناد لا يتأتى بدون طرفين مسند ومسند إليه واشتراكهما في الرّفع كان من جهة أنها في مقام واحد، فلا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر[2].

يأتي المبتدأ والخبر معرفتين أو نكرتين، ولكن مما هو مخالف للأصل ورود المبتدأ نكرة، فإن كان كذلك وجب تخصيصه لتحصل الفائدة كما يقول في ذلك الجرجاني: "الإخبار بالنكرة عن النكرة غير مستقيم في الأصل، إذ إسناد المجهول لا نصيب له في الإفادة فإنما تأتي النكرات إذا وجد تخصيص ...تحصل الفائدة"[3].

2-2- عامل الرفع في الخبر:

اختلف النحاة في عامل رفع الخبر،فمنهم من رأى أن عامل الرفع واحد في المبتدأ والخبر، ومنهم من رأى أن الخبر مرفوع بالمبتدأ فالجرجاني يرى بأنّ "يعمل الرّفع في المبتدأ والخبر إلا أنّه يعمل في الخبر بواسطة المبتدأ، وبعد أن يعمل فيه من حيث أنَّ الخبر لا يكون إلاَّ بعد حصول المبتدأ والتعرّي من العوامل لا يتّم إلا بعد الإتيان بالخبر"[4]في حين يرجح ابن

1- المقتصد في شرح الإيضاح الجرجاني، ج1، ص81-82.

2- ينظر، الكتاب سيبويه ج1، 126-127، المقتضب للمبرد،ج2، ص49، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص44، المقتصد في شرح الإيضاح، ج1، ص214،المغني في النحو، ج2، ص 254، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة ،ص383.

3- المقتصد في شرح الإيضاح ،ج1،ص308.

4- المرجع نفسه، ج1،ص 255-256.

يعيش أن العامل في الخبر هو الابتداء في قوله: "والذي أراه أن العامل في الخبر هو الابتداء وحده على ما ذكره كما كان عاملا في المبتدأ، إلا أن عمله في المبتدأ يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ بلا واسطة وعمله في الخبر بواسطة المبتدأ يعمل في الخبر وجود المبتدأ وإن لم يكن للمبتدأ أثر في العمل إلا أنه كالشرط في عمله"[1].

يقول سيبويه: "فالذي يبنى على الابتداء بمنزلة الابتداء، ألا ترى أنّك تقول زيد أخوك؟ فارتفاعه كارتفاع زيد أبداً"[2].

كما يوضح الجرجاني أن علامة الخبر هي الرفع لأنه يشبه الفاعل فيقول معقبا على ذلك: "قال الشيخ أبو الحسين: خبر المبتدأ جزء من الجملة مفتقر إليه فشابه الفاعل، وقوي ذلك بأنه الجزء الثاني من الجملة، كما أن الفاعل كذلك، ألا ترى أن مرتبة 'منطلق' بعد زيد في قولك: زيد منطلق، كما أن مرتبة الفاعل بعد الفعل، فزيد في قولك: قام زيد، بعد قام لا قبله، فالذي أوجب له أن يكون مرفوعا غير الذي عمل الرفع فيه وذلك أن مشابهته للفاعل أوجبت أن تكون علامة الرفع بعامل، ثم كان ذلك العامل ما وصفنا من الابتداء والمبتدأ"[3].

ومهما يكن العامل في المبتدأ فإن في ذلك إيحاء بالقرينة، ذلك لأن الخبر في ارتفاعه بعامل المبتدأ يعيده إليه معنى ويربطه به ارتباطا دلاليا كونهما معمولين لعامل واحد؛ أما إن كان عامل الرفع في الخبر هو المبتدأ ذاته فإن المبتدأ شرط في رفعه، وشرط وجود العامل في المعمول رابط عضوي بين اللفظين المرتبطين إسنادا وهو ما يبيّن ارتباطه الإسنادي به، وهو بذلك قرينة إسناد الخبر إلى المبتدأ.فقرينة العامل التي تربط المبتدأ بخبره أشبه بالتي تربط الفعل بفاعله.وتظل تلك القرينة معنوية موجودة في المعنى وتفهم من خلاله.

وللخبر أشكال يأتي عليها، فالخبر يكون مفردا ويكون جملة؛ أما الخبر المفرد فهو "الجزء الواحد هو نحو أخوكَ وضارب وخارجٌ "[4]والجملة " ما كان جزأين نحو ضرب أبوه، وأخوه منطلق"[5].

1- شرح المفصل، ابن يعيش،م1، ج1، ص165.
2- الكتاب، سيبويه، ج1، ص366.
3- المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني،ج1،ص275.
4- المرجع نفسه، ص258.
5- المرجع نفسه، ص258.

ويكون الخبر الجملة على أربعة أنواع"[1]:

أ/-أن يكون جملة مركبة من فعل وفاعل.

ب/-أن يكون من المبتدأ والخبر.

ج/-أن يكون من الشرط والجزاء.

د/-أن يكون جملة من الظرف.

وبما أن النواسخ تدخل على الجملة الاسمية فمن شأنها أن تحدث تغيرا إعرابيا في جزء منها ودلاليا في المراد تبليغه وقد قال الجرجاني في ذلك: "فباب (كان) يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وباب (إنَّ) ينصب المبتدأ ويرفع الخبر،وباب (ظن) ينصبهما جميعا"[2].

يلحظ أن الجرجاني هنا لم يذكر التغيير في الإعراب لأنه الوحيد الذي يطرأ على الجملة وإنما ليحدد عمل كل طائفة من النواسخ وما يترتب عنها من إعراب مغاير للأخرى؛ فهو معنيٌ بجزئية الإعراب لا غير هنا، وقد يكون -لا ريب- تحدث في ما سواها من التغييرات في موضع آخر.

2-2-أ: كان وأخواتها:

"تدخل كان و أخواتها على الجملة الاسمية فترفع الاسم وتنصب الخبر، وكما أن المبتدأ يستوجب خبرا، فكذلك الأمر بالنسبة لاسم كان وخبرها، يكونان معا، لأن (كان ويكون) يدل على الزمان فقط، فلا تحصل الفائدة إلا بعد الإتيان بالخبر، ولأنها سلبت الدلالة على الحدث، فهي أفعال غير حقيقية، لهذا سميت بالناقصة"[3].

إن دخول كان أو إحدى أخواتها على المبتدأ يستوجب الإتيان بالخبر لتحصل الفائدة، لأنها أفعال ينقصها ما للفعل من قوة الدلالة على الحدث أو الاتصاف بالصفة، ومع ذلك فهي عاملة عمل الفعل رفعا ونصبا، لكنها لا ترقى إلى دلالته رغم اشتراكها وتأثيرها فيما تؤول إليه دلالة المبتدأ والخبر من الإسناد. تحديدا للزمن أو نفيا للخبر عن المبتدأ وغيرها.

1- المرجع السابق، ص274.

2-المرجع نفسه،ج1، ص398.

3- المرجع نفسه،ج1، ص398.

"وتعمل أخوات كان نفس عملها، وتجري مجراها، كأمسى وأصبح إذا أجريتهما مجرى صار، كانتا ناقصتين، فلا تدلان على الصباح والمساء، بل تدلان على معنى قريب من صار، وكذلك زال، وبات، وظل، وباقي أخواتها، فلهم نفس الحكم"[1].

وأحيانا إذا تغير معنى كان وأخواتها تكون تامة، يقول في ذلك الجرجاني: "وكذا أمسى، وأصبح... إن أجريتهما مجرى استيقظوا وناموا، ومجرى أفجر لأنه يدل على حدث وهو الدخول في الوقت المعين، فهما تامتان"[2].

ومن ذلك يُلحظ أن كان وأخواتها لا تدل إلا على الزمن أو النفي، وأنها بدخولها على المبتدأ وحده لا تتم به الفائدة ما يستوجب الإتيان بالخبر، لأن وجود الخبر إيحاء بقرينة داخلية غير مذكورة تربطه بالمبتدأ بحكم أن الأفعال الناقصة سُلبت الدلالة على الحدث فلم يكن للإسناد فيها شيء يذكر أو يفهم. ومن هنا كانت القرينة هي ذاتها التي كانت قبل دخول النواسخ على المبتدأ والخبر. وليس أدل على ذلك من تحول النواسخ أحيانا إلى أفعال تامة كما في القول:'أصبح الصبح' فإن الإسناد تحول إلى ما لا يحتاج الخبر بتحول الاسم مع فعله إلى جملة فعلية.

2-2-ب:إن وأخواتها:

-"تدخل إن وأخواتها كذلك على الجملة الاسمية وتضفي على الجملة مجموعة من المعاني بحسب كل أداة كالترجي والتمني و الاستدراك"[3].

وهي حروف شبهت بالفعل من حيث إن لها مرفوعا ومنصوبا كما يكون للفعل، يقول الجرجاني في ذلك: "اعلم أن هذه الحروف الستة شبهت بالفعل فجعل لها منصوب ومرفوع كما يكون ذلك في الفعل"[4].

على الرغم من مشابهة حروف إن وأخواتها للفعل إلا أنها لا يمكن أن ترقى للعمل كالأصل ألا وهو 'الفعل' إذ اختلف ترتيب المرفوع والمنصوب بعدها عما يكون عليه في

1- المرجع السابق، ج1، ص401-402.

2- المرجع نفسه، ص401- 402.

3- ينظر، أثر القرائن في التوجيه النحوي عند سيبويه، ص65.

4- المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني،ج1، ص443.

الفعل، يقول الجرجاني في ذلك: "وكان تقديم المنصوب أولى ليكون أبعد من مشابهة الفعل إذ الأصل أن يكون الفاعل بجنبه، فإذا أخر المرفوع هنا حصل مخالفة هذه الحروف للفعل وانحطاطها عن رتبته"[1].

وهذه الحروف تلازم طريقة واحدة ومعنى واحدة فلا تنفى ولا يتغير زمنها، فهي مشابهة للفعل محمولة عليه لا تعمل عمله ولا تؤدّي مؤدّاه."وهذا يعني أن الحرف يختلف عن الفعل، وما هو إلا محمول عنه وفرع عليه، فهو يلزم طريقة واحدة، حتى لا يجري مجرى الفعل"[2].

وتصبح الجملة اسمية ويلغى عمل 'إن' فيها إذا لم تدخل عليها ما، وإن لحقتها (ما) الكافة فترجع إلى أصلها الإسنادي مبتدأ وخبر. يقول الجرجاني في ذلك: "اعلم أن (ما) تدخل على هذه الحروف الخمسة فتكفها عن العمل وتهيئها لأن يقع بعدها المبتدأ والخبر والفعل والفاعل تقول: إن زيدا منطلق...فإذا ضممت إليها (ما) منعتها عن العمل وقلت: إنما زيد منطلق"[3].

"وتعمل ما الكافة على تأكيد المعنى العام الذي تفرزه الأداة في الجملة ويكون هذا التأكيد ذا طابع معنوي، أي وفقا للأداة (فكأن)مثلا: تؤكد التقريب أو الإنكار، (لعل) تؤكد الترجي وهكذا"[4].

2_2-ج:العطف على اسم إن وجواز الرفع والنصب:

أجازت العربية الرفع والنصب كليهما في المعطوف التابع لاسم إن ويكون ذلك على الأوجه التي أقرها النحاة فالجرجاني يرى أنه "إن عطفت على أن وما عملت فيه اسما نحو: إن زيدا منطلق وعمرو، وكان في عمرو الرفع والنصب، فالرفع جوازه في وجهين:

أحدهما: مستحسن وهو أن تعطف على موضع أن وما عملت فيه (أن) موضعها رفع ولم يتغير معنى الابتداء عما كان عليه قبل.والآخر: أن نعطفه على الضمير المرفوع الذي

1- المرجع السابق، ج1، ص443.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص444.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص468.

4- ينظر، القرينة في شرح الرضي على الكافية، ص 68.

في اسم الفاعل فإن حمل على هذا الوجه وجب أن يؤكد فيقال: إن زيداً منطلق هو وعمرو، كما جاء في قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ...والنصب أن تحمله على لفظ ما عمل فيه دون موضعها"[1].

2_2-د:ظن وأخواتها:

كذلك شأنها شأن 'كان وإن، تدخل على الجملة الاسمية، لكنها تختلف عنهما في عملها فهي تنصب الجزأين خلاف 'كان وإن' اللذين ينصبان جزءا واحدا، وتغير لفظا ومعنىً.

كما أكد الجرجاني ضرورة الترابط بين المفعولين يقول في ذلك "كل واحد من الجزأين لا يتم إلا بصاحبه، والابتداء قد استولى على الجزء الأول والفعل على الثاني فهما كشيء مشترك بينهما لهذا أن يأخذه أخذ ذلك نحو حذو النعل بالنعل"[2]أي أنه لا يمكن الفصل بينهما موضحا ذلك في قوله: "فكما لابد للمبتدأ من الخبر والخبر من المبتدأ، كذلك لا يستغنى واحد من المفعولين عن صاحبه"[3].

3- قرائن التخصيص:

ومن ذلك نخلص إلى أنه لابد للإسناد من قرينة لفظية أو معنوية تعددت دلالاتها الإسنادية واختلفت أغراضها فكانت تخصيصا لبعضها وتحديدا لأخرى، ولعل تمام حسان كان أكثر الدارسين للقرائن الإسنادية وأفضل المحللين لها فهو يصفها ويصنفها حسب ما تقوم به من وظيفة تميزية في تحديد الوظيفة النحوية والمقصود من معاني الجمل عموما وقد جاء في كتابه ما يلي:

1- المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني،ج1، ص448.
2- المرجع نفسه،ج1، ص497.
3- المرجع نفسه، ج1، ص499.

3-1- القرائن المعنوية:

3-1-أ: التعدية: تخصيص لعلاقة الإسناد. يقول الجرجاني: "إذا عديت الفعل إلى المفعول فقلت ضرب زيد عمرا كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه"[1]، أي "أن التعدية إذا كانت معنى أحد المشتقات فهي معنى لبقية المشتقات"[2].

3-1-ب: الغائية: "وهي قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات"[3]. مثال ذلك: " إذا قلت: أتيت رغبة في لقائك أو كي ألقاك أو لألقاك إلخ... فإنك قد أسندت الإتيان إلى نفسك مقيدا بسبب خاص وهذا القيد وهو الغائية يعتبر جهة في فهم الإتيان لأن هذا الإتيان بدون سبب أعم منه وهو مسبب، فالإتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسببا عن الرغبة في اللقاء"[4].

3-1-ج: المعية: "قرينة معنوية تُستفاد منها المصاحبة على غير طريق العطف أو الملابسة الحالية، والعطف والملابسة معنيان آخران يُعبر عنهما بالواو كما يعبر بها عن المعية ولسنا هنا بصدد الكلام عن الواو لأن الواو قرينة لفظية... ومن أمثلة المضارع المذكور نحو (لا تأكل السمك وتشرب اللبن)"[5].

3-1-د: الظرفية: "قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه... والظرفية هنا غير الظرفية التي يفيدها حرف الجر (في أو ما يأتي بمعناه) لأن الظرفية هنا قرينة معنوية على باب النحو ولكنها في حروف الجر علاقة احتواء بين معنى الحدث المستفاد من الفعل وبين الاسم التالي لحرف الجر"[6].

3-1-هـ: التحديد والتوكيد: "فهي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعل وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته لأن المصدر هو اسم الحدث ففي إيراده بعد الفعل تعزيز بعنصر الحدث

1- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص125.

2- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص195.

3- المرجع نفسه، ص196.

4- المرجع نفسه، ص196.

5- المرجع نفسه، ص196.

6- المرجع نفسه، ص197.

ومعنى الفعل... والذي يهمنا من كل ذلك هو أن التقوية بالتأكيد أو التحديد قرينة معنوية على معنى المفعول المطلق أما كونه يلزم فيه أن يكون بواسطة صيغة المصدر فذلك قرينة لفظية"[1].

3-1-و: الملابسة: "أما الملابسة للهيئات فهي قرينة معنوية على إفادة معنى (الحال) بواسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها. فإذا قلت (جاء زيد راكبا) فالمعنى جاء زيد ملابسا بحال الركوب وكذلك إذا قلت جاء زيد وهو يركب فالحال هنا عبر عنها بالجملة والواو"[2].

3-1-ز:التفسير: "والتفسير للذوات قرينة معنوية على باب التمييز وواضح أن التفسير يكون عند الحاجة إلى الإيضاح ولا تكون هذه الحاجة عند المبهم والمبهم الذي يفسره... ولا شك أن الإبهام عموم، وأن التقييد تخصيص لهذا العموم، ومادام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص يزيل العموم"[3].

3-1-ح:الإخراج: "وعلاقة الإخراج قرينة معنوية على إرادة (باب المستثنى) فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق فإذا قلنا جاء القوم إلا زيدا فإننا أسندنا المجيء إلى القوم وأخرجنا زيدا من هذا الإسناد"[4].

3-1-ط:المخالفة: "مظهر من مظاهر تطبيق استخدام القيم الخلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة... وانظر إلى الجملة الآتية:

نحن العربُ نكرم الضيف ونغيث الملهوف.

والجملة: نحن العربَ نكرم الضيف ونغيث الملهوف.

فالعربُ في الجملة الأولى خبر وما بعده مستأنف والعرب في الجملة الثانية مختص وما بعده خبر ولو اتحد المعنى لاتحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة فيهما ولكن إرادة (المخالفة) بينهما

1- المرجع السابق، ص198.

2- المرجع نفسه، ص198.

3 - المرجع نفسه، ص199.

4- المرجع نفسه، ص199.

كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر وهذا مختص. وقرينة المخالفة يمكن استخدامها في عدد آخر من أبواب النحو"[1].

القرائن تتضافر لبيان المعنى "كما أن المعية والمصاحبة والملابسة والعطف وغيرها من القرائن المعنوية التي تتضافر معها الواو لبيان إعراب ما بعد هذه الواو فيكون ذلك من قبيل ما أشرنا إليه من قبل تحت اسم (تضافر القرائن) فتسمى 'الواو"واو المعية' أو المصاحبة أو الحال أو العطف فكذلك تتضافر (إلا) وهي قرينة لفظية مع معنى الإخراج"[2].

3-2- القرائن اللفظية:

يمكن أن نعد القرائن اللفظية في السياق على النحو التالي:"العلامة الإعرابية، الصيغة، الربط، الأداة، الرتبة، المطابقة، التضام، النغمة.

3-2-أ: العلامة الإعرابية: وهي "أوفر القرائن الإعرابية حظا من اهتمام النحاة، فجعلوا الإعراب نظرية كاملة سموها نظرية العامل، وتكلموا فيه عن الحركات ودلالاتها والحروف ونيابتها عن الحركات، ثم تكلموا في الإعراب الظاهر والإعراب المقدر والمحل الإعرابي...وهي قرينة يستعصى التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديرا أو محليا أو بالحذف لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب"[3].

3-2-ب: الرتبة: تعد الرتبة قرينة لفظية بحسب رتبتها وموقعها، ومثالها"(ضرب زيد عمرا) أن كانت الرتبة فعلا بين القرائن المستخدمة في تعيين معنى الفاعل لأنه بعد الفعل بحسب الرتبة، بل إن الرتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا أمن اللبس يتوقف عليها، وذلك في نحو ضرب موسى عيسى ونحو أخي صديقي إذ يتعين في موسى أن يكون فاعلا وفي أخي أن يكون مبتدأ محافظة على الرتبة لأنها تزيل اللبس"[4].

---

1 - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، ص200.

2- المرجع نفسه، ص199-200.

3- المرجع نفسه، ص 205.

4- المرجع نفسه، ص 208.

3-2-ج: مبنى الصيغة: إن "الصيغ فروع على مباني التقسيم، فللأسماء صيغها وللصفات والأفعال صيغها... تكون الصيغة قرينة لفظية على الباب، فنحن لا نتوقع للفاعل ولا للمبتدأ ولا لنائب الفاعل أن يكون غير اسم ولو جاء فعل في هذا الموقع لكان بالنقل اسما محكيا كما يحدث عندما نعرب عبارة مثل: (ضرب فعل ماض) إذ يصير 'ضرب' مبتدأ وفعل خبر وماض نعت لأن ضرب هنا حكي وقصد لفظه فصار اسما كالأسماء الأخرى وتحقق للمبتدأ أن يكون اسما على أن معاني الصيغ الصرفية تكون وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية"[1].

3-2-د: المطابقة: مسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف مثلا، إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية فإن علاقاتها السياقية تعتمد على طريقة المطابقة. وأما الخوالف فلا مطابقة فيها إلا ما يلحق (نِعْمَ) من تاء التأنيث. فتكون المطابقة فيما يأتي: العلامة الإعرابية، الشخص، العدد، النوع، التعيين،...ولا شك أن المطابقة في أي واحدة من هذه المجالات الخمسة تقوي الصلة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينةعلى ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون قرينة لفظية على الباب الذي يقع فيه ويعبر عنه كل منها"[2].

3-2-هـ: الربط:"وهذا أيضا قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر. والمعروف أن الربط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره إلخ...ويتم الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو الـ أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر"[3].

3-2-و: التضام: "يمكن فهم التضام على وجهين هما: الأول أن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا وهلم جرا، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح 'التوارد' وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية... أما الوجه الثاني أن المقصود بالتضام أن

1- اللغة العربية معناه ومبناها، تمام حسان، ص210.

2- المرجع نفسه، ص212-213.

3- المرجع نفسه، ص213.

يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخرا فيسمى التضام هنا 'التلازم' أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا 'التنافي'"[1].

3-2-ز: الأداة: "وهذه القرينة اللفظية المستخدمة في التعليق تعتبر من القرائن الهامة في الاستعمال العربي...وهذه الأدوات على نوعين: أحدهما الأدوات الداخلة على الجمل والثاني الأدوات الداخلة على المفردات"[2].

4- القرائن الصوتية

يقول تمام حسان: "علم الأصوات دراسة عملية لموضوع مدرك بالحواس، لأنّ حاسة النظر ترى من حركات الجهاز النطقي حركة الشفتين والفك الأسفل وبعض حركات اللسان، ثم ترى كذلك بعض الحركات المصاحبة التي تقوم بها عضلات الوجه وحاسة السمع تدرك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات العضوية"[3].

بمعنى أنّ علم الأصوات بهذه الملاحظات الحسية يمهد لعلم مكمل لعلم الأصوات العام وهو علم الأصوات الوظيفي"[4].

"هذه الفكرة تنبه عليها تمام حسان فهو يرى أن الأصوات تعدّ المظهر المادي للغة تجتمع بحسب نظام معين لتؤلف الكلمات التي هي موضوع علم الصرف، ثمّ إن هذه الكلمات تنتظم أيضا فيما بينها لتؤلف التراكيب النحوية فالنظام الصرفي لا يتألف إلا من الأصوات، كما أنّ النظام النحوي لا يتخذ أي نوع من المباني إلا ما يقدمه النظام الصرفي"[5].

وعرفه موريس بأنه: " فرع علمي موضوعه أصوات الكلام كوحدات تركيبية للغة"[6]

4-1- قرينة التنغيم:

التنغيم لغة: "من النغم وهو جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها"[7]

1- المرجع السابق، ص216-217.

2- المرجع نفسه، ص224.

3- المرجع نفسه، ص48.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص43.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص 185.

6- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت، ص68.

7- لسان العرب، ابن منظور، مادة (ن غ م)، ص4490.

اصطلاحا: "هو قرينة صوتية يستدل بها في أثناء الكلام على معاني الجمل عن طريق رفع الصوت كنغمة صيحات المشجعين في الملاعب، وخفضه، فهي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في سياق معين، فالجملة جانبان: تعاملي وإفصاحي".[1]

لذلك عدّها طارق الجنائي أنها "أعلى قرينة في النحو العربي، لما لها من قدرة على تمييز الدلالات والفصل بينها"[2].

ويعرفه ماريو باي بأنه: "عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"[3].

فالتنغيم يقوم على رصد الدلالات "فلكل حالة تنغيمية نغمة معينة وأداء يختلف عن غيرة يفهم دون الحاجة إلى إضافة أي كلمة أخرى، ولا يعني هذا أن للكلمة الواحدة في الجملة أكثر من معنى بحسب تنغيمها، بل للجملة أكثر من معنى بحسب طريقة أدائها"[4].

وقد اعتبره تمام حسان: "ظاهرة سياقية في بعض المواضع"[5]. وهناك بعض علماء اللغة نراهم ينكرون أن القدامى 'أي التراث العربي القديم' قد أولوا عناية أو اهتماما للتنغيم فنرى 'برجشتراسر'* يتعجب من أنّ النحاة يذكرون هذه الظاهرة فيقول في ذلك:" نتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا، غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا إلى ما يشبه النغمة"[6].

وردّا على هذا القول، نرى بعض الباحثين يرفضون ما جاء به براجشتراسر فيقولون: "نعارض هذا القول جملة وتفصيلا، بدليل أن لهذه الظاهرة جذورا متأصلة في التراث العربي، فكأنهم أغفلوا التراث العربي أو تغافلوا عنه، والأمثلة كثيرة تعضد ما قلنا، ولعل من أقدم النصوص التي سيقت إلينا في تنغيم الجملة، ما قاله أبو حاتم الرازي (ت322) في كتابه 'الزينة'

1- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 308-309-310.

2- القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى، عند ابن يعيش، فراس فخري ميران وقصي سمير عبيس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كانون الأول 2014، العدد 18، ص80.

3- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط1998، ص93

4- علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية للطباعة، بغداد، ط3، 2007، ص134.

5- اللغة العربية معناها ومبناها، ص310.

*- مستشرق ألماني عني بالنحو واللهجات العربية والقراءات القرآنية.1886—1933.

6- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، 1994، ص72.

عندما تناول لفظة: 'آمين' فيرى "أن تطويل الصوت يدلّ على معنى، فيربط بين الصوت والمعنى"[1].

وهناك العديد من الأدلة التي تقوم على دحض كلام برجشتراسر، وهي مجموعة النصوص التراثية التي ذكرت في التنغيم، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر: قال ابن سينا: "إن للتنغيم وظائف تعبيرية ودلالية وأن لكل نطاق تنغيمي مناسبة مع انفعالات وأخلاق معينة"[2]، وقال ابن سينا أيضا: "ومن أحوال النغم: النبرات وهي هيئات مدِّية حرفية... وربّما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أنّ النبرة قد تجعل الخبر استفهاما والاستفهام تعجبا وغير ذلك"[3] كما أشار إلى ذلك ابن زيلة في قوله: "الانتقال إلى النغمة الواحدة يحاكي شمائل الغضب، والانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدارية، والانتقال إلى هبوط يتدارك بصعود راجع يعطي النفس همة شريفة مقوية مع شجي مخيل، وضدّها يعطي هيئة لذيذة مائلة من الحق مع شجي مخيل"[4].

وما جاء به ابن جني كذلك في قوله: "وقد حذفت الصفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه الليل، وهم يريدون: 'ليل طويل'. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها. وذلك أنّك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: ويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته"[5] ولم يتوقف ابن جني عند هذا الحد فقد أشار كذلك إلى القرائن غير اللغوية في قوله: " نقول: سألناه. فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا ونحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك"[6].

1- القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى، عند ابن يعيش، فراس فخري ميران وقصي سمير عبيس، ص28.

2- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البابيي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 2012، ج1، ص164.

3- المعنى والظلال، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، ط2، 2007، ص346.

4- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البابيي، ج1، ص164.

5- الخصائص، ابن جني، ج2، ص359.

6- المرجع نفسه، ص359.

هناك العديد من العلماء الذين أقروا بأن التراث العربي لم يغفل ظاهرة التنغيم ولم يتغافل عنها كما فعل البعض الآخر، ومن هؤلاء الباحثين: نذكر: "رضوان القضماني، عبد السلام المسدي، سيد بحرواي، سعيد الأفغاني، غازي طليمات، أحمد قدور"[1] ومن ذلك ما يأتي: "هذه إشارات للغويين العرب القدامى، وهي ليست قليلة ولا نادرة خاصة إذا أضيفت إليها أعمال النحاة المبسوطة في نطاق حقول معرفية أخرى فصارت جزءا منها، وإن كانت صادرة عن النحاة، وبخاصة في حقل الاحتجاج للقراءات القرآنية من قبيل أعمال أبي علي الفارسي، وتلميذه النجيب ابن جني وابن أبي طالب القيسي...، وفي حقل إعراب القرآن من مثل أعمال الزجاج والفراء وابن خالويه، والنحاس والعبكري"[2].

وتنبه أيضا إلى أن "الغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادَى متراخيا عن المنادي أو معرضا عنه لا يُقبل إلا بعد اجتهاد، أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف النداء ما خلا الهمزة وهي: يا، وأيا،وهيا، وأي يمتد الصوت بها ويرتفع"[3].

يقول الشاعر:

أزيد أخا ورقاء *** *** إن كنت ثائرا

والأصل في حروف النداء الياء كما يقول ابن يعيش في ذلك: "وأصل حروف النداء "يا" لأنها دائرة في جميع وجوده لأنها تستعمل للقريب والبعيد والمستيقظ والنائم والغافل والمقبل ويكون في الاستغاثة والتعجب وقد تدخل فيه الندبة بدلا من 'وا' فلما كانت تدور فيه هذا الدوران كانت لأجل ذلك أم الباب"[4].

4-1-أ:التنغيم بالنداء الحقيقي:

"التصويت بالمنادى ليعطف على المنادى، والنداء مصدر يمد ويقصر، وتضم نونه وتكسر، فمن مدّ جعله من قبيل الأصوات كالصراخ والبكاء والدعاء والرغاء وكذلك من ضم، لأن غالب الأصوات مضموم، ومن قصره جعله كالصوت، والصوت غير ممدود ومن

1- القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى، عند ابن يعيش، فراس فخري ميران، قصي سمير عيسى، ص83.
2- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص150.
3- شرح المفصل، ابن يعيش، م1، ج2، ص290.
4- المرجع نفسه، م4، ج8، ص27.

كسر النون ومد جعله مصدرا نادى كالعداء والشراء مصدر عادى وشارى، وهو مشتق من قولهم ندا القوم يند وإذا اجتمعوا فتشاوروا أو تحدثوا ومنه قيل للموضع الذي يفعل فيه ذلك ندى ونادى وجمعه أندية وبذلك سميت دار الندوة بمكة"[1].

ويذكر ابن يعيش أيضا بأنه: "يصلح لكل حاضر والمراد واحد بعينه فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه إذا لم تكن علامة تعريف في لفظه وليس كذلك أنت لأنه للمخاطب خاصة لاشتماله على حروف الخطاب"[2].

ويضيف ابن يعيش أن النداء "ليس للإخبار، وإنما نفس التصويت بالمنادى ثم يقع الإخبار عنه فيما بعد فتقول: ناديت زيدا"[3].

4-1-ب:الفرق بين النداء والمنادى:

"النداء حال خطاب، والمنادى مخاطب فالقياس في قولك: يا زيد أن تقول يا لأنت والدليل على ذلك أن من العرب من ينادي صاحبه إذا كان مقبلا عليه، ومما لا يلتبس نداؤه بالمكنى على الأصل فيقول يا أنت"[4].

قال الشاعر:

يـا مرُّ يا ابـن واقـع يا أنت *** *** أنت الـذي طلقت عاما جعتـا

كما يقول ابن يعيش: "إن المنادى قد يكون بعيدا منك أو غافلا فإذا ناديته بأنت أو إياك لم يعلم أنك تخاطبه أو تخاطب غيره فجئت بالاسم الذي يخصه دون غيره وهو زيد فوقع ذلك الاسم موقع المكنى فتبينه لما صار إليه من مشاركة المكنى الذي يجب بناؤه"[5].

كما بيّن ابن يعيش حروف النداء في قوله: "وحروف النداء ستة وهي: يا و أ وهيا وأي والهمزة و وا"[6]

1 - المرجع السابق، م4، ج8، ص26.
2- المرجع نفسه، م4، ج8، ص23.
3- المرجع نفسه، م1،ج1، ص250.
4- المرجع نفسه، م1، ج1، ص254.
5- المرجع نفسه، م1، ج1، ص254.
6- المرجع نفسه، م4، ج8، ص26.

كما بيّن مواضع استعمالها فقال: "والخمسة ينبه بها المدعو "فالثلاثة الأُوَلُ يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للمتراخي عنهم"، أو الإنسان المعرض أو النائم المستثقل أو النائم وأي والهمزة تستعملان إذا كان صاحبك قريبا وإنما كان كذلك من قبل أن البعيد والمتراخي والنائم المستثقل والساهي يغتفر في دعائهم إلى رفع صوت ومده"[1].

كما أنه تحدث كذلك عن لحاق يا النداء بلفظ الجلالة فقال: "أما قولهم يا الله أو يا مالك الملك، أو يا رب اغفر لي، فإن هذا لا يجوز أن يقال إنه تنبيه للمدعو، ومعناه الدعاء لله عزّ وجلّ، ليقبل عليك بالخير الذي تطلب منه والذي حسن إخراجه مخرج التنبيه البيان عن حاجة الداعي إلى إقبال المدعو عليه بما يطلبه، فقد وقف في ذلك موقفا كأنه مغفول عنه وإن لم يكن المدعو غافلا ألا ترى أنك تقول يا زيد اقض حاجتي مع العلم أنه مقبل عليك وذلك لإظهار الرغبة والحاجة وأنّه قد صارت منزلته منزلة من غفل عنه"[2].

"وقد يوحي أسلوب النداء بتغير النغمة ومنه تغير الأداء فقد ينتقل هذا الأخير إلى أسلوب استفهام كما جاء في الشاهد الذي ورد في الكتاب لصاحبه جرير يقول:

أعبدا حلّ في شعبي غريبا *** *** ألؤما لا أبا لك واغترابا"[3]

فيقول سيبويه: "وأما عبدا فيكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله: أتفتخر عبدا، ثم حذف الفعل"[4].

4-2-الاستغاثة:

تتكون الاستغاثة من جزأين المستغيث والمغيث "فالمستغيث يصرخ طلبا للعون والنصرة، والمغيث يصرخ ليشعر المستغيث بمجيء الإغاثة، ووصولها إليه، فقد أصبحت كلمة صارخ من الأضداد تطلق على المستغيث والمغيث"[5].

1 - المرجع السابق، م4، ج8، ص26.

2- المرجع نفسه، م4، ج8، ص30.

3- ينظر: الكتاب، سيبويه ج1، ص339.

4- المرجع نفسه، ص339.

5 - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس اسماعيل الأوسي،المكتبة الوطنية، بغداد، دط، 1988، ص288.

"والاستغاثة نوع من أنواع النداء، لأنك توجه صرختك إلى ما يعينك على دفع شدّةٍ، وهي تتكون من حرف النداء –يا– ولا يستعمل فيها غيره"[1].

"الاسم الذي تستغيثه ويسمى –المستغاث– مجرورا بلام أصلية مبنية على الفتح على الأغلب ثم الاسم –المستغاث له– مجرورا بلام أصلية مبنية على الكسر فتقول: –يا للمؤمن للمظلوم–"[2].

وقال ابن يعيش: "تدخل لام الاستغاثة نحو يا لزيدٍ إذا استغثت به لغيره ودعوته لنصرته"[3].

وتتعلق لام المستغاث بما قبلها من كلام، ويضيف ابن يعيش: "وحق هذه اللام أن تكون مكسورة لأنها لام الإضافة، ولام الإضافة تكون مكسورة مع الظاهر نحو قولك: المال لزيد غير أنه وقعت هذه اللام لمعنيين أحدهما المستغاث به والآخر المستغاث من أجله فلم يكن بدّ من التفرقة بينهما ففتحت لام المستغاث به، وتركت المستغاث من أجله مكسورة بحالها، فإذا قلت يا لزيدَ بالفتح على أنه مستغاث به وإذا قلت يا لزيدٍ بالكسر على أنه مستغاث من أجله"[4].

يقول الشاعر*:

تكنفني الوشاة فأزعجوني *** *** فيا للناس للواشي المطاع

"فتح اللام الأولى من الناس لأنهم مستغاث بهم، وكسر الثانية لأنهم مستغاث من أجله"[5].

4–3–قرينة التعجب:

"هو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية"[6]وكذلك:"يمكن أن يرتبط التقديم بعنصر تحويلي آخر، هو النغمة الصوتية فنقول: طائر يتكلم؟.

1 – التطبيق النحوي، عبده الراجحي، ص298.

2– المرجع نفسه، ص298.

3– شرح المفصل ابن يعيش، م1، ج1، ص255.

4– المرجع نفسه، م1، ج1، ص256.

*البيت من بحر الوافر، وهو لقيس بن ذريح، في ديوانه ص118.

5– شرح المفصل، ابن يعيش، م1، ج1، ص256.

6 – جامع الدروس العربية،مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية،صيدا، بيروت، 1999، ص56.

فالتركيبان في أصلهما التوليدي: يتكلم طائر، يحترم عدوك إياك، ولكن موضع الدهشة والعجب لا يظهر في هذا النوع من التركيب فيجري تحويل في الجملتين، بتقديم موضع العجب والدهشة، ثم تنطق كل جملة بالنغمة الصوتية التي تحقق انتقال الخبر إلى الدهشة، بنغمة صوتية صاعدة بعد أن كانت تنطق بنغمة صوتية مستوية، وقد عبّر النحاة عن النغمة الصوتية الصاعدة في هذين المثالين بأنها من الاستفهام محذوف الأداة"[1].

"بيد أن التنغيم مع ذلك يؤدي وظيفة دلالية في الجملة العربية حيث لاحظ أسلافنا أن الأسلوب الواحد يخرج إلى معان عديدة ودلالات مختلفة، ولا شك أن التنغيم العامل الوحيد المتحكم في هذا التنوع الدلالي، مع ما يرافقه من ملامح تطريزية أخرى، أو ملامح اللسانيات الخارجية أو ما سّماه القدامى القرائن الحالية"[2].

إذا فقرينة التنغيم تميز لنا بين الأساليب الاستفهامية والتعجبية والندائية وقد عرض لنا ابن يعيش أمثلة عن دخول لام التعجب على جملة النداء إذ يقول:"وأما دخول اللام للتعجب فنحو قولهم:(يا للماء)،كأنهم رأوا عجبا وماء كثيرا فقالوا: تعال يا عجب ويا ماء، فإنه من إبّانك ووقتك،وقالوا (ياللدّواهي) أي تعالين فإنه لا يستنكر لكن لأنه من أحيانكنّ، وكل قولهم هذا في معنى التّعجب والاستغاثة"[3]. ومثله قول الشاعر:

"لخُطّابُ ليلى يالبرثن منكم *** *** أدلّ وأمضى من سُلَيك المقانب"*

"كأنّه رأى عجبا من كثرة خطّاب ليلى وإفسادها عليه فقال 'يالبرثن' على سبيل التعّجب، أي مثلكم من يُدعى للعظيم"[4].

4-4- قرينة الندبة:

"النّدبة نوع من أنواع النداء لأنها نداء موجه للمتفّجع عليه أو المتوجع منه، ويعرب المندوب منادى، وله أحكامه من حيث البناء والإعراب"[5].

---

1 - في نحو اللغة وتراكيبها،خليل أحمد عمايرة، ص188-189.

2 - القضايا التطريزية في القراءات القرآنية،دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البابيي، ص267.

3 - شرح المفصل، ابن يعيش، م1، ج1، ص256-257.

*- من بحر الطويل، وهو لفرار الأسدي في الأغاني 304/20.

4 - شرح المفصل، ابن يعيش، م1، ج1، ص257.

5 - التطبيق النحوي، عبده الراجحي، ص302.

ويعرفها ابن مالك بقوله:"المذكور بعد (يا)أو(وا) تفجعا لفقده حقيقة أو حكما، أو توجعا لكونه محل ألم أو سببه"[1].ورفع الصوت في الندبة دليل على شدة الحزن والضجر، يقول سيبويه: "الندبة يلزمها يا و واو؛ لأنهم يحتلطون* ويدعون ما قد فات وبعد عنهم، ومع ذلك فإن الندبة كأنهم يترنمون فيها فمن ثم ألزموها المد، وألحقوا آخر الاسم المد مبالغة في الترنم"[2].

وكذلك أشار إليها ابن يعيش في قوله:"ولما كان المندوب مدعوًا بحيث لا يسمع، أتوا في أوله بـ يا، أو واو لمد الصوت، ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب، زادوا الألف آخرًا للترنّم كما يأتون بها في القوافي المطلقة، وخصوها بالألف دون الواو والياء، لأن المدّ فيها أمكن من أختيها"[3]. وأضاف قائلا: "فتقول: 'وازيدا' إذا أوقفت على الألف ألحقت الهاء في الوقف محافظة عليها لخفائها، فتقول:'وازيداه'، ويا عمراه، فإن وصلت أسقطت الهاء لأن خفاء الألف قد زال بما اتصلّ بها فتقول:'وازيدا واعمراه' تسقط الهاء من الأوّل لاتصاله بالثاني وتثبتها في الثاني لأنك وقفت عليه"[4].

يذكر سيبويه في باب مالا يجوز أن يندب أنه لا يجوز ندب النكرة ولا المجهول، لإبهامها، فلا يقال 'وارجلاه' و'يارجلاه'، فقد زعم الخليل رحمه الله ويونس أنّه قبيح، وقال الخليل إنّما قَبُح لأنك أبهمته،أي يندب المعرفة لأنه ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء وأن تخصَّ ولاتبهم"[5]. ومنه يكون كالمنادى؛ يقول ابن يعيش: "ويجوز أن لا تأتي بألف الندبة وتجري لفظه مجرى المنادى نحو: وازيدُ، ويا عمرو، ولا يلبس بالمنادى إذ قرينة الحال تدل عليه،وتلحق علامة الندبة المضاف إليه فيقال: 'وأميرَ المؤمنيناه'، و 'واغلام زيداه'، لأنّ المضاف والمضاف إليه كالاسم الواحد"[6].

---

1 – تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد،ابن مالك، ص53.

2 – الكتاب، سيبويه ج2،ص131.

*يضجرون

3 – شرح المفصل،ابن يعيش م1،ج2،ص287.

4 – المرجع نفسه، م1، ج2، ص 287..

5 – ينظر الكتاب سيبويه، ج2،ص227.

6 – شرح المفصل،ابن يعيش م1، ج2،ص287.

كما فرق ابن يعيش بين المندوب والمنادى "فالندبة نوع من النداء،فكل مندوب منادى وليس كل منادى مندوبا، إذ ليس كل ما ينادى يجوز ندبته لأنه يجوز أن ينادى المنكور والمبهم ولا يجوز ذلك في النُّدبة"[1].

4-5-قرينة الترخيم:

للترخيم في العربية خصائصه ومنها كانت له مواضعه وشروطه، وهو حذف بعض حروف أواخر الأسماء تخفيفا أو بغرض التدليل والتحقير والتصغير، على أن يكون في النداء ولا يكون في غيره كما جاء في كثير من أشعار العرب قولهم: أفاطم، يا عبلُ إلخ... وفي ذلك جاء في شرح المفصل لابن يعيش: "الترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا،كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا ...واعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر،وإنما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم"[2].

وللترخيم شروط يذكرها ابن يعيش في قوله:"والترخيم له شروط منها أن يكون منادى، وذلك لكثرة النداء في كلامهم وسعة استعماله، والكلمة إذا كثر استعمالها جاز فيها من التخفيف ما لم يجز في غيرها، فلذلك رخّموا المنادى وحذفوا آخره كما حذفوا منه التنوين،وكما حذفوا الياء في ياقوم"[3]. ولا يعني هذا أن كل منادى ترخيم،فقد وضح ذلك في موضع آخر قائلا:"اعلم أن الترخيم في كلام العرب على ضربين: ترخيم يكون في باب التحقير وهو حذف زوائد الاسم إن كانت فيه نحو قولك في أسود سويد وفي أزهر زهير ...وترخيم يختص باب النداء ...وهو حذف آخر الاسم المفرد المعرفة في النداء"[4].

ويكون ترخيم المنادى "بحذف حرف من آخره أو أكثر إن كان علما مفردا أو نكرة مقصودة"[5] ويكون ترخيم المنادى كما يلي: "إن رخمت اسما منادى بأن حذفت حرفه الأخير جاز لك في الحرف الذي أصبح آخرا وجهان:

1 - المرجع السابق، م1، ج2، ص289.

2 - الكتاب سيبويه ج2،ص239.

3 - شرح المفصل،ابن يعيش، م1 ج2،ص299.

4 - المرجع نفسه، م1، ج2، ص303.

5 - التطبيق النحوي،عبده الراجحي،ص297.

أ/- أن تتركه على أصله فتقول: يا فاطم...فتبقى الميم مفتوحة كما كانت وهذه الطريقة يسميها القدماء (لغة من ينتظر) دلالة على أن المستمع ينتظر الحرف المحذوف.

ب/-أن تراعي موقعه باعتباره منادى فتضبط الحرف الأخير بالبناء على الضم يا فاطمُ ...وهذه الطريقة تسمى (لغة من لا ينتظر) كأن الاسم قد انتهى بهذا الحرف ومن ثم تمّ بناؤه على الضم"[1].

4-6-حذف حرف النداء من القريب:

يقول تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾"يوسف 29

حذفت الأداة من الآية فلم يبق إلا قرينة التنغيم 'القراءة' دالة على المعنى"حيث يتلى بالقالب التنغيمي للنداء،وهذا القالب قائم رغم حذف حرف النداء"[2].

فقد يكون التنغيم القرينة الوحيدة في تحديد الدلالة خاصة إذا تعلق الأمر بنص منطوق. وقد كثر حذف حرف النداء في المضاف نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة. 260.

يقول ابن يعيش لا يجوز اختصار المختصر وذلك من خلال قوله:"وفي جملة حذف الحروف مما يأباه القياس؛لأن الحروف إنما جيء بها اختصارا ونائبة عن الأفعال فما نائبة عن الفعل' أنفي'،وهمزة الاستفهام نائبة عن 'أستفهم'،وحروف النداء نائبة عن 'أنادي'،فإذا أخذت تحذفها كان اختصار المختصر وهو إجحاف، إلا أنه قد ورد فيما ذكرناه لقوة الدلالة على المحذوف فصار القرائن الدالة كالتلفظ به"[3].

كما يقول: "لا يجوز حذف حرف النداء من المستغاث به، فلا تقول:'لَزيد' وأنت تريد يالَزيد، لأنّ المستغيث يبالغ في رفع صوته وامتداده لتوهمه في المستغاث به الغفلة

1 - المرجع السابق، ص297.

2 - القضايا التطريزية في القراءات القرآنية أحمد البابيي، ج1، ص266.

3 - شرح المفصل، ابن يعيش، م1، ج2، ص291.

والتراخي، (وكذلك المندوب)فقد قال سيبويه:'لا يجوز حذف حرف النداء منه لأنهم يختلطون ويدعون ما قد فات وبعد عنهم ولأنهم يريدون به مذهب الترنم'"[1].

ويجوز حذف حرف النداء من المستغاث به كما في قوله:'اللَّهم'، فهو نداء، والضمَّة فيه بناء بمنزلتها في يا زيدُ،والميم فيه عوض من حرف النداء،ولذالك لا يجتمع ياء مع الميم"[2]. أما أصل 'اللّهم' فقد "ذهب الفرّاء من الكوفيين إلى أن أصله (يا الله أمنا بخير) إلا أنه لما كثر في كلامهم واشتهر في ألسنتهم حذفوا بعض الكلام تخفيفا"[3].

4-7-قرينة التنوين:

التنوين هو نون تنطق آخر الاسم وهي التي تلحق الأسماء المنصرفة المجردة من الإضافة ومن دخول 'أل' عليها، أو كانت في موضع بناء من النداء، أو بعد لا النافية للجنس أو في موضع يستوجب بناءها. فهو "نون تلحق آخر الاسم المتمكن وغيره من وجوه التنوين،فمبنية يقال:نونت الكلمة تنوينا إذا ألحقتها هذه النون،فالتنوين مصدر غلب حتى صار اسما لهذه النون"[4]. كما فرق بين النون والنون الأصلية في قوله:"وفرقوا بهذا الاسم بين هذه النون (التنوين) والنون الأصلية نحو قطن ورسم والملحقة الجارية مجرى الأصلية نحو رعش وفرس وذلك أنّ التنوين ليس مثبتا في الكلمة، إنما هو تابع للحركات التابعة بعد تمام الجزء جيء به لمعنى وليس كالنون الأصلية التي من نفس الكلمة، أو الملحقة الجارية مجرى الأصل، ولذلك من إرادة الفرق لم يثبت لها صورة في الخط"[5].

ولعل أهم الفروق بين النون الأصلية والتنوين ما يلي:

أ-لا يعدّ التنوين من أصل الكلمة على خلاف النون الأصلية التي لا يمكن حذفها فهي تتعلق بالمعنى المعجمي للكلمة .

ب-يضفي التنوين معنى إضافيا للكلمة.

1 - المرجع السابق، م1، ج2،ص293.

2 - المرجع نفسه، م1، ج2،ص293.

3 - المرجع نفسه،م1، ج2، ص294.

4 - المرجع نفسه، م4، ج9،ص131.

5- المرجع نفسه، م4، ج9، ص131.

ج–التنوين لم يضع له النحاة رسما لذلك هو غير ظاهر ممّا يسهل الفصل بينه وبين النون الأصلية.

4–7–1: أقسام التنوين:

أ–تنوين التمكين:

"يأتي للفرق بين ما ينصرف وما لا ينصرف، وهو الدّال على المكانة أي أنّه باق على مكانه من الاسمية،لم يخرج إلى شبه الحرف،فيكون مبنيا نحو الذي والتي،ولا إلى شبه الفعل فيمتنع من الصّرف نحو أحمد وإبراهيم وذلك نحو تنوين رجل وفرس وزيد وعمرو وأحمد وإبراهيم إذا أردت بهما النكرة فإذا قلت لقيت أحمد فقد أعلمته أنك مررت بواحد ممن اسمه أحمد بغير تنوين فأنت تعلمه أنك مررت بالرجل الذي اسمه أحمد وبينك وبينه عهد فيه وتواضع،والتنوين هو الدال على ذلك"[1].

ب–تنوين التنكير:

"أن يكون دالا على النكرة ولا يكون في معرفة البتة ولا يكون إلا تابعا لحركات البناء دون حركات الإعراب وذلك نحو (صه ومه وإيه) فإذا قلت: صهٍ مُنوّناً فكأنك قلت سكوتاً وإذا قلت صهْ بغير تنوين فكأنك قلت السكوت وإذا قلت: مه بالتنوين فمعناه كفى وإذا مه فكأنك قلت الكف وكذلك إذا قلت إيه معناه استزادة وإذا قلت إيهٍ بالتنوين فكأنك قلت الاستزادة فالتنوين علم التنكير وتركه علم التعريف"[2].

ج– تنوين العوض:

وهو التنوين الذي يختصّ بالأسماء، فيكون عوضا عن المضاف إليه سواء أكان جملة أم مفردا، أو عوضا عن حرف سواء أكان أصليا أم زائدا،وقد قسّمه ابن يعيش إلى قسمين:"تنوين العوض عن جملة نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ والأصل يومئذ تزلزل الأرض زلزالها وتخرج الأرض أثقالها ويقول الإنسان مالها فحذفت الجمل الثلاث وناب منابها التنوين"[3].

1- شرح المفصل، ابن يعيش، م4، ج9، ص131-132.

2 - المرجع نفسه، م4، ج9، ص132.

3 - المرجع نفسه، م4، ج9، ص132-133.

د–تنوين الترنم:

"وهذا التنوين يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب معاقبا بما فيه من الغنة لحروف المدَّ و اللّين وقد كانوا يستلذون الغنَّة في كلامهم ...وهو على ضربين:

أحدهما:أن يلحق متمما للبناء مكملا للوزن والأخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه نيفاً عن آخره بمنزلة الحزم في أوّله فالأول منهما نحو: قول امرئ القيس في إنشاد كثير من بني تميم:قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزِلِ. والثاني وهو الغالي إنما يلحق القوافي المقيدة"[1].

هـ–تنوين المقابلة:

وهو احد"أقسام التنوين ذكره أصحابنا وذلك أن يكون في جماعة المؤنث معادلا للنون في جماعة المذكر وذلك إذا سمي به نحو امرأة سميتها بمسلمات ففيها التعريف والتأنيث فكان يجب ألا ينون لاجتماع علتين فيه لكن التنوين فيه بإزاء النون التي تكون في المذكر نحو قولك المسلمون فسموه بتنوين مقابلة"[2].

4–8– قرينة الوقف:

يعد أحد القرائن الصوتية "ويقصد بالوقف قطع الكلمة عمّا بعدها بسكتة طويلة، طويلة أو هو قطع الصوت بعد الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف الكلام"[3].

سابعا:علاقة المسند والمسند إليه بغيرهما من الكلام:

للبنية الإسنادية علاقة بين طرفيها المسند والمسند إليه لتكون معنى أوليا يُنطَلق منه إلى معانٍ أخرى تكون لها علاقة بها دلالة وتركيبا، أي أن للبنية الإسنادية علاقة بغيرها من الكلام قد تتعدد من حيث التركيب ومن حيث الدلالة.

1 – شرح المفصل،ابن يعيش، م4، ج9،ص134-135.

2 – المرجع نفسه،م4، ج9، ص136.

3– المعنى وظلال المعنى،محمد محمد يونس علي، ص343.

1- من حيث التركيب:

المسند إليه عادة يكون اسما ظاهرا في البنية الاسمية أو البنية الفعلية ولذا فإنه يمكن أن يتركب من لفظين اثنين أو أكثر مع بقائه اسما واحدا يؤدي وظيفة واحدة ويسند إليه الفعل أو الخبر ويكون إما:

1-1-مركبا: ونعني بذلك أن يكون مركبا تركيب إضافة كما في قولنا عبد الله أخوك، وكتاب الله شامل، فقد أُضيف المسند إليه إلى اسم أو ضمير،كون المضاف إليه جزءا من المضاف يؤدي معه وظيفة واحدة وعملا واحدا ودلالة كما لو كانا لفظا واحدا.

ولا يقتصر التركيب على الإضافة فحسب بل يتجاوز إلى المزج، والمزج يعني أن نجعل من اللفظين واحدا إعرابا ومعنى ودلالةً كقولنا: حضرموت يمنية، فحضرموت مبتدأ تركب من مزج كلمتي (حضر وموت).

كما إن المسند إليه يمكن أن يأتي مصدرا مؤولا متكونا من حرف مصدري يليه فعل وفاعله ويقال أنهما في تأويل اسم كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة: 184] ﴿وَأَنْ تَصُومُواْ﴾ مركبة من أن المصدرية ومن الفعل تصوم وواو الجماعة، واجتمعت ثلاثتها لتعبر عن اسم واحد يؤوله النحاة بـ: (الصوم) الذي هو أصلا مسند إليه في البنية الإسنادية ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

ويرد المسند إليه كذلك مركبا تركيبا إسناديا سيما في بعض الأعلام مثل: (تأبط شرا) و(شاب قرناها) حيث تركب الاسم من فعل ومعموليه أو من فاعل ومفعول به، ليُعَد بعد ذلك لفظا واحدا حين يُوظف اسما في جملة.

كما ألحق العلماء الاسم المنحوت بهذه التراكيب كالبسملة والحوقلة من (بسم الله) و(لا حول ولا قوة إلا بالله)، فنقول البسملة واجبة والحوقلة كذلك، التي نحتت لتشكل كلمة واحدة بمعناها الأول، وتوظف في التركيب توظيف الاسم المفرد فيؤدي وظيفته ويدل دلالته ويحل محله في الإعراب، ولما كان كذلك فهو يأتي عمدة فاعلا أو مبتدأ أو خبرا، ويؤدي وظيفة المسند أو المسند إليه؛ كما يأتي فضلة أيضا.

ومن هنا كان له علاقة بغيره من الكلام فيكون تابعا بواسطة أو بغير واسطة نعتا أو بدلا أو يكون في جملة صغرى تابعا نعتا أو حالا.. الخ.

1-2-موصولا: قد يأتي المسند أو المسند إليه موصولا مع صلته كقولنا: (حضر الذي دعوناه، ووجدنا ما فقدناه، وصلة الموصول جزء من الاسم الموصول. فالذي دعوناه فاعل، والذي فقدناه مفعول، لا يمكن فصل الموصول عن صلته لأن الصلات مكملات للأسماء، فصلة الموصول جزء من معناه والاسم الموصول هو الذي تتم معرفيته بالصلة التي تزيل الإبهام منه.

إن المسند أو المسند إليه يأتي في صور متعددة الظهور، فيضاف وينحت ويوصل وينصب فهي جميعا صيغ لا تؤثر في عملية الإسناد وإنما يقتصر حضورها على اللفظ بنيةً ودلالة،وقد تضيف له معنى جديدا يدخل به في تركيب البنية الإسنادية (الجملة) ثابتا لا متغيرا فالقول: كتابك مفيد تظل الفائدة محدّثا بها عن الكتاب، وما الكاف إلا إضافة لتحديد ملكية الكتاب لا تتعداه، وهكذا يظل المسند والمسند إليه في علاقتهما الإسنادية ثابتين.

أما إذا كان المسند فعلا فإن صفة الثبات تظل قائمة من حيث الإسناد، وأن أي تحول به هو قبل الإسناد فتاء التأنيث، وتغير الزمن، ودخول النواصب، والجوازم، والتوكيد، وحذف النون وثبوتها في الأفعال الخمسة، ومما شابه ذلك مما يلحق بالفعل لا يؤثر في الإسناد إطلاقا.

ويمكن تلخيص القول في أن طرفي الإسناد-بغض النظر عن الإضافات أو التحول الذي يطرأ عليه- يظل مسندا ومسندا إليه، فلا يمكن لإضافته أو تأنيثه، أو تذكيره، أو تعريفه، أو تنكيره، أن يؤثر في علاقة الإسناد الأصلية لأن ذلك من مكملات الجملة ولواحقها وقيودها.

2- من حيث الدلالة

تعد البنية الإسنادية جملة في العربية لها دلالتها، وللجملة علاقة بغيرها من الكلام على مستوى التركيب أو على مستوى الدلالة؛ فعلى مستوى الدلالة ينظر إلى دلالتها القطعية أو الاحتمالية كما سبق الإشارة إليه، أو إلى دلالتها الظاهرة أو دلالتها الباطنة كما يأتي.

2-1-: الدلالة الظاهرة:

"وهي المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ كقوله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾البقرة:275 وقولنا :سار محمد وجاء خالد.

2-2-:الدلالة الباطنة:

وهي الدلالة التي تؤدى عن طريق المجاز والكنايات والملاحق والإشارات وما إلى ذلك كقولهم: (بعيدة مهوى القرط) أي طويلة العنق"[1].

إن الكلام على ضربين من حيث الدلالة :"الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج عن الحقيقة فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو، فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، لكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل؛ أولا ترى إنك إذا قلت: 'هو كثير رماد القدر'، أو قلت:'طويل النجاد' أو قلت:'المرأة نؤوم الضحى'، فإن في جميع ذلك لا يفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوحيه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضه كمعرفتك من كثير رماد القدر، إنه مضياف ومن طويل النجاد إنه طويل القامة"[2].

يتبين من خلال ما سبق أن الكلام والجملة مصطلحان انطلقا معا بمفهوم واحد وافترقا بمفهومين محددين وكلاهما يتألف من عنصرين أساسيين هما المسند والمسند إليه،وتقوم علاقة الإسناد بالربط بينهما ثم ينطلقان ولا تفرق بينهما إلا الإفادة من عدمها.

إن العلاقة بين طرفي الإسناد توضحها قرينة معنوية أو لفظية تختلف باختلاف المفهوم

والخلاصة أن النحاة العرب منذ عصور التقعيد الأولى تناولوا الجملة العربية بالكثير من العناية واختلفوا في تسميتها،وخلط الأولون بينها وبين الكلام إذْ لم يرد مصطلح الجملة عند

1 – معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ص18.

2– دلائل الإعجاز، الجرجاني، تحقيق: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص199.

سيبويه لكنه عرّفها مبنى ومعنى، فهي عنده الكلام الذي يتألف من مسند ومسند إليه يرتبط كل منهما بالآخر فلا يستغنى أحدهما عن الآخر، وهما بذلك يكونان كلاما مستقيما أو محالا، أو ما هو قريب إلى الاستقامة أو إلى الإحالة بحسب درجة التركيب ومطابقة الواقع في الدلالة، وبذلك يكون سيبويه قد بين الجملة معنىً وفرق بين التركيب النحوي للجملة وبين دلالتها.

كان أبو العباس المبرد أول من استخدم مصطلح الجملة، وظل القدماء يعرفونها ويضبطون معيار ما يمكن تسميته جملة، فتحدثوا عن الإفادة بمصطلح غاية في الدقة وهو قولهم "يحسن السكوت عليه"ما يوحي بمراعاة المعنى؛ فما يحسن السكوت عليه من لفظين اثنين لا يمكن أن يكون إلا بنية إسنادية. فالإسناد شرط في الجملة عند القدماء وأغلب المحدثين. لذلك اصطلحوا على طرفي الإسناد 'العمدة'، وما سواه إنما هو فضلة أو يكون قيودا أو لواحق تكمل الجملة وتبلغ بها الغاية التواصلية، بمعنى أن البنية الإسنادية هي النواة الأولى التي تبنى عليها الجملة، لأن الجملة في مدلولها التام هي ذلك المعنى الذهني يضاف إليه من الكلام ما يبلغ به غاية التبليغ،(وهو ما اصطلح عليه تشومسكي حديثا 'البنية العميقة' التي يبنى عليها ما لانهاية من الجمل فإن بلغت الغاية التواصلية فهي 'البنية السطحية').

قسم العلماء الجملة أقساما عديدة فكانت منها الفعلية والاسمية بحسب بدايتها، ومنها الأصلية والفعلية والمركبة والبسيطة والأصولية وغير الأصولية، والصغرى والكبرى، وكانت التقسيمات بحسب التطور في تركيبها... ثم قسمت إلى جمل مقصودة لذاتها وأخرى مقصودة لغيرها، والجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها من الإعراب.

والجملة العربية في عمومها تتألف من عمدة أساسا ومن فضلة؛ فأما العمدة فهو المسند والمسند إليه، وأما الفضلة فهو ما تبقى مما تكون علاقته مقتصرة على التكملة أو مرتبطة بجانب من الجملة فالنعت والحال وشبه الجملة المتعلقة يرتبط فقط بعنصر واحد من الجملة لا بكليهما أو بما يشكلانه من معنى. ومع ذلك فإن للفضلة الدور الفاعل في توضيح المعاني وتحول الدلالات.

كان للبنية الإسنادية الحظ الأوفر في إجماع النحاة أو أغلبهم، وقد رأوا فيه تنوعا وتحولا من فضلة في جملة إلى عمدة في أخرى، فقسموا المسألة ووضحوها لرفع اللبس عن

البنية الإسنادية فكان الإسناد أصليا، وغير أصلي، وتاما، وناقصا، وفصّلوا في علاقة كل طرف من الإسناد بغيره، فبيّنوا أنه يأتي مركبا كالمضاف والممزوج والمنحوت، ويأتي غير مركب، كما يأتي موصولا، وهو في كل الحالات لفظ واحد لأن المضاف إليه جزء من الاسم وصلة الموصول جزء من الموصول.

كما اعتنى النحاة بدلالة الجملة، فتحدثوا عن الجملة بدلالاتها المختلفة؛ القطعية والاحتمالية، والظاهرة والباطنة، ومثلوا لذلك ودللوا عليه.

إن البنية الإسنادية موضوع البحث هي التي تتألف من طرفين لا ثالث لهما مرتبين ترتيبا أصليا لا يتغير في أصله، وقد يتغير في لفظه، فالجملة الاسمية يكون المبتدأ أولها والخبر بعده، لكن قد يسبق الخبرُ مبتدأَه لفظا لا مرتبة لعوامل تركيبية ودلالية، وهي التي سماها النحاة مواضع تقديم الخبر، تقديمه جوازا، وتقديمه وجوبا.

أما في الجملة الفعلية فإن ترتيبها يقوم على الفعل الذي يتلوه فاعله، فلم يجز أن يتقدم الفاعل على فعله، وإن جاز تقديم الفضلات كالمفعول به.وما شذّ في جواز تقديم الفاعل على فعله سوى ابن مضاء القرطبي.

كما لاحظ النحاة أن البنية الإسنادية بطرفيها أحدهما أو كليهما قد يضمر لدلالة غيره عليه، ومصطلح الحذف يسوّي بينه وبين الفضلة، والأصل أنه مضمر لأن طرفي الإسناد إن لم يظهرا لفظا ورسما فهما مقدران والدليل أنهما يعربان وليسا ظاهرين.

كما أقرّ النحاة أن الجملة يعتريها التقديم والتأخير لفظا لا مرتبة، فهناك تقديم لا على نية التأخير، وآخر على نية التأخير، وهو ما عدّ من النظم في نظرية الجرجاني.

أما الإسناد في البنية الإسنادية التامة فهو تام حين يكون طرفاه عمدتين، وناقص حين يكون أحد طرفيه فضلة. ويكون ذلك غالبا في الجمل التي يكون فيها إعمال الوصف الرفع لكونه وصفا لا مسندا في نحو سألت الفائز أخوه، فأخوه مسند إليه لاسم الفاعل وليس له مسند لأن الفائز فضلة. لكن الإسناد لا يكون إلا تاما في المعنى الذهني المستقل عن غيره أو في البنية العميقة المجردة وهو مصدر التحولات الدلالية جميعها.

والبنية الإسنادية هي ذاتها المركب الإسنادي مستقلةً ومقصودةً لذاتها، وهي أيضا الوحدة الإسنادية مُشَكِّلةً طرفا في غيرها مقصودةً له، ولا يتحقق الفرق بينهما إلا بالتمييز

بين مواضعها ووظائفها فيُقال 'المركب الإسنادي' للتي في الأصل، ويقال 'الوحدة الإسنادية' للتي في الفرع من الجمل،فهما مصطلحان يدل أحدهما على الأصلية في الجملة في حين يدل الآخر على الفرعية فيها، فالأول هو البنية الإسنادية تامة، والثاني هو أحد الطرفين في البنية ذاتها.

والخلاصة فإن الجملة العربية بمختلف تعريفاتها قديما وحديثا تكاد تنحصر في عنصرين اثنين هما المسند والمسند إليه، وهما العمدتان اللذان يبنى عليهما أسُّ الكلام سواء كانا اسمين، أو فعلا واسما. كما إن علاقة الإسناد هي التي تربط بين الفعل وفاعلة وبين المبتدأ وخبره مع قرينة تثبته وتؤكده.

إن علاقة الإسناد هي التي تؤسس المعنى الأولي لأي تركيب إسنادي، سواء كان الإسناد تاما أو ناقصا أصليا أو غير أصلي لفظيا أو معنويا، ويتعلق ذلك بالعمدة والفضلة.

ليست الجملة العربية هي المسند والمسند إليه مجردا من اللواحق والمكملات فقط، إنما هي التي تنطلق منهما بدلالة أساسية أولية مجردة يضاف إليها ما يغير تركيبها الذي غالبا يحمل دلالات بقدر ما يطرأ من تحويلات عليها، فقد يلحقها الحذف أو الزيادة والتقديم والتأخير دون أن يغير ذلك من أساس تركيبها، لأن المسند أو المسند إليه يظلان ظاهرين أو مقدرين بحكم أن لا استغناء لأحدهما عن الآخر.

كما إن للجملة العربية أنواعا تصنف وفق المنظور الذي نقصده؛ فهي اسمية أو فعلية من منظور ابتدائها، وهي التي لها محل من الإعراب أو لا محل لها من منظور وظيفتها النحوية، وهي البسيطة أو المركبة، كما هي ذات الدلالة القطعية وذات الدلالة الاحتمالية والدلالة الباطنة والدلالة الظاهرة.

الفصـــــــل الثاني

نظرية النظم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

لا يكاد الدارس يعرف حقيقة الجدل القائم بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى حتى يفضي به البحث إلى (النظم) فيتنكّب العثرات، ويجتاز العقبات، ويبدو له الصراع محسوما لصالح الفكرة القديمة الجديدة فكرة النظم التي كانت محل درس، وغاية بحث، وتجسدت قواعدَ وتنظيراً، تفاوت جهابذة اللفظ ورواد المعاني في الإشارة إلى بعض جوانبها كلٌ من منظورٍ يراه أقرب إلى تفاصيلها وأجدى في الإفادة بها، فعمل بما أوتي من قدرة علمية ونفاذ بصيرة؛ فانتشرت أعمالهم واشتهرت أقوالهم ولما يبلغوا منها منالهم؛ من أمثال سيبويه والجاحظ والخطابي وغيرهم...وكأنما كان كل ذلك إرهاصات لظهور (نظرية للنظم) على يد الجرجاني الذي أطلق كبتها ورسم سمتها وأرسى قواعدها واستجلى فوائدها.

إن نظرية النظم المكتملة التي وضع الجرجاني أسسها وتفصيلاتها،ما كانت لتكتمل لولا عنايته بما أراد من استجلاءٍ لإعجاز القرآن، وتوضيح دلائله وتيسيرها للدارسين الذين استوجب فهمها أن يكونوا على قدر من العلم باللغة والنحو.

لقد لخّص الجرجاني نظريته في القولبأن النظم هو توخّي معاني النحو، وأن توخي معاني النحو هو المعرفة بالتركيب وطرائقه، وبالقدرة على التمييز بين المعني الذهني الذي يُبني عليه ما يُراد من الدلالات التبليغية التواصلية في تركيب يلائم المبنى وترتيب يُبِين ويفصح عن المعنى.

لقد فسر الجرجاني ما عناه من كل خطوة، وفصّل الأبواب، وخصّ كل جزئية مما قامت عليه نظريته بباب خاص، فحلّل وفصّل وفسّر ومثّل، وأثبت ودلّل، وأبان عن الفصاحة والبلاغة والجمال، وردّ ذلك كله إلى حسن النظموتوخي معاني النحو.

لم يكتف الجرجاني في كتابه 'دلائل الإعجاز' بالآيات القرآنية فحسب، وإنما عمد إلى الأشعار تحليلا وتدقيقا أيضا؛ دلّ ذلك على شمول نظريةالنظم وقدرتها على استجلاء الجمال والبلاغة من كل ما تميز نظمُه وحُبِك رسمُه، لا مقارنة بين الإعجاز القرآني والقوة البلاغية للنصوص البشرية إنما تدليلا على قدرة النظرية على ترتيب مستويات الكلام من الإعجاز إلى البلاغة.

نظرية النظم

أولا–: نظرية النظم: نشأتها وتطورها.

1–: تعريف النظم:

1–1–: النظم لغة:

جاء في معجم العين بأن النظم هو: "نظم: النظم نظمك خرزا بعضه إلبعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي تستقيم طريقته، والنظام: كل خبط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام"[1].

وجاء في لسان العرب النظم بمعنى التأليف، والجمع. "نظم: النظم: التأليف نظمه ينظمه نظاما نظمه فانتظم وتنظم، نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر نظمته، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلبعض فقد نظمته...ونظام كل أمر ملاكه، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم"[2].

وجاء في مختار الصحاح للرازي: "نظم اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب، ونظمه تنظيما مثله ومنه نظم الشعر ونظمه والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، ونظم من لؤلؤ وهي في الأصل مصدر، والنظام الاتساق"[3].

جاء في الصحاح: "نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ"[4].

---

1 – العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، ج8، ص165

2– لسان العرب، ابن منظور، م6، ج49، باب النون، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص4469.

3– مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1981، ص668.

4– الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص2041.

وجاء في المصباح المنير: "نظمت الخرز نظما من باب ضرب، وجعلته في سلك. ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد؛ أي نهج غير مختلف. ونظمت الشعر نظما"[1].

وجاء في القاموس المحيط للفيروزأبادي: "النظمالتأليف، وضمّ شيء إلى شيء آخر، والمنظوم،والجماعة من الجراد، وثلاثة كواكب من الجوزاء، والثريا، والدَّبَران. ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظّمه، ألَّفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظّم"[2].

1-2-: النظم اصطلاحا:

يعرفه الجرجاني بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها؛ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[3].

لقد تكرر مفهوم النظم في كتاب الجرجاني في أكثر من موضع وسياق ليؤكد مفهوم توخي معاني النحو في معاني الكلم. ومن ذلك قوله:

"وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه"[4].

وقوله: "...حيث تُوُخِيَ فيها النظم الذي بينا أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم"[5].

وقوله: "وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو في ما بين الكلم"[6].

---

1 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مكتبة لبنان، دط، 2009، ص234.

2 - القاموس المحيط، محمد يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي، شركة القدس للنشروالتوزيع، دط، 2009، ص1208.

3- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص76.

4- المرجع نفسه، ص81.

5 - المرجع نفسه، ص266.

6 - المرجع نفسه، ص327.

وقوله أيضا:"والنظم والترتيب في الكلام كما بينا، عمل يعمله مُؤلِّفُ الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها"[1].

وأيضا: "النظم توخي معاني النحو في معاني الكلم"[2].

ويعرفه صالح بلعيد بقوله: "هو تأليف وضمّ مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية ليكون الكلام حسنا حسب خصائص معينة هي: حسن الاختيار لأصوات الكلمة، تعليق الكلمة في ذاتها، تعليقها بما يجاورها وليس بضم الكلمات كيفما جاءت، مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقتضيه بيئة العربي، مراعاة المعنى المباشر غير المنزاح، والمعنى غير المباشر"[3].

ويقول شاكر جمعة في نظرية النظم عموما: "إنّ نظرية النظم التي يقترحها الجرجاني تفترض أن إنتاج الكلام يتم في الذهن أولا على هيئة تركيبية ما، وهي العملية التي تسبق أي عملية أخرى، وهي تتم عن طريق تصور هيئة للكلام يراد من خلاله إيصال فكرة ما، وهي – تلك الهيئة – تفترض شكلا تركيبيا معيّنا يبنى على أساس من تقديم كلمة وتأخير أخرى ليكون وقع الكلام أمضى أو على الحد الأدنى لكي تصل الفكرة كما يريدها كاتبها إلىالمتلقّي بالضبط"[4].

2-: الإرهاصات الأولى لنظرية النظم:

على الرغم من أن نظرية النظم ظهرت مكتملة في كتاب الجرجاني 'دلائل الإعجاز' فإن الحديث عن النظم واحتواء كتب من سبقوا الجرجاني لذلك كانت مقدمات وإرهاصات أفاد منها الجرجاني ليصل بها إلىدراسة لغوية وتحليلية أثمرت ميلاد نظرية النظم التي شاع ذكرها وذاع صيتها.وهو ما أقرّه الجرجاني ذاته –وإن لم يفصلوا تفصيله ويضبطوا تفاصيله ولم يبلغوا مبلغه– في كتابه 'دلائل الإعجاز'حيث قال:"وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن

1 – دلائل الإعجاز، ص264.

2 – المرجع نفسه، ص265.

3 – نظرية النظم، صالح بلعيد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2001، ص29.

4– قراءة في نظرية النظم، بيان شاكر أبو جمعة، مهند حمد شبيب، جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، آذار، 2009، ص255.

النظم وتفخيمِ قدره، والتنويهِ بذكره وإجماعهم أنْ لا فَضْلَ مع عَدَمه، ولا قَدْرَ لكلامٍ إذا هو لم يستَقِيمْ له، ولو بَلَغ في غرابةِ معناه ما بلغ،وبَتَّهم الحكم الذي لا تمام دونه، ولا قوامَ إلاَّ به"[1].

2-1: النظم قبل الجرجاني:

من أشهر اللغويين الذين أشاروا إلىالنظم قبل الجرجاني:

2-1-أ: سيبويه (ت180هـ):

لقد ظهر النظم أول ما ظهر على شكل إشارات بلاغية متناثرة في كتاب، سيبويه لم يذكرها كقوانين ومصطلحات عرفناها بعده إلا أن نظرية النظم كما اكتملت مع عبد القاهر الجرجاني أو كادت ساهم فيها سيبويه بقصد وافر، بما ذكره من موضوعات تدخل في صلب ما عرف فيما بعد بعلم المعاني، من حذف وزيادة، وذكر وإضمار، وتقديم وتأخير، واستفهام، وقصر، وفصل ووصل...إلخ.

وجاء في الكتاب قوله: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة. فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأمّا المحال فأن تَنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه.وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا.وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[2].

"فنلحظ أن سيبويه يقيم مدار الكلام على تأليف العبارة، وما فيها من حسن أو قبح، ويعد وضع الألفاظ في غير موضعها دليلا على قبح النظم وفساده، فقولك: زيدا وكي زيدا يأتيك يمثل قبحا للكلام وفسادا للنظم... وقد كان اهتمام سيبويه بنظم الكلام وتنسيق العبارات واضحا في أبواب كتابه، منها: اهتمامه بالحروف وأثرها في صحة النظم أو فساده، وتقديم المسؤول عنه بعد أداة الاستفهام، وإخبار النكرة عن النكرة.

1- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص76.

2- الكتاب.سيبويه، ج1، ص25-26.

وحديثه عن مفهوم النظم يأتي لمراعاة أحوال النحو، فهو يرى أن لكل استعمال معناه، وأن تغيير الاستعمال لابد أن ينشأ عنه تغيير المعنى، وهو لا يبعد في ذلك عن معنى النظم وإن لم يسمه باسمه؛ لأن الجملة لها دلالة ذاتية أو موضوعية أو حدثية، كما أن الجملة بتراكيبها المتنوعة الأوضاع والمفاهيم يتميز كل لون من ألوانها بقصد يتعين من خلال العلاقات المترابطة من التحام الكلمات"[1].

2-1-ب-: بشر بن المعتمر(ت210هـ):

وقد ذكر الجاحظ صحيفة بشر ابن المعتمر التي ورد فيها شيء عن النظم: "فان كانت المنزلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوَّل نظَرك وفي أول تكلُّفك، وتجد اللفظةَ لم تقع موقعَها ولم تَصِر إلى قرارها وإلى حقّها من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تحل في مركزها، وفي نصابها، ولم تتَّصل بشكلها، وكانت قلقةً في مكانها، نافرةً من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها"[2].

2-1-ج-: كلثوم بن عمرو العتابي (ت220هـ):

جاء في الصناعتين لأبي هلال العسكري نصّا للعتابي متحدثا فيه عن النظم وأهميته ومما يقول فيه: "الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدّماً أفسدت الصورة وغيّرت المعنى؛ كما لو حُوِّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحِلية"[3].

2-1-د: الجاحظ(ت255هـ):

فقد كان له كتاب بعنوان "نظم القرآن" بيْد أنه فُقد، وتحدث عنه في مطلع كتابه "الحيوان" قائلا: "... كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع

1- مراحل تطور نظرية النظم، "من سيبويه إلى الجرجاني"، حسين عبد الله الموسوي، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع20،م5، أكتوبر ديسمبر، 2018، ص89.

2 - البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، م1، ج1، ص100.

3 - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط1، 1952، ج1، ص161.

تركيبه"[1]. وجاء في رسالة الجاحظ ردّا على أحمد بن أبي داؤد: "أتاني كتابُك تذكر أنّك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن"[2].

وممّا قاله الباقلاني في إعجاز القرآن عن هذا الكتاب:"وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى"[3].

2-1-هـ: أبو هلال العسكري(ت395هـ):

فقد خصص في كتابه "الصناعتين" بابا عنونه بـ"في البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك". وقدم له بالحديث عن أنواع الكلام المنظوم قائلا: "أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب... وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمّكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يُعَمّى المعنى؛ وتضّم كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلىلِفْقِهاَ"[4].

2-1-و: ابن قتيبة الدينوري (ت275هـ):

عقد فصلا في كتابه 'تأويل مشكل القرآن' متحدثا عن النظم وعنونه بـ: "باب تأويل الحروف التي ادّعي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم"[5].

وقد ذكر لفظ النظم عنده في أكثر من موضع منها قوله: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا(ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بأفهام

1- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1965، ج1، ص9.

2 - جدل التنزيل مع كتاب خلق القرآن للجاحظ، رشيد الخيّون، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، ط1، 2000، ص161.

3 - إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر،دار المعارف، مصر، ج1،ص6.

4- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، ص161.

5- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2007، ص182.

كليلة، وأبصار عليلة، ونظرٍ مدخول، فحرَّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سُبُلِه. ثمّ قَضوا عليه بالتناقُضِ، والاستحالة، واللّحن، وفسادِ النَّظمِ، والاختلاف"[1].

2-1-ز: أبو العباس محمد ين يزيد المبرد (286هـ):

جاء في حديثه عن البلاغة: "حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام، وحسن النظم؛ حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرِّب بها البعيد، ويحذف منها الفضول"[2].

2-1-ح: ابن جرير الطبري (ت310هـ):

وقد ورد في خواتم تفسير سورة الفاتحة قوله: "ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابُنا سائر الكتب قبله، نظمه العجيب ورصفه الغريب وتأليفه البديع؛ الذي عجزت عن نظم مثلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشعراء، وتلبَّدت —قصوراً أن تأتي بمثله— لديه أفهام الفُهماء، فلم يجدوا إلاّ التسليمَ والإقرارَ بأنه من عند الواحد القهار"[3].

ولم يقتصر النظم دراسة أو إشارة على الذين ذكروا من البلاغيين والنحاة والمفسرين وإنما تحدث المتحدثون في ما ترويه الكتب أن هناك من سبقوا إليه كابن المقفع(ت 142هـ) الذي عُدّ قوله في كتابه 'الأدب الصغير' إشارة إلى النظم وإن لم يقصده لذاته حيث قال:"فإذا خرجَ الناسُ من أن يكونَ لهم عملٌ أصيلٌ وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلمِ الواصفونَ المخبرون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً، فنظمه قلائد وسموطاوأكاليل، ووضع كل فص موضعهُ، وجمعَ إلى كل لونٍ شبهه وما يزيدهُ بذلك حسناً، فسمي بذلك صانعاً رفيقاً"[4].

1- المرجع السابق، ص23.

2 - البلاغة، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، ط2، 1985، ص81.

3 - تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994، ج1، ص81-82.

4- الأدب الصغير،عبد الله ابن المقفع، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، ط1، دت، ص22.

وروي أن محمد بن يزيد الواسطي (ت306هـ) كان له كتاب 'إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه'، تناول فيه مفهوم النظم وإعجاز القرآن، ورُوي أن الجرجاني قد شرحه شرحا موسعا وأخرا موجزا، والكتاب والشرحان الموسومان بـ'الإعجاز الكبير' و'الإعجاز الصغير' تظل في حكم المفقود، كما هو الحال لكتاب 'نظم القرآن' لأبي الحسن الطوسي (ت308هـ)الذي يوحي عنوانه بالحديث عن نظم القرآن.

كل ذلك يشير بما لا يدع مجالا للشك أن نظرية النظم للجرجاني لم تكن إلا ثمرة نبتة تعددت جذورها، وضربت بجرانها في خصب الدرس اللغوي، وأن جهابذة اللغة ورواد المعاني قد أسهموا في إنشائها كلٌّ بما أتيح له، وما اقتدر عليه، فقعَّد لها بعضهم واعتمدها بعضهم –وإن اختلفت مفاهيم النظم لدى بعضهم– ولا يعني ذلك بأي وجه من الوجوه أن تكون (النظرية واستجلاء الإعجاز) لغير عبد القاهر بما وسمها من تقنين وتحديد وتفصيل وأحاطها بغلالة من عبقريته جعلها في مصاف النظريات الكبرى لم يتناولها اللسانيون المحدثون في الغرب إلا متأخرين ولا عجب إن أخذ بعضهم منها.

3– الجرجاني وقضية اللفظ والمعنى:

قضية اللفظ والمعنى قضية مغرقة في القدم، وكان للعلماء آراء عديدة حولها كالجاحظ وابن قتيبة وغيرهما،إلا أن الجرجاني كانت له آراء خاصة به "...إلا أن عبد القاهر كانت له آراؤه الخاصة به التي ترفض الفصل بين اللفظ والمعنى لما بينهما من شدة الالتحام"[1].

تعدّ قضية اللفظ والمعنى وأيهما مكمن المزيّة من أكثر القضايا حضورا في النقد العربي قديمه وحديثه، ومع ذلك لم يستقر النقاد الأقدمون ولا المحدثون على رأي واحد فيها على الرغم من احتدام الحوار حولها.

وتحديد صاحب الكلمة الأولى التي أثارت هذا الجدل حول قضية اللفظ والمعنى يعد أمرا عسيرا، ولكنك تجدها: "في شكل ملاحظات عابرة في صحيفة بشر بن المعتمر (ت210هـ)، ثم أثارها الجاحظ في (البيان والتبيين)، وتبعه ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابة

1– نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني،وليد محمد مراد، دار الفكر دمشق ط1، 1983، ص111.

(الشعر والشعراء)، ثم إسحاق بن وهب(ت355)، وابن سينا الخفاجي (ت466هـ) في سر الفصاحة"[1].

لم يكن عبد القاهر الجرجاني بديع أفكاره، ذلك أنه لم ينشئ أفكاره من عدم؛ "لكنه استطاع أن يطور انجازات البلاغيين السابقين على مدى قرنين إلى نظرية متكاملة للنظم تقوم على تأكيد شبكة لعلاقات بين المعاملات اللغوية أفقيا ورأسيا"[2].

إن ما أثارته قضية اللفظ والمعنى من جدل فتح الباب واسعا للخوض في مجال النحو والبلاغة والدلالة، فجعل أهل اللغة ينبرون لاستنباط ما يدعم مذاهبهم من حجج ودلائل، فمثلوا لذلك واستشهدوا بكل ما تمكنوا منه من أشعار العرب وأقوالهم، وكان للقرآن الكريم فيه أقوى الحجج التي فتّحت الآراء على أفكار لم تكن موجودة، ولعل الجرجاني كان أصوبهم تحليلا وأدقهم تأويلا حتى توصل إلى نظريته وهو يثبت الإعجاز القرآني في لغته، واهتدى إلى نظريته التي تعد فتحا جديدا في عالم اللغة والنحو والبلاغة والفكر النقدي والمنهج التحليلي اللغوي عموما.

أي أن الجرجاني يرى أنه لا يمكن البتة الفصل بين اللفظ والمعنى وأن المزية لا تكون للّفظ وحده أو للمعنى وحده بل بكليهما، فهو يرى أن الكلام ضربين وذلك من خلال قوله "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ...وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[3].

أي أن المعنى المراد الوصول إليه منوط باللفظ، وهذا الأخير هو الذي يكشف لنا عن الغرض من الكلام، ويقر عبد القاهر أنه لا يمكن للفظة وحدها أداء المعنى، بل يعود ذلك إلى حسن النظم والسّبك الذي يفضى بنا إلى فصاحة اللفظة، فقد تتغير اللفظة الواحدة حسب استخدامها في أنواع أو ضروب الكلام وذلك من خلال قوله: "نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة

1- الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني،محمد عباس، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، دط، 1999، ص56.

2 – المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، 2001، ص198.

3- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص199

قليل ولا كثير". وقوله:"هذا فن من الاستدلال لطيف على بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ"[1].

بمعنى لا يمكن الحكم على فصاحة اللفظة مفردة دون استخدامها بل يعود الحكم على فصاحتها إلى السياق الذي وردت فيه.

كما نوّه الجرجاني إلى أن فصاحة اللفظ ناتجة عن الظواهر البيانية وذلك من خلال عدولها في الجملة واستعمالاتها المجازية،ففي قوله: "وهو أن القارئ إذا قرأ قوله تعالى:(واشتعل الرأس شيبا)[مريم:4] فانه لا يجد الفصاحة إلا بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره، فلو كانت الفصاحة صفة للفظ 'اشتعل'،لكان ينبغي أن يحسها القارئ في حال نطقه به"[2].

ويضيف في موضع آخر" ترى كافتهم لا ينكرون أن اللفظ المستعار إذا كان فصيحا كانت فصاحته تلك من أجل استعارته"[3].

أي أن الظواهر البيانية من استعارة ومجاز وتشبيه وغيره،لا يمكن تمثلها إلا بواسطة النظم، وحسن السبك في قوله كذلك "لا يجهل المزية فيه إلا عديم الحس،ميت النفس،وإلا من لا يكلم لأنه من مبادئ المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى"[4].

كما رفض عبد القاهر الجرجاني أقوال بعض العلماء الذين نادوا بفصاحة اللفظ المفرد ورد عليهم قائلا: "فينبغي أن يقال لهؤلاء الذين اعترضوا علينا في قولنا:'إن الفصاحة وصف يجب للكلام من أجل مزية تكون في معناه، وإنها لا تكون وصفا له من حيث اللفظ مجردا عن المعنى..."'[5].

كما أنه عدّ من نادي بفصاحة اللفظ أنه ضرب من الجهالة وذلك في قوله :"وان قالوا: نرى للكلام إذا كانت فيه مزية توجب له الفصاحة. قيل لهم: "فأخبرونا عن تلك المزية، أتكون في اللفظ أم في المعنى؟ فان قالوا: في اللفظ دخلوا في الجهالة"[6].

1- المرجع السابق،ص261.

2 - المرجع نفسه، ص296.

3 - المرجع نفسه، ص297.

4 - المرجع نفسه، ص312.

5 - المرجع نفسه، ص319-320.

6 - المرجع نفسه، ص320.

وكذلك من خلال قوله: "لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، أو تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة،لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا، وإذا بطل أن تكون محسوسة،وجب الحكم ضرورة بأنها صفة معقولة،وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإنا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس، إلا دلالته على معناه، وإذا كان ذلك لزم منه العلم بأن وصفنا اللفظ بالفصاحة، وصف له من جهة معناه، لا من جهة نفسه"[1].

ويظهر ذلك أيضا من خلال قوله: "يعلم كل عاقل أنه لا يكنى باللفظ على اللفظ، وإنما يكنى بالمعنى على المعنى، وكذلك يعلم أنه لا يستعار اللفظ مجردا عن المعنى،ولكن يستعار المعنى، ثم اللفظ يكون تبع المعنى"[2].

"فالألفاظ عند عبد القاهر رموز للمعاني المفردة، وهي أوعية لها تتبعها في مواضعها في السياق، والمعاني هي الأصل،لأن الألفاظ سمات للمعاني وخادمة لها وضعت لتدل عليها"[3].

لا ريب في أن الجرجاني أقر للفظ فصاحته في المعنى مع غيره، وأقر للمعنى الفصاحة التي تتعدى إلى اللفظ به، وجادل في ذلك من وصفهم بالجهالة ممن يصفون اللفظ مجردا عن نظمه مع غيره بالفصاحة.

3-1- المعاني هي الأصل في التعبير عند الجرجاني:

يرى الجرجاني أن مرد الجمال وحسن التعبير يرجع إلى المعاني التي تقوم على اللفظ وحسن اختياره وإعمال قوانين النظم فيه بتركيبه الذي يفضي إلى حسن التصوير، مشيرا إلى أن أي تغيير في الفكرة يقتضي تبديلا في الكلام، وأن أي تبديل في الكلمات ينتج عنه تبديل في المعنى، فمن أراد ذلك عمد إلى وضع الألفاظ مواضعَها بما يلائم المعنى المراد، وبذلك يكون اللطف والطلاوة؛ كما إنه يمكن تحويل الكلام في معناه من صورة إلى أخرى من دون تغيير لفظه، فيتيح ذلك تأويلا وتفسيرا إضافيا، ولعله يعني ذلك حين قال: "واعلم

1 - المرجع السابق ، ص 295.

2- المرجع نفسه، ص 320.

3- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني وليد محمد مراد، ص 121.

أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيها ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئا، أو تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر،وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير،وهو على ذاك الطريق المزية الذي ورط كثيرا من الناس في الهلكة، وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة إلى هذا العلم، وينكشف معه عوار الجاهل به"[1].

كما يشير إلى فكرة ترتيب المعاني في النفس وذلك للعلاقة القائمة بين الفكر واللغة فيقول: "النظم موجود في الألفاظ على كل حال؛ ولا سبيل إلى أن يعقل الترتيب الذي تزعمه في المعاني ما لم تنظم الألفاظ،ولم ترتبها على الوجه الخاص"[2].

وترتيب المعاني في النفس يستوجب ترتيب الألفاظ، وتوخي معاني النحو والعلاقات بينها، لضمان تفادي اللبس بين دلالة الجملة دلالة قطعية ودلالتها دلالة احتمالية.

3-2- الصياغة عند الجرجاني:

لم يكن الجرجاني من أنصار اللفظ كما لم يكن من أنصار المعاني كما كان غيره، وإنما كان يدعو إلى الصياغة التي تضمن للألفاظ توظيفا صحيحا سليما، وللمعاني ظهورا واضحا بليغا، فيكون لهذا وذاك أثر في نفس المتلقي من حسن التصوير ودقة السبك وقوة المعنى؛ فهو يقول: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما،وأنك تتوخى الترتيب في المعاني،وتعْمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقَفَوْت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ،بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خَدَمٌ للمعاني،وتابعةٌ لها، ولاحقةٌ بها وأن العلمَ بمواقع المعاني في النفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدالَّة عليها في النُطق"[3].

1- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 274.

2- المرجع نفسه، ص 55.

3 - المرجع نفسه، ص 57.

لا يرى الجرجاني أن الفكرة تكمن في الألفاظ لأن المؤلف يُفكر في المعنى وليس للألفاظ إلا أن تتبع المعاني وليس العكس. وليتحقق ذلك لابد من الصياغة السليمة التي تكفل سلامة المعنى وجمال السبك.

فهو إذًا من أنصار الصياغة، أو هو رائدُ مدرسة الصياغة على الأقل في التراث اللغوي العربي إن لم يتعدَّ إلى المحدثين.

4- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

ذهب الجرجاني في نظرية النظم مذهبا بعيدا اختلف فيه مع سابقيه ممن أدلوا بدلائهم في البلاغة والنحو والدلالة وغيرها، وأعزى الفصاحة وحسن البيان إلى النظم، وعدّ "مناط النظم هو مناط الفكر والتأمل والصنعة وهو المعاني لا الألفاظ؛ وأن الألفاظ ما هي إلاّ تابعة في نظمها وترتيبها وتأليفها وتركيبها لمعانيها، وكان ذلك النظم الواقع أولا في المغاني المكنونة المنسوقة في الصدور، فإن يعمد إلى بيان هذا النظم وعياره"[1] وهو الذي أجمع العلماء على أنه "لا فضل مع عدمه، ولا قدر للكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه (أي أغراضه ومواده الأولية) ما بلغ، وبأنه الحكم الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال"[2].

وهذا يجعله جديرا بأن يُعنى بكشف جوهره وحقيقته وهويته، وأن يردد هذا ويكرر، ويصرف البيان المصور له، وذلك ما كان من الإمام عبد القاهر. عمد إلى تحرير مفهوم النظم تقريره بأنه "ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[3].

فالجرجاني يبيّن أن النظم إنْ هو إلا الالتزام بما يستلزمه علم النحو، واتباع القواعد التي دأب المتكلم والسامع على اعتمادها قياسا لصحة التركيب المؤدي للمعنى المستساغ والدقيق

1 – نظرية النظم وقراءة الشعر، محمود توفيق محمد سعد، مكتبتنا، جامعة الأزهر الشريف، دط، دت، ص60.

2- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص76

3- محمود توفيق محمد سعد، نظرية النظم وقراءة الشعر، ص61.

المفهوم الموافق لنهج كل لغة. كما شدّد الجرجاني على المعرفة بقوانين النحو وأصوله، وعلى حفظ رسومه تنكّبا للإخلال بشيء منها فيخرج القول عن المراد أو يسقط دونه.

4-1- فكرة النظم وعلاقتها بالقرآن:

انشغل علماء اللغة باللغة وخصائصها لفهم نصوص القرآن الكريم والحفاظ على سلامة قراءته ومعانيه مما قد يعتريه من لحن يتسبب في خطأ التأويل، فاعتنوا: "بقضية استنتاج المعنى من أعظم نص معجز للحصول على البواطن المستورة ليصلوا إلى حقيقة فهم النص ومن جملة ذلك موضوع تعيين المعنى ودور السياق وأهمية فهم نظام اللغة من خلال فهم النص وتعدد المعنى وأنواعه، وكما كان الجرجاني أشعريا والأشاعرة يقولون: إن الكلام نوعان: نفسي ولفظي والكلام النفسي بالنسبة إلى الله هو القديم، ومن أجل ذلك فقد استهدف عبد القاهر في نظريته في النظم بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي، وأما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي"[1].

"ونظرية النظم في اللغة طرحت بشكل أساسي في سياق معالجة الشيخ عبد القاهر لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وبذلك توصل الجرجاني إلى تفسير لعملية إنتاج الكلام ثم بنى عليها رأيه في خصوصية الكلام وتقريره"[2].

ثانيا: نظرية النظم وأصولها.

قبل الولوج في عمق نظرية النظم وتبيان مكوناتها لا نجد بدا من أن نعرف بالنظرية وبصاحبها وبمبادئها.

1 – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص317.
2- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب،بيروت، ط1، 1973، ص27.

1- تعريف بصاحب النظرية وبكتابه (دلائل الإعجاز):

1-1- تعريف بـ عبد القاهر الجرجاني:

"هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ينسب إلى إقليم جرجان، وهو بين طبرستان وخرسان، يقع جنوب شرقي بحر قزوين، لم يعرف التاريخ مولده، ولعله في مطلع القرن الهجري الخامس، أو قبيل ذلك، قال عنه من ترجموا له إنه من أئمة اللغة وإنه واضع لأصول البلاغة. أخذ علوم النحو عن أبي الحسن محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي إمام النحو الكبير.

كان حجة في اللغة، صنف التصانيف شرحا وإيضاحا لكتب أساتذته وسابقيه. ككتاب "المغني في شرح الإيضاح في النحو" لأستاذه أبي علي الفارسي. بلغ به إلى أن كان ثلاثين جزءا... واختصره في ثلاثة أسفار، وله كتاب "العمدة في تصريف الأفعال" وكتاب "العوامل المائة" وكتاب "المفتاح" وتفسير ضخم لسورة الفاتحة في مجلد.

له في البلاغة ثلاثة كتب عجيبة: "إعجاز القرآن" "أسرار البلاغة" في علم البيان، وكتابنا هذا "دلائل الإعجاز" في علم المعاني.

توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، وقيل سنة أربع وسبعين وأربع مائة. رحمه الله تعالى.

له ترجمة في "سير أعلام النبلاء" و"طبقات الشافعية"، و"فوات الوفيات" و"الأعلام" للزركلي"[1].

خاض الجرجاني كغيره من العلماء جدلا فكريا وعلميا سيما والجدل بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى كانت على أشدها ولم تحسم لصالح طرف منهما، الأمر الذي حدا به إلى تأليف كتابه عن الإعجاز القرآني مدلّلا لذلك، مستشهدا لما يزعم مقنعا لغيره مفحما لخصوم فكرته؛ فكان كتابه 'دلائل الإعجاز' حاويا لأكثر مما هدف إليه. وظل الكتاب معينا لطلبة العلم والفقهاء والمفسرين، كما ظل منهلا للشعراء والكتاب يستقون منه ما يرونه نافعا للنظم

1-دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص9.

والكتابة، ونافعا للتفسير والتحليل، وعدّه بعض المعاصرين منهجا نقديا ودرسا لسانيا من التراث لم يسبقه إليه أحد.

1-2- تعريف بـكتاب دلائل الإعجاز:

كما يدل عليه عنوانه فإن الكتاب 'دلائل الإعجاز' يحمل ما أمكن للجرجاني جمعه واستنتاجه في "الرد على من يزعم أن إعجاز القرآن الكريم نابع من الألفاظ،ورفض اعتبار الإعجاز بسبب المفردات والمعاني أو جريانها على الألسن، كما رفض إرجاع الإعجاز إلى الاستعارات أو المعجزات أو الفواصل أو حتى الإعجاز، ولكنه اعتبر أن سبب إعجاز القرآن الكريم هو حسن النظم.

ولا تهتم نظرية النظم لمعاني الكلمات المفردة إذا لم تنتظم في سياق تركيبي معين، وترى هذه النظرية أن الدلالة المعجمية معروفة لدى معظم أهل اللغة، ولكن مستخدم اللغة يسعى إلى دلالة اللفظ التي تكتسبها خلال نظمها وفقا لسياق تركيب اللفظ يتبع التركيب النحوي الذي تنتظم به، وكذلك المواضع المختلفة اللّفظ في اللفظ في السياقات الناتجة من أصل سياقي واحد.

ثالثا- نظرية النظم مبادئها ومكوناتها:

1- نظرية النظم.

يرجع تأسيس نظرية النظم إلى عبد القاهر الجرجاني،"وترتكز فكرة نظريته على أسس معنية بالألفاظ والتراكيب، ويقصد بالنظم توخي معاني الكلم وفقا للأغراض التي يصاغ منها الكلام، وبالتالي فإن معاني النحو هي التي تتابع بالفكر"[1].

ولا يقتصر النظم على تتابع النطق بالألفاظ فلو كان هذا هدفه لاستوى الجميع في حسن النظم وسوئه، إلاّ أنه يقصد به أيضا تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على

1 - ينظر،فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من العلماء، محمد بن سعد الدبل (21_ 04- 2013) www.alukah.net، اطلع عليه بتاريخ 25-09-2018

الوجه الذي يقتضيه العقل، وبالتالي فإن النظم يُعنى بالمعاني وليس الألفاظ، فالألفاظ هي التي تتبع المعاني"[1].

عرف بعضهم النظم قبل الجرجاني، لكنهم لم يولوه العناية التي أولاها له الجرجاني، فقد كان دقيقا في تحديد مفهوم النظم الذي نأى به عن معناه المعجمي إلى مفهومه اللساني؛ فالنظم عنده ليس نظم الحروف في الكلمات، وليس نظم الألفاظ في الجمل، لأن ذلك لا يغير من المعنى، ولا يؤثر فيه قوة أو ضعفا، إنما النظم يكمن في تناسق دلالات الألفاظ ووضعها حيث يجب أن توضع، وفي ترتيب المعاني مع صياغة دقيقة تتبع قواعد التركيب النحوي وتتوخى معانيه.

2- مبادئ نظرية النظم:

"استفاد عبد القاهر من طبيعة الصراع القائم بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وتكونت لديه ثقافة نقدية واسعة حول حساسية الموضوع، مما حفزه إلى التفكير في مسألة النظم ليفك الخلاف، ويبتدع مقياسا جديدا لمعرفة مواطن الجمال في النص الأدبي، وفي تقويم أثره في نفس السّامع ودواعي المزيّة التي تميز مبدعا من مبدع آخر"[2].

ولعل ذلك كان المحفز الأكبر والدافع الأقوى للتفكير في ما يكون صائبا سويا يعطي اللفظ مكانه والمعنى قيمته وما مكنه من وضع معايير دقيقة لكل منهما ليخلص في النهاية إلى النظم معيارا نقديا وأساسا إبداعيا يعتمد موهبة البيان وجمالية الصياغة.

"وهكذا صهر الجرجاني المقولتين النقديتين اللتين كانتا تتصارعان من قبله، مقولة أنصار اللفظ، ومقولة أنصار المعنى. فاللفظة في نظره لا يدرك جمالها، إلا حسب موقعها بالنسبة لما يسبقها ولما يليها في نطاق نظام معين وتركيب مخصوص، والمعنى لا يدرك إلا في

1 - ينظر،نظرية النظم عند الجرجاني وعلاقتها بمفهوم البنية في النقد الحديث"،www.alukah.netعماد محمود علي أبو رحمة، (20-12-2011)، اطلع عليه بتاريخ 25-09-2018.

2 - الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القادر الجرجاني، محمد عباس، 1999، ص57.

نطاق ذلك النظام. فالنظم هو مصدر الجمال، وفيه تتجلّى القدرات التعبيرية والتأثيرية للغة، والأفضل للكلمة خارج النظم"[1].

وأفرغ عبد القاهر في كتابه "دلائل الإعجاز" جهده وكل ما أوتي من قدرة على الحجاج، وقوة في الأسلوب، ليثبت أن الشأن في الكلام للنظم لا للألفاظ المفردة، وأن النظم ليس إلاّ توخي معاني النحو، بأن نضع كل كلمة في المكان الذي يتطلبها، والسياق الذي يقتضيها، وليس النظم أمرًا يخص اللفظ وحده، ولا هو يخص المعنى وحده، وإنما هو ترتيب المعاني في النفس أولا ثم ترتيب الألفاظ بعد ذلك في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس، فالنظم لا بد له من اللفظ والمعنى[2].

وهو بذلك يقر أن الشأن كله للنظم وهو ترتيب المعاني في النفس، ثم للألفاظ بما يستدعيه من تقديم وتأخير وحذف مع التفريق في مؤدَّى الألفاظ للمعاني.فأسبقية المعاني على الألفاظ هي التي كانت أساس نظرية النظم وما الألفاظ إلا خدم للمعاني: "هل كانت الألفاظ إلاّ من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها؟ أو ليست إلا سمات لها؟ وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني أن تتقدمها في تصور النفس؟ إن جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء وقبل إن كانت"[3].

وهذا يعني أن المعاني تابعة للألفاظ وواعية لها، ويوضح ذلك الجرجاني في قوله: "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن"[4].

---

1 – موقف عبد القاهر الجرجاني من الاستعارة، توفيق حمدي، ضمن أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، جامعة سفاقس، تونس، 1998، ص79.

2– البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص133.

3– دلائل الإعجاز، الجرجاني، 302–303.

4 – المرجع نفسه، ص56.

فالمعنى سابق للفظ، والمسميات سابقة على الأسماء فلا يمكن المواضعة والاصطلاح على شيء أن يتصور إلا لما هو معلوم، "فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأن المواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت: خذ ذاك، لم تكن هذه الإشارة لتعرّف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتبصرها، كذلك حكم اللفظ على وضع له، ومن هذا الذي يشك أنّا لم نعرف الرجل والفرس والضرب والقتل إلاّ من أساميها؟ لو كان لذلك مساغ في العقل لكان ينبغي إذ قيل زيد، أن تعرف المسمّى بهذا الاسم من غير أن تكون قد شاهدته، أو ذكر لك بصفة"[1].

وفي هذا يشير الجرجاني إلى فكرة قد تكون الأساس في كل عملية وهي العقل، فهو لا يرى معنى ولا لفظا يمكن أن يكون خارج العقل فلا تصور للفظ بلا مدلول، وكأنه سبق إلى ثنائية دوسوسير 'الدال والمدلول' فهو يؤكد أن الدال لا يعني شيئا إن لم يكن لمدلوله وجود، فتصور زيد في مثاله لا يكفي لمعرفة زيد ما لم يكن عُرف أو شوهد أو سمع عنه، وليس أدل على صحة ذلك من سماع لفظ أعجمي لشيء بذاته فسيظل اللفظ صوتا لا معنى له ولا مدلول، لأن ما يرمز إليه لم يعلم من قبل لا حقيقة ولا تصورا. وكل ذلك يصب في ماجن أوحد وهو ضرورة أن تتبع الألفاظُ المعنى، وأن تصطف وراءها، وتكون خدما لها، وأنها تختار باختيار المعاني وترتّب بترتيبها وفق ما يقتضيه النظم لبلوغ المعنى الشريف باللفظ الشريف كما يقول أهل البلاغة. على أن كل ذلك لن يكون إلا بمقياس العقل كون العملية اللغوية عملية عقلية بامتياز.

3- مكونات نظرية النظم:

يعرّف الجرجاني النظم بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[2].

1 - المرجع السابق، ص393.

2 - المرجع نفسه،ص76.

كما إن النظم هو النظر في الوجوه التي يراها الناظم في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر وفي الشرط والجزاء وفي الحال وفي الحروف وفي الجمل والفصل فيها والوصل "فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجئ به حيث ينبغي له"[1].

كما ينظر في الحروف وفي الجمل التي تسرد "ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإضمار الإظهار، فيصيب من كل ذلك مكانه"[2].

ويقوم النظم على ما يعتري الألفاظ من وضع، وما يعتري الترتيب مما ذُكر تقديم وتأخير وحذف وإضمار...الخ.

ومن أبرز مكونات نظرية النظم:

3-1- التقديم والتأخير:ويكون التقديم على وجهين:

3-1- أ: تقديم على نية التأخير: "وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: (منطلق زيد) و(ضرب عمرا زيدٌ) معلوم أن (منطلق) و(عمرا) لم يخرج بالتقديم عمّا كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرّت"[3].

3-1- ب:تقديم لا على نية التأخير: وهو" أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ومثل ما تصنعه بـ(زيد) و(المنطلق) حيث تقول مرة: (زيد المنطلق) وأخرى (المنطلق زيد)"[4].

إن التقديم على نية التأخير تقديمٌ لمتأخر مع حفظ بابه ومرتبته وإعرابه وهو تقديم يقتضيه النظم للتخفيف أو التدقيق، كما يحدث في الجمل الاسمية التي مبتدأها نكرة وخبرها شبه جملة فإن تقديم الخبر على المبتدأ لا يفقده الخبرية ولا إعرابه؛أما التقديم لا على نية

1 - المرجع السابق، ص77.

2 - المرجع نفسه، ص77.

3 - المرجع نفسه، 94.

4 - المرجع نفسه، ص94.

التأخير فهو ما يقتضيه النظم من تحويل لموضع الكلمة وإعرابها بقصد تدقيق أو إبرازٍ كأن نقدم فاعلا على فعله فيصير بذلك مبتدأ بعد أن كان فاعلا.

وقد استهان الجرجاني بمن ظن أن التقديم والتأخير إنْ هو إلا ضرب من التكلف حيث قال: "وقد وقع في ظنون الناس (إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم) من غير أن يذكر، من أين تلك العناية؟ وبما كان أهمَّ؟ ولتخيُّلهم ذلك، قد صغُر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهوّنوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبُّعه والنظر فيه ضربا من التكلف. ولم ترَ ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"[1].

وقد يتقدم المتأخر وجوبا عند الاستفهام بالهمز فقولنا: أرأيت الهلال؟ كان الشك في الفعل والتساؤل عنه ولكنك لو قلت أأنت رأيت الهلال؟ كان الشك في الفاعل، ونبدأ في ذلك بالاسم الذي كان يجب أن يعقب الفعل. "فهذا من الفرق لا يدفعه دافع، ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر"[2].

3-1-ج: التقديم في النفي:

قد يتقدم المتأخر في النفي، فإنك: "إذا قلت: (ما فَعلْتُ)، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول،وإذا قلت: (ما أنَا فَعلتُ)، كنت نفيتَ عنك فِعْلاً ثَبتَ أنّه مفعول"[3].

ومثال ذلك قول المتنبي: (من السريع)

"وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا"[4].

فالسقم ثابت ولا يعني النفي نفيه، لكن قصد به جالبه فالشاعر ثبت السقم ووجوده ونفى أن يكون هو من أتى به.

3-1- د: التقديم في الخبر المثبت:

يقول الجرجاني في التقديم للخبر المثبت: "فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه فقلت: (زيدٌ قد فعل)، و(أنا فعلت)، و(أنت

1 - المرجع السابق، ص95.

2 - المرجع نفسه، ص97.

3 - المرجع نفسه، ص105.

4 -العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر، دط،1981، ص243.

فعلت)، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين:

أحدهما: جلي لا يُشكل، وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد أخر، أو دون كل أحد، ومثال ذلك أن تقول: (أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه)، تريد أن تدعي الإنفراد بذلك،... والقسم الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا –ومن قبل أن تذكر الفعل– في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشّبهة، وتمنعه من الإنكار...ومثاله قولك: (هو يعطي الجزيل)، و(هو يحب الثناء)،...تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه"[1].

ويلحظ في تقديم الخبر المثبت إثبات الفعل للفاعل ولكن المعنى في قصد ذلك يأتي إما زعما بإنفراد الفاعل بالفعل دون غيره، أو توكيد الفعل للفاعل ورفع الشك عنه فلا يترك مجالا لشبهة أو لإنكار عليه من دون أن ينفي الفعل على غير الفاعل."والقصد كله تنبيه السامع من التقديم، فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: (زيدٌ ضربته) فلزمته الهاء وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه موضع 'منطلق' إذا قلت:(عبد الله منطلق) فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به فإنما قلت: عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعه بالابتداء"[2].

3–1– هـ: التقديم والتأخير في الاستفهام والخبر:

يقول الجرجاني: "لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر. وذاك أن الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك . فإذا كان كذلك، كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام؛ فيكون المعنى إذا قلت: (أزيد قام؟) غيره إذا قلت: (أقام زيد؟)، ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر، فيكون قولك: (زيد قام)، و(قام زيد) سواء، ذاك لأنه يؤدي إلى أن

1 – دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص108.

2 – الكتاب، سيبويه، ص81.

تستعمله أمرا لا سبيل فيه إلى جواب، وأن تستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبته لك بها على ذلك الوجه"[1].

إن التقديم والتأخير في الاستخبار أو الاستفهام بالهمزة لا يغير من المعنى الاستفهامي شيئا لأن الجواب لن يكون إلا بنعم أو بلا في الحالتين على الرغم من أن الاستفهام على الفاعل أو على الفعل ظاهر.

3-1- و: تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام.

"إذا قلت: (أجاءك رجل؟)، فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيءٌ من أحد من الرجال إليه، فإذا قدمت الاسم فقلت: (أرجل جاءك؟)، فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أمْ امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الأتي، فسبيلك في ذلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت: (أزيد جاءك أم عمر؟)"[2].

يشير الجرجاني هنا أنه لا يجوز تقديم الاسم النكرة على فعله إذا لم يكن المقصود الاستخبار على جنسه أو عينه، أي جنس أو عين ذلك الاسم.

3-2- الحذف:

يرى الجرجاني أن للحذف ضرورة بلاغية للكلام و"هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[3].

وقد روى سيبويه من أشعار العرب وأقوالهم ما كان للحذف فيه ما أغنى عن الذكر وقد جاء في الكتاب "هذا باب ما يحذف من الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل ومن ذلك قول ذي الرمة: (من البسيط).

ديارَ مية إذْ ميّ تساعفنا ****ولا يرى مثلها عجم ولا عرب[4]

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص115-116.

2 - المرجع نفسه، ص117.

3 - المرجع نفسه، ص120.

4 - شرح ديوان ذي الرمة، الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد،دار الكتاب العربي، بيروت،ط2، 1996، ص23.

كأنه قال أذكر ديار مية، لكنه لم يذكر (أذكر) لكثرة ذلك في كلامهم، ومن العرب من يرفع الديار كأنه يقول : تلك ديارُ مية، وكذلك قول العرب: (كليهما وتمرا) وهذا مثل قد كثر في كلامهم ترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام كأنه قال: اعطني كليهما وتمرا"[1].

3-2- أ: حذف المبتدأ:

يحذف المبتدأ عند القطع والاستئناف، فيذكر المبتدأ ويقدّم بعض أمره ثم يترك الكلام، ويستأنف آخر فيؤتى بخبر من غير مبتدأ كما في قول الشاعر: (من الطويل)

"غلام رماه الله بالخير مقبلا *** له سيمياء لا تشقّ عن البصر"[2]

ويلاحظ أن يأتي خبر بني على مبتدأ محذوف كما في البيت السابق فالجملة (له سيمياء)، هي خبر لمبتدأ محذوف تقدره (غلام له سيمياء).وفي تأويل آخر (هو غلام) على أن (غلام الأولى) خبر لمبتدأ محذوف، وعندئذ يكون التأويل بحسب السياق الذي رُوي فيه البيت وسابقه.

3-2- ب: حذف المفعول:

كما يحذف المبتدأ يحذف غير المبتدأ ومن ذلك حذف المفعول:

3-2-ج: الحذف لخلو الفعل عن المفعول:

ويكون حذف المفعول به للفعل المقصود على إثبات المعنى للشيء على الإطلاق كقولنا: {هو الذي يحي ويميت} ويقصد أنه هو الذي منه الإحياء والإماتة، وهنا يتضح إثبات المعنى للذي منه الإحياء والإماتة دون الحاجة إلى ذكر الذي يقع عليه فعل الإحياء والإماتة ولذلك كان الحذف أدقّ، لأن المعنى مطلق فلو ذكر المفعول لاختص الفعل به دون غيره، فلو قيل: (يحي الإنسان ويميته) لاختص الإحياء والإماتة بالإنسان دون غيره من الأحياء.

1 - الكتاب، سيبويه،ج2، ص 280-281.

2 - البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري من (شرح ديوان الحماسة) لأبي علي المرزوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2009، .ص324.

3-2- د: حذف المفعول لدليل الحال عليه:

"وهو أن يكون له مفعول مقصود قصدُه معلوم، لكنه يحذف لدليل الحال عليه فيكون بذلك الإيجاز في الإبانة عن المقصود، وهذا الحذف على ضربين:

- الجلي الظاهر: وهو الذي لا صنعة فيه، ويفهم بالطبع كقولنا:(أصغيت إليه) والمقصود (أذني)، والإصغاء لا يكون إلا للأذن؛ فالحال دالة عليه ولن يزيد ذكر المفعول هنا شيئا إلا حشوا.
- الخفي: وهو الذي فيه صنعة وهو أن يذكر الفعل وله في النفس مفعول مخصوص معلوم مثال ذلك: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، حذف المفعول للفعل رأى لأنه مقدر في النفس بجمال الجنة فلو ذكر (المفعول) قلل، والمقصود الإطلاق.ومن الخفي ما لا يكون إلا للفعل مختصا به ومثاله: (نصر الله قوم موسى على فرعون وأنجى)، فـ(قوم موسى) مفعول به مخصوص مقصود حذف لدلالة ما سبق الفعل عليه.ومنه ما يكون فعله في حد المتناسى، كأنما يكون الفعل من صفة الفاعل نحو قولهم (قد مل فلان)"[1].

"إنّ الحذف والذكر يتعلق بمفردات يتم بها تعديل وضع البنية تلك وتوجيهها لتكون أبلغ، ولذا فهي عملية تالية للعملية الأولى، وهي ليست كالعملية الأولى التأسيسية بل هي عملية تزينية وتوجيهية.

وكما هو الشأن في التقدم والتأخير فإن الجرجاني يقسم هذا الركن على أقسام ثلاثة وهي: حذف الاسم وحذف الفعل وحذف الحرف، وأضاف إليه باب حذف الجملة، إلا أنه لا يخرج عن التقسيم القديم، وذلك أن الجملة إما أن تكون اسمية أو فعلية؛ ولذا فحذفها يشبه حذف الفعل أو الاسم إلى حد كبير، كما أن من الممكن حذف أشباه الجمل التي تقترب من حذف الحروف، وذلك أنها لا محل لها من الإعراب.

إلا أن الجرجاني لم يتحدث عن كل هذه الأشكال من الحذف، "وألقى المهمة على عاتقنا لنبحث ونفصل ونتوسع في الدراسة المتأنية لكل أشكال الحذف وهو الأمر نفسه

1 - ينظر، دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص126-127-129.

الذي فعله في باب التقديم والتأخير، فقد ركز على حذف المبتدأ وهو اسم، وعلى حذف المفعول به في حالة كونه اسما وشبه جملة، وترك الباقي للدارسين[1].

ويشمل باب الحذف:

* حذف الحرف في مثل قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾يوسف85 وهنا حذفت (لا) من تفتأ.

* حذف الاسم كما في قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.الجاثية15 وهنا حذف (المفعول به عملا)، وحلت محله صفته.

* حذف الفعل في مثل قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾الانشقاق1 حذف (فعل الشرط) بعد إذا.

*حذف المتعلق بالفعل كقوله تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾الأنبياء23.حذف (شبه الجملة)،عما يفعلون بعد الفعل يسألون.

*حذف جملة كقوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾. النازعات 01 تم حذف (جملة جواب القسم) وتقديرها لتبعثن.

*حذف غير جملة كقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يوسف 45-46.فحذف (فأرسلوه وأتاه).

وللحذف فيما سبق ما يوجز الكلام، فتتذوقه النفس وتستلطفه الذائقة ويبين جمال ما كان خافيا.

3-3- الفروق:

والمقصود بالفروق هو (الفروق في الخبر)، "وكان يقصد بذلك الخبر بشكل عام سواء كانت الجملة إنشائية أم خبرية، ولذلك يقسم الخبر عموما إلى قسمين:

1 – قراءة في نظرية النظم، بيان شاكر أبو جمعة، مهند حمد شبيب، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، آذار، 2009، ص262.

أ- القسم الأول: الخبر الذي يكون جزءا من الجملة لا تتم الفائدة من دونه وهو خبر المبتدأ في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية، وهو الخبر في الأصل وفي الفائدة، ولنلاحظ بأنه يعني بأن المسند هو الخبر، ففي الجملة الاسمية نريد أن نخبر عن شخص ما مثلا بأنه كذا، وفي الجملة الفعلية نريد الإخبار عنه بأنه يفعل كذا، وقال بأن هذا الجزء هو الأصل لأننا ليس المقصود في كلامنا أن نذكر فلانا فقط بل أن نخبر بأنه كذا أو يفعل كذا.

ب- القسم الثاني: من الخبر هو كل الباقي من أنماط الكلام وعلى رأسه الجملة الحالية ويتبعه كل أنماط الجمل الأخرى الخبرية والإنشائية وشبه الجمل أيضا، وهو الخبر الذي لا يكون جزءا من الجملة ولكنه زيادة في خبر آخر سابق عليه، يأتي الحال ليوضحه ويزيد عليه ففي قولنا: (جاء زيد راكبا) نخبر عن المجيء لزيد ولكننا نخبر عنه راكبا أي أننا لدينا ركنان في هذه الجملة الأول هو الخبر وهو الجزء الأساس من الجملة، والثاني هو خبر ثان ليس جزءا من الجملة ولكنه مكمل له".[1]

وتجدر الإشارة إلى أن التفريق بين الألفاظ والجمل التي تكون أخبارا عن مبتدآت، والتي تفيد الإخبار أو تكمل الخبر، ونعني بذلك التفريق بين الخبر محلا من الإعراب والخبر فائدة دلالية.

والفرق في الخبر يبينه أن: "موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء"[2].

فالاسم إنما يُثبت الإخبار بما لا يحمل معنى التجدد بل يوجبه ويُثبته للمخبر عنه ويقضي بوجوده على الإطلاق.أما الفعل فإنه يخبر به وهو يحمل معنى التجدد.

ويتضح الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل في قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾،الكهف 18 فالخبر (باسط) وهو اسم يمتنع أن يكون يبسط وهو محال التجدد.وهو ما يثبت صفة للمخبر عنه صفة هو عليها.

1المرجع السابق،ص269.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص138.

"فإذا قلت: (زيدٌ طويل)، و(عمرو قصير): لم يصلح مكانه (يطول) و(يقصر)، وإنما تقول (يطول) أو(يقصر) إذا كان الحديث عن الشيء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك، مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر. فأما وأنت تتحدث عن هيئة ثابتة، وعن شيء قد استقر طوله، ولم يكن ثمَّ تزايد وتجدد، فلا يصلح فيه إلا الاسم"[1].

إن في هذا لَتوضيحاً لما يجب أن يختاره المؤلف من الإخبار بالاسم أو بالفعل، فهو يدعو أن يتوخى المتكلم ما تقتضيه الجملة من اسم أو فعل وأن يجتهد في أن لا يلتبس عليه هذا بذاك. فالفعل لا يصلح أن يكون موضع الاسم كما لا يصلح الاسم أن يكون موضع الفعل يدركه بحسه وحسن ذائقته وتتبعه مسالك اللطف في الكلام والطلاوة في القول. ومهما يكن فقد نتوهم استواء المعنيين بالفعل والاسم إلا أنه يجب أن ندرك الفرق بين الاسم والفعل كما هو في أصل الكلام.

كما إن هناك فروقا في الإثبات حين يُخبر عن المبتدأ باسم نكرة أو معرفة كما في قولنا "(زيد منطلق)، و(زيد المنطلق)،و(المنطلق زيد)، فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي"[2].

3-3- أ:الفروق في المعرف بـ: (ال) في الخبر على معنى الجنس:

"ويكون لذلك وجوه متعددة:

*أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة نحو (زيد هو الجواد) بقصد قصر صفة الجود على زيد.

*أن تقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه، لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه، بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه في نحو قولنا: (هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا).

*أن لا يقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور نحو: (زيد هو الشجاع)، تريد أن لا تعتدّ بشجاعة غيره.

1 - المرجع السابق، ص 139.

2 - المرجع نفسه، ص141.

وقد يخرج الخبر المعرف بـ: الـ إلى معاني أخر"[1].

3-3- ب: الفروق في المسند إليه(المبتدأ) والمسند(الخبر):

يجب القطع بوجوب الفرق بين المبتدأ والخبر و"هي أن المبتدأ لم يكن مبتدأً؛ لأنه منطوق به أولاً، ولا كان الخبر خبراً؛ لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأً لأنه مُسْنَدٌ إليه ومُثْبَتٌ له المعنى، والخبر خبراً لأنه مُسْنَدٌ ومُثْبَتٌ به المعنى"[2].

وهنا يبدو الفرق بين المبتدأ والخبر سواء في ترتيبهما الأصلي أو فيما طرأ على الترتيب من تغيير بتقديم وتأخير أو بفواصل إضافات لأحدهما من فُضْلاتٍ وقُيود ولواحق، فالفرق يأتي من مدلول كل منهما وليس من موضعه وهو ما يبرر بقاء المبتدأ مسندا إليه والخبر مسندًا، حيث يكون موقعه، وهو بذلك يحتفظ بإعرابه ومؤداه الدّلالي وعلاقته بغيره من الكلام.

3-3-ج: التفريق بالصفات وبالصِّلات في المصادر والمشتقات:

"من شأن المصدر أن يفرق بالصفات كما يفرق الصفات ومعنى هذا الكلام أنك تقول: (الضربُ)، فتراه جنسا واحدا، فإذا قلت: (الضرب بالسيف)، صار بتعديتك له إلى السيف نوعا مخصوصا. ألا تراك تقول: (الضرب بالسيف غير الضرب بالعصا)، تريد أنهما نوعان مختلفان، وأن اجتماعهما في اسم (الضرب) لا يوجب اتفاقهما؛ لأن الصلة قد فصلت بينهما أو فرقتهما...، وهكذا الحكم في كل شيء تعد إليه المصدر وتعلق به. فاختلاف مفعولي المصدر يقتضي اختلافه، وأن يكون المتعدي إلى المفعول غير المتعدي إلى ذاك. وعلى ذلك تقول: (ليس إعطاؤك الكثير كإعطائك القليل)...و(ليس إعطاؤك معسرا كإعطائك موسرا)"[3].

ويتجلى من ذلك أن اللفظ يخرج عن دلالته المعجمية بما يضاف إليه أو بما يكون صلة له فالمصدر ضرب يختلف في دلالته حين يكون ضربا بالسوط عن كونه ضربا بالوتر أو ضربا للمثل وما إلى ذلك، يضاف إلى ذلك السياق الذي يحدد الفارق بين الأصل والحادث.

1 - ينظر، دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص142-143.

2 - المرجع نفسه، ص149.

3 - المرجع نفسه، ص151-152.

3-4- الفصل والوصل:

لا ريب في أن علاقة الجمل ببعضها تؤسس للمعاني وتربط الفكر لتفيد التبليغ وتنشئ التواصل؛ ولأن الجمل تستوفي عناصرها الأساسية ولواحقها وقيودها فإنها ترتبط بغيرها من الجمل ارتباطا وثيقا يجعلها لا تنفك عن المراد تبليغه موجزا كان أم موسّعا، ومن هنا كان الوصل رابطا ضروريا بين الجمل، ويقابله الفصل،ولأن لكليهما وظيفة دلالية وبلاغية فالفصل والوصل عند الجرجاني ركن ركين في نظرية النظم.

"إن الفصل والوصل ركن يتعلق بالجملة وهو في نظرية النظم عملية إنشاء الكلام، فبعد أن يكمل المؤلف اختيار الجمل ووضعها في موضعها ينبغي أن يفكر في علاقاتها فيما بينها، فيما إذا كانت متساوية أو متوازية، وفيما إذا كانت متشابهة أو متناقضة أو مختلفة، فيجري عمليتي الفصل والوصل على هذه الأسس...والجرجاني هنا لا يبحث عن الفصل والوصل في الجمل فقط بل يعود به عند الكلمات ربما لكي يسهل عملية التحليل وذلك أن مسألة ضبط علاقات الفصل والوصل بين الجمل هو أمر خارج عن الجمل النحوية على الأغلب ويتعلق بالذوق الفني للكاتب فقط"[1].

وفي ذلك يقول الجرجاني: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، والأقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفرد"[2].

لقد عزز الجرجاني دراسته بالحديث عن الفصل والوصل الذي يقع داخل الجملة الواحدة معتبرا أن ما ينطبق عليها ينطبق على الجمل في مرحلة ثانية فيقول: "واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف على حالها"[3]، ولذا فقد استجلب الحديث عن المفردات فقط ليستنتج منها ما يلائم العطف الواقع في الجمل.

1 – قراءة في نظرية النظم، بيان شاكر أبو جمعة، مهند حمد شبيب، ص276.

2 – دلائل الإعجاز، الجرجاني ص171.

3 – المرجع نفسه، ص171.

"ومن المعلوم أن الفصل والوصل يمكن أن يقع بين الجملة الفعلية وبين الجملة الاسمية وبين شبه الجملة وليس لدينا غير هذه الأشكال الثلاثة من التركيبات النحوية وهي تتفق تماما مع الاسم والفعل والحرف، ولذا يمكن استنتاج خصائص العطف بها ومن ثم نقلها إلى الجمل المشابهة"[1].

3-4- أ: الفصل والوصل الاسمي: يقرر الجرجاني بأن الوصل بالعطف في الأسماء فائدته الإشراك في الإعراب والحكم كقولنا: (مررت برجل خُلقُه حسنٌ وخَلقُه قبيح)، ومنه أيضا الجمل التي لا تحمل موقعا من الإعراب والتي تأتي بعدها على الرغم من ذلك جملة معطوفة، كقولنا: (زيد قائم وعمرو قاعد) فلا يشتركان في نفس الحكم. ويقر الجرجاني بأن هذا الأخير يقع فيه العطف بالواو فقط، لأنه ثمة ما يوجب الجمع بينهما لوجود تناظر أو تشابه بينهما. وأما الفصل فيكون في الجمل التي تأتي مبنية للجمل التي قبلها كالصفة للموصوف والتأكيد للمؤكد لذا يجب الفصل بينهما لاختلاف معنييهما، كما يجب الفصل بين جملتين (اسمية وفعلية)إذا وقع ترادف بينهما"[2]، "وفي بعض المواضع ترى بأن العطف فيها واجب، ولكن التدقيق يريك بأن الفصل فيها أوجب... فمسألة الفصل والوصل لا تتبع الأسس النحوية فقط بل تتعداها إلى الأسس الذوقية التي تخص مجرى الخطاب عموما"[3].

لقد ميز الجرجاني بين ما يستوجبه النحو في الفصل والوصل وبين ما هو قائم على أسس ذوقية وهي التي عدّها تخص مجرى الخطاب، ولم يناقض ذلك (توخي معاني النحو) لأن معاني النحو محفوظة في التركيب ووظائف مفرداته وفي دلالات الجمل موصولة أو مفصولة، ومن ذلك بيّن للفصل والوصل مواضع ولم يفصل فيها تفصيل أهل البلاغة لعلم بها أجاده الدارسون وأبانه العلماء.

3-4-ب: الفصل والوصل الفعلي: الوصل في الجمل الفعلية يكون على شرط المناسبة كقولنا: (زيد يضرّ وينفع وخالد يعطي ويمنع) فنحن نريد بهذا الوصل أن نقول

1 - قراءة في نظرية النظم، بيان شاكر جمعة، مهند حمد شبيب، ص276.

2- المرجع نفسه، ص267-268.

3- المرجع نفسه، ص277-278.

بأن فلانا يجمع الفعلين معا ويقوم بهما معا، أما الفصل فيكون في قولنا: (زيد يعطي يمنع) كأننا رجعنا عن القول الأول وقررنا الثاني فقط لا كأننا جمعنا الفعلين معا[1].

3-4-ج: الفصل والوصل في شبه الجملة: "يتعلق الحرف بالاسم والفعل، ومن الممكن دراسة تعلق شبه الجملة على أساس هذين الشكلين من التعلق، أي أن تعلق شبه الجملة بالاسم حالة كونها خبرا كما في قولنا: (زيد على السطح)، وبالفعل في حالة كونها مفعولا بها كقولنا: (قام زيد على السطح)، فإذا جمعنا بين جملتين اسميتين تحتويان على شبه جمل كان حال شبه الجمل هذه يشبه حالها عند جمع جملتين فعليتين تحتويان على شبه جمل"[2].

ويلخص الجرجاني الفصل والوصل وموضعيهما بقوله: "ترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية والعطف يكون لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين حالين"[3].

وقد يوصل ما يفصل والعكس فيكون موصولا لفظا مفصولا معنى: "هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف؛ وهو أصل كبير في الوقف، وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة، من ذلك قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف189]"[4]

إن الفصل والوصل باب من أشدّ أبواب البلاغة تعقيدا، فقد خُصِص لتفصيل حالتين بما يلائم المعاني في الجملتين انفصالا أو اتصالا، ويبين نوع ارتباطهما، وفصل البلاغيون مواضع الوجوب فيهما، وفصل النحاة مواقع الجمل المعطوفة بالواو والمنفصلة عن سابقتها، فأطنبوا في القول وفتحوا بذلك أبواب التأويل للمفسرين والشرّاح؛ وبرغم كل ذلك لم يأت الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز على كل المواضع التي يكون فيها الفصل و الوصل، والمواضع التي يرجح فيها الفصل على الوصل، والتي يفضل فيها الوصل على الفصل.

1- المرجع السابق، ص278.

2- قراءة في نظرية النظم، قراءة في نظرية النظم، بيان شاكرجمعة، مهند حمد شبيب، ص279-280.

3- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص185.

4- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرحمان فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2006، ج1، ص246.

4-: مكانة المعاني في النظم:

واكتملت نظرية النظم التي أرسى الجرجاني قواعدها، مُرْتَكَزًا للتصوير الفني الذي يقوم على ترتيب المعاني في النفس وترتيب الألفاظ في صياغة الحاذق لتوخي معاني النحو، ومن ذلك تتجلى مكانة المعاني في النظم، فالجرجاني انتهى إلى "أن الألفاظ لا تتمايز من حيث هي ألفاظ مفردة، وأنها تحصل لها المزية و عكسها عندما تنضم بعضها إلى بعض في نظم القول، و أن الفصاحة و البلاغة و سائر ما يجري فيها هي أوصاف راجعة إلى المعاني"[1].

ويقول الجرجاني: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه،..ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها،ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها من بعض"[2].

كما يقول:"واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن،كالأجزاء من الصبغ تتلاحق و ينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين"[3].

4-1- التصوير في نظرية النظم:

تتجلى قيمة التصوير عند الجرجاني في تشبيهه المصوّر في اللغة بصاحب الصباغة ومحترف النقش والنسيج، فهم جميعا يتدبرون وينظمون فيبدعون، وكما ينبغي للصباغ تدبر الألوان والمقادير وكيفية المزج وتحديد المواضع فإن على المؤلف أن يتوخى قوانين النظم فيتدبر في الألفاظ ومواضعها والصياغة ومتانتها وقواعد اللغة ومجرياتها، ويستوي في ذلك الكاتب والشاعر بالصباغ المزوق والنقاش المنمق.

ويقول في ذلك وليد محمد مراد: "وفي نظم مثل هذا نتقصّى فيه آثار المعاني ونتحسسها، ونتتبع ترتيبها في النفس الإنسانية، ليتضح لنا فيه حال المنظوم بعضه من بعض وحسن انسجام المعاني في ذاته ...ومن خاصية توخي معاني النحو أن تتحد أجزاء الكلام في

1- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني وليد محمد مراد، ص126.

2- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص81.

3- المرجع نفسه، ص81.

بناء محكم لا اعوجاج فيه، بناء متماسك بجميع صفوفه و أركانه بحيث تبقى النظرة كلية، تجمعه روابط الوحدة العضوية، يبرز فيه التناسق العام بجميع جهاته"[1].

ومن ذلك تظهر قيمة التصوير الفني في نظرية النظم التي دعا إليها الجرجاني وبيَّن تفاصيل حبكها وكيفية سبكها، ورسم سمتها، حين يقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة،وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه،كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة،أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة،كذالك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام"[2].

1- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، ص 127.

2 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 194.

رابعا:أهمية نظرية النظم وقيمتها العلمية:

1- أهمية نظرية النظم:

كانت نظرية النظم أساسا منهجيا للكشف عن أسرار البلاغة، وحجة دامغة على الإعجاز البلاغي للقرآن،"وهذا يستدعي أن تكون الأمثلة والشواهد المدروسة مستمدة من النصوص التي تمثل قمة البلاغة في الثقافة العربية سواء كانت هذه النصوص من القرآن الكريم أو من الشعر والنثر في أرفع مستوياتهما"[1].

وليس هناك أبلغ من القرآن الكريم نموذجا لذلك عند الجرجاني، فهو يوظف كلمة الإعجاز ويدلل عليه مستشرفا ما يمكن أن يكون من أقوال الآخرين ممن لن يكون كلامهم إعجازا، ولكن يكون بليغا جميلا من شعرٍ ونثرٍ.

لقد كانت نظرية النظم "تركز على مقتضيات علم النحو ومراعاة أصوله وقوانينه مما جعلها معتمدة لتتناول كطل ضروب الكلام، بما فيها تلك التي لا تقصر الهدف من اللغة عند مرحلة استيعاب المعنى وإدراك الغرض وذلك حين ربطت اللغة بظروف الحال والمقام ولاسيما مقام الاجتماع وبالمعنى بكل صوره"[2].

ويضاف إلى اعتمادها على النحو وأصول ترتيب عناصره مقتضى الحال الذي تقتضيه البلاغة علاوة على الإيجاز وحسن الصياغة.

كما إن نظرية النظم "أدت إلى النفاذ في صميم العلاقة بين المتكلم والكلام الذي ينتجه، فقد طرح الجرجاني هذه القضية مؤكدا أن نسبة الكلام إلى صاحبه، لم تكن من حيث هو كلم وأوضاع لغة ولكن من حيث توخي فيها النظم الذي بينا من شأن الإضافة والاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تخص منها بالمضاف إليه"[3].

وكذلك "كشفت عن علاقة المتكلم بالمتلقي من خلال شبكة العناصر المكونة للحدث الكلامي من متكلم ونص، ومقام يمثل صلة التواصل بين المتكلم والمخاطب، فالكلام لا تحدده مقاصد المتكلم وحسب، وإنما تتدخل مقاصد المتلقي لتوجيه آلية الكلام،

1- مجلة دراسات في اللغة العربية،وآدابها، ابتسام حمدان خوجة، فصيلة محكمة، العدد3، خريف2010، ص56.
2- المرجع نفسه،ص65.
3- المرجع نفسه، ص65.

وتربطه بما يسمى المقام، إذ ينطلق الكلام من المتكلم ليتفاعل مع معطيات قد استقرت بين المتحاورين"[1].

لقد بينت نظرية النظم علاقة المتكلم بالمتلقي الذي تعده مساهما في الإبداع والتصويب حسب كفاياته اللغوية ومقدرته على التأويل وموهبته وتذوقه للكلام الفني الجميل.

خامسا:جهود العلماء في إثبات إعجاز القرآن الكريم:

"إن المتتبع لجهود العلماء في سعيهم وراء أسباب الإعجاز في القرآن الكريم من بدايات الدرس اللغوي يجد أن الأساس الذي اتكأت عليه تلك الدراسات كان في الدرجة الأولى هو المتلقي، لأن الدارسين كانت ملاحظتهم لارتباط النص القرآني بمتلقيه خاصة لما كانوا يجدونه من حرج في تناول هذا النص بالاعتماد على مصدره، وعندما بدأت الدراسات اللغوية تبتعد عن دائرة النص القرآني وتبحث في دواعي الإعجاز، ضعفت العناية بالمتلقي، حتى جاء القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، ليسلط الضوء على المتلقي مصورا الانعكاسات النفسية للكلام على وجدانه وإدراكه، وما يمكن أن يحدث عنده من أريحية، أو نشاط تخيلي متعمقا دور المعنى في كل ذلك من خلال تناوله لظواهر علمَيْ المعاني والبيان"[2].

معلوم أن النص القرآني في علاقته بمتلقيه الذي يجب أن يكون على كفاءة ومعرفة بمقتضيات النظم من تقديم وتأخير وحذف، وما إليه، تسمح بإضفاء المتلقي عليه لمسة نفسية في استيعاب المقصود والتأثر باستجلاء ما يقتضيه علم البيان وعلم المعاني فهو يجد نفسه أمام كلام معجزٍ ومعان تحمل تشريعا وأحكاما في صورٍ تعبيرية فنية تأخذبالألباب سحرًا وبالعقول إقناعا،.ذلك أن البيان القرآني مؤثر بلغته ونظمه معجز بصياغته ومعانيه يتذوقه المؤمن وغير المؤمن به على حد سواءٍ.

1 – مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ابتسام حمدان خوجة، ص57.

2- المرجع نفسه، ص66-67.

سادسا: الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني:

لا شك في أنّ الظاهرة القرآنية متمثلة في الإعجاز اللغوي أثارت عناية اللغويين والبلاغيين والنحاة على حد سواء، وكان لذلك أثر عميق جرّاء كشوفات الجرجاني متمثلة في الإعجاز القرآني ودلائله، وفي نظرية النظم وأسسها؛ "كان لها أثر كبير في إنعاش التفكير البلاغي واللغوي عند العرب، وقد شكلت هذه القضية المكون الدلالي للفكر الإسلامي الذي يتجه من النص القرآني إلى العالم والموجودات لتفسير الظواهر المختلفة ورسم فضاءات الحكم الشرعي"[1].

لقد حاول الكثيرون عبر عصور الفكر اللغوي العربي التعامل مع النص القرآني بوصفه نصّا مقدسا وكفى، ومع ذلك فقد كان لفكرة النظم عمومًا والنظم القرآني خصوصًا دَوافعُ تفاعلت ابتداءً من ابن المقفع(ت112هـ) إلى الجرجاني، "تلك التكوينات التي بدأت بابن المقفع وسيبويه وبشر بن المعتمر والواسطي والطوسي والخطابي والعسكري والباقلاني والقاضي عبد الجّبار كانت حلقة مهّدت لأخرى، فوصلت إلى فكر ثاقب وفكر مُتّقدو معرفة موسوعية بأسرار اللغة"[2].

لقد كان لكشوفات الجرجاني الجمالية من خلال الحديث عن "أجزاء دائرة الحدث الكلامي: المبدع، النص والمتلقي.

1- المبدع:

يمثل المبدع الجانب الإنتاجي الذي يرسم آفاق نصه، ويحمل هذا النص إمكانية مبدعه وحضوره المعرفي، وارتبطت الصياغة بالمبدع، وارتبط حضور المبدع عند الجرجاني بعملية التعليق، وعلى هذا فالنظم وإمكانياته مرتبطة بالمبدع من خلال التعامل مع الإمكانات النحوية لتحقيق التشكيل النظمي بين المفردات، ...وهذا يقود إلى ربط الاختصاص بالمستوى الدلالي الذي يتأتى من إدخال الوظائف النحوية في تعليق الدوال بعضها

1- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد سالم سعد الله، مجلة التربية والعلم، مجلد12، عدد1، جامعة الموصل، العراق، 2005، ص153-154.

2- المرجع نفسه، ص154.

ببعض،فالكلمة قبل دخولها في التركيب لا اختصاص لها بفرد دون آخر؛ وهنا تأتي الصياغة لوضع تلك المفردات في تراكيب خاصة تعكس تميز المبدع"[1].

"ويجدر الذكر أنّ الصلة بين المبدع وصياغته تتحقق من خلال داخل النص بخارجه لأن عملية الإبداع محكومة بمرجعية تتشكل في وجه مخصوص، بمعنى أنّ ترتيب المعاني يكمن في الداخل ثم ينعكس خارجيا من خلال الصياغة"[2].

ويعني ذلك أنّ الإبداع عملية تنطلق من قدرات المبدع اللغوية والتخيلية وقدرته على الصياغة ونظم الألفاظ وترتيب المعاني، لأن من غير فنّ الصياغة لا يكون هناك إبداع، وليس كل تركيب سليم إبداعًا، قال الجرجاني:"فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدًّا كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيرت تركيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد، وبنفسه المخصوص أبان المراد".[3]ويمثل الجرجاني لذلك بقول امرئ القيس:"(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل). (منزل ذكرى من نبك حبيب) أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان. نعم وأسقطت نسبته من صاحبه، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل، ونسب يختص بمتكلم، وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيت شعر أو فصل خطاب، وهو ترتيب على طريقة معلومة، وحصوله على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحكم-أعني الاختصاص في الترتيب- يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها إلى قضية العقل"[4].

ومن هنا يتضح أن عملية الإبداع تتطلب تفاعلا كبيرا بين المعطيات والجوانب لأن في الاختيار والرغبة فيما اخْتِير للتعبير ارتباطا تفاعليا بما يختلج في النفس من معان ودلالات يريد المؤلف أن يعبر عنها. "هذا وتتجاذب عملية الإبداع معطيات وجوانب عدة، فالألفاظ مثلا تتشكل على وفق الاختيار المبدع ورغبته في استخدامها للتعبير عن المكنون الذهني، ولهذا

1- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 210-211.

2- المرجع نفسه، ص112.

3- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ص8.

4 - المرجع نفسه، الجرجاني، ص8.

فهي في حالة نمو وتبادل مع الدلالة، ولذلك يتجاوز الجرجاني حدود اللفظة الواحدة إلى المستوى التركيبي، لأنه لا يرى في اللفظة أي مستوى جمالي من الدخول في النظم ودائرته، فاللفظة لا تحقق مداها الجمالي إلا من خلال التركيب، ومن نافلة القول ذكر أن السياق يمد التركيب بالإفادة الجمالية، ويكسبه شكله الخارجي، وهذا كله متعلق بدرجات الوعي الذي يشكل الكل المعرفي للسياق ويبني من ثم مقولة الجمال وفقا لذلك المستوى الواعي"[1].

ومن هنا كان لاقتدار المبدع فنياً ما يسمح بالبلوغ بما ينشئ إلى جمالية هي التي تميز كلامه ودلالاته بما أبان عنه بعد الترتيب والتقديم والحذف وكل ما يقتضيه النظم من مراعاة التغيرات التي قد تطرأ إثر كل عملية تركيبا ودلالة."فالمقدرة الفنية للمبدع تتمثل في النظر إلى الوجوه التي تتصل بما يطرأ على الجملة من تغير؛ لأن هذا التغير يتبعه بالضرورة تغير في الدلالة"[2].

ولهذا علاقة بالمستوى التركيبي وطبيعته، "وطبيعة المستوى التركيبي تتصل باللغة والنظام الذي يحكمها، ونظام مفرداتها الذي له أصول في تجاوز بعض المفردات، وارتباطها بموضع معين في الصياغة، ثم ارتباطها بسياق محدد ترد فيه، ولكن عندما يقدم المبدع عملا فنيا فإنه لا يحافظ على كل ذلك، وإنما يحاول تجاوزه لخلق مستويات في الأداء ترتبط به وتنم عليه. وقد لاحظ القدماء ذلك من خلال مقولتهم الدقيقة: "لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وكان ذلك وراء مباحثهم حول الصياغة وربطها بسياقات محددة تحسن فيها وتجود"[3].

وهنا يشير إلى أن ترتيب المعاني وترتيب الكلمات يلعب الدور الأساس في الإبانة عن المعاني من دون لبس أو غموض، وأن حسن الصياغة التي هي حسن الترتيب والنظم إنما منشأها كفاءة المؤلف وقدرته على ترتيب المعاني في ذهنه لصياغتها بما لا يكون غيره أدَّق وأبين وهو الإبداع المنشود، ويمكن تلخيص كل ذلك في القول إنّ تحقيق ذلك مرّده النظم فلا اللفظ يحقق المعنى المراد مبعثرا، ولا المعنى يستقيم دون نظم.

1- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني،محمد سالم سعد الله، ص156.

2 - جدلية الإفراد والتركيبفي النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1995، ص157.

3 - المرجع نفسه، ص159.

2-النص:

تتمثل عملية إبداع النص عند الجرجاني من خلال الموافقة بين اللفظ والمعنى لأنّ النص عنده "شبكة من العلامات والسمات، تلك العلامات لا تستقل بذاتها بل تربطها مع غيرها من علامات النص الأخرى لتحيل إلى الدلالة الكلية التي يمكن التوصل إليها من خلال تشخيص المعنى وتتبع أثر معاني النحو"[1].

يقول الجرجاني: "اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه"[2]. وذلك لأن الألفاظ لا تراد بذاتها وإنما لتحمل أدلة على المعاني وهو ما يؤكده الجرجاني حين يتحدث عن اللفظ والمعنى وحين يحدد المعاني المعجمية للفظ ودورها.

وهو هنا يؤكد ما تحمله الألفاظ من أدلة على المعاني وأنّ الألفاظ بذاتها لا تعدُ معانيها المعجمية متفردة وأن كل الذي توحي به من المعاني مرهون بالنظم والصياغة اللّذَين يعلوان جماليةً أو ينخفضان، ويظلان مؤشري الارتفاع وعامله، كما هما مؤشرا الانخفاض وسببه.

إنّ الإبداع عند الجرجاني يقوم على الاختيار وهو انتقاء اللفظ لما يناسب المعنى وتوزيعه حسب ما يليق به، فاختيار اللفظ وتوزيعه إنما يشكلان بتلك العلائق التي تربط ببعضها سرّ الإبداع. والمبدع الحقيقي هو ذلك الذي يستطيع التوفيق بين المعاني فيحسن ترتيبها ثم يختار لها الذي يعرب به عنها من دون الإخلال بتلك المعاني ولا بقواعد النحو.

إن "تلك التنظيمات الداخلية للألفاظ تسهم في تكوين النص وتساعد في إدراكه الجمالي"[3]، لأن النص ألفاظ توحي بالمعاني إيحاء، فما كان جليا ظاهرا أخّاذا يتغلغل في النفس بما يحمله من معنى شريف كان نصّا منظوما نظم اللآلئ والجواهر أو كان عقدا من نفيس الجواهر أُحْسن رصفها فأثارت بانتظامها وتناسق مواضعها وقوة ترابطها في النفس ميل

1- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد سالم سعد الله، ص158.

2- أسرار البلاغة، الجرجاني، ص277.

3- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، دط، دت، ص15.

النفوس إليها واصطفائها دون غيرها. وكان للذوق والتفهم فيها ما لم يكن لغير المتذوق. فالذواقة منجذب للجمال بطبعه المصقول بمزايا النظم والمهذب بمعارف البلاغة والنحو.

وما نظم الألفاظ بعد اختيارها إلاّ عمل إبداعي يرتبط بقدرات المؤلف ومهاراته الإبداعية، وبقدراته على الشعور بمكنون الجمال فيما يسعى إلى الإعراب عنه من خلال تحليل شبكة العلاقات التي تربط بين الألفاظ في تركيب يضمن تحقيق وجودها الدلالي، "وقد حاول الجرجاني إدراك المكنون الجمالي للنص من خلال تحليل عناصره الأولية، فوجد أن النص يتركب أولاً من مجموعة من العلاقات وليس مجموعة من الألفاظ، لأن العلاقات هي التي تربط بين تلك المفردات وتحقق لها وجودها الفعلي الدلالي، فالمهم إذن مجموعة الروابط التي نقيمها بين الأشياء بفضل الأدوات اللغوية ونعمل على تعالقها، وتلك الروابط هي المعاني المختلفة التي نعبر عنها، والذي يقيم الروابط بين الأشياء هو نظم الكلام، وهذا كله قاد الجرجاني إلى تعليل الجودة في النصوص من خلال آليات النحو"[1].

لقد كان للجرجاني كشوفات جمالية مكنت من الإبداع بالنظر إلى البيئة الداخلية والتحرك داخل أجزائها، فاللفظ رمز لمعنى أولي يسهم في الدلالة من خلال العلائق الرابطة بين الألفاظ بفضل الصياغة،"لقد كان الجرجاني يوازن بين الصياغة والناتج الدلالي وأعطى مزية للفظ بِعدّه رمزا للمعنى الجزئي وليس بجعله طرفا في إنتاج دلالة موسعة".[2]

ولعل الجرجاني يكون أوضح فيما ذهب إليه في حديثه عن اللفظ وسمته، واللفظ ودوره، وضرورة ضم اللفظ إلى اللفظ حين يقول: "الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع معانيها في أنفسها ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض"[3]. فهو يرجع الدلالة العامة إلى النظم فلا يرى الفضل للفظ ولا المزية للمعنى إلا أن تكون نظما يقوم على القدرة الإبداعية والحس الجمالي.

1- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد سالم سعد الله، ص159.

2- المرجع نفسه، ص160.

3- دلائل الإعجاز، ص469.

3- المتلقي:

لابد للنص من متلقٍّ يتفاعل معه على نحو يجعل المتلقين يتمايزون بما جبلوا عليه من ذوق، وعلم، ودراية، وقدرة على التأويل، فيظهر منهم البسيط الساذج، والأريب الحاذق "فأساس التمايز هو الفهم أولاً، والتصور ثانيا، والتبيين ثالثا"[1]. لأن الفهم يتيح تحديد معالم دلالات النص وما توحي به الصياغة من معنى، وقد يخفى على المتلقي العادي أن يدرك كنه المقصود لغياب التصور الذي لا بد يكون حاضرا، ومعه التبيين للنص أسّا ثالثا.

فـ"تشكل الخطاب الأدبي على هذا النحو هو الذي يتيح التميّز بين المتلقين، فيتقدم القارئ الناقد ليأخذ موضعه في مواجهة النص، ويتأخَّر عنه القارئ العادي، ويتوارى تماما ذلك المتلقي الذي لا يشغله ما في الخطاب من فكرٍ لطيفة حتى لو كان عارفاً باللغة على الجملة"[2].

"ويعتبر الجرجاني 'المتلقي' من الكشوفات الجمالية المهمة في المنظور النقدي الحديث، فقد قدم مسحة نفسية حلل بها آليات القراءة ووصف القارئ بنوعين من الملكات ملكة فطرية متصلة بالطبع وملكة مكتسبة متصلة بالعقل والفكر والتدبر، وكلتا الملكتين عملت على إسهام المتلقي في عملية إبداع النص مرَّة ثانية، فضلا عن إبداعه للمرّة الأولى من قبل صاحبه"[3].

ومن هنا يتضح أن الجرجاني كان واعيًا بما يكون من شعور المتلقي وردة فعله، وذوقه وقدرته على التحليل بأنها طرف في جمالية النص، فحرص كل الحرص على تبينها والإشارة إلى عوامل تحقيقها.

إن القارئ يقدم جماليةً للنص الإبداعي بما يتفاعل معه سلوكا وتذوقا ورِدة فعل وكشفا لخبايا النص ومقاصده، فتكون جمالية التلقي وفق الفهم والتأويل الذي يؤديه المتلقي ويكون بذلك تحليلا لعناصر الحدث الكلامي. "أما مع الجرجاني فإننا ندخل مخبر التحليل اللغوي الصارم الذي يعضده النظر التأليفي المتبصر ليرتقي بالاستقراء الاختباري إلى مدارج

1- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، ص241.

2- المرجع نفسه، ص241.

3- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد سالم سعد الله، ص162.

التنظير المعرفي والاستنباط الأصولي فيشارف الرؤية البنيوية الجدلية مما لا يدع للفاحص اللساني شكا في استكناه الفكر اللغوي العربي لنواميس الظاهرة اللغوية بمفهومها المطلق... ويتخطى الجرجاني حواجز الأنماط القائمة في التصور والتحليل ليسنّ قانون وحدوية الشجن الدلالي في الكلام بالاستناد إلى طبيعة التكامل فيه، فالملفوظ هو كلٌ لا يتجزأ أو لا يكون، لأن الكلام هو في حقيقته علاقات بين العناصر المركبة له أكثر مما هو نفس تلك العناصر"[1].

ومن الجماليات التي تتحقق بالمتلقي حضوره النفسي تأثرا بالعمل الإبداعي ارتفاعا أو هبوطا بحسب الخطاب والبنى البلاغية لذلك فإن "الحضور الذهني للمتلقي يوازيه الحضور النفسي، بمعنى أن تشكيل الصياغة على نحو نظمي مخصوص يستهدف إحداث أثر نفسي فيه، وغياب الأثر معناه افتقاد مهارة التعامل مع الإمكانات النحوية تعاملا جماليا.

فعملية الحضور أو الغياب لبعض مفردات الصياغة متاحة لكل مبدع، لكن إيثار جانب على آخر مرهون بإمكاناته التأثيرية في المتلقي"[2].

"وحضور الجانب النفسي للمتلقي يتيح تقيم الخطاب الأدبي بالنظر في ردود الفعل عنده، فهي بمثابة اللوحة المتذبذبة التي ترتفع أو تهبط تبعا للذبذبات الدلالية الموجهة إليها من الخطاب وما فيه من بُنَى"[3].

كما إن الحضور الذهني يوازيه الحضور النفسي لأن النباهة الذهنية تحدث أثرا نفسيا يعد مؤثرا جماليا. وإن المحيط بمزايا النظم ليعلم ما للجمالية التعبيرية من أثر في النفس فهي تثير الإعجاب والدهشة والوقوف أمام ما تحقق من جمال ، فلا يمكن لشارد الذهن أن يدرك من ذلك شيئا كما هو الإعجاز في القرآن الكريم حين جذب إليه منكروه فأقروا حلاوته واعترفوا بطلاوته وأعربوا عن ذلك ولم يكونوا يريدون.

وإن الجرجاني نفسه يبين ما يرمي إليه من وراء ذلك إذ يقول: "إن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلا طلبه بالفكر، وتحريك الخاطر له والهمة في طلب وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر واحتجاجه أشدّ، ومن

1- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص 215-216.

2- قضايا الحداثة، محمد عبد المطلب، ص246.

3- المرجع نفسه، 246-247.

المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالميزة أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت به أحنن وأشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ"[1].

والحق إنه إذا خلا النص من الخلل، وارتقى في نظمه وفي شرف معناه ولفظه، شُغف به المتذوقون وفُتن به المغرمون بحلاوة النظم وطلاوة الكلم، وليس ذلك متاحا لمنشغل ولا متأتيا لشارد، وإنما يتجلّى لطفه ويجلّ وصفه لمن يحمله الذوق ورهف الحس، وتقوده المعرفة فتنكبه اللبس.

"إن الجرجاني يتعامل مع المتلقي من خلال مفهومه للنحو الإبداعي، وهو مفهوم يضع المتلقي في مرتبة تالية للمبدع، لكنه برغم ذلك يعطيه حقوقا لا تقل أهمية عن الحقوق التي يحوزها المبدع ذاته، كما أنه يضفي عليه مواصَفات تكاد تتعادل مع المواصفات الإبداعية، ومع الجمع بين الحقوق والمواصفات تتعدَّد طبيعة المتلقين، ما بين قارئ ناقد، وقارئ متذوق، ومتلق معلوم أو مجهول، ومتلق سلبي أو إيجابي. واللافت للنظر أنه ربط بين هذا التعدّد وشكل الخطاب الأدبي، بمعنى أن توفر مواصفات معينة في الخطاب، تهيئة للتعامل مع نوعية المتلقي"[2].

ويؤكد كمال أبو ديب على دور المتلقي إذ يقول: "فمشاركة المتلقي في فعل التحديد النهائي لبنية الصورة وحدودها أساسية، ويطلب أن تكون حيوية وكاملة، فالمتلقي مدعو لا إلى الاستجابة فقط بل إلى الخلق، إن فعاليته لا تقل عن فاعلية الفنان ذاته من حيث إعطاء الصورة أبعادها النهائية التي تحدد دورها في العمل الفني وعلاقتها به. ولكن في الوقت ذاته فإن الفنان يعجز عن تحقيق التناغم بين وظيفتي الصورة يرتكب خطأ جذريا.وتوحي دراسة الجرجاني بأن الخطأ يمكن أن يصحح من قبل المتلقي عن طريق عزل الترابطات التي لا تنمي بنية الصورة في حركتها المتشعبة ضمن القصيدة"[3].

1- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة-دار المدني بجدّة، دط، دت، ص 139.

2- قضايا الحداثة، محمد عبد المطلب، ص249.

3- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، (دراسات بنيوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1979، ص43-44.

"يتبين من خلال الحديث عن معطيات الجرجاني الجمالية تأكيده على مقتضيات نظرية النظم في(التعليق والإسناد والتأليف والتركيب)، تلك المعطيات التي لم تفارق الجمالية التي عالجها الجرجاني؛ وقد عالج تلك المعطيات بكيفيات الصياغة وإمكانية التعبير وتحقيق فرادة المبدع وتميزه، فضلا عن نضوج نصه وجماله"[1].

لقد تنبّه الجرجاني إلى ما قد يخفى عن النظم، فلا يظهر خلله ولا تبرز علله، فنبّه إليه المتلقيَ الحصيف مقرّا بأن ما يعلم من النظم منوط ببصيرة المتلقي التي تنفذ من الظاهر إلى الباطن ومن الجليّ إلى الخفيّ، وذلك لأنه قد يعلق ببعض جميل الكلام ما ليس من النظم ولا من ترتيب النحو ومقتضيات معانيه، ويظل عيبا ولا يتفطن إليه إلا نَقّادة حصيف يسبر أغوار الكلم خبير بدقائق النظم " وإنك لتنظر في البيت دهرا طويلا وتفسره، ولا ترى أن فيه شيئا لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمر خفيّ لم تكن قد علمته، مثال ذلك بيت المتنبي (من الكامل):

عجبا له حفظ العنان بأنمُلٍ*** ما حفظها الأشياء من عاداتها"[2].

مضى الدهر الطويل ونحن نقرأه فلا ننكر منه شيئا، ولا يقع لنا أن فيه خطأ، ثم بان بأَخَرَةٍ أنه قد أخطأ. ذلك أنه كان ينبغي أن يقول: 'ما حفظ الأشياء من عاداتها.' فيضيف المصدر إلى المفعول، فلا يذكر الفاعل، ذاك لأن المعنى على أنه ينفي الحفظ عن أنامله جملةً وأنه يزعم أنه لا يكون منها أصلا، وإضافته الحفظ إلى ضميرها في قوله:' ما حفظها الأشياء، يقتضي أن يكون قد أثبت لها حفظا. ونظير هذا أنك تقول 'ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي'، ولا تقول: 'ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي'"[3].

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن الجمالية الإبداعية لدى الجرجاني هي القائمة على المبدع وكفايته في الصياغة والرؤى والإبداع، وعلى النص بما يحتويه من نماذج الصياغة الإبداعية المختارة مبنىً ومعنًى وفق منظومة دلالية قائمة على الألفاظ والمعاني؛ قائمة على نظم المعاني وما تقتضيه من ألفاظ منتقاة ومرتبة بما يفضي إلى إبراز المكنون الجمالي وعناصره التي يتركب منها وعلاقاتها ببعضها، كما إن الجرجاني جعل من المتلقي يتبوّأُ مرتبة المبدع بما

1- الكشوفات الجمالية، محمد سالم سعد الله، ص163،164.

2 العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، ج1، ص341

3 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص400.

أقرّ له من شرعية التدخل الصياغي بحسب المتلقين وطبائعهم المختلفة من ناقد ومتذوق سلبي أو إيجابي وهو ما تستدعيه مواصفات الخطاب.

سابعا–آراء المحدثين في نظرية النظم:

اختلفت آراء الباحثين في نظرية النظم وتعددت ما بين معجب يرى فيها قاعدة صلبة تفيد الدارس وتوجه المؤلف، فيصيب كل منهما بحظه من غدائق تجربة الجرجاني وثمرات غرسه، وبين منكر لها محتج عليها. وبين هذين ثالث لا يراها بعين المعجب المقتنع ولا برؤية المنكر الممتنع. ولكنها في كل ذلك تظل نظرية لغوية أفاد منها الدرس اللغوي العربي أيما إفادة وانطلق منها الدرس اللغوي الغربي آخذا ببعضها بنسب متفاوتة.

لقد تلاقى الجرجاني بمنهجه مع اللسانيين الغربيين والمفكرين عموما سيما الذين عدوا نظرية النظم منهجا إبداعيا وتحليليا مؤداه جمالية التأليف ودقة التوليف بين مفردات ومكونات الكلام شعرا كان أم نثرا.

يُعد **محمد مندور** أول من لفت الانتباه إلى الأسس اللغوية لمنهج الجرجاني حيث قال: " وفي الحق إن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك دلائل الإعجاز في القرآن، وفي النثر العربي و الشعر العربي على السواء. ومذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري فردناند دي سوسير الذي توفي سنة 1913 م، ونحن لا يهمنا الآن من هذا المذهب الخطير إلا طريقة استخدامه كأساس لمنهج لغوي "فيلولوجي" في نقد النصوص"[1].

"...منهج عبد القاهر يستند إلى نظرية في اللغة، أرى فيها –ويرى معي كل من يمعن النظر– أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء نجدها في آخر "دلائل الإعجاز"؛ حيث يقرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من

1– الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، بشرى تاكفراست، "مجلة"، جامعة ابن يوسف، ع4، 2005، المغرب، ص1.

الألفاظ بل مجموعة من العلاقات؛ وعلى هذا الأساس العام بنى عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني، قال: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينهما فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها؛ لأدي ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لنعرفها بها، حتى كأنهم لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف لكنا نجهل معانيها، فلا نعقل نفيا ولا نهيا ولا استفهاما ولا استثناء، وكيف والمواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم، فمحال أن يوضع اسم لغير معلوم، ولأن والمواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت: خذ ذاك، لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتبصرها؛ كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له"[1] حيث قال الجرجاني: "اعلم أن هناك أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة، لم توضع لتصرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيصرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها، حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا: "رجل"، و"فرس"، و"دار"، لما كان يكون لنا علم بمعانيها. حتى لو لم يكونوا قالوا: "فَعَل" و"يَفْعَلُ" لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا "افعل" لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا، وحتى لو لم يكونوا قد وصفوا الحروف لكنا نجهل معانيها، فلا نعقل نفيا ولا نهيا ولا استفهاما و لا استثناء، كيف والمواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأن المواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت خذ ذاك لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتبصرها، كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له، ومن هذا الذي يشك أنا لم نعرف الرجل و

1- في الميزان الجديد، محمد مندور، نهضة مصر، ط يناير 2004م، ج1، ص148.

الفرس و الضرب والقتل إلا من أساميها؟ لو كان ذلك مصاغا في العقل، لكان ينبغي إذا قيل "زيد" أن تعرف المسمى بهذا الاسم من غير أن تكون قد شاهدته أو ذكر ذلك بصفة"[1].

أما **مصطفى ناصف** فيقول في كتابه "نظرية المعنى في النقد العربي" متحدثا عن النظم عند الجرجاني: "وقد رفض عبد القاهر مفهوم الصرفة، ولم يجد فيه ما يدعو إلى طول الجدال، واقتصر في مناقشته على ظاهرة واحدة. قال إن القرآن تعاظم العرب، فأكبروا أمره، وتعجبوا منه، ولما شعروا أنهم عجزوا عن شيء كان بلوغه عندهم مستطاعا مضمونا لكانت لهم حال غير تلك الحال"[2].

ويقول في موضع آخر: "وعبد القاهر مسوق-كما رأينا- بفكرة تجعل الإعجاز في طريقة تأليف العبارة وتأليف العبارتين المتواليتين. عبد القاهر أشعري المذهب والأشعري ذهب إلى أن السورة القصيرة المؤلفة من ثلاث آيات يتضح فيها الإعجاز ومعنى هذا أن تنظيم العبارة موضع عناية الأشعري نفسه... والحقيقة أن عبد القاهر بتر كثيرا من أطراف القضية أعني قضية ترابط الكلمات وأن الدافع إلى ذلك هو تمسكه بحرفية معنى الإعجاز... والواقع أن صاحبنا لم يحاول البتة أن يبين مدى تفوق العبارة القرآنية عن غيرها من العبارات، ولو سألت أين دلائل الإعجاز في كتاب عبد القاهر الجرجاني لما كنت مسرفا، إن جهد عبد القاهر الجرجاني في تبيين ملامح العبارة القرآنية لا يكاد يذكر بخير، ذلك أن الكتاب أقرب في مجمله إلى حديث ما في اللغة"[3].

ثم يختم حديثه في النظم عند الجرجاني قائلا: "لسنا نريد أن نغض من عمل عبد القاهر الجرجاني، ولكن الفرق بين اللغة وفلسفتها والاستطيقا اللغوية لم يكن متماسكا في عقل عبد القاهر فضلا على من هم دونه"[4].

وتحدث **بدوي طبانة** في كتابه "البيان العربي" عن المعاني والبيان عند الجرجاني وفكرة النظم عنده فقال: "وبعد فأين عبد القاهر من البلاغة؟ وما مكانه من البلاغيين؟

1- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص393.

2- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، دط، دت، ص29.

3- المرجع نفسه، ص30.

4- المرجع نفسه، ص30-31.

لقد ذهبت شهرة عبد القاهر بين علماء البلاغة على أنه قطب من أقطابهم، وعلم من أعلامهم، وعُد عند أكثر الباحثين أحد المؤسسين لهذا العلم ورواده عند العرب–وذلك صحيح إذا أريد بالبلاغة معناها الواسع،...أمّا أن يعتبر عبد القاهر بلاغيا، لأنه استخرج فنونا جديدة من فنون البلاغة لم يوقف إلى استخراجها أحد من الذين سبقوه أو لأنه نهج منهج البلاغيين من التماس الحد الجامع المانع لكل فن من فنونها...ذلك أن تلك الفنون التي درسها عبد القاهر في كتابيه المعروفين لم يكن مخترعا لفن منها، بل إنها عرفت قبله، وقد استخرجها وأبان عن معالمها كثير من العلماء والأدباء والنقاد في القرنين اللذين سبقاه، وهما القرن الثالث والقرن الرابع الهجريان، وجاء عبد القاهر فوجد تلك الفنون بين يديه"[1].

ثم يقول متحدثا عن النظم: "وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح ولم يستعملوه، فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها، فالفصيح من الألفاظ إذا هو الحسن"[2].

" وإذا كان عبد القاهر يدين بفكرة النظم، ولا يعترف بجزئياته، فإن له لفتة موفقة إلى ما ينبني على تلك الفكرة من أصول النقد الواعي"[3].

أما **محمد غنيمي هلال** فيقول في هذا الصدد: "والصورة البيانية التي يتعاون في تأليفها المجاز والنظم هي مدار الحين عند عبد القاهر، كما رأينا. فهل يقف عبد القاهر في تقويم الصورة الأدبية عند حدود الجمال المحض، دون قصد إلى شرف المعنى في ذاته؟ يبدو أن الأمر كذلك. فقد نعى عبد القاهر على من يرون الحسن في الحكمة السائرة، والخلق السائد، لا يتجاوزون هذه الحدود فلم يذكر عبد القاهر سوى الصورة الأدبية أساسا للحسن، وهي التي يتوافر فيها حسن النظم، سواء اشتملت على حكمة أم لا، ولا يشترط عبد القاهر غاية

1- البيان العربي "دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى"، مكتبة الأنجلو، مصر، ط2، 1958، ص153-154.

2- المرجع نفسه، ص158.

3- الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، بشرى تاكفراست، ص4.

اجتماعية أو خلقية للكتاب ومتى حسنت الصورة الأدبية باستكمال حسن النظم، حسن الألفاظ في مواقعها فقد حسُن الكلام"[1].

ويُردف قائلا: "وعلى الرغم من أصالة عبد القاهر في ما سقناه له من أراء في النظم فقد تأثر بآراء كثير من سابقيه، وحذا حذوهم في الاعتماد بالصياغة، وأنها نظير التصوير والنقش، وكانت جل أفكاره دائرة حول هذه الصياغة وقد أفاد إفادة كبيرة من أنصار اللفظ وترجيحه على المعنى... وكان لعبد القاهر فضل لا يدانيه فيه ناقد عربي في توثيق الصلة بين الصياغة والمعنى. وفي الاعتداد في ذلك بالألفاظ من حيث دلالتها وموقعها، مجازية كانت أم حقيقية، وبيان تأثيرها في تأليف الصورة الأدبية. وبالرغم من أن عبد القاهر قد ثار على اعتبار الألفاظ من حيث هي ألفاظ لم يدانه ناقد عربي في بيان قيمة الألفاظ وصلتها بعملية الفكر اللغوية وتأثيرها في الصورة الأدبية"[2].

ثم يتطرق غنيمي هلال إلى الحديث عن المضمون وصلته بالتقويم الجمالي عند الجرجاني حيث قال: "وإنما ذكرنا من نقد بندتو كروشتيه ما يتصل اتصالا وثيقا بنقد عبد القاهر، لنوضح فضل عبقرية عربية انتهت بعمق نظرياتها في النقد الأدبي إلى نتائج عالمية ذات قيمة خالدة ولها صلة بفلسفة الجمال في النقد الحديث"[3].

أما **شوقي ضيف** فقد تكلم عن النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه فخصص فصلا لوضع عبد القاهر لنظرية المعاني و آخر لوضعه لنظرية البيان. فقال في تقديمه له: "ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علم المعاني و البيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه 'دلائل الإعجاز' وأما النظرية الثانية فخص بها وبمباحثها كتاب 'أسرار البلاغة'... وواضح من ذلك أن عبد القاهر كان يرى أن علوم البلاغة علم واحد تتشعب مباحثه، وسمى في الدلائل علم المعاني باسم (النظم) وهو اصطلاح كان يشيع في بيئة الأشاعرة، إذ كانوا يعللون إعجاز القرآن بنظمه على نحو ما

1- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، دط، 1979، ص271.
2- المرجع نفسه، ص272.
3- المرجع نفسه، ص276.

مر بنا عند الباقلاني، وحقا إن الجاحظ أول من وضع هذا الاصطلاح وعلل به الإعجاز القرآني ولكن يبدو أن الأشاعرة كانوا يتمسكون به"[1]

ثم يقول: "ونرى عبد القاهر في مواطن كثيرة من الدلائل يبدئ ويعيد في إبطال أن يكون مردّ الفصاحة إلى اللفظ أو المعنى كما زعم الجبّائي المعتزلي وإن كان لم يصرح باسمه، إنما مردها إلى النظم كما قال الباقلاني الأشعري، أو بعبارة أخرى إلى الأسلوب وخصائصه وكيفياته. وهو في ذلك يستمد من عبد الجبار، غير أنه يورد من التعريض به في الكتاب، كما مرّ في حديثنا عنه، ما يجعل القارئ يظن أن عبد القاهر هو أول من تنبه إلى تعليل الإعجاز القرآني بتراكيب الكلام وصياغاته وخصائصها التعبيرية"[2].

كما تحدث **إحسان عباس** في كتابه 'تاريخ النقد الأدبي عند العرب' قائلا: "...ومن مرحلة المعنى يتكون 'علم المعاني' ومن مرحلة 'معنى المعنى 'يجيء 'علم البيان'، ولهذا نستطيع أن نقول إن عبد القاهر بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه حول المعنى، حاول "أن يخصص كتابا لدراسة معنى المعنى فكان من ذلك كتابه 'أسرار البلاغة'"[3].

وتحدث **سيد قطب** عن نظرية النظم في كتابه 'النقد الأدبي أصوله و مناهجه' فقال:"لقد حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة و الجمال الفني في كتابه 'دلائل الإعجاز' كما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه 'أسرار البلاغة' وقد تأثر بالفلسفة الإغريقية وبالمنطق، بل ذهب أبعد من ذلك فأقر أن عبد القاهر أول من قرر نظرية في تاريخ النقد العربي ويصح أن نسميها نظرية النظم، وانتقد سيد قطب إهمال عبد القاهر لدراسة الجانب الصوتي للألفاظ وفي ذلك يقول: "ومع أننا نختلف مع عبد القاهر في كثير مما تحويه نظريته هذه بسبب إغفاله التام لقيمة اللفظ الصوتية مفردا ومجتمعا مع غيره، وهو ما عبرنا عنه بالإيقاع الموسيقي، كما يغفل الظلال الخيالية في أحيان كثيرة، ولها عندنا قيمة كبرى في العمل الفني... مع هذا فإننا نعجب باستطاعته أن يقرر نظرية هامة كهذه – عليها الطابع العلمي – دون أن يخل بنفاذ حسه الفني في كثير من مواضيع الكتاب"[4].

1- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الاسكندرية، ط9، دت، ص160-161.

2- المرجع نفسه، ص151.

3- تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،دط، دت، ص429.

4- الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، بشرى تاكفراست، ص5.

وتناول **تمام حسان** في كتابه" اللغة العربية معناها ومبناها" نظرية النظم فقال:" ولقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب.

ومع قطع النظر من رأيي الشخصي في قيمة البلاغة العربية بعامة من حيث كونها منهجا من مناهج النقد الأدبي وعن صلاحيتها أو عدم صلاحيتها في هذا المجال أجدني مدفوعا إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبد القاهر للنظم وما يتصل به تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر"[1].

أما **أحمد مطلوب** فقد أفرد له كتابا سماه 'عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده' حيث يقول فيه: "لقد تحدث عبد القاهر في كتابيه 'دلائل الإعجاز' و'أسرار البلاغة' عن كثير من القضايا كاللفظ و المعنى و التصوير الأدبي و السرقات و الذوق و التأثير النفسي، وربطها بنظرية النظم التي أطال الكلام عليها، وهدفه من ذلك الوصول إلى معرفة الإعجاز وقد وفق فيما سعى إليه ونفع الدراسات الأدبية بنظريته وآرائه التي بناها عليها، وبذلك كان أعظم ناقد شهده النقد العربي القديم لأنه التزم بفكرة واضحة وسعى إلى هدف محدد"[2].

كما وضح أحمد مطلوب أن الجرجاني قد استمد نظريته من التراث قائلا: "وليس كل ما ذكر في كتابيه جديدا، فالمعظم ما سطّر عرفه السابقون، ومن هنا كان لابد من الحديث عن مصادره، وقد اتضح أن صلته بالتراث كانت قوية وأنه اعتمد على كتب النحو واللغة والبلاغة والنقد اعتمادا كبيرا، وأخضع الكثير من الموروث لقاعدته الأساسية القائمة على النظم، أما صلته بأرسطو فليست واضحة، لأن القضايا التي عالجها كانت مما يشيع في البيئة العربية وهي تختلف كثيرا عما في كتابي (الخطابة) و(الشعر) بل تكاد تبتعد عنها ابتعادا كثيرا،

1- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص18.

2- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، بيروت، دط، 1973، ص329.

ولكن لا يمنع ذلك من افتراض أنه اطلع على كتابي أرسطو وقرأ كتب ابن سينا وتأثر بها من بعيد"[1].

أما **محمد زكي العشماوي** فيقول متحدثا عن الجرجاني في فصل له عنونه ب'نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني'قائلا: "وعند عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس للهجرة، وفي كتابه دلائل الإعجاز بذات التقي بنظرة جديدة في اللغة، وبمنهج جديد في دراسة الأدب ونقده. وإن كانت نظرية الخيال عند كولردج قد قضت على ثنائية اللفظ والمعنى التي كانت شائعة وسائدة في النقد الأدبي الأوربي قبل كولردج، فإن نظرية النظم عند عبد القاهر قد قضت على كثير من المفاهيم الخاطئة التي سادت تفكيرنا النقدي العربي قبل عبد القاهر، وأضافت إضافات جوهرية تعتبر في مجموعها أساسا صالحا لنقد الشعر بعامة وبيان الإعجاز القرآن بخاصة. وإذا كان في تاريخ النقد العربي والبلاغة العربية شيء يقارب ما انتهى إليه الفكر الحديث في الدراسات النقدية والبلاغية فهو منهج عبد القاهر ومن ثم قد استحق من الباحث الحديث كل عناية واهتمام"[2].

ويقول في موضع آخر عن تصور الجرجاني للنحو" وإذا عدنا إلى تصور عبد القاهر الجرجاني للنحو مرة أخرى وجدنا أن فهمه للنحو قد رد للغة اعتبارها وأحلها المحل اللائق بها. فالنحو عنده ليس هذا العلم الذي يبحث في ضبط أواخر الكلمات، ولا هو جملة القواعد الجافة، ولا هو هذا الشيء الذي لا مكان له في البلاغة ولا في الفن. وإنما النحو عنده العلم الذي يكشف لنا عن المعاني، وما المعاني هنا إلا الألوان النفسية المتباينة التي ندركها من علاقات الكلام بعضه ببعض، ومن استخدام الشاعر للغة استخداما يجعل من ارتباط بعضها ببعض نسيجا متشعبا من الصور والمشاعر"[3].

كما نوه احمد العشماوي إلى جهود الجرجاني التي كثيرا ما توافقت مع الدراسات الحديثة قائلا: "وشبيه ما انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني في موضوع دلالات الألفاظ وارتباط بعضها ببعض بما انتهى إليه كثير من النقاد المحدثين.فلو أننا قرأنا الفصلين الأولين من كتاب فلسفة اللغة للناقد الانجليزي ريتشاردز: لوجدنا أن كل ما يحورل ريتشاردز في هذين الفصلين

1- المرجع السابق، ص329.

2- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، ص302 .

3- المرجع نفسه، ص308.

لا يخرج مما قاله عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري فيما يتعلق بقضية النظم، وعلاقة الكلمات بعضها ببعض"[1].

كما تحدث محمد زكي العشماوي عن الجانب الصوتي للفظ عند الجرجاني قائلا: "كلا، لم يكن اللفظ عند عبد القاهر الجرجاني محدودا في قيمته الصوتية، كما لم يكن المعنى عنده قاصرا على الفكرة أو المضامين الأخلاقية والفلسفية وغيرها، وإنما اللفظ عند عبد القاهر بكل إمكاناته الصوتية وغير الصوتية في خدمة المعنى، والمعنى عنده هو كل ما نتج عن السياق من فكر وإحساس وصورة وصوت"[2].

وقال كذلك:"بعد أن انتهى عبد القاهر من هذه الحقيقة وهي أن اللغة في شكل سياق مجموعة من الدلالات والفاعليات والارتباطات التي لا تنتهي عند حصر، أخذ في إنكار هذه الثنائية التي شاعت في النقد العربي بين اللفظ والمعنى فمادامت اللغة في الشعر وحدة لا تتجزأ، فمن العبث ومن سوء التقدير والفهم أن نعتبر كل من اللفظ والمعنى عالما مستقلا بذاته وأن نرجح المزية والفضيلة لأحدهما دون الآخر، أو حتى أن نعتبر أحدهما سابقا في الوجود على الآخر.

ولقد بذل عبد القاهر لتشبيعه هذه الوحدة بين اللفظ والمعنى مجهودا كبيرا استخدم فيه كثيرا من الأساليب المحاجة والجدل، وأبان فيه كثيرا مما غمض على النقاد من معاني الخلق الأدبي والنقد الأدبي"[3].

ويرى **إبراهيم مصطفى** أن عبد القاهر الجرجاني قد قدم تصورا جديدا للبحث النحوي قائلا: "وجاء بعد ذلك بآماد الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471)، ورسم في كتابه 'دلائل الإعجاز' طريقا جديدا للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب، وبين أن للكلام (نظما) وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهما معناه، ولا دالا على ما يراد منه"[4].

1- المرجع السابق، ص319-320.

2- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة المصرية، بيروت، 1997، ص325.

3- المرجع نفسه، ص315.

4- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص25.

وقد بين مصطفى إبراهيم أن النحاة لم يضيفوا على ما جاء به عبد القاهر الجرجاني حيث قال: "فجمهور النحاة لم يزيدوا به في أبحاثهم النحوية حرفا، ولا اهتدوا منه بشيء، وآخرون منهم أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بيانا لرأيه، وتأييدا لمذهبه، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة سموه: (علم المعاني)، وفصلوه عن النحو فصلا أزهق روح الفكرة وذهب بنورها، وقد كان أبو بكر يبدي ويعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم: (المعاني) وبتروا الاسم هذا البتر المظلّل"[1].

وفي موضع آخر تحدث عن السبب الذي شغل الناس عن نظم الجرجاني وحصره في أمرين هما: "الأول: عام يتصل بحال العلم في القرن الخامس، عصر أبي بكر، إذ كانت العقول قد همدت وقيدت بسلاسل من التقليد حرمت عليها أن تقبل أي ابتداء أو تجديد.

الثاني: خاص يعود إلى طبيعة المذهب، وأن أساسه الذوق وتنبُّه الحس اللغوي لزنة الأساليب ودرك خصائصها. وقد كانت العجمة إذ ذاك غالبة بغلبة الأعاجم، والعلماء واقفون من علم العربية عند ظاهر لفظها. لا يبلغ بهم الحس اللغوي أن يذوقوا ما ذاق عبد القاهر، ولا أن يدركوا ما أدرك، فاضطر إلى مضاعفة الجَهْد في الكشف عن رأيه والاحتجاج له، ثم كتب له أن يخلي رأيه–على وضوحه– غامضا يعرض عنه قوم ويحرفه آخرون"[2].

ويردف قائلا: "لقد آن لمذهب عبد القاهر أن يحيا، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإن من العقول ما أفاق لِحَظِّه من التفكير والتحرر، وإن الحس اللغوي أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب، ويزنها بقدرتها على رسم المعاني، والتأثير بها، من بعد ما عاف الصناعات اللفظية، وسئم زخارفها"[3].

كما ألف **درويش الجندي** كتابا في النظم عند عبد القاهر الجرجاني سماه "نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم" وكيفية فهمه لنظرية النظم: "ما لجأت إليه من الاستعانة بالبحوث الكلامية في تفسير نظرية عبد القاهر في النظم وربط هذه النظرية بتلك البحوث ربطا وثيقا"[4].

1- المرجع السابق، ص26-27.

2- المرجع نفسه، ص27.

3- المرجع نفسه، ص27.

4- نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، مكتبة نهضة مصر بالفجوجانا، دط، 1960، ص11.

معتمدا في ذلك على قول أمين الخولي حين قال: "ولقد أشار الأستاذ أمين الخولي إلى غلبة النزعة الكلامية على عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز"[1].

كما يرى درويش الجندي أن الجرجاني قد استفاد في نظريته من المنطق، فقال: "ومهما يكن من شيء فقد انتفع عبد القاهر في نظريته في النظم أيما انتفاع بما تراءى له من صلة المنطق باللغة من ناحية، ومن صلة النحو بالمنطق من حيث إنه بمثابة منطق خاص باللغة من ناحية أخرى، واستغل عبد القاهر ذلك إلى أقصى حد في بيان وضع اللفظ وقيمته بالنسبة إلى المعنى ليخرج من حسية الكلام"[2].

كما أورد في كتابه فصلا عنونه بـ'الحملة على نظرية النظم وموقف علماء الإسلام والعربة إزاءها' قدم له قائلا: "ومنذ ولدت نظرية النظم اتجه طعن الملاحدة والشعوبيين إلى هدم هذه النظرية بالزراية على النظم القرآني بوجه خاص تارة والزراية على النظم العربي بوجه عام تارة أخرى، فواجه علماء المسلمين الملاحدة والشعوبيين بدحض حججهم وكشف الغطاء عن ضلالهم وافترائهم"[3].

أما **محمد خلف** فقد تحدث عن كتابي الجرجاني وهما'دلائل الإعجاز'و'أسرار البلاغة' قائلا: "و كثيرا ما تراهم في الصور في الإنتاج الأدبي يتجاوزن الموضوع والعنوان، وقصروا همهم على نظام العمل وتأليفه، والأصباغ وانسجامها، والظل والنور والتنافر والتآلف، وما إلى ذلك من نواحي النقد الموضوعي، ولعل هذا من أوضح الأمثلة على هذا المنزع بين مؤلفي النقد العربي(عبد القاهر الجرجاني) في دلائل الإعجاز فهو يذهب إلى أن إعجاز الكلام يقوم على دقائق وأسرار، طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها، ودلوا عليها؛ والمعول على ما في الكلام من نظم وترتيب وتأليف وتركيب ..."[4].

1- نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، ص11.

2- المرجع نفسه، ص50.

3- المرجع نفسه، ص24-25.

4- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، دت، ص42-43.

كما أشار إلى أن الجرجاني قد تأثر في بعض نواحي تفكيره بالثقافة الإغريقية وخاصة أفكار أرسطو قائلا: " هذا القسم الأخير من البحث-إذن-يصل بنا إلى ترجيح أن عبد القاهر تأثر-على نحو ما-بالبحوث الإغريقية المترجمة، وانتفع بها انتفاعا ظاهرا في دراسته لآثار البلاغة. وهذا التأثر أظهر ما يكون في النواحي التفريعية والتحقيقية (وهذه ليست الهدف الرئيسي لبحثنا)، ولكنه أيضا في المنزع النفساني العام عند عبد القاهر، وفي بعض الأسرار التي اهتدى إليها في كتابه"[1].

وهذا لا يعني حسب محمد خلف نفي أصالة نظرية النظم ولا ينفي كذلك جهود الجرجاني في ابتكار هذه النظرية: فهو يقول: " غير أن هذا التأثير-كما حاولنا أن نثبت- لا ينفي الأصالة، ولا ينفي عن عبد القاهر صفة العالم المبتكر، ولا يقلل من أهمية نظريته التي لم يسبقه سابق إلى عرضها وتحقيقها وإفراد موضوعها بالدرس —كما يفرد العالم الحديث موضوعا معينا للبحث والتنقيب في رسالة خاصة؛ فمنهجه وطريقة تأليفه —إذن- من أبرز المعالم في الدراسات العربية النقدية، وشخصيته العلمية في نظريته واضحة حقا بجانب شخصية أرسطو، وهذه النظرية تأخذ مكانها في تفكيره المتصل الحلقات في كتابيه: (الدلائل)و(الأسرار). وهو — من بين من تأثروا بالثقافة الإغريقية- أكثرهم نجاحا في التوثيق بين التفكير الأدبي الذوقي والمنهج الفلسفي العلمي، وإن قدرته على تسخير العلم في كشف أسرار الذوق لدليل على أصالته كفيل بخلوده"[2].

يرى **محمد بركات** في مؤلفه **'**معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني**'**متحدثا عنه بقوله: "المتتبع لمؤلفات عبد القاهر في الرسالة الشافية و الدلائل والأسرار يلاحظ قلة الشواهد والآيات القرآنية وتحليلها، وهذه الملاحظة قد وقف عليها الأستاذ أمين الخولي، إذ حكم لعبد القاهر بالبلاغة والأدب في كتابه "الأسرار" ولكنه يأخذ عليه في كتابه "الدلائل" أنه لا يتحدث في قضية الإعجاز بكثير ولا قليل، بل لا يستشهد بالقرآن على نسبة كافية، وكأنه يتحرى ترك ذلك لما تشعر به من قلة الشواهد القرآنية في كتابه هذا قلة ظاهرة"[3].

1- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله،ص115.

2- المرجع نفسه، ص115.

3- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر،عمان، الأردن، دط، 1984، ص14.

الحقيقة أن الجرجاني أقلّ الاستشهاد بالآيات القرآنيه، وهو ما دفع بعضهم أن يقللوا من كتابه دلائل الإعجاز مقارنة بكتابيه الأخريين رغم اعترافهم له بالبلاغة والفصاحة والأدب؛ وقد يكون عنوان الكتاب هو السبب، فعبد القاهر لم يكن يضع كتابا لدراسة الإعجاز القرآني إنما كان يستشهد للإعجاز عن طريق 'النظم' وهي وسيلته لذلك، أي أنه كان يضع نظرية بآلياتها ووسائلها لتكون الطريقة المثلى لفهم الإعجاز القرآني والعذب من الشعر والنثر.

و"يرى الرأي نفسه **أحمد بدوي** ويؤيده، ولتوثيق هذا قمنا بإحصاء الآيات القرآنية التي استخدمها عبد القاهر في رسالته وكتابيه، فكانت كالآتي:

1- ورد في الرسالة الشافية ثمان آيات من خمس سور، وتقع هذه الرسالة في خمس وأربعين صفحة من القطع المتوسط.

2- وفي كتاب 'دلائل الإعجاز' يورد عبد القاهر مائة وستا وستين آية، في خمس وأربعين سورة، ويقع كتاب 'الدلائل' في حدود ثلاثمائة وأربع وستين صفحة من القطع المتوسط، وقلة ورود الآيات، وعدم التعرض إلى تفسيرها، أمر واضح في هذا الكتاب، ولا أظن أن عبد القاهر قد خالف بين عنوان الكتاب وهو 'دلائل الإعجاز' وما جاء فيه على غير ذلك، كما ظهر لبعض الباحثين.وذلك لأن العنوان من شقين، الأول في 'الدلائل' وهي العلامات والوسائل والبدايات والأسس والركائز ثم إضافة 'الدلائل' إلى 'الإعجاز' وهو إعجاز القرآن، ومعنى عنوان الكتاب أنه في غير تفسير الإعجاز القرآني، وإنما في وسائل هذا الإعجاز وفي طرائق فهمه.

3- وفي كتابه"أسرار البلاغة" نرى أن عبد القاهر قد أورد تسعا وثلاثين آية من خمس وعشرين سورة، وهذا يفسر ما ذهبنا إليه من أن عبد القاهر ما انشغل بتفسير البيان القرآني، ولكنه اهتم بتفسير الوسيلة وإيضاحها"[1].

1- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي أبو علي، ص15-17-18.

كما وضح أبرز الملاحظات التي وردت عن كتب الجرجاني قائلا: "لو نظرنا قليلا متريثين في غرض عبد القاهر من تأليف رسالته الشافية وكتابيه (الدلائل والأسرار)، للاحظنا الآتي:

1-: وجه عبد القاهر إلى قصور دراسات السابقين في توضيح طريقة العرب في فهم البيان القرآني، ولذا لم يرتض الوسائل التي جعلوها من وجوه الإعجاز القرآني، إذ تتخلف في ناحية من القرآن، وتصدّق في أخرى ولذا حاول جاهدا أن يقدم طريقة تتمثل في القرآن كله، وجعل هذه الطريقة باسم (النظم) ولكنه لم يطبقها في البيان القرآني، إنما جلّ همّه أن يقدم وسيلة وكفى.

2-: لو دققنا النظر لوجدنا أن عبد القاهر يقيم دراسته على المعاني، وكيف تسير هذه المعاني على طرائق العرب، وما تعارفوا عليه من الفصاحة والبلاغة، وتأثير ذلك في نفوسهم وأذواقهم.

3-: وضح عبد القاهر طريقته في فهم البيان القرآني، واشترط لها شروطا في المعاني وفي الألفاظ، ولذا سنراه يدير حديثه عن الفنون البلاغية، والتوجيهات الأدبية، واللفتات النقدية من خلال ما أسماه (بالنظم) وهو الوسيلة أو الطريقة لفهم البيان القرآني..."[1].

من الواضح أن الجرجاني كان يضع نظريته من خلال الإعجاز القرآني والبلاغة العربية، فهو في دلائل الإعجاز كان يورد الأشعار ويمثل لما أراد بما اعتاده النحاة وأهل اللغة وكذلك في أسرار البلاغة، ذلك أنه كان يريد أن يبلغ أمرين اثنين: أولهما، أنه كان يوضح المعاني وفق ما تعارف عليه العرب من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان، مراعيا في ذاك تأثيرها في النفوس والأذواق. وثانيهما، أنه كان يوضح كيفية فهم البيان القرآني، فكان النظم طريقته أو وسيلته لذلك. وهو ما حدا بالبعض إلى القول أن دلائل الإعجاز لم يكن كتابا للإعجاز إنما هو لشرح الوسيلة التي تمكن من دراسة وفهم الإعجاز.

"وتناول **طه حسين** عبد القاهر الجرجاني بالبحث في تمهيد كتاب 'نقد النثر' لقدامة بن جعفر تحت عنوان: 'البيان العرب'، وهو يرى أنه تم على يده التوفيق بين البيانين: العربي واليوناني بل أقر في نهاية بحثه أن من يقرأ 'دلائل الإعجاز' لا يسعه إلا أن يعترف بما أنفق

1 -المرجع السابق، ص14.

عبد القاهر من جهد صادق خصب، في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقا يدعو إلى الإعجاب. وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقا فعبد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه"[1].

قد لا يكون طه حسين منصفا إنْ هو لم يعترف للجرجاني بما قدّم للبلاغة العربية والرؤية الإنسانية للجمالية اللغوية، لكنه رغم أنه ربط ذلك بما تمّ على يديه من التوفيق بين البيان العربي والبيان اليوناني، وأن الجرجاني أنفق جهدا صادقا في التأليف بين النحو العربي وقواعده وبين ما كتب أرسطو في الجملة والأسلوب، فإنه (طه حسين) أقرّ أن أساس البيان العربي كان عربيا خالصا تأسس على يد الجاحظ، ولم يكن لعبد القاهر أن يتجاهل من سبقوه، وأقرّ لعبد القاهر برفع قواعد البيان العربي وإحكام بنائه. وهو في كل ذلك لم يتعدّ – إنْ كان حقا أخذ عن أرسطو– أن يستفيد العالم من خبرات سابقيه أو أن يأخذ ما أتوا به ليزيد عليه ويثبت بعضه ويفند بعضه.

ومن هنا يتبيّن أن طه حسين يشيد بفضل الجرجاني في ما قدّم للبيان العربي ولعلم المعاني ما لم يقدمه غيره من سابقيه بل وأهدى الدارسين آليات التحليل الدقيق ومسابير استجلاء ما بَعُد، وتقدير ما خَفِيَ، وتقويم دور الجلي والخفي وأثرهما في المعنى.

ويقول **كمال أبو ديب**: "ركزت الدراسات البلاغية للصورة الشعرية على الطبيعة الزخرفية التزينية لها منطلقة من تصور قاصر للأسلوب والصورة على أنهما عنصران خارجيان في العمل الفني، ويتوفر هذا التصور في التراث الأوربي بشكل خاص منذ أرسطو حتى كلوريدج، ومن الشيق أن التراث العربي يخرج على هذه النظرة للأسلوب والصورة في نقاط عديدة من تطوره.

ويبلغ الخروج ذروته في تصور عبد القاهر الجرجاني الناقد الفذ للخلق الأدبي، ولصوره، باعتبارها عنصرا حيويا من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية وتبلورها اللغوي في بنية معقدة متشابكة لها نموّها الداخلي الفرد، وتفاعلاتها الغنية"[2].

1– الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، بشرى تاكفراست، ص1.

2 –جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر)، كمال أبو ذيب، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، ص19.

ويرى كمال أبوديب أن الجرجاني تجاوز برؤيته للغة، ودستوره المستحدث للنظم كل الدراسات البلاغية التي انصبت على الشكل الزخرفي والألوان المنمقة التي حفل بها النقاد سيما في أوروبا، مشيدا بخروج التراث العربي عن تلك النظرة القاصرة حيث كان خروج الجرجانيفي تصوره للإبداع الأدبي والتصوير الشعري إلى استجلاء أبرز عناصره وتفاعلها من التكوين النفسي والقدرة على الصياغة وقدرة المتلقي وغير ذلك مما تقتضيه التجربة الشعرية وتبلورها اللغوي التي تشكل بنية معقدة لها تفاعلاتها ونموها وتطورها.

لقد اعتبر أبو ديب نظرية النظم نظرية نقدية شاملة تتجاوب مع ما تقتضيه الرؤى الحديثة، فلم يكتف بتقديم ما علم منها وإنما خصها بكتاب : 'نظرية الجرجاني في التخييل الشعري'، وعرض لها في كتابه 'نظرية الخفاء والتجلي'.

يقول وليد **محمد مراد** :"يضع عبد القاهر قانونا لهذا النظم الجامع للفظ والمعنى، ليسير عليه كل من طلب النظم السليم والتعبير الراقي، لإيمانه الشديد بشدة ارتباط الفكر باللغة، ومتانة التحام اللفظ بالمعنى داخل نظم الكلام"[1].

ويقول أيضا: "ونجد لهذه الأفكار صداها في العلم اللغوي الحديث في الفكر العربي والغربي مما يدل على رقي الفكرة عند عبد القاهر وتقدمها على عصرها،وتستمر في ثباتها حتى عصرنا الحالي—ونذكر بعض اللغويين والمفكرين والمؤيدين لهذه الأفكار أمثال نودييه وقوله:من أن الكلمة ثمرة للفكرة، وجوبير بقوله: عندما تصل الفكرة إلى تمامها تصيح بكلماتها"[2].

وهو هنا يقر بأن ما وضعه الجرجاني إنما هو قانون جامع يهتدي بتعاليمه من أراد أن يتنكّب العثرات ويتقي الزلات في القول والصياغة والربط بينها وبين الفكر ؛ فهو يدعو إلى إعمال الفكر لتزيد اللحمة صلابة وشدة بين اللفظ والمعنى فلا يترك للدلالة احتمال زيغ ولا غلط تأويل مع جمالية النسج وحلاوة التعبير.ثم يردف قائلا أن ما جاء به عبد القاهر لم يكن إنشاء يسقطه من شاء على ما شاء من الأحاديث وإنما هو قانون علمي لقيَ مكانته في علم

1نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني وليد محمد مراد ص 129.

2 – المرجع نفسه، ص 134.

اللغة ولدى علمائها من العرب قدمائهم ومحدثيهم، ومن الغربيين المحدثين وهو بذلك تبوّأ المكانة المستحقة لدى أغلب علماء اللغة قديما وحديثا.

والخلاصة فإن "مختلف الحقول تبنت نظرية النظم، وأفادت منها في صوغ نماذج تصويرية تغني قراءة التراث من منطلق الرغبة في التأكيد على الحضور التاريخي للذات، وقدرتها على الإبداع... لقد تناولها كمال أبو ديب باعتبارها نظرية نقدية، أما عبد القادر حسين وآخرون فقد تناولوها من وجهة بلاغية، وهو ما أنكره أحمد المتوكل الذي دعا إلى تناولها وفق تصور لساني صرف. وإذا كان نصر حامد أبو زيد يجعلها نظرية في الأسلوبية، فإن الجابري لم يتعد بها السياق الإبستمولوجي الذي تندرج ضمنه، وكذلك فعل أحمد أبو زيد حينما اقتصر على رصد مقدمتها الفكرية المتمثلة في العقيدة الأشعرية ويتضح أن نظرية النظم، بقدر ما تسعف على تجريب آليات التحليل"[1] تستوجب دراسات أوفى مجردة من الاحتفالية بالموروث ومن النظر إليها نظرة مذهبية أو إيديولوجية.

والظاهر أن عبد القاهر في كتبه المشهورة الثلاثة لم يكن يحاول تقديم دراسة للإعجاز القرآني بدليل أنه كان مقلا في الاستشهاد بالآيات القرآنية، وإنما كان يضع ما من شأنه التمكين لفهم الإعجاز القرآني ولم تكن الطريقة التي وضعها من خلال نظرية النظم إلا الوسيلة الأمثل لفهم الإعجاز وفهم ما عَذُب تأليفه وجُل تصنيفه من المعاني إن شعرا وإن نثرا.

لقد آخذ البعض عبد القاهر بأنه لم يُوفِ الإعجاز القرآني حقه من الدراسة، وأنه كان مقلاً في الاستشهاد بالقرآن، إلا أنهم لم يؤاخذوه بشيء مما وضعه من وسائل لدراسة الإعجاز وفهمه، واستجلاء جماليات الشعر والنثر واعتماد ما يلزم من قواعد وتفاصيل لتَنكُّب الخلل تحليلا وتأليفا.

ومن كل ذلك يمكن القول بأن الجرجاني بنظرية النظم كان يحاول أن يقرَّ دستورا جامعا للفظ والمعنى، لشدة الصلة الرابطة بينهما إذ يقول:"واعلم أن معك دستورا لك فيه- إن تأملت- غنى عن كل ما سواه..."[2] وإن لم يصل بالنظم إلى الكمال فقد بلغ به مبلغا

1 - الأساس الفكري والبعد اللغوي، عصام سليماني، محيط المعرفة، عالم التربية، 14فبراير2016، ص9.

2- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 115-116.

عظيما لم يُسبق إليه، وليس أدلّ على ذلك من أن يتناول النظمَ أهلُ اللغة وعلماؤها ويجد فيه كل منهم توجهه أو بعض ما يراه، بل يمكن القول إنه وضع الإشارات الأولى لبعض العلوم الحديثة كالأسلوبية.

والخلاصة فإن نظرية النظم التي قامت على أساس الفصل في فضل النظم على اللفظ وعلى المعنى في إنشاء أو تحليل الكلام، إنما هي استبانة لدور النحو ومعانيه وربطه بالدلالة، فالنظم هو توخي معاني النحو، والنحو هو منظومة القوانين التي تضبط ترتيب الكلام وتربط بعضه ببعض بما يضمن وضوح معناه ودقة دلالته.

لقد ظهر النظم قبل الجرجاني، لكنه اكتمل علما وقوانين في كتاب الجرجاني 'دلائل الإعجاز' ولم يخل منه كتابه 'أسرار البلاغة'، فنظرية النظم ثمرة نبتة تعددت جذورها وتشابكت، حتى اكتملت على يد الجرجاني مفصّلة مبيّنة، لا يختلف اثنان في علميتها وعالميتها.

لقد حسم الجرجاني الجدل القائم بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، فعدّ المعاني أصل التعبير، وعدّ التعبير يرجع إلى اللفظ، فالجرجاني لم يناصر اللفظ ولا المعنى، إنما فصل بما مفاده أن الصياغة تضمن للألفاظ توظيفا حسنا، وللمعاني ظهورا واضحا.وأشار إلى ما للصياغة من أثر في النفس بترتيبها ودقة سبكها.

إن نظرية النظم إنما تقوك على مبادئ أساسية أهمها:

توخي معاني النحو، ووضع الألفاظ مكانها الذي يتطلبها والسياق الذي يقتضيها؛ فشأن النظم ترتيب المعاني في النفس، ثم ترتيب الألفاظ بما يستدعيه من تقديم وتأخير وحذف مع التفريق في مؤدَّى الألفاظ للمعاني.

أما عناصر النظم ومكوناته فقد فصّل فيها الجرجاني وعدّدها:

التقديم والتأخير والقصد فيه: فبعض التأخير يحفظ للمؤخَر تقدمه، وبعضه يتحوّل معه المقصود والإعراب والوظيفة. وقد بيّن الجرجاني ذلك وحدّد مواضعه والغايات منه.

الحذف: ويعدّه الجرجاني بابا دقيق المسلك، لطيفا، عجيبا، أشبه بالسحر لما يتسم به من تحولات وجمال ودقة سبك وحسن حبك. وقد ذكر مواضعه وحدّد مواقعه وبيّن أثره في التركيب وجماليته في التصوير.

الفروق: وتعني الفروق في نظرية النظم الفروق في الخبر سواء كان الخبر اعمدة أو ما تبقى من الأخبار في الكلام؛ أي التفريق بين الخبر محلا من الإعراب أو الخبر فائدة دلالية. ولم يفت الجرجاني أن يوضح المواضع ويبين المواقع ويفسر الأثر، ويستعرض الصور.

الفصل والوصل: وهي عملية الربط بين الجمل بعضها ببعض وتحديد الذي يجب أن يربط بالأداة وهي 'الواو' أو الذي يربط بلا واسطة، وقد أكّد دقة ما ذهب إليه من أهمية الوصل والفصل ودلالة الربط بالواو ودلالات ترك الواو وأثره في المعنى. وفصّل في الفصل والوصل في الاسم وفي الفعل وفي شبه الجملة.

لقد تحدث عبد القاهر عن التصوير في نظريته وأسهب في ذلك موضحا ما لحسن التشبيه وجماليات الصياغة من تأثير على المتلقي، ولن يتأتى ذلك إلا باقتدار المؤلف على التوفيق بين التخييل والتأليف في تراكيب متساندة لا تتجاوز مقتضى الحال.

لقد اكتست نظرية النظم أهمية بالغة بين مرتادي الدرس اللساني، واكتسبت قيمة علمية شهد لها اللغويون من العرب والأعاجم، ذلك لأنها نفذت إلى عمق العلاقة بين الكلام والمتكلم من جهة، وبين المتكلم والمتلقي من جهة أخرى، وبيّنت شبكة العناصر المكونة للحدث الكلامي من متكلم ونص ومقام يمثل صلة التواصل بين المؤلف والمتلقي.

لقد كان للجرجاني كشوفاته الجمالية التي أبرزها في نظريته سيّما في حديثه عن عناصر الحدث الكلامي مبدع ونص ومتلقٍّ.حيث كان يرى أن:

المبدع: هو الذي يرتبط به النظم، لأن النص يحمل قدراته، كما يحمل حضوره المرتبط بعملية التعليق، لأن تعليق الدوال ببعضها يؤدي إلى تحقيق التشكيل النظمي الذي يضمن تميّز المؤلف.

النص: وهو شبكة العلامات والسمات التي ترتبط بغيرها من العلامات والسمات الأخرى للنص لتحيل إلى الدلالة الكلية.والنص عند الجرجاني ما كان أخّاذاً، يتغلغل في النفس هو المنظوم نظم الجواهر واللآلئ التي يميل إليها الذوق وتستحسنها النفس.

المتلقي: هو ذاك الذي يتفاعل مع النص، والمتلقون يتمايزون ذوقاً ودرايةً وقدرةً على التأويل، وأساس التمايز هو الفهم والتصور والتبيين. كما توضح نظرية النظم أن للمتلقي

ملكتين؛ أولاهما فطرية تتصل بالطبع، وثانيتهما مكتسبة تتصل بالعقل والفكر والتدبر، وكلتاهما تسهم في إبداع النص مرة ثانية.

وفي ختام الفصل عُرضت آراء وأقوال في نظرية النظم للجرجاني تراوحت بين مشيدٍ بمعطياتها، ذاكرٍ لتفاصيلها، فقيل إنها تتماشى مع ما يقتضيه علم اللسان، وإنها نظرية نقدية ومنهج تحليلي؛ وبين ناقدٍ لبعض جوانبها، مقارنٍ بينها وبين النظريات اللسانية الحديثة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــل الثالث

النظرية التوليدية التحويلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

كان للبنوية السوسيرية الفضل في ظهور نظريات ألسنية حديثة ومدارس لسانية متعددة، ولم تكن النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي إلا نتاج البحث في تطوير ما كان من البنوية في علوم اللغة، سيما وأنه لم يكن يرفض البنوية بقدر ما كان يرى ضعفها في تغييب العقل وانحصارها في الوصف، فهي وصفية محضة لا ترقى إلى أن تشمل جوانب اللغة حسب رؤيته التي تعدّ تطورا للممارسة الألسنية الأوروبية التقليدية؛ وكان انخراطه في الدرس اللساني وفي دراسة تاريخ علم اللغة قد نشأ من قناعته بأنه يرى مقاربته اللغوية نوعا من التطور هو أفضل للممارسة التقليدية.

إن النظرية التوليدية التحويلية تعدّ ثورة في الدرس اللساني، فكان لها التأثير المتميّز الذي طبعت به الألسنية الحديثة لأنها قدمت صورة مكتملة للنظرية الألسنية التي تدرس اللغة وتقدم منظورا أوضح وأدق في بنية اللغة وتراكيبها وميزاتها.

بعد ظهور الاختلاف في أغلب البحوث اللسانية –سيما بحوث السلوكيين– التي رأى تشومسكي قصورها وعجزها عن تقديم رؤية علمية دقيقة للدرس اللغوي، وتحليل عميق للتراكيب اللغوية الخاصة بكل لغة، والتي كانت أسبابا موضوعية لنشأة النظرية التوليدية التحويلية، فإن تشومسكي استند في بناء نظريته إلى المدرسة الفلسفية العقلية التي قوامها استخدام العقل؛ ومن ذلك بنى نظريته على أصول ثلاثة: هي الدقة العلمية، والشمولية العالمية، والبساطة اللغوية.

إن تشومسكي بما قدمه في نظريته التوليدية التحويلية يكون أول من ولج حقيقة علم اللغة بما تحمله كلمة علم من مفهوم دقيق يعتمد العقل ويتحاشى الظن باليقين، فهو صاحب أول نظرية لغوية علمية على الأقل في جوانبها ومصطلحاتها؛ ولا يمكن لباحث في مجال اللسانيات أن يتخطى نظرية تشومسكي لما اتسمت به من دقة علمية في التحليل وتوضيح لمظاهر التركيب، وما هي عليه من شمولية بقدرتها على ذلك في كل اللغات.

النظرية التوليدية التحويلية

أولا: نشأة النظرية التوليدية التحويلية (أسبابها وأصولها):

1-أسبابها:

لم تكن البنيوية إلا منهجا عاما يحلل النصوص اللغوية بوصفها بناء متكاملا بعيدا عن السياقات الخارجية، وما يحيط بالنص؛ وقد ظهرت أول ما ظهرت مع دوسوسير من خلال محاضراته في الألسنية العامة فهي تصف التراكيب اللغوية، وتحللها تحليلا شكليا ولا يتطرق إلى دور المعنى، ذلك أنها انطلقت من كون اللغة وسيلة للتواصل، فاعتنت بالجانب التواصلي في دراستها. إن البنيوية في رأي تشومسكي "اكتفت بوصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية متجاهلة بذلك الدور الذي يلعبه المعنى على مستوى اللغات؛ ولم تحاول تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة، ومن ثم، فإنها لم تُعِرْ أي اعتبار للكفاءة اللغوية، وبالإضافة إلى هذا، فالبنيوية لم تلق النجاح اللازم لأنها اهتمت بالبنية السطحية فقط، ولم تتمكن من وضع قوانين شاملة وتعميمات عميقة، وعلى العكس من ذلك، فإن القواعد التوليدية التحويلية لم تتوقف عند وصف اللغة، بل تعدته إلى تحليلها، وتفسيرها، واستنباط القواعد العامة التي تحكمها"[1].

"وقد ذهب 'جي بي تون' إلى أن الفشل الذي مُني به علم اللغة ما قبل تشومسكي يمكن إرجاعه للاتجاهات المتطرّفة المناهضة للمذهب العقلي، وقد نتج ذلك الفشل عن حصر انتباه اللغويين في الأساس بالوقائع البنيوية التي يمكن ربطها ربطا مباشرا بما هو قابل للملاحظة في اللغة"[2].

وما كادت الدراسات الوصفية تنتشر وتهيمن على الدرس اللساني منذ دو سوسير، حتى كان لها أتباع ومناهج، نتج عنها اتجاهات مختلفة ومدارس متعددة كالبنيوية والتوزيعية،... إلى أن ظهر في منتصف القرن العشرين بعض الرافضين لتلك الدراسات،

[1] – اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص204.

[2] – ينظر، اللغة والخطاب الأدبي والقواعد التوليدية والتحليل الأسلوبي، جي بي تون، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1993، ص80.

وللمذهب السلوكي ومنهجه الوصفي، وعلى رأسهم نوام تشومسكي. ومن مآخذ تشومسكي على تلك الدراسات والتي كانت أسبابا في ظهور نظريته ما يلي:

1-1-:تغيب العقل

لاحظ تشومسكي أن الدراسات اللسانية السابقة غيبت العقل، وأغرقت في الدراسات الوصفية والسلوكية، وتعاملت مع الإنسان كأنما تتعامل مع "آلة تتحرك حسب قوانين تحددها مواقف معينة، ولم يكن على الباحث اللغوي إلا أن يطبق (إجراءات) معينة (لكشف) هذا السلوك الإنساني"[1].

1-2- انحصار البنيوية في التفسيرات السطحية:

يقول تشومسكي ناقدا اللسانيات البنيوية: "تنحصر اللسانيات البنيوية في تحليل ما سميناه البنية السطحية، وفي الخصائص الواضحة في الإشارات وفي التركيبات والوحدات التي يمكن أن تكون جلية في الإشارات من خلال تقنيات التقطيع والتصنيف"[2]، وهذا الانحصار هو الخلل الذي أضعف البنوية، و"لا يمكن الأخذ به في ظل غياب التفسيرات العميقة"[3].

إن غياب التفسيرات العميقة كانت نقطة الضعف الأساسية في البنوية والسلوكية وكذلك "الاعتقاد بأن الذهن ينبغي أن يكون أبسط في بناه من كل عضو فيزيائي معروف، وأن أولى التقديرات تسمح بتفسير بعض الظواهر التي يمكن أن تلاحظ"[4].

ولأن تشومسكي لم يكن مقتنعا بما تعتمده المناهج السلوكية والوصفية باعتمادها التحليلات السطحية وابتعادها عن التفسيرات العميقة وتغييبها العقل البشري تغييبا تاما، ولم تكن تعنى إلا بالأنماط الشكلية التي لا تعتمد على ما يتصل بالإنسان المتكلم "بل كانت تكتفي بوصف الكلام وصفا موضوعيا وتجريبيا"[5]، فإنه عمد إلى البحث فيما يمكِّن العقل البشري من لعب دوره في تأويل اللغة وتفسيرها، كما في صياغتها وتأليف أجزائها وفق

---

[1]- النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص112.

[2]- Le langage et la pensée; Chomsky; tra louis jean calvet payot، Paris، p36.

[3] - المرجع نفسة، ص36

[4]- المرجع نفسه، ص45.

5- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1982، ص12

قدرات المتكلم والسامع.ومن هنا كان تشومسكي يهدف إلى إرساء قواعد مثالية للغة الإنسانية فكانت النظرية التوليدية التحويلية.

إن تشومسكي في نظريته التي تقوم على أساس عقلاني يهدف إلى وضع قواعد مثالية موضوعها الرئيس هو "(إنسان متكلم- مستمع مثالي) تابع لبيئة لغوية متجانسة تماما ويعرف لغته جيدا. ويهدف تشومسكي من وراء ذلك إلى وضع قواعد نموذجيه أو مثالية للغة الإنسانية أو الطبيعية في جملتها"[1].

2-أصولها:

2-1-الأصول النظرية:

كان للمدرسة الفلسفية العقلية تأثير كبير على تشومسكي لا سيما ما كان من آراء ديكارت عن العقل و"ما يمكن أن يعطي الشكلية التي طبعت الدرس اللغوي ظلالا تجسد فيه الملامح الحقيقية لبنية اللغات التي يمكنها تشخيص المعايير اللغوية لغرض الإحاطة"[2].

كما تأثر تشومسكي "بأفكار هاريس، وتزعم نزعته نحو العقلانية بثورة عنيفة على أفكار بلومفيد، والمدرسة السلوكية، والمنهج الوصفي القائم على تحليل النصوص على موقع الكلمة في الجملة وعلى التوزيع الفونولوجي والمورفولوجي على المستويات اللغوية الأربعة: الصوتي... دون الاهتمام بالمتكلم أو قدرته على إنتاج الكلام، كما تأثر بالعالم ديكارت الذي رأى أن الإنسان يختلف عن الحيوان اختلافا جوهريا"[3] وقد استند تشومسكي إلى فكرة ديكارت القاضية بوجوب افتراض قدرة فطرية في العقل الإنساني على استخدام اللغة، وقد ورد في كتاب 'في فلسفة اللغة' لمحمود فهمي نصا لديكارت يقول فيه: "...إن أي آلة مصنوعة على نموذج القرد أو أي حيوان لن تستطيع استخدام الكلمات أو أي علامات أخرى مثلما نستخدمها لننقل بها أفكارنا إلى الآخرين ... ومن العجيب أنه لا يوجد إنسان

1- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر، دار الثقافة العربية، دط، دت، ص162

2 - الألسنية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1980، ص266

3 - مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر العلمي، ط2، 2020، ص49-50.

مهما اشتدّ غباؤه، أو من به لوثة لا يستطيع أن يرتب الكلمات متباينة ليؤلف جملة ليوصل بها أفكاره للآخرين لكن لا حيوان يستطيع ذلك ... ولذلك فنحن في حاجة إلى قدر ضئيل من العقل على الأقل لكي نستطيع الكلام"[1].

من هنا يتضح أن تشومسكي ارتقى بالدرس اللساني إلى مستوى العقل البشري ورده إلى كفاءة الإنسان الذهنية لتميزه بالقدرة على التفكير والذكاء في استعمال اللغة وترتيبها وصياغتها وفهمها، فاللغة عنده "هي أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، وليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهمية ثم تتحول إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من (المعنى) ومن (العقل) في هذا الوصف السطحي الذي صوره دو سوسير أوائل هذا القرن. وإن دراسة اللغة كما يراها تشومسكي لا ينبغي أن تتوقف عند هذا المنهج الوصفي"[2].

فاللغة عمل العقل، والإنسان يتميز بالجانب الخلاق الذي يختلف اختلافا جوهريا مع الفكرة القائلة بآلية الإنسان مع اللغة "لأن اللغة عمل العقل، ولما كانت اللغة عمل العقل، فإن هناك دائما عوامل تكمن تحتها، أي ليست على السطح وهو ما وضحه تحت ما أسماه (شكل اللغة) فيقول: 'إن هناك شكلا خارجيا آليا وشكلا داخليا عضويا، والشكل الداخلي العضوي هو الأهم لأنه يتطور من الداخل، وهو الأساس في كل شيء أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك في السطح'"[3].

ومعلوم أنّ الجوانب الجوهرية من النحو التوليدي ظهرت في أعمال زيلخ هاريس."وتزعم نزعته نحو العقلانية ثورة عنيفة على أفكار بلومفيلد في المدرسة السلوكية والمنهج الوصفي القائم على تحليل النصوص على موقع الكلمة في الجملة"[4].

لقد تأثر المنهج العلمي عند تشومسكي بالنظرية التوزيعية وبالمفهوم المنطقي الرياضي للنحو.

---

[1] – في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص144-145.

[2] – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص112.

3 – تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية مصر، دط، 1989، ص54

[4] – مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، ص49.

كما قام تشومسكي بنقد المدرسة البلومفيليدية، وقامت نظريته على أنقاض المدرسة التوزيعية، مفادها نموذج جديد للتفكير في اللغة، وضمّنها الاهتمام بالتفكير الذهني للمتكلمين بدل الاهتمام بسلوكاتهم الفعلية"[1].

وهناك من يرى أن النظرية تعود إلى أصول عربية فـ"الخليل بن أحمد الفراهيدي مدرسة أصيلة في النحو العربي ... وما لبثت تلك المدرسةتنتج ... وبعد أن خبت نارها ردحا من الزمان حتى أنجبت في هذا العصر عالما لغويا عمل على إشعال نار النحو العربي من تحت الرماد مرة أخرى ليهتدي به العالم ويطبقه على لغاته المختلفة ولكن هذه المرة على خلاف السابق، فإن النحو العربي يدرس باللغة الانجليزية وعلى يد أشهر عالم لغة في العصر الحديث الذي أحدث زلزالا لغويا في النحو الانجليزي ألا وهو نوام تشومسكي"[2].

إن القول بأن تشومسكي اعتمد كليا في نظريته على النحو العربي أمر مختلف فيه وإن كان تشومسكي قد اطلع على النحو العربي من خلال الأجرومية لكن ذلك لا يكفي دليلا على ما ذهب إليه القائلون بعربية أصل النظرية التوليدية التحويلية.

ويتبين من ذلك أن تشومسكي قد ارتكز على ميزة العقل، وعلى القدرة الإنسانية الخلاّقة في إنتاج عدد لا محدود من الجمل التي لم يسبق للمتكلم سماعها ولم يتكلم بها من قبل؛ فتشومسكي "يعدّ اللغة تنظيما عقليا فريدا من نوعه، فهي تستمد حقيقتها من حيث أنها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر، بل لا تخضع اللغة في استعمالاتها الطبيعية إلى حافز خارجي، ولا إلى أي حالة داخلية يمكن تحديدها بصورة مستقلة، كما إنها ليست عادات كلامية أو عملا لا إراديا"[3].

ومن كل ذلك وضع تشومسكي نظريته اللغوية المبنية على ما يسمى بنية اللغة لأن اللغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات، ومع ذلك فإنها تولد أو تنتج ما لا نهاية من الجمل، وهو ما جعل تشومسكي يعدّ اللغة خلاقة بطبيعتها، وأن كل متكلم يستطيع أن يأتي

---

[1] – ينظر، اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، ط1، 1986، ص65.

[2] – تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، جاسم علي جاسم، التراث العربي، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عاصمة الثقافة الإسلامية، 2010، العدد 116، ذو الحجة 1430، كانون الأول 2009، ص70.

3 – الألسنية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكريا، ص74 –75

بجمل لم ينطقها من قبل وأن يفهم جملا لم يسمعها من قبل أيضا، ويرى أن ذلك ينسحب على جميع البشر على اختلاف لغاتهم، وهو ما يجعل نظريته تتّسم بالشمول، الأمر الذي جعله يشترط لبنائها أصولا ثلاثة هي:

2-2-أصول البناء:

2-2-أ: الدقة العلمية: وهي الدقة التي تُعرف بها الجمل النحوية والتي ينبغي للمتكلم أن يتقنها.

2-2-ب: الشمولية العالمية: وبها يقرر ما هو لغوي بشكل عام، وما هو غير ذلك.

2-2-ج: البساطة اللغوية: وهي أن على النظرية التوليدية التحويلية أن تفسر المادة اللغوية بشكل بسيط بعيدا عن كل تعقيد.

3-التعريف بصاحب النظرية:

هو أفرام نوام تشومسكي من مواليد فلاديفيا بولاية بنسلفانيا سنة 1928 من عائلة تنحدر من أصول روسية، تلقى دراسته في جامعة بنسلفانيا حيث درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وحصل على الماجستير في علم 'الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة' في 1951، حيث قام في هذه الفترة بمعظم أبحاثه ودراساته لإعداد رسالته في جامعة هارفارد، ليتحصل في1955 على شهادة الدكتوراه في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا أين تدرّس الرياضيات والمنطق وعلم النفس والترجمة الآلية وغيرها من الفروع.

تتلمذ على يد هاريس أحد أركان المدرسة الوصفية، والحقيقة أن تشومسكي كان نتاج وسط لساني بلومفيلدي إلا أنه خالفه كما خالف هاريس وتبنى فكرته الجديدة في التوليد والتحويل اللغوي انطلاقا من تأثره ببعض العقلانيين من أمثال ديكارت وجاكبسون إلى أن ظهرت نظريته الموسومة بالنظرية التوليدية التحويلية، أو ما أطلق عليها 'النظرية التشومسكية' التي لقيت رواجا وقبولا لدى اللسانيين.

عُين مدرسا بالجامعة، و"اشتهرت أبحاثه، وانتشرت أفكاره اللسانية، فمنح الكثير من الشهادات الفخرية من جامعات عريقة، ثم عمل أستاذا زائرا بجامعات عديدة في أمريكا وأوروبا، أشهرها: كاليفورنيا وجامعة أكسفورد وكامبريدج في لندن وغيرها. وأشهر مؤلفات

تشومسكي كتابه: 'البنى النحوية' و'مظاهر النظرية التركيبية' وغيرهما، وله مقالات وبحوث ترجمت مع كتبه إلى أغلب لغات العالم"[1].

ولم يكن تشومسكي لسانيا باحثا في وحدة النحو والتركيب في لغات العالم، وإنما قرنها بمواقفه الإنسانية التي دافع فيها عن الحق وحق الإنسان في التحول إلى الأفضل من خلال مواقفه الفكرية والعلمية.

4- المراحل التي مرت بها قواعد النظرية التوليدية:

لكل عملية مراحل، ولكل مرحلة إرهاصات وأسس وعناصر وقواعد؛ والنظرية التوليدية التحويلية كغيرها من النظريات تأسست عبر مراحل، وظهرت قواعدها من خلال دراسات وأبحاث كرس لها تشومسكي حياته الفكرية فكانت:

4-1- المرحلة الأولى (النظرية الكلاسيكية):

"وكانت من خلال كتاب تشومسكي 'البني التركيبة' وقد أطلق على النظرية في هذه المرحلة النظرية الكلاسيكية"[2]. لقد كانت النظرية الكلاسيكية أشبه بالإرهاصات الأولية للنظرية التوليدية التحويلية اعتنى فيها تشومسكي بالبنى التركيبية النحوية، ورافقها تحليله للجمل بطرائق تختلف عن الطرائق الكلاسيكية لِما تميزت به من اعتماد على العقل في إنتاج اللغة.

4-2- المرحلة الثانية (النظرية النموذجية):

"تبلورت من خلال كتابه 'مظاهر النظرية التركيبة' وأُطلق على النظرية في هذه المرحلة 'النظرية النموذجية'"[3]. وظهر في هذا الكتاب أن تشومسكي تحدث عن البنى التركيبية وأظهر اللاتوافق في النمادج البنوية وفي الوقت ذاته جاء بالحل التوليدي التحويلي، فقد وضع المفاهيم وبيَّنها، ولم يتوقف عن البحث في الكفاءة والأداء للقواعد النحوية وعن تعلم اللغة باعتبارها تطورا للكفاءات الفطرية. والكتاب يقترح إعادة تصحيح النظرية في الاتجاهين من

[1] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص202-203.

[2] - المرجع نفسه، ص205.

[3] - المرجع نفسه، ص205.

تجاوز النموذج البسيط التركيبي بفضل ثراء عملية التحويل ودقة ما يمكن أن يحددها ...ويختتم الكتاب بإنهاء المشكلات العالقة التي لم تتوقف منذ انشغال تشومسكي بالبحث في الحدود الفاصلة بين النحو والدلالة.

4-3- المرحلة الثالثة (النظرية النموذجية الموسّعة):

"وتجسدت بعد ما نشر تشومسكي ثلاث مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة في نظريته، والتي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان 'دراسة الدلالة في القواعد التوليدية'، وبات هذا الشكل الجديد يعرف بالنظرية النموذجية الموسّعة"[1].

وفي سنة 1957 صدر أول كتاب جمع أوراق الدروس التي ألقاها في معهد ماساتشيوست التكنولوجي تحت عنوان 'البُنى التركيبية' وكان هذا الكتاب "أول كتاب يعرّف تشومسكي من خلاله القراء على بعض ملامح نظريته الألسنية التي عرفت فيما بعد بالنظرية التوليدية التحويلية"[2].

وتعد هذه المرحلة مرحلة نضوج النظرية التوليدية التحويلية التي توضّحت فيها معالمها وتبيّنت مسالكها بما اشتملت عليه من قواعد التحويل والتوليد وتفاصيلها انطلاقا من المدخلات المعجمية وترتيبها في بنية تحمل المعنى الأساس، سميت البنية العميقة ثم تطبيق قواعد التوليد والتحويل عليها بما يتوافق وكفاءة المتكلم أو السامع المثالي الذي بفطرته وذكائه مع مكتسباته اللغوية يفهم كل الجمل رغم أنه لم يقلها من قبل، ولم يسمعها، متمثلةً فيما سُمي البنية السطحية، وهي الجملة أو الجمل التبليغية بمكوناتها الفونولوجية والتركيبية وفق قواعد لغته، (بما فيها اللغة أو اللغات التي اكتسبها مع لغته الأصلية) وتحولاتها الدلالية.

[1] – المرجع السابق، ص205.

[2] – الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1986، ص9.

ثانيا: موازنة بين البنيوية والتوليدية:

1البنوية وتحليلها الشكلي الوصفي

1-1: التحليلي الشكلي للتراكيب:

لم تكن البنيوية إلا منهجا عاما يحلل النصوص اللغوية بوصفها بناء متكاملا بعيدا عن السياقات الخارجية وما يحيط بالنص؛ وقد ظهرت أول ما ظهرت مع دوسوسير من خلال محاضراته في الألسنية العامة فهي تصف التراكيب اللغوية، وتحللها تحليلا شكليا ولا يتطرق إلى دور المعنى، ذلك أنها انطلقت من كون اللغة وسيلة للتواصل، فاعتنت بالجانب التواصلي في دراستها؛ فالبنيوية في رأي تشومسكي "اكتفت بوصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية متجاهلة بذلك الدور الذي يلعبه المعنى على مستوى اللغات؛ ولم تحاول تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة، ومن ثم فإنها لم تُعِر أي اعتبار للكفاءة اللغوية، وبالإضافة إلى هذا، فالبنيوية لم تلق النجاح اللازم لأنها اهتمت بالبنية السطحية فقط، ولم تتمكن بذلك من وضع قوانين شاملة وتعميمات عميقة، وعلى العكس من ذلك، فإن القواعد التوليدية التحويلية لم تتوقف عن وصف اللغة، بل تعدته إلى تحليلها، وتفسيرها، واستنباط القواعد العامة التي تحكمها"[1]

1-2- فشل البنوية ومناهضتها المذهب العقلي:

"وقد ذهب 'جي بي تون' إلى أن الفشل الذي مُني به علم اللغة ما قبل تشومسكي يمكن إرجاعه للاتجاهات المتطرّفة المناهضة للمذهب العقلي، وقد نتج ذلك الفشل عن حصر انتباه اللغويين في الأساس بالوقائع البنيوية التي يمكن ربطها ربطا مباشرا بما هو قابل للملاحظة في اللغة"[2].

---

[1] – اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ص204.

[2] – ينظر، اللغة والخطاب الأدبي والقواعد التوليدية والتحليل الأسلوبي، جي بي تون، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1993، ص80.

2:- أهم الفروق بين البنيوية والتحويلية:

من أهم الفروق التي تداولها اللسانيون بين المنهج البنيوي والمنهج التوليدي التحويلي هي:

2-1- التواصلي فقط، وهو ما أحدث الفرق بين دوسوسير وتشومسكي "هو أن الأول يحلل اللغة انطلاقا من مسلّمة أنها وسيلة للتواصل أو التعبير، بينما يحللها تشومسكي انطلاقا من مسلَّمة أنها مجموعة من الجمل تحتوي كل منها على شكل صوتي، وتفسير دلالي ذاتي محايث لها"[1].

2-2- "اعتماد البنيويين في دراستهم على المنهج الوصفي الذي يقوم على الاستقراء، بينما اعتمد التوليديون على منهج نظري تفسيري أساسه الاستنتاج الاستنباطي"[2].

2-3- الداخلية التي تسبق الكلام (البنية العميقة) في حين يتحدث دوسوسير عن اللغة بوصفها شكلا، بينما يدرس تشومسكي اللغة ابتداء من جوهرها أو ما أسماه البنية العميقة من دون أن يهمل البنية السطحية، (المعنى الظاهر)؛ فالبنيويون اعتنوا بالجانب المادي البنيوي للغة، والتوليديون عُنوا بقدرة اللغة على الإنتاج الجملي أو ما سموه بالتوليد."[3].

2-4- "اللغة عند البنيويين تعدُّ عمليةً آلية غرضها وصف الوحدات اللسانية وتصنيفها، أما عند التوليديين فاللغة عملية إبداعية حيوية غرضها تفسير الآلية الكامنة في الذهن والقادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل.

2-5- اهتمام البنيويين بالمظهر السلوكي للغة، وإهمال دور المتكلم، على عكس التوليديين الذين أولوا العناية بالمظهر الحركي للغة، داخل ذهن المتكلم وبدور المتكلم في الخلق اللغوي اللامتناهي"[4].

---

1 - نظرية النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي، فتحي خشايمية، مدونة Fethi12370. wordpress.com يوم 2020/04/12. سا13:48.

[2] - نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، مختار درقاوي، جامعة، حسيبة بن بوعلي، الشلف، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 12، جوان 2014، ص5.

3 - نظرية النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي، فتحي خشايمية، مدونة Fethi12370. wordpress.com يوم 2020/04/12. سا13:48.

[4] - ينظر: نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، مختار درقاوي، ص5.

ومنه يمكن القول أن "الفرق الجوهري بين تشومسكي والوصفيين هو أن تشومسكي ينتمي إلى العقلانيين مثل أفلاطون وديكارت وهمبولت الذين يعتقدون أن العقل في ذاته مصدر كل معرفة وهو أسمى من الحواس، ومستقل عنها، وأن هناك متصورات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة، يقوم العقل من خلالها بتفسير معطيات التجربة، أما الوصفيون فقد تبنوا المذهب التجريبي الذي كان (لوك) و(هيوم) من دعاته والذي ينصُّ على أن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق التجربة المستمد من الحواس، وإذا كان الوصفيون لا يعترفون بالعقل فإن تشومسكي يرى بأنه مصدر كل معرفة"[1].

ومن المقارنة، يُستخلص أن الفارق بين البنويين والتوليديين يكمن في اهتمام الأولين باللغة كوسيلة للتواصل فحسب، واعتمادهم المنهج الوصفي، ووصفهم البناء السطحي للكلام، وعدّهم اللغة عملية آلية ليس للمتكلم دور فيها، واعتنائهم بالمظهر السلوكي استنادا إلى النزعة التجريبية؛ وهم في كل ذلك غيّبوا العقل الذي يعتبره التوليديون الأساس الذي تنبع منه كل عملية لغوية خلاقة.

أما أبرز الانجازات التي قدمها تشومسكي فـ"تتجلى في أن تشومسكي قوّض الدعائم التي قام عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة ... لعل التغيرات التي أحدثتها اللسانيات التوليدية التحويلية هي مفارقات منهجية كان هدفها –في البداية– سدّ هنوات وفجوات الفكر البنيوي الذي اكتفى بعلاج الأشكال اللغوية كما هي منطوقة، أي أن اللسانيات التوليدية التحويلية تؤكد وتفرض نقل مركز الاهتمام من اللغة المجسدة إلى اللغة المبنية داخليا، بمعنى تحويل موضوع البحث من دراسة العلامات اللسانية التي تعد موضوعا مجسدا إلى دراسة نظام معرفة العلامات المحصلة والممثلة داخليا في العقل"[2].

رأى تشومسكي–بعد دراسته الممحصة لمناهج سابقيه– أنه لا بد من نظرية علمية دقيقة لممارسة التحليل اللساني، وهذه النظرية تتألف من النحو التوليدي التحويلي الكلي، لأنه يعدّ النظرية النحوية نظرية علمية يمكن تطبيقها في جميع اللغات الطبيعية آخذا في

[1] – اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص204–205.

[2] – نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، مختار درقاوي، ص3–4.

الحسبان أن النحو نظام من القواعد والمبادئ التي تكون محددة لخصائص الجملة الشكلية والدلالية عندما توظف في تفاعلها مع الآليات الذهنية بغرض فهم لغة ما والتحدث بها.

والخلاصة فإن تشومسكي يضع النحو متيقنا أن (فاعل+مفعول) الموجودة في الانجليزية تصلح للتطبيق على جميع اللغات الطبيعية انطلاقا من فرضية أن الإنسان –أيّا كانت لغته– ينحدر من نوع واحد، وأن بين جميع الناس توحّدا وليس تفرّقا وتغيّرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: مفاهيم اللغة والنحو والقواعد عند تشومسكي

1-:مفهوم اللغة عند تشومسكي:

إن اللغة كلمات مترابطة ترابطا يقتضيه النحو إسنادا وعطفا واتباعا وغير ذلك، وهو الذي يسميه اللغويون الجملة، أما التوليديون فيرون اللغة مجموعة من الجمل وهذه الجمل يصنفونها إلى: الجمل المثبتة، والجمل المنفية، والجمل المبنية للمجهول.

ومن هذا المنظور، وضع تشومسكي مفهوما جديدا للغة إذ عدها مجموعة غير محدودة من الجمل تتألف من عناصر محدودة، ورأى أن هذا المفهوم ينطبق على كل اللغات الطبيعية بقوله: "... سأعتبر منذ الآن اللغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، وقد أُنشئت من مجموعة محدودة من العناصر، فجميع اللغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم، طالما أن كل لغة طبيعية لها عدد محدود من الفونيمات (الوحدات الصوتية) (أو حروف الألف باء)"[1].

ويؤكد تشومسكي أن "هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما معا لفهم اللغة الإنسانية، أما: الجانب الأول فهو الأداء اللغوي الفعلي وهو الذي يمثل ما ينطقه الإنسان فعلا، أي يمثل (البنية السطحية) للكلام الإنساني، وأما الجانب الثاني فهو الكفاءة التحتية عند هذا (المتكلم السامع المثالي) وهي التي تمثل (البنية العميقة للكلام)"[2]؛ فتشومسكي يهدف -انطلاقا من كون اللغة عملية توليدية فعالة قادرة على الإبداع- إلى وضع قواعد نموذجية أو مثالية للغة الإنسانية أو الطبيعية في مجملها باعتماد قانون نحوي عام يشمل كل اللغات البشرية وهذه العملية تتكون من عناصر ثلاثة هي:

1-1:-العنصر النحوي:

للعنصر النحوي في العملية التوليدية دور مزدوج، فهو:

- **عنصر تنظيمي**: وهو الذي ينتج معاني نحوية منظمة، إذ يقوم بتنظيم المعجميات (الألفاظ) وفق قانون نحوي لا يقدم ولا يؤخر ولا يسمح بالخلل في الرتب إلا وفق القانون

[1] - البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، منشورات عيون ودار الشؤون الثقافية العامة، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص17.

[2] - النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، عبده الراجحي، مطبعة الانتصار، (دط)، 1988، ص115.

النحوي، لأن عناصر الجملة لا يمكن تجاوز ترتيبها إلا بما يقتضيه المنطق النحوي من تقديم وتأخير.

- **عنصر توليدي**: يُولِّد عددا من الجمل المرتبة وفق القانون النحوي والتي تتولد عن البنية الأساس وما يتولد عن الجملة نفسها من جمل تحمل الدلالة ذاتها والألفاظ نفسها في تراتيب مختلفة وفق قانون النحو للغة من اللغات.

1-2:-العنصر التحويلي-:

والعنصر التحويلي عند التوليديين هو القدرة على تحويل الجملة الواحدة إلى تعجبية نحو: (ما أكرم حاتما!) أو(أكرم بحاتم!) المتحولة عن (كَرُمَ حاتم) أو (حاتم كريم) أو استفهامية نحو: (هل حاتم كريم؟) أو (هل الكريم حاتم؟) أو شرطية نحو: (إن يكرمك حاتم فأكرمه) وفق ما ترتبط به أجزاء التحويل من روابط بين الأجزاء عند التحويل، وهو ما سماه تشومسكي الارتباط البنائي؛ ففي اللغة العربية مثلا تتحول الجملة الفعلية إلى جملة اسمية بتقديم الفاعل على فعله، كما يمكن تحويل الجملة إلى اسمية بتحويل الركن الاسمي إلى الابتداء؛ ففي الجملة الفعلية (كتب الطالب رسالة) يمكننا تحويل الركن الاسمي وتقديمه إلى الابتداء فنقول: (الطالب كتب رسالة)، وهنا نجد العنصر المحول ترك ضميرا يعود عليه في المحل الذي كان يشغله وهو الضمير المستتر الواقع فاعلا للفعل (كتب).

1-3: العنصر التركيبي:

وهو العنصر الذي يؤدي وظيفة إنتاج جمل سليمة صحيحة، وهو الذي يولد مجموعة من البنى التركيبية اللامتناهية، وذلك وفق قواعد التكوين "والمقصود به هو ذلك العنصر الذي يؤدي وظيفة إنتاج جمل سليمة منطوقة كانت أم مكتوبة؛ وهو الذي يولد مجموعة بنى تركيبية غير متناهية يتم توليدها وفق قواعد التكوين بتوليد إشارات ركنية واستبدال مفردات معجمية بإدراج مفردات مكونة من مركب سمات فونولوجية"[1].

إن الجمل الأصولية المستقيمة منطوقة كانت أم مكتوبة تتولد عنها بنى تركيبية كثيرة لا يمكن حصرها لأنها مولدة وفق قواعد التكوين وذلك بتوليد مشيرات ركنية (تختص بوصف

1 - الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص157-158

بنية الجملة التركيبية). وكذلك تستبدل المفردات المعجمية بمفردات مكونة من مركبات فونولوجية.

يلحظ أن تشومسكي لا ينظر إلى الكلام من منظور أنه وسيلة تواصل وإنما يحلله من حيث أنه مجموعة من الجمل، تحتوي كل جملة منها على شكل فونولوجي وعلى معنى دلالي، فهي تترابط فيما بينها بحسب قواعد اللغة التي تعتمد التنظيم الذي يحدد التوافق بين الصوت والدلالة وفي هذا يقول تشومسكي: "... مجموعة جمل، كل جملة منها تحتوي على شكل فونيتيكي وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به، وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يفصّلُ هذا التوافق بين الصوت والدلالة"[1].

2-:مفهوم النحو عند تشومسكي.

ساد لدى التوليديين اعتقاد راسخ بأن النحو لم يحظ بالدراسة والتطوير كغيره من العلوم، ولعل مرد ذلك إلى كون "ظاهرة التركيب كانت تعالج من زاوية المعنى، ويجري تحليلها بمعايير ذاتية خضعت للذوق اللساني عند الباحث، وبذلك فقدت التعريفات النحوية أكثر عناصرها ضرورة وهو عنصر الدقة العلمية"[2].

ومن ذاك قام النحو التوليدي على الاعتقاد بأنه على النحو أن يقدم ما يمكِّن من تفسير كيفية استعمال الجمل وكيفية فهمها حتى قيل إن:"على النحو إذا كان كفئا أن يزودنا بقاعدة تفسر لنا كيف تُستعمل الجمل؟ وكيف تُفهم."[3]، فـ"النحو هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم الراسخة فيه والمكتسبة من محيطه الاجتماعي والتي تمكنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها بعد، ومن هنا يصبح نحو تشومسكي توليديا"[4].

"إن النحو عند تشومسكي ليس تحليلا للجملة في شكلها النظمي فحسب، ولكنه الوصف الشامل للغة، أي أنه يشمل الفونولوجيا، والنظم والدلالة.

---

1 – ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص91

2 – اتجاهات البحث اللساني، مليكة فيتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 1996، ص377

3 – المرجع نفسه– ص381

4 – محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص40.

إن النحو ينبغي أن يكون في إطار نظرية عامة للغات، وذلك أن اللغة تتميز بأنها (خلاقة) لأنها تتكون من أصوات محدودة ولكنها (تنتج) جملا (لا حد لها) والنحو أيضا يقوم على (عمليات) محدودة (تولد جملا) لا حد لها"[1].

وهو أيضا عنده هو: "المبادئ والعمليات التي بها تُبنى الجمل في اللغات المختلفة ...وتهدف الدراسة النحوية إلى بناء نظام القواعد، ويمكن اعتباره وسيلة من وسائل إنتاج جمل اللغة التي قيد التحليل"[2].

وقد حدد تشومسكي في كتابه 'مظاهر نظرية النحو' "نقترح شكلا للنحو وذلك بأن يتضمن عنصرا تركيبيا وعنصرا دلاليا وعنصرا فونولوجيا، ويُعدّ الأخيران عنصرين تفسيريين ولا يؤديان دورا في إعادة إنتاج تركيب الجملة. ويتكون العنصر التركيبي من عنصر أساسي وعنصر تحويلي، ويتكون من عنصر تصنيفي جزئي، ومن القاموس؛ وينتج هذا الأساس التركيبات العميقة التي تعطي في العنصر الدلالي وتحصل بالتالي على التفسير الدلالي"[3].

ولأن اللغة عند تشومسكي هي مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل وكل جملة هي محدودة في طولها قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر تركبت وتحولت بفضل النحو التحويلي وما يتبعه من قواعد التحويل، فإن تشومسكي يرى النحو وصفا شاملا للغة، وليس تحليلا للجملة فقط، فهو يقوم على عمليات محدودة تولد جملا غير محدودة من أصوات محدودة يشمل الجمل النحوية كلها في اللغة، ويؤكد أنه يشمل الجمل النحوية فقط؛ ومن هنا فهو يصنف النحو ثلاثة أنواع:

2-1:نحو الحالات المحدودة:

إن النحو المحدود -كما يراه تشومسكي- هو نحو يقوم على سلسلة من الاختيارات التي تتولد بها الجمل، فهو أشبه بـِ"آلة مبرمجة ترسل رمزا كلما انتقلت من حالة إلى أخرى، فهي تسلسل يشتمل على حالة أولية وحالة نهائية، تسمى تتابع الكلمات خلال الانتقال

[1] - المرجع السابق، ص127.

2 - البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ص13

[3] - علم اللغة نشأتها وتطورها، محمود جاب الرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ص209.

بالجملة، وتسمى اللغات الحاصلة بهذه الطريقة التوليدية لغات ذات حالات محدودة، كما تسمى الآليات التي تنتج هذه اللغات قواعد ذات حالات محدودة.

ويمكن تمثيل ذلك بما يأتي:

الطالب مجتهد. إذا يُلحظ أن العنصر الأول (ال) أعطى حقا اختياريا للعنصر الذي تلاه (طالب) أو (طلاب) ولكن العنصر الثاني (طالب) أوجب أو ألزم مجيء (مجتهد) في الوقت الذي أوجب العنصر (طلاب) مجيء العنصر (مجتهدون).

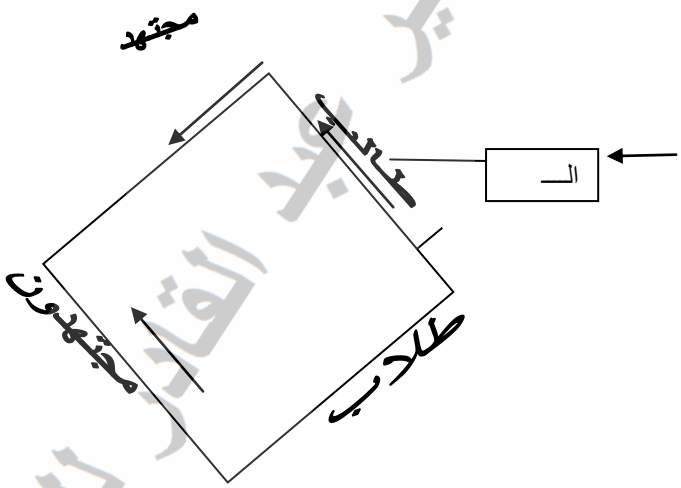

ونستطيع بهذه الطريقة أن نوسع الجملة بالانتقال من حالة معينة إلى الحالة نفسها بزيادة حلقة إلى الرسم التخطيطي[1].

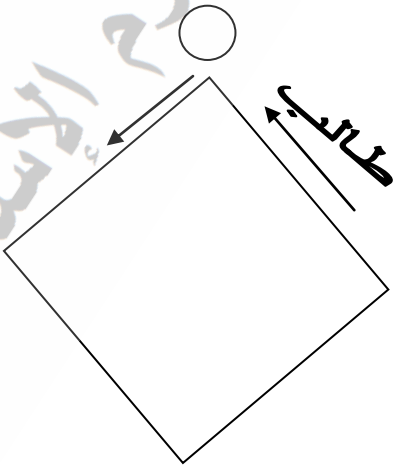

[1] – الألسنية التوليدية والتحويلية، علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكريا، ص89– 90

يقول تشومسكي "إن الأجهزة التي تولد اللغات بهذه الطريقة. تعرف في علم الرياضيات بـ (عمليات ماركوف ذات الحالة المحدودة)"[1].

وهذه الحالة هي بداية لنشأة النظرية لدى تشومسكي الذي أدرك أنها تنتج جملا محدودة أو جملا غير أصولية، ولذلك تخلى عنها تشومسكي، ويرى خليل عمايرة ذلك إذ قال: "نجد أن تشومسكي أعرض عن هذه الطريقة، لأنها لا تقوم على افتراض، وهو أن الجمل تتكون بتوليد كلمة بعد كلمة لتحقيق الاقتضاء، ولأنها لا تقدم تحليلا إلا لعدد يسير محدود من الجمل في حين أن اللغة تقدم عددا غير محدود من الجمل"[2].

2-2: نحو المكونات:

إن نحو المكونات إنما هو تطور لفكرة أن تُحلل الجمل لعناصرها المباشرة، "وهو ما يسمى بالأنموذج الركني، وهذه الطريقة تستطيع وصف بعض القضايا اللغوية التي لا تستطيع طريقة الحالات المحدودة وصفها فضلا عن التي تستطيع الحالات المحدودة وصفها"[3].

أي أن هذه الطريقة هي ذاتها التي تقوم على فكرة تحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية ، "وهي ذات الفكرة التي نادى بها بلومفيلد بواسطة مخطط الخانات، غير أن تشومسكي يقترح تمثيلا يلائم هذا النوع بصورة أفضل، ويعرف باسم (المخطط المشجر) فيمثّل الجملة بالعودة إلى مؤلّفها المباشر، وبشكل مجرد يبيّن مختلف العلاقات القائمة بين عناصر التركيب، إذ تقوم هذه الطريقة بإعادة الرموز المأخوذة من النحو التقليدي،مثل (جملة، فعل، اسم، نعت...) إذ تعاد كتابة التركيب على وفق الرموز المرسوم به، وتسمى (قواعد إعادة الكتابة) أي أنها تعيد كتابة رمز برمز آخر، إلى أن يتم توليد الجملة"[4].

ويمثل لها بالجملة التالية: "(الرجل ضرب الكرة) وعند تحليلها وفق قواعد التحليل تبدو كالآتي:

1 – البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ص27

2 – في نحو اللغة وتراكيبها، (منهج وتطبيق)، خليل أحمد عمايرة، دار عالم المعرفة جدة، ط1، 1984، ص 62

3 – الألسنية التوليدية والتحويلية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكريا، ص92

4 – المرجع نفسه، ص-95

*القاعدة الأولى:

- الرجل ضرب الكرة ⟵ الـرجل + ضرب الكرة.
- الجملـــة ⟵ مركب اسمي + مركب فعلي.

*القاعدة الثانية:

- المركب الاسمي ⟵ أداة التعريف + الاسم
- الــرجل ⟵ الــ + رجل.

*القاعدة الثالثة:

- المركب الفعلي ⟵ فعل + مركب اسمي.
- ضرب الكرة ⟵ ضرب + الـ + كرة.

*القاعدة الرابعة:

- أداة التعريف ⟵ الـ.

*القاعدة الخامسة:

- الاسم ⟵ كرة، رجل، خالد،...

*القاعدة السادسة:

- الفعل ⟵ رمى، ضرب، .....

إلى أن نصل إلى نهاية الجملة فتكون كالآتي:

(الـ + رجل + ضرب + الـ + كرة)

وبعد تطبيق هذه الرموز على قواعد الكتابة فإن الجملة ستكون"[1]:

1- عبارة اسمية + عبارة فعلية.

2-أداة + اسم+عبارة اسمية.

3-أداة + اسم+فعل + عبارة اسمية.

4-ال + اسم + فعل + عبارة اسمية.

5-ال + رجل + فعل + عبارة اسمية.

6-ال + رجل + ضرب + عبارة اسمية.

[1] - البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ص39.

2-ال + رجل + ضرب + أداة + اسم.

4- ال + رجل + ضرب + ال + اسم.

5- ال + رجل +ضرب + ال + كرة.

ونستطيع تمثيل هذه الجملة بالمخطط المشجر الآتي:[1]

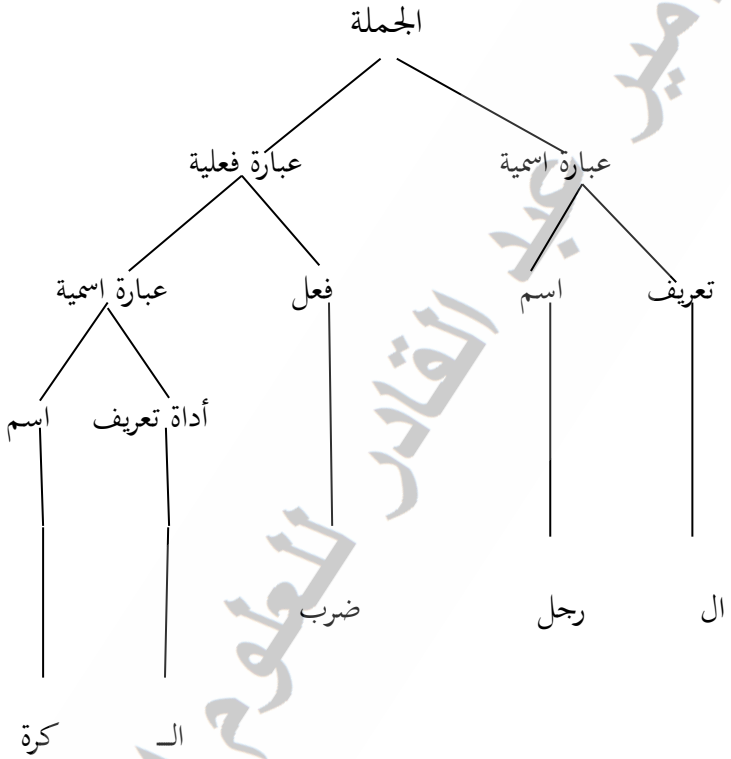

"غير أن تشومسكي يرى أن هذه الطريقة تتسم بالضعف، وذلك لأنها لا تستطيع أن تبين القواعد التي يحدث فيها حذف بعض العناصر، أو تبديل مواقعها، كما يتعذر تحليل العلاقات القائمة بين الجمل المختلفة، لذا توصل تشومسكي إلى طريقة جديدة أخرى"[2].

لقد حاول تشومسكي أن يحلل الجمل إلى مكوناتها الاسمية والفعلية وهي التي تتفق مع اللغات المختلفة عبر الأركان الاسمية والفعلية، لأن العلاقة بين هذه الأركان صالحة للتمييز بين

[1] - المرجع السابق، ص40

2 - الألسنية التوليدية والتحويلية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكرياء ص92

أركان الجملة –وهذا التحليل يرتبط بالمبنى دون المعنى؛ "ما يكتنفه العجز تجاه بعض الجمل التي تحمل أكثر من معنى وقد أطلق عليها تشومسكي الجمل الغامضة"[1].

لقد طفا على التحليل ظهور الجمل ذات الدلالة الاحتمالية والدلالة الباطنية وهو ما يقتضي المسحة النفسية للمتلقي أو السامع المثالي ومعرفته بمرجعيات دلالة المدخلات وطرائق فهم الصور المجازية لذلك فإن تشومسكي سمَّاها الجمل الغامضة والتي تعني أن لها دلالات يمكن تحديد فهمها لأن الغموض لا ينتفي معه المعنى ولأن اللغة عملية عقلية بامتياز فإن العقل يستطيع أن يزيل ما يعتري تلك الجمل من غموض ولو بتعدد التأويلات.

2-3:النحو التحويلي:

اشتهر مصطلح التحويل بعد ظهور النحو التحويلي على يد تشومسكي والذي عُد منهجا في دراسة الجمل اللغوية، لأن النحو في هذا المنهج يهدف إلى تحقيق وصف دقيق للجملة عن طريق تحليل بنيتها العميقة والسطحية بفضل النحو التحويلي و "تستند هذه الطريقة في عملها إلى تحليل البنية العميقة للجملة أساسا لها، ومن ثم تحليل البنية السطحية وصولا إلى عامل الحدس عند صاحب اللغة، وهذه الطريقة التحويلية تتوسع في توظيف الرموز التي طرحتها الطريقة الركنية.

وتنطلق فكرة هذه الطريقة من أن هناك نظامَ قواعد كامنًا في الإنسان يطرح بنية عميقة تحوي أساسا مجردا، ووحدات معجمية تفرّع في هذا الأساس، وقواعد تحويلات تقدم وتؤخر في بنية العبارة، ليلفظها السطح في شكلها"[2].

ولعل أبرز خصائص هذه الطريقة أنها تحاول أن تعالج التداخل بين الجمل وكيفية ارتباط هذه الجمل بعضها ببعض في إطار جملي تحويلي واحد، وقد زاد تشومسكي في هذه النظرية الموسعة عدد الرموز التي جاءت في الطريقة الثانية فاهتم بالعدد، والزمن، وبالأسماء، وبالأفعال التامة والناقصة وغير ذلك مما يحتاج إليه في التحليل. وباستخدام عناصر التحويل (التقديم والتأخير، والحذف، والزيادة ...) يتم التمايز بين جملتين – في هذه الطريقة – وهذا يعني أنه

[1] – ينظر: مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، ص64.

2- المنهج التوليدي التحويلي (دراسة وصفية تاريخية)، منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال في الجاهليات، رفعت كاظم السوداني، جامعة بغداد، 2000، ص111-112

بالإمكان أن يُولّد من خلال هذا المنهج ما لا نهاية من الجمل في البنية العميقة، ويُنطق ما لا نهاية منها على البنية السطحية، بعد المرور بقواعد التحويلات. وبهذا يتضح أن (النحو) مستقل عن (الدلالة)، فقد ذهب تشومسكي إلى أن النظرية الدلالية ليست نظرية تامة ومضبوطة، وهي بالتالي ليست قادرة على وضع معيار دلالي دقيق يمكن من خلاله تحديد طريقة معينة قادرة على تحديد ما هو نحوي، وما هو ليس نحويا، لذلك يرى تشومسكي أن العملية (النحوية) مستقلة عن العملية (الدلالية) بالرغم من وجود بعض العلاقات النسبية بينهما"[1]، لذلك "فالبنية العميقة هي تركيب نحوي مجرد، وليست صورة دلالية للجملة، أو بنية دلالية لها، فهذه بنية مستقلة عن بنيتها العميقة، فالبنية العميقة هي تركيب نحوي يتألف من عناصر نحوية، في حين أن البنية الدلالية للجملة تتكون من عناصر دلالية،(معنوية) أولية وما يربط بينهما من علاقات دلالية"[2]، وهذا يعود إلى أن تشومسكي وجد أن هناك جملا غير نحوية، ولكنها مقبولة دلاليا، وجملا أخرى نحوية، غير أنها غير مقبولة دلاليا، وهذا حتم عليه الفصل بين (النحو) و (الدلالة)، "بناءً على ذلك، فقد وهم من رأى أن البنية العميقة هي المسؤولة عن بروز المعنى الدلالي للجملة"[3]، "فالمعنى الدلالي، في آخر تطور يقع على مستوى جديد يتوسط (البنية العميقة) و(البنية السطحية) بعد أن تجري عليه عمليات النقل، نقل بعض العناصر من مكان إلى آخر"[4].

3- مفهوم القواعد عند تشومسكي:

يعزو تشومسكي توليد كل الجمل النحوية إلى القواعد، فالقواعد هي التي تعطي وصفا تركيبيا صحيحا لكل جملة مركبة، ذلك أن قواعد كل لغة هي وصف لقابلية المتكلم، بل هي التي تقدم تحليلا تفصيليا لمساهمة القارئ أو السامع المثالي، وتسمى القواعد التوليدية والتي تعني: "نظاما من القوانين التي تعطي بشكل واضح ومحدد أوصافا بنيوية...ومن الواضح أن

---

[1] – ينظر: العمدة في الجملة العربية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، صالح خطاب، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2015/2014، ص.43.

2 – مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي، مرتضى جواد باقر، مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد34 –1990، ص12–13.

3 – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص115.

4 – مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي، مرتضى جواد باقر، ص15.

آراء المتكلم أو كلامه عن سلوكه وقابليته قد تكون خاطئة، وهكذا فإن القواعد التوليدية تحاول تعيين ما يعرفه المتكلم وليس ما يقوله من معرفته تلك، وأن القواعد التوليدية ليست أنموذجا للمتكلم أو السامع إنما هي تحاول بأكثر الطرق حيادية المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للاستخدام الفعلي من قبل المتكلم (السامع المثالي)"[1].

إن إنشاء نظام قادر على التفسير يقتضي أن تكون القواعد قادرة على إنشاء هذا النظام، وأن تلك القواعد مبنية على أساس لغوي يوافق الحقيقة اللغوية بحكم أنها تشمل النحو والصرف والمعنى، لأن الأمر سيظل نظريا غير قابل للتحقيق لأنه يمكن عن طريق تلك القواعد أن تُولِد جملا لا معنى لها، وذلك ما حدا بتشومسكي أن يؤكد وجوب تطابق القواعد التوليدية مع الحقيقة اللغوية، ويعني بذلك أن يكون الكلام متلائما مع طبيعة اللغة، وهو ما أسماه الملاءمة الداخلية والملاءمة الخارجية، فمصطلح القواعد في نظرية تشومسكي مصطلح شامل لجميع القواعد التي تتعلق بكل جوانب اللغة.

"إن منهج تشومسكي في النحو التوليدي قد تطور بحيث أصبح يقدم وصفا رياضيا دقيقا لبعض الملامح البارزة للغة"[2].

لكل لغة قواعد تقدم تراكيب ظاهرية تكون دلالتها واضحة من ترابط مدخلاتها المعجمية وتراكيب أخرى باطنية تنعقد دلالتها على قواعد قائمة على نظام خاص وهي التي تعرف بالقواعد التحويلية.

4- طرائق التحليل النحوي عند تشومسكي:

لا شك في أن تشومسكي قد أسهم بفعالية في تطوير الدرس اللغوي إذ ابتدع طرائق فنية تَحَقَّقَ بفضلها ذلك التطور، فهو وإن أعاد الدرس اللغوي إلى طابعه الإنساني فإن وَضْعَه لتلك الطرائق كان الأهم، واشترط لفهم هذه الطرائق فهم النحو وحقائقه (كما عرفه

1 – جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، مديرية مطبعة الجامعة، الموصل العراق، دط، 1985، ص31- 32.

2 – نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، دط، 1995، ص31.

تشومسكي)* الذي يعني عنده الوصف الشامل للغة من جوانبها الفونولوجية والنظمية والدلالية، وعدم الاكتفاء بتحليل الجملة في شكلها النظمي فحسب.

لقد اختبر تشومسكي أكثر من طريقة في التحليل النحوي، وتوصل إلى ما يعرف بالنحو التحويلي الذي أصبح عنوانا لهذا المنهج النحوي والتي "تقصد إلى تحليل البنية العميقة للغة باعتبارها الجانب المنطقي أو العقلي لها، ثم تقصد إلى تحليل البنية السطحية، ومن ثم فإنها تحاول أن تصل إلى عامل الحدس عند صاحب اللغة"[1].

من الدراسة النحوية يمكن بناء نظام القواعد التي تولد بواسطتها الجمل وتتحول في إطارها. فما هو مفهوم القواعد عند تشومسكي؟.

* انظر، مفهوم النحو عند تشومسكي في هذا البحث، ص158.

[1] – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص 136-137.

رابعا: النظرية التوليدية التحويلية (مكوناتها وقواعدها)

اتضحت معالم النظرية التوليدية التحويلية بنضوجها وتدارك نقائصها عبر مراحل تكوينها، وظهر جليا مفهومها وأسسها التي بنيت عليها وخاصة تلك التي تشترك فيها كل اللغات وهي وظيفة القواعد التحويلية التوليدية.

"ملخص هذه النظرية ينبني على أن هناك تركيبات تشترك فيها اللغات جميعا، وأن وظيفة القواعد التحويلية في هذه النظرية هي تحويل تلك التراكيب الأساسية الذهنية إلى تراكيب سطحية منطوقة فعلا، يسمعها السامع ... يُفهم من هذا أن هناك تركيبا باطنيا وآخر ظاهريا، وأن وصف العلاقة بينهما يسمى التحويل، كما يفهم أن العلاقة بين التركيبين تشبه عملية كيمياوية يتم التعبير عنها بمعادلة أحد طرفيها:

-المواد قبل تفاعلها (المدخلات). والطرف الآخر هو:

-الناتج بعد التفاعل (المخرجات).

وبمعنى آخر فإن القواعد التي تضفي على كل جملة تولدها تركيبين: أحدهما باطني أساسي والآخر ظاهري سطحي، وتربط التركيبين بنظام خاص"[1].

إن ذلك يعني أن القواعد التحويلية إنما تنتج تركيبا وفق قواعد النحو بدلالة ظاهرة يمكن أن يحمل دلالة أخرى باطنية تسمى الدلالة الباطنية في العربية، فالكناية مثلا تتألف من مدخلات معجمية بدلالاتها المعهودة تترابط فيما بينها بما يضمن أصولية الجملة المكونة بعيدا عن ظاهر معجمية المدخلات.

1-:مبادئ النظرية التحويلية:

تقوم النظرية التوليدية التحويلية على مبادئ تمثل عماد بنائها ودعائم استوائها لما اشتملت عليه من أسس جعلتها تحيط بكل جوانبها من أول الإبداع إلى التوليد والتحويل، وما ينجم عن ذلك من تركيب ودلالات وفق قواعد كل مبدأ .

1 - النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، أحمد المهدي المنصوري وإسمهان الصالح، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد29، شباط 2013، ص326.

1-1-التوليد:

وهو مبدأ تقوم عليه قضية إنشاء جمل لامتناهية انطلاقا من مدخلات محدودة وقواعد محدودة "ويقصد به القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من العدد المحصور من القواعد -في كل لغة- وفهمها ثم تمييزها عما هو سليم نحويا"[1].

1-2-الإبداعية:

"إن الإبداعية هي استعمال لنظام اللغة استعمالا ابتكاريا تجدُدِيًا لا مجرد تقليد سلبي لقواعده. إنها تتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من العدد المحصور من الكلمات و القواعد الثابتة في ذهن المتكلم"[2].

وهذا يعني أن المتكلم لا يمتلك اللغة امتلاكا آليا وهو قادر على الخلق المتجدد والفهم المتكرر لعدد من الجمل لم يسبق له نطقها أو سماعها، ويكون ذلك بفضل آلية اللغة الخلاقة، والإبداعية والتي تمنحنا القدرة على تمييز الاختلاف بين الأفراد في نطق الكلمات الصحيحة والكلمات غير الصحيحة.

1-3-النحوية:

وهو مبدأ من مبادئ النظرية التوليدية التحويلية، وبفضله يتم التمييز بين الجمل النحوية والجمل غير النحوية، وهو المعيار الذي به يتم الحكم في نحوية جملة ما "فالجملة تكون نحوية في لغة ما إذا كانت جيدة التركيب، وتكون غير نحوية إذا انحرفت بطريقة أو بأخرى عن المبادئ التي تحدد نحوية هذه اللغة"[3].

1-4-الحدس:

وهو مبدأ يختلف من متكلم إلى آخر فهو جزع من الكفاءة اللسانية والمعرفية للمتكلم أو السامع المثالي، ويمكن تعريفه بالقول إنه: "المقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة

[1] - محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، ص41-42.

[2] - المرجع نفسه، ص47.

[3] - المرجع نفسه، ص51.

بالتمييز بين الجمل النحوية والفاسدة، هي حدس المتكلم ... وإن هذا الحدس يعدّ جزءًا من الملكة اللسانية أي هو جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة"[1].

"ويبدو أن الحدس أدى دورا بالغ الأهمية في تشكل نظرية تشومسكي، وقد أدرك النحاة العرب المعاصرون هذه المسألة، فأبانوا عن أهميتها، فالمسدّي يتحدث عن مفهوم تشومسكي للغة على أساس أنها (ملكة فطرية مكتسبة)"[2]، وأن صيغ معينة عند النشأة لا يعني خلق هذه القدرة اللغوية الكامنة ، وإنما هو يقدح شرارتها وحسب، وهو ما يسوغ القول بأن هذه القدرة كامنة مكتسبة في آن معا"[3].

1-5-ظاهرة الغموض:

"ترتبط هذه الظاهرة بالمجانسة في البناء فالجملة الواحدة قد يكون لبنائها الخارجي معنيان متمايزان نحو: ضرب الأب الولد، فقد تعني أن الأب ضرب الولد أو العكس"[4].

1-6-البنية العميقة:

"هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا"[5].

1-7-البنية السطحية:

"تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة"[6].

1-8-التحويل:

وهو مبدأ رئيس في النظرية التوليدية التحويلية يتم بفضل قواعده تحويل المعاني والدلالات، وهو: "عملية نحوية تجري على: سلسلة تملك بنية نحوية وتنتمي إلى سلسلة

---

[1] – المرجع السابق، ص51.

[2] – التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، دط، 1986 ص12.

[3] – مناهج الدرس النحوي العربي في القرن العشرين، عطا محمد محمود موسى، إشراف: نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا 'رسالة مكملة لنيل درجة الدكتورا' الأردن، 1992،. ص235.

[4] – محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، ص52.

[5] – المرجع نفسه، ص52.

[6] – المرجع نفسه، ص53.

جديدة، ذات بنية نحوية مشتقة. إنه علاقة تربط بين تمثيلين، تمثيل أولي مجرد هو البنية العميقة، وتمثيل مشتق نهائي هو البنية السطحية؛ فأية قواعد تعطي لكل جملة في اللغة تركيبا باطنيا وتركيبا ظاهريا، وتربط التركيبين بنظام خاص، يمكن أن تكون قواعد تحويلية ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف؛ فالربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التحويل"[1].

1-9-النحو الشكلي:

"النحو التحويلي مبني على أسس وقواعد شكلية تُصيِّرُهُ أكثر تجريدا، وذلك من خلال اعتماده –في أثناء العملية الاشتقاقية للجملة- على رموز تجريدية وعلاقات رياضية"[2]، "فالنحو التحويلي هو نحو مبني على شكل مجموعة من القواعد شبه الرياضية التي تسمح بتحليل الجملة تحليلا بنيويا، عبر مراحل العملية الاشتقاقية متبعا تسلسلا منطقيا تحده قوانين دقيقة وقواعد شكلية"[3].

1-10-النحو العالمي:

يقول جيمس باتي: "الأمور التي تكون مشتركة بين اللغات أو تلك التي تكون ضرورية في أي لغة تعالج في إطار علم يسمى النحو العالمي"[4]، "فالنحو العالمي أو العام يمثل المنحى الجديد الذي أخذت تنحوه النظرية اللسانية التشومسكية ... إن هدفها –هاهنا- صار البحث عن الأسس المشتركة والعامة بين هذه اللغات، من أجل إثراء النحو الخاص بكل لغة، لتصبح النظرية اللسانية نموذجية، تعكس الملكة اللسانية الكاملة"[5].

[1] – المرجع السابق، ص56.
[2] – المرجع نفسه ، ص60.
[3] – المرجع نفسه ، ص61.
[4] – المرجع نفسه ، ص62.
[5] – المرجع نفسه، ص62.

2- القواعد العامة للنظرية التوليدية التحويلية.

لكل نظرية قواعدها ولنظرية تشومسكي كغيرها قواعد، إذ "أنّ تنظيم القواعد الذي يقرن الأصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والكامن ضمن الكفاية اللغوية، هو، إذًا، ما ندعوه بالقواعد التوليدية التحويلية"[1].

2-1:القواعد التوليدية:

"إن عملية الإنتاج لجمل اللغة كلها منوطة في الأساس بالقواعد التوليدية القائمة ضمن الكفاية اللغوية، والتي تؤدي في حال العمل به إلى إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو تعدادها"[2].

و"تعتبر القاعدة التوليدية إذاً جزءا من جهاز توليد الجمل، وينحصر في مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة وتثبيتها تتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة كتابة أي أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، برمز آخر أو بعدة رموز أخرى"[3].

مثال: جواز اشتمال الجملة على ركن فعلي مؤلف من فعل وفاعل ومفعول به يتمثل بالقاعدة التالية:

ركن فعلي ⟸ فعل + ركن اسمي +ركن اسمي

2-2: القواعد التحويلية:

"إن أي قواعد تعطي جملة في اللغة تركيبا باطنيا وتركيبيا ظاهريا، وتربط بين التركيبين بنظام خاص يمكن أن تكون قواعد تحويلية ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف"[4]

نحو الجمل الآتية:

1- أكل الولد التفاحة.

---

[1] – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، ص11.

[2] – المرجع نفسه ، ص13.

[3] – المرجع نفسه ، ص13.

[4] – قواعد تحويلية للغة العربية، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر، الأردن، 1999، ص6.

2- الولد أكل التفاحة.

3- التفاحة أكلها الولد.

لكي نفسر العلاقة بين هذه الجمل لا بدّ من البحث عن علاقة الجمل فيما بينها وإعادة تركيب عناصرها، فمفهوم التحويل يعني إمكانية تحويل جملة ما إلى جملة أخرى، واعتماد مستوى أعمق في الكلام والكشف عن المعاني الضمنية في الجمل السابقة، فالجملتان (2)و(3) متحولتان عن الجملة (1) بواسطة عملية تحويل بنقل الاسم 'الولد' في (2) و'التفاحة' في (3) فيقع في ابتداء الكلام وتحدث بعض التغيرات في (1) إذ يبقى الضمير في الموقع الذي يحتله الاسم الخاضع لهذا التحويل كما يرى في (2) و(3).

"تقوم القواعد التوليدية والتحويلية على الأساليب العلمية في البحث، فتعتمد إلى حد كبير التجريد في الصياغة، وتتّبنى لغة صورية قائمة على رموز متعاقبة تفسر المعطيات اللغوية وتسهم بصورة مباشرة بتعميم التحاليل اللغوية واختبارها"[1].

3-علاقة القواعد التوليدية بالقواعد التحويلية:

"القواعد التوليدية نظام من القوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة ما بطريقة ما غاية في الوضوح وهذا الوضوح هو المزية لمثل هذه القواعد"[2] ولا يُعْنَى هنا بالتوليد إنتاج الجمل فحسب بل يتعداها إلى إمكانية هذه القواعد وقدرتها على التمييز بين الجمل المستقيمة من غيرها، أي أن التوليد يعني أن كل الجمل التي تتبع وتتماشى مع قوانين هذه القواعد تكون جملا صحيحة ويُعزَى هذا إلى بساطة القواعد التوليدية ووضوحها، إذ "لا يعني أن كل قواعد توليدية هي بالضرورة تحويلية، إذ قد تكون القواعد توليدية ولكن ما هي بتحويلية ... ومن ناحية أخرى، كل قواعد تحويلية هي توليدية، إذ لا يوجد قواعد تحويلية إلا وهي توليدية في الوقت نفسه، ومنه فإن كل قاعدة تحويلية تصلح أن تكون قاعدة توليدية، لأن جميع فرضيات القواعد التحويلية تصف الجمل بطريقة واضحة ومتسلسلة"[3].

واختلف اللغويون والباحثون في الكيفية والوظيفة التي تكون عليها القواعد التحويلية، فعدها بعضهم متمثلة في أنماط هي : الحذف ،التعويض، التمدد، التقلص، الإضافة، في

1 - المرجع السابق، ص101

2 - المرجع نفسه، ص8.

3 - ينظر، المرجع نفسه، ص8-9.

حين رآها آخرون تتمثل في أنماط أخرى: الحذف، التبادل، النسخ، التقديم. وهذا الذي أدى فيما بعد إلى ظهور قواعد إلزامية وقواعد اختيارية.

خامسا: مرتكزات النظرية التوليدية التحويلية.

ترتكز النظرية التوليدية التحويلية على مرتكزات أهمها:

1- الكفاية اللغوية:

والمقصود بالكفاية هو الملكة اللغوية وما ينطبع عليه الإنسان منذ طفولته وأثناء مراحل اكتساب اللغة من قدرة على الإنتاج اللغوي وفهمه؛ وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بقواعد اللغة، ويعني ذلك "امتلاك المتكلم السامع القدرة على إنتاج عدد من الجمل من عدد محدود جدا من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجميعها في مورفيمات تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد؛ ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها فيما يسمى (قواعد إنتاج اللغة)، وهذه القوانين والقواعد وتلك القدرة كامنة في الذهن"[1].

كما "يشير مصطلح الكفاية اللغوية عند تشومسكي إلى قدرة المتكلم (المستمع المثالي) على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"[2].

تعرف الكفاية اللغوية أو "الملكة بالمعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته، وتبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل، إنتاجا ابتكاريا لا مجرد تقليد ثم التمييز بين ما هو سليم نحويا وبين غيره ... وهي تتجسد من خلال الواقع اللساني المادي لأن الملكة هي معرفة المتكلم السامع للغته"[3].

[1] – مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، ص53.

2 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، ص32

[3] – محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، ص44.

"فمن الواضح جدا أن للجمل معنى خاصا تحدده القاعدة اللغوية، وأن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته –وبصورة ما– تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص، فهذا الإنسان قد طور في ذاته ما نسميه بالكفاية اللغوية الخاصة"[1].

إن الكفاية اللغوية هي قدرات المتكلم الخاصة والتي يجمع بواسطتها بين ما يسمع من أصوات وبين معانيها في نظام يتوافق مع قواعد النحو التي طبع عليها، ومن هنا يتضح أن النظرية التوليدية التحويلية تجمع التنظيم اللغوي بين الأصوات وبين المعاني في تنظيم خاص، كما إن القدرة على امتلاك اللغة يمكن تفسيرها بالقدرة على فهم ما يُقال، "أي القدرة على إعطاء الأصوات الملفوظة معنى مختصا؛ كما يفسر أيضا بالقدرة على إنتاج الإشارات الكلامية التي تحتوي على تفسير دلالي يراد التعبير عنه...فحين يمتلك الإنسان لغة معينة وبصورة طبيعية يكون بإمكانه وفي الحال استخدامها في مختلف الظروف الكلامية، وذلك من خلال إلمامه بالقواعد الذاتية للغة"[2].

إن المعرفة الضمنية لقواعد اللغة التي يتكلمها الإنسان هي التي اصطلح عليها تشومسكي الكفاية اللغوية فهي التي يجب أن تضمن الكفاءات التي تمكن من إنتاج الجمل وتمايزها وفهم تراكيبها:

1-1: إنتاج الجمل:

إن إنتاج عدد لا محدود من الجمل وفهمه نظريا بفضل تلك القواعد التي طبع عليها الإنسان تمكنه من بناء جمل غير محدودة العدد لم يسبق أن سمعها من قبل للدلالة على معنى معين أو على معاني معينة بتراكيب يولّدها بمعرفته لقواعد التركيب الخاصة باللغة التي يتكلّمها؛ فما ينتجه من جمل تتركب كل منها من بنية عميقة تقوم على فكرة ذهنية يمكن أن تكون لدى أي شخص، بينما يعبر عنها كل واحد بحسب ما يمتلك من قواعد لغته، كما إنه يستطيع أن يستعمل لذلك تراكيب مختلفة متعددة لامتناهية وفق نظام قواعد لغته فهو يستطيع أن يجمع بين الأصوات اللغوية التي يختارها وبين المعاني التي يقصدها في تناسق مع قواعد لغته، ويعني

1 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص32.

2 – المرجع نفسه، ص32.

ذلك أنه قد انطلق من فكرة ذهنية ترجمها إلى أصوات أو إلى رموز كتابية في تنظيم نحوي درج عليه في تراكيب لغته.

1-2: تمايز الجمل الصحيحة نحويا وغير الصحيحة:

لا شكَّ في أن المتكلم (السامع المثالي) حين ينتج جملا يجمع بين الأصوات والمعاني التي يقصدها، ولذلك فهو معنيٌ بإدراك الصحيح من التركيب الذي ينتجه وفق قواعد لغته في سياق صحيح، لتؤدي معانيها المقصودة لأنها ناتجة عن عقل واعٍ منتج مبدع عارف بقواعد التركيب، وهو ما يعني أن الكفاية اللغوية شرط لتمييز الجمل صحيحها من خَطِئها؛ ومن هنا كان لا بد للكفاية اللغوية أن تضمن إنتاج الجمل الأصولية، وأن تنأى عن الجمل غير الأصولية لأن العقل وحده لا يكفي، فقد يكون المتكلم عارفا بكلمات من لغته ويدرك معانيها ثم ينطقها في غير النظام النحوي لتلك اللغة فلا تؤدي دلا لتها رغم أنها صدرت عن عقل واع مبدع، ولهذا فإن توافر المعرفة بقواعد النحو والتركيب للغة شرط في الكفاية اللغوية وتمايز الجمل.

"إن قدرة المتكلم على إبداء الحكم اللغوي على صحة الجملة المتكونة من مجموعة ألفاظ متراصّة من ناحية موافقة لقواعد لغته يعني ذلك وجود جمل أصولية صحيحة وفق قواعد اللغة بحيث يكتنف هذه الجملة التنظيم القواعدي المنبثق عن معطيات قواعد لغة المتكلم؛ لذلك فإن القواعد التوليدية التحويلية هي القواعد التي تخرج من جمل أصولية، أو أن كل هذه القواعد تتيح إنتاج كل الجمل الأصولية العائدة للغة والجمل غير الأصولية أيضا، وفي الوقت نفسه تحدد كل الجمل المحتملة للغة وتمنع الجمل غير الأصولية من التكوين والتنظيم"[1].

وهذا يعني أن الباحث اللساني لا يقتصر على مجرد معرفة التراكيب النحوية الموجودة في لغة ما، بل عليه معرفة ما يمكن للنظام اللغوي قبوله أو رفضه فـ"القبول النحوي لجملة ما لا يتوقف على المعنى المعجمي لعناصر الجملة ولكنه يرتكن إلى نظام عميق معين يمتلكه المتكلم وبه يستطيع أن يميز جملة من أخرى"[2].

[1] – المرجع السابق، ص59.

[2] – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص115.

إنه "لا ينحصر الحكم بأصولية الجمل -في الواقع- بقبول جملة معينة أو برفضها، إنما ينصُّ على وجود درجات متباينة من حيث النظر إلى الجمل وذلك لأن الجمل غير الأصولية تتباين بالنسبة إلى درجة انحرافها عن قواعد اللغة: فترتبط درجة غير أصولية الجملة بالمستوى الذي تنتمي إليه القاعدة التي تنحرف الجملة عنها"[1].

إن تمايز الجمل مستقيمها من محالها يقتضي كفاية لغوية يتمكن بفضلها المتكلم من فهم المقصود بفضل ما عرفه من النظام النحوي للغة "بوضع وصف بنياني يعطي جميع المعلومات عن الجمل، عبر القواعد ذاتها التي تولدها فيكون هذا الوصف البنياني بمثابة تحليل لهذه الجمل فيميز، في آن واحد، الجمل الأصولية من الجمل غير الأصولية"[2].

1-3: فهم تراكيب الجمل:

إن فهم التركيب وقواعده أساس في إنتاج جمل أصولية، ويعني ذلك المعرفة بما يقتضيه التركيب من تقديم وتأخير وحذف، ومتى يكون مقبولا أو غير مقبول، كالعلم بتقديم المضاف عن المضاف إليه وحرف الجر عن مجروره وجواز تقديم الخبر عن المبتدأ والمفعول عن الفاعل لأن معرفة التركيب المنتج وفهمه هو الكفيل الوحيد والضامن الأوحد للتواصل السليم عن طريق جمل يُتفق في تفسيرها استنادا إلى قواعد التركيب المشتركة بين القارئ والمتكلم.

إن فهم الجمل يعني فهم التركيب أولا ومعرفة أصوله، ولا يُغني شيءٌ من غيره عن الفهم؛ فلا يمكن لأحد أن ينتج جملا تحمل دلالات ومعاني وفق نظام نحوي من دون أن يفهم تلك التراكيب، أو بعبارة أدق يكون جاهلا بقواعد التركيب.

2- الأداء الكلامي:

الأداء الكلامي هو انعكاس مباشر للكفاية اللغوية بوصفه منتجا كلاميا وفق قوانين نحوية من دون غلط أو سهو فيه، فالأداء إذًا هو ناتج الكفاية من الجمل الأصولية، وقد عرف الأداء الكلامي ووُسِمَ بأنه الإنجاز الكلامي، والأداء اللغوي، والتأدية، وكل ذلك يصُّب في مفهوم انعكاس الكفاية اللغوية فهو: "يمثل رد فعل مباشر للكفاية اللغوية، وهو الجملة المنتجة التي تظهر في فونيمات ومورفيمات منتظمة تخضع لنسق ثابت من القواعد

[1] - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، ص9.

[2] - المرجع نفسه، ص12.

والقوانين اللغوية وهذه القواعد مسؤولة عن تنسيق الفونيمات والمورفيمات الموجودة في التراكيب وترتيبها؛ لذلك فإن الأداء هو الكلام الذي يقوم به المتكلم بمعرفة كامنة باللغة، وقد لا يحصل بينه وبين الكفاية اللغوية تطابق تام؛ لذلك يكون ثمة انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل سياقية أو اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك من العوامل"[1]. وهو أيضا: "الممارسة الفعلية والآنية لهذه الملكة، وإخراج لنظامها اللغوي الضمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف مادية متنوعة"[2].

وقد أُضيف إلى ذلك أنه التأدية في الاستعمال الفعال للغة فقيل هي:"الاستعمال الفعال للغة في مواقف مادية وواضحة ... وإن نحو أي لغة يفترض أن يكون وصفا للملكة الذاتية الأصلية للمتكلم السامع المثالي"[3].

"يشير مصطلح الأداء الكلامي عند تشومسكي إلى الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية ذلك أن الكفاية اللغوية هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"[4].

"فالأداء بمفهومه اللساني هو الكلام أو هو الجملة أو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب وفق قواعد نحوية معينة، وهو الوجه المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة للغة"[5].

إن المعرفة بقواعد التركيب مع تمكّنٍ من تحاشي الانحراف عنها هي عملية إدراك عقلي، والكفاية اللغوية يمكن أن تصنف بأنها عملية إدراك عقلي تسمح بإنتاج لغوي صحيح. ذلك أن: "الأداء الكلامي الذي قد لا يكون انعكاسا مباشرا للكفاية اللغوية، فهو المنتج من الكلام وفق القوانين النحوية، وقد يصيب الأداءَ الكلامي انحرافٌ عن القواعد نتيجة غلط أو سهو أو إصابة معينة"[6].

---

[1] – مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، ص54-55.

[2] – محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، ص44.

[3] – المرجع نفسه، ص44.

4 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، ص33

5 – في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، خليل أحمد عمايرة، دار المعرفة السعودية، ط3، 1984، ص58

6 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص46

إن ما أسماه تشومسكي في نظريته 'الكفاية اللغوية والأداء الكلامي' يمثل الركن الأساس في النظرية، لأن الكفاية اللغوية عند بعض اللسانيين هي السليقة " فالسليقة على هذا معرفة المتكلم المستمع بلغته، والأداء الكلامي هو استخدام اللغة واستعمالها من قبل المتكلم أو المستمع في مواقف معينة"[1].

والأداء هو السطح أو ما يسمى بالبنية السطحية، إذ يعكس الكفاءة اللغوية وما يجري من عمليات تعبيرية عن فكرة ذهنية في العمق لأن ما ينطق فعليا من اللغة ليس مجرد أصوات وإنما هو نتاج عمليات عقلية تحتجب وراء الوعي؛ وإن دراسة الأداء الكلامي هي دراسة بنية السطح التي توفر التفسير الصوتي للغة، أما دراسة الكفاية فإنها تقدم تفسيرا دلاليا لها، فلولا الأصوات الصادرة في السطح عن طريق الأداء وفق نظام نحوي ما كان للدلالة المقصودة أن تُفهم، فالكفاية والأداء تتلازمان لإنتاج جمل أصولية، وإن التمييز بينهما مكّن تشومسكي من تحديد عنصرين أساسيين في بناء الجملة وهما البنية العميقة والبنية السطحية.

سادسا– عمل القواعد التوليدية والتحويلية.

إن القواعد التوليدية التحويلية لا تنفك عن كونها تنظيما لقواعد تجمع الأصوات بالدلالات المحتواة ضمن الكفاءة اللغوية ليميز المعاني السليمة من التركيب الصحيح، لأن "تنظيم القواعد الذي يقرن الأصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والذي قلنا إنه يكمن ضمن الكفاية اللغوية هو بالذات ما ندعوه بالقواعد التوليدية والتحويلية"[2].

تلتزم النظرية التوليدية التحولية بوصف بنوي يقدم كل ما يتعلق بالجمل عبر القواعد التي يولدها، وهذا الوصف هو ذاته تحليل الجمل، فهو يميّز بين الجمل الأصولية وبين الجمل غير الأصولية. فالقواعد التوليدية التحويلية تنبني على:

1 – النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار العلوم، القاهر، ط1، 1983، ص23

2– الألسنية التوليدية التحويلية (النظرية الألسنية)، ميشال زكرياء، ص101

1- القدرة على التوليد والتمييز:

1-1- القدرة علي التوليد وتمييز الأصولي من غيره:

ويُعنى بذلك القدرة على توليد جمل اللغة، وتقرير الأصولية وغير الأصولية منها. لأن "بإمكان متكلم اللغة أن يدلي بأحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث أنها تؤلف جملة صحيحة أو جملة غير صحيحة في لغته وتسمى الجمل الصحيحة الجمل الأصولية والجمل غير الصحيحة غير الأصولية"[1].

وفي ذلك إشارة إلى وجوب التفريق بين:

1-1-أ: الجملة الأصولية:

هي مجموعة كلمات متتالية تؤلف جملة صحيحة نحويا ودلاليا بموافقتها الأصول اللغوية.

1-1-ب: الجملة غير الأصولية:

هي مجموعة كلمات متتالية تنحرف عن قواعد اللغة ولا توافق أصولها.

إن الالتزام بقواعد التوليد والتحويل كفيل بإنتاج جمل أصولية تعود إلى اللغة وهي أيضا تحدد الجمل المحتملة وتمنع تكوين الجمل غير الأصولية ذلك أن الحكم بأصولية الجمل في الواقع لا ينحصر في قبول جملة معينة أو في رفضها، "إنما ينصّ على وجود درجات متباينة من حيث النظرة إلى الجمل، وذلك لأن الجمل غير الأصولية تتباين وتختلف بالنسبة إلى درجة انحرافها عن قواعد اللغة، فترتبط درجة لا أصولية الجملة بالمستوى الذي تنتمي إليه القاعدة التي تنحرف الجملة عنها"[2].

وإن انحراف مكونات الجملة عن قواعد الترتيب مثلا تجعل من الجمل الأصولية جملا غير أصولية يدركها السامع بالحدس اللغوي. "كما إن مستويات الانحراف تختلف من متكلم إلى آخر"[3].

1- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص9

2- الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، ص9.

3- انظر: العمدة في الجملة العربية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، رسالة ماجستير، صالح خطاب،جامعة الأمير عبد القادر، 2014، ص50.

2- القدرة على التحليل:

2-1 القدرة علي تحليل العلاقات:

ويُقصد بذلك القدرة على تحليل العلاقات القائمة بين عناصر الجملة ويعني ذلك أن القواعد التوليدية التحويلية تبحث في العلاقة بين عناصر الجملة كالعلاقة الإسنادية وما تدل عليه من علاقة الفعل بالفاعل والفعل بنائب الفاعل من حيث الدلالة والمبتدأ بالخبر وشبه الجملة بمتعلقها أي أنه "ينبغي أن يكون باستطاعة القواعد التوليدية والتحويلية القدرة على تحليل العلاقات القائمة بين عناصر الجملة"[1].

"يجب أن تحدد القواعد التوليدية والتحويلية مختلف الفئات النحوية التي تتشابك في العلاقة الركنية، فتميز بين الفعل والاسم استنادا إلى وظيفة أو إلى توزيع كل من هذين الفئتين.

2-1-أ: "ينبغي أن تصف القواعد التوليدية والتحويلية شكل اللغة الصوتي أي الفونيمات كما ينبغي أن تصف دلالات الجمل"[2].

2-1-ب: ينبغي أن "تفسر القواعد التوليدية والتحويلية خصائص اللغة الإنسانية ولا سيما ميزة الإبداع التي تمكّن الإنسان من أن ينتج عددا لا متناهيا من الجمل بواسطة استعمال تنظيم قواعد عناصرها محدودة.

2-1-ب-1: يجب على القواعد التوليدية والتحويلية أن تفسر كيف يمكن للجملة الواحدة أن تحتمل أكثر من دلالة. (الدلالة الاحتمالية).

2-1-ب-2: يجب أن تفسر القواعد التوليدية التحويلية كيف أن بنيتين مختلفين تتضمنان دلالة واحدة"[3].

2-1-ب-3: "يجب أن تفسر قواعد التوليدية التحويلية كيف أن بنيةً تركيبية واحدة يمكن أن تُقرأ قراءة واحدة أو تتخذ قراءتين كما يمكن أن لا تتخذ أية قراءة"[4].

1- الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، ص102

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3]- المرجع السابق، ص103-104.

[4] - الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص104.

سابعا– مكونات القواعد التوليدية التحويلية:

إن الربط بين الأصوات والمعاني في اللغة يقتضي تنظيما مستمدا من أصول اللغة، ومنه لابد من أن تكون هناك قواعد تتكفل بذلك مستندة إلى مكونات متماسكة على أساس قواعدي (في النظرية التوليدية التحويلية) وهي: المكون الفونولوجي، المكون الدلالي، المكون التركيبي.

1 –المكون الفونولوجي (الصوتي):

إن أصوات اللغة لا يمكن أن تتحقق دراستها منفصلة، بل يجب أن تصدر متتابعة ومطردة في السياق الكلامي كي يتمكن التحليل اللساني من تمييز وحداتها المنفصلة، فيميزها ويدرك بذلك عناصر الكلام؛ ذلك أن المكون الفونولوجي يقوم: "بتخصيص كل تركيب لغوي بنطق خاص، انطلاقا من لفظ كل مورفيم على حده، ومن خلال تآلف هذه المورفيمات. ويحتوي على مجموعة قواعد تختص بدراسة الأصوات اللغوية"[1]. ويتم التحليل الفونولوجي على مبدأ تتبع الوحدات منفصلة ومميزة وهو المبدأ الأساسي في ذلك بـ"اعتبار الكلام كتتابع وحدات منفصلة ومميزة هو المبدأ الأساسي في التحليل الفونولوجي"[2].

"يبحث المكون الفونولوجي في القواعد التي تصف الجملة بواسطة التمثيلات الفونتيكية المأخوذة من النظرية الألسنية العامة، ويتكون من المعجم الفونولوجي والقواعد الفونولوجية.

1-1-المعجم: يتكون معجم اللغة من لائحة المورفيمات.

- 1-2 -:القواعد الفونولوجية: تتناول هذه القواعد التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي"[3].

إن المكون الفونولوجي في النظرية التوليدية التحويلية هو المخصص الصوتي لكل تركيب لغوي انطلاقا من نطق المورفيمات المتآلفة وهو الذي يشمل قواعد دراسة الأصوات فهو: "يعتمد اكتساب قواعد البنية الصوتية كذلك على مبادئ محددة تحكم الأنظمة الصوتية

[1] – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، ص15.

2 – المرجع نفسه، ص137

[3] – المرجع السابق، ص137-138.

الممكنة للغات البشرية، وتحدد العناصر المكونة لها والطريقة التي تتألف بها والتغيرات التي تحدث لها في السياقات المختلفة. وتشترك اللغات الانجليزية والاسبانية والعربية واللغات البشرية الأخرى في هذه المبادئ، كما يستعملها بطريقة غير واعية الشخص الذي يكتسب أية واحدة من هذه اللغات وهي جزء من الملكة اللغوية الفطرية، أي أنها إحدى مكونات العقل/الدماغ"[1].

ومع ذلك، فإن هناك من رأى أن يكون من شأن النظرية أن تقصي أكثر من تحليل ويبدو ذلك مُتسَاوِقًا مع نفس الوقائع في الفونولوجيا التوليدية في الحاضر....

2-المكون الدلالي:

"يقوم المكون الدلالي بتخصيص كل تركيب بمعنى شامل، انطلاقا من الدلالات الفردية للمورفامات التي تؤلفه وتبعا للطريقة التي تأتلف بها هذه المورفامات؛ فيخصّ، بالتالي، كلا من التراكيب التي يولدها المكون التركيبي، بتمثيل دلالي"[2].

"لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلول الكلمة فقط، إنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي وذلك لأن الكلمات، في الواقع، لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها في السياق الذي ترد فيه وترتبط أيضا دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وبنيتها التركيبية"[3].

يحتوي المكون الدلالي على عنصرين هامين هما[4]:

2-1- المعجم اللغوي من الناحية الدلالية:

إن كل إشارة لغوية كما هو معلوم تحتوي على دال ومدلول ولا يكون للدال أو لأية لفظة مكونة من مقاطع صوتية وجود في اللغة ما لم تتضمن اللفظة معنى لها... إن تمثيل المفردة الدلالي يعكس تركيب المفردة الدلالي ويقوم هذا التمثيل على مصطلحين محددين:

---

[1] - اللغة ومشكلات المعرفة –محاضرات ما ناجوا-، نوم تشومسكي، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص42.

[2] - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، ص16.

[3] - المرجع نفسه، ص140.

[4] - المرجع السابق، ص140-141-143.

2-1-أ: القراءة الدلالية: وهي تمثيل المؤلفات الدلالية (الكلمة- العبارة- الركن- الجملة)

2-1-ب: المشير الدلالي: وهو الذي يشير إلى المصطلحات التي تكون أجزاء المعاني.

2-2- قواعد الإسقاط:

تقوم قواعد الإسقاط بتعداد القراءات التي تسند إلى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها، وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية فهذه القواعد تقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية.

ممَّا سبق يتأكد ما ذهب إليه تشومسكي من أن اللغة نشاط عقلي معقد، وأنها التنظيم المتفرد، فهي تستمد حقيقتها من كونها أداة للتعبير والتفكير البشري "بل لا تخضع اللغة في استعمالاتها الطبيعية إلى حافز خارجي ولا إلى أيّة حالة داخلية يمكن تحديد تصورها مستقلة، كما أنها ليس عادات كلامية أو عملا لا إراديا"[1].

فالمكون الدلالي يُعد مكونا تفسيريا يقوم بعملية الربط بين دلالة الكلمات ومعانيها، وبين التمثيل الدلالي الذي يعود إلى البنية العميقة أي أنه المكون الذي يفسر البنى العميقة. ولذلك فهو يتناول:" القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى، فيدرس دلالات العناصر اللغوية ويستلزم وضع مجموعة قواعد متناهية بإمكانها تحليل الجمل المحتملة واللامتناهية، وتقديم التفسير الواضح الذي يشرح كيف يستطيع متكلم اللغة أن يفهم جمل لغته"[2].

3-المكون التركيبي:

يُعد هذا المكون هو المكون التوليدي الأساسي في القواعد التوليدية التحويلية، التي تولد التراكيب المجردة في الجمل النحوية في لغة ما، وهو يتألف من مكونين اثنين هما المكون الأساسي والمكون التحويلي:

1 - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (علم اللغة الحديث)، ميشال زكريا، ص74-75

2 - المرجع نفسه، ص139

3-1: المكون الأساسي:

يتألف المكون الأساسي من قواعد تكوين وهي مجموعة قواعد بناء، ومن مدخلات معجمية فهو "يحتوي على مجموعة قواعد بناء أو قواعد تكوين وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية"[1].

3-1-أ: قواعد التكوين:

إن قواعد التكوين هي تلك التي تشتمل على المعلومات الضرورية لتوليد الجمل وهي التي تسمى مجموعة قواعد البناء وتكون من مشمولات المكون الأساسي الذي يشمل معجم المدخلات. وهي القواعد التي توفر المعلومات اللازمة لتوليد الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة، فهي تتخذ شكل قاعدة إعادة كتابة بمعنى أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر من عناصر الكلام برمز آخر أو بعدة رموز.

3-1-ب: المعجم في المجال التركيبي:

يتكون هذا المعجم عادة من مداخل غير مرتبة من المداخل المعجمية "ويتألف كل مدخل معجمي من سمات تركيبية وفونولوجية ودلالية تولد قواعد التكوين... ويتم استبدال العنصر المستعار أينما ظهر بالمداخل المعجمية الملائمة... ويحصل بعد القيام بعملية الاستبدال هذه على مشير الجملة الركن في البنية العميقة.

وإذا تأملنا هذه الجملة: (أكل الولد التفاحة)، نجدها صحيحة التركيب، وهي جملة أصولية، وإذا تأملنا هذه الجملة: (أكلت التفاحة الولد) نجدها صحيحة التركيب أيضا، فهي تماثل الجملة السابقة في تركيبها؛ لكن تظل جملة غير مقبولة لأنها انحرفت عن الأصولية، ذلك أن الفعل (أكل) يجب أن يتخذ اسما متحركا في موقع فاعله، بمعنى أنه يجب أن يسند إلى من يصح أصلا أن يصدر منه الفعل. فالسمات الذاتية التي تتكون منها المفردات تلعب الدور الأهم في تحديد أصولية التراكيب"[2].

1 - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص 145

2 - المرجع السابق ص 148

إن المكون التركيبي هو المكون التوليدي الذي يختص بالبنية العميقة أي المكون الوحيد القادر على توليد الجمل في حين المكون الدلالي والمكون الفونولوجي مكونان تفسيريان للمكون التركيبي.

3-2: المكون التحويلي:

"تُجرى التحويلات باعتماد قواعد التكوين التي تتحول بالتحليل إلى مشيرات ركنية مشتقة فالمكون التحويلي: "يتضمن هذا المكون التحويلات التي هي عبارة عن قوانين متشعبة يبدل كل منها مشيرا ركنيا بمشير ركني آخر وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل"[1]. ومن ذلك يحصل على عدد من المشيرات الركنية المشتقة مساويةً عدد التحويلات الموجزة .

"تتسم التحويلات بالقضايا التالية:

- تكون التحويلات إما إلزامية وإما اختيارية، وذلك بأن ينقل الركن الاسمي مثلا إلى موقع الابتداء: أي يتم تقديم ركن اسمي عن ركن فعلي، ويكون ذلك إجراء اختياريا كون البنية العميقة بنية ظاهرة، فالركن الاسمي (الرجل) في الجملة (أكل الرجل التفاحة) يمكن تقديمه على الركن الفعلي وتظل البنية العميقة ظاهرة في الحالتين، ومن هنا كان التحويل اختياريا، لكن في جملة أخرى يكون التحويل إلزاميا بتناول بنية هي من حيث تعريفها بالذات لا يمكن أن تتحقق بصورة مباشرة من دون تدخل التحويل نحو (الرجل كريم أبوه)"[2].
- "تكون التحويلات إما دورية وإما غير دورية.
- يأخذ كل تحويل مكانه في ترتيب التحويلات"[3].

ثامنا: شكل القواعد التوليدية والتحويلية:

تتألف القواعد التوليدية التحويلية من مكونات ثلاثة تترابط مع بعضها ترابطا وثيقا، فكل مكون منها يشمل تنظيم قواعد بحيث ثلاثتها (الفونولوجي والتركيبي والدلالي) تقوم بالربط بين الأصوات والمعاني، فالمكون التركيبي هو المكون التوليدي، أما الفونولوجي والدلالي فهما مكونان تفسيريان أولهما يخص التراكيب وثانيهما يخص المعاني.

---

1 – المرجع نفسه، ص152

[2] – المرجع نفسه، ص152.

[3] – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، ص16.

إن المكون التوليدي الوحيد، والذي هو المكون التركيبي هو الذي يقوم بوصف بنية الجمل العميقة، وهو الذي يعدد عناصرها المؤلفة لها، أما المكونان الفونولوجي والدلالي فهما تفسيريان يخص أولهما التراكيب بنطق خاص ويفسر ثانيهما معاني تلك التراكيب؛ فالقواعد التوليدية تنظيم يعمل كآلية انطلاقا من تلك المكونات، كما إن للمكونات الثلاثة أعمالا تؤديها وهي كما يلي:

1: عمل المكون التركيبي:

إن المكون التركيبي مكون أساسي في القواعد التوليدية التحويلية ويتم التوليد كما يلي:

1-1- توليد المشيرات الركنية:

يعمل هذا المكون على إعادة كتابة الرموز اللغوية، ويقوم بتوليد المشيرات الركنية التي تتولد عنها قواعد إعادة الكتابة لتسلسل فئات كلامية يمكن تمثيلها بواسطة مشير ركني ومنها تعيد قواعد التفريع كتابة كل فئة من تلك الفئات.

1-2-.استبدال المفردات المعجمية:

"تقوم قواعد استبدال المفردات المعجمية بإدراج مفردات مكونة من مركب سمات فونولوجية وتركيبية دلالية في موقع الرموز المركبة التي ولدتها قواعد إعادة الكتابة ...وتسمى البنية التي نحصل عليها بعد إجراء قواعد إدراج مفردات بالبنية العميقة.

1-3-التفسير الفونولوجي:

التحويلات التي يتضمنها المكوّن التحويلي من البنية العميقة إلى بنية سطحية بالإمكان تفسيرها من الناحية الفونولوجية.

إن المكوّن التركيبي هو المصدر التوليدي في القواعد التوليدية والتحويلية، والمخرجات التي تصدر عنه تكوّن المدخلات التي يتعامل معها المكون الفونولوجي والمكون الدلالي في نفس الوقت، و"تكوّن المخرجات مجموعة لا متناهية من الوصف البنائي الذي يتعلق بكل جملة من جمل اللغة"[1] ويمكن توضيح عمل المكون التركيبي بالمخطط الآتي"[1]:

1- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص158.

عمل المكون التركيبي:

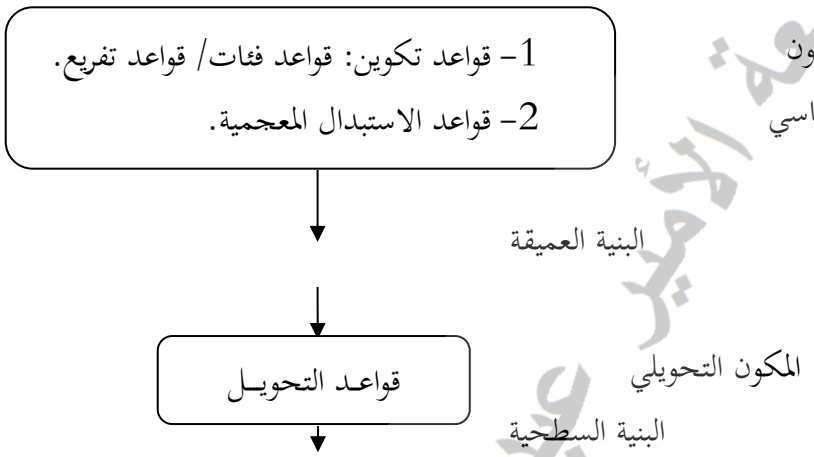

[1] - المرجع نفسه، ص158.

2: عمل المكون الدلالي:

تعد "المدخلات التي تناولها المكون الدلالي هي المشيرات الركنية التي تولدها قواعد التكوين العائدة إلى المكون التركيبي في البنية العميقة."[1] ويقوم المكون الدلالي بتخصيص معنى شامل لكل تركيب لغوي، انطلاقا من المعاني الفردية العائدة إلى المورفيمات التي تؤلفه. ويظهر المخطط الآتي عمل المكون الدلالي"[2].

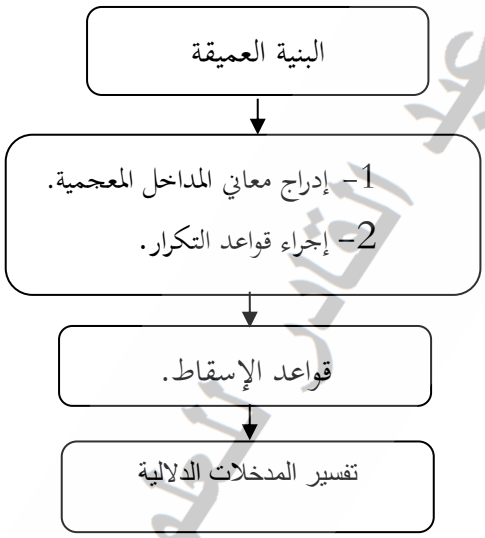

1 - المرجع السابق، ص 159

2 - المرجع نفسه، ص159.

3: عمل المكون الصوتي.

تعد "المدخلات التي تناولها المكون الصوتي هي المشيرات الركنية السطحية، ويتكون المشير الركني السطحي من مؤلفات تحدده من حيث انتماؤها إلى فئات كلامية ومن حيث خصائصها الدلالية، ويعمل المكون الدلالي كما يلي:

- يقدم المعجم السمات الفونولوجية الخاصة التي تضفي على المؤلفات تمثيلا فونولوجيا مناسبا.
- تقوم قواعد التكرار بضبط التمثيل الفونولوجي العائد إلى هذه المؤلفات في البنية السطحية.
- تقوم القواعد الفونولوجية بتحليل التغيرات الصوتية الحاصلة من خلال تتابع السمات الفونولوجية الخاصة بكل مؤلف"[1].

"ويمكن التمثيل لعمل المكون الصوتي بالمخطط الآتي"[2]:

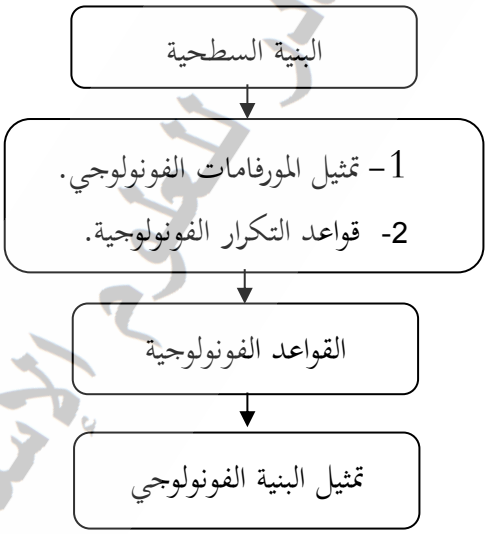

1 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا،، ص 159-160

2 – المرجع نفسه، ص160.

4: عمل مكونات اللغة:

"تتفاعل تلك المكونات (التركيبي، الدلالي، الصوتي) وتعمل وفق سلسلة مرتبة حيث يولد المكون التركيبي مجموعة غير متناهية من البنى التركيبية التي تحتوي على تمثيل دلالي يُستمد من المكون الدلالي وعلى تمثيل صوتي أو فونولوجي مستمد من المكون الفونولوجي، فالمكون التركيبي عبارة عن جسر يربط بين المعنى والصوت"[1].

وفي هذا المخطط توضيح لتداخل المستويات في القواعد التوليدية والتحويلية:

المكون التركيبي:

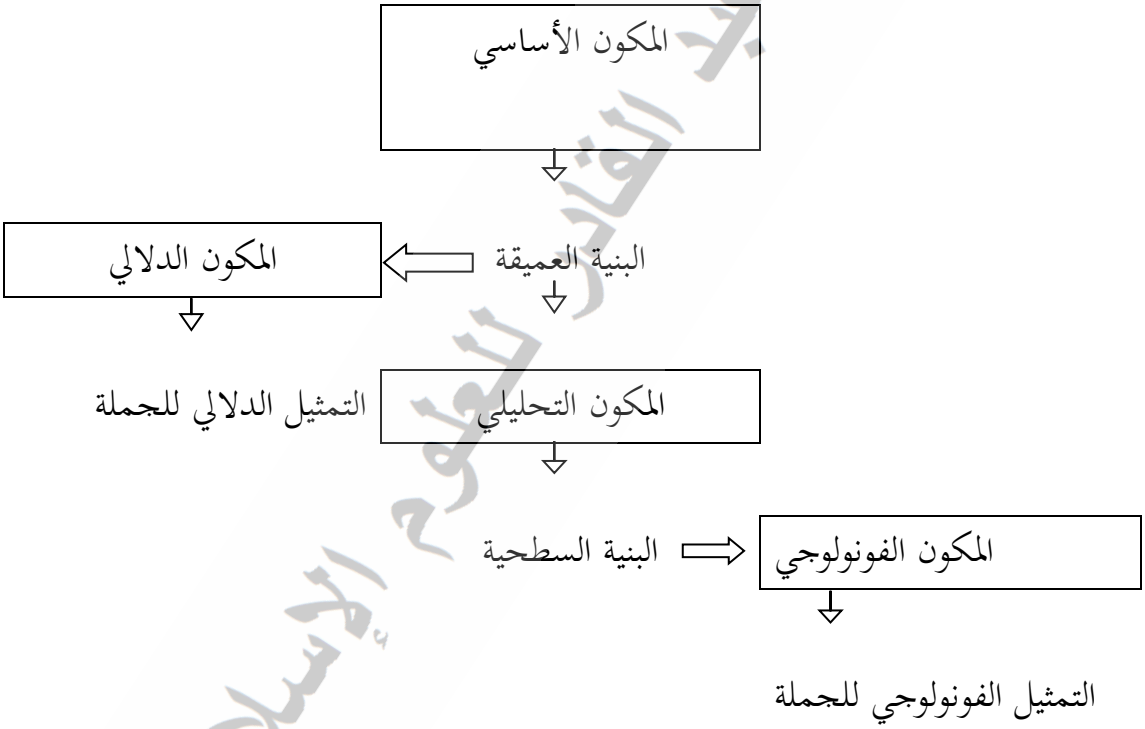

1 – الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، ص17

تاسعا– البنية العميقة والبنية السطحية وعلاقتهما بغيرهما.

"تعد الكفاية اللغوية والأداء الكلامي المرتكز الذي قامت عليه نظرية تشومسكي إذ يتجزأ من الكفاية ما يعرف بالبنية العميقة، ومن هذه الأخيرة يتولد المصطلح الثاني والمتمثل فيما يعرف بالبنية السطحية"[1].

اصطلح على البنية السطحية والبنية العميقة ثنائية تشومسكي، وهذه الثنائية ارتبطت بالكفاية والأداء لأن اللغة بوصفها عملا عقليا تشمل جانبين أحدهما داخلي ذهني يعبر عن الفكرة، وثانيهما خارجي (شكلي) يحدد الجانب الفيزيائي.

والجانبان كلاهما يشير إلى ارتباط التركيب النحوي السطحي بتركيب عميق أكثر تجريدا وهو ما اصطلح عليه البنية السطحية والبنية العميقة، والعميقة هي الأساس الذهني المجرد الذي يرتبط بتركيب يعد رمزا لذلك المعنى وهي أيضا النواة التي يمكن من خلالها فهم الجملة.

"وكل تركيب يجب أن يدرس من هذين الجانبين اللذين يوحيان بارتباط التركيب النحوي السطحي بتركيب أعمق وأكثر تجريدا.....بمعنى أن البنية العميقة هي الأساس الذهني المجرد لمعنى يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له، وهي أيضا النواة التي لا بد منها لفهم الجملة وتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة"[2].

لقد اعتمد تشومسكي مستويين في دراسة اللغة حيث ميز بين البنية الظاهرة من تتالي الكلمات والتي أسماها البنية السطحية، وبين البنية العميقة، وقصد بذلك القواعد التي كونت ذلك لتكوين جمل اللغة بمعنى البنية الأساس القابلة للتحول لتكون الجملة المراد تبليغها.

[1] – النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث، بدرة عمار علي فرخي، ص15.

2 – دراسات في اللسانيات(ثمار التجربة)، هادي نهر، عالم الكتب الحديث أربد، دط، 2011، ص176-177.

1-البنية العميقة:

إن المقصود بالبنية العميقة هو تلك الفكرة الذهنية أو الأساس الذهني لمعنى من المعاني "وهي البنية المجردة الضمنية التي تُعَيّن التفسير الدلالي".[1]

أو هي "الأساس الذهني لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له"[2].

وبعبارة أخرى فإن البنية العميقة هي الفكرة المجردة الضمنية التي تشكل النواة الأساس لبناء أية جملة وهي "المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم ومقياسه المقدرة والكفاية اللغوية"[3].

فالبنية العميقة إذن هي التركيب الأساسي أو الباطني عند تشومسكي ومنها يتم التحويل إلى بُنىً لا متناهية بدلالات مختلفة مقصودة باتباع قواعد التوليد والتحويل، فالبنية العميقة إنْ هي إلاّ فيصل في التركيب الدلالي مع أنها يمكن أن تكون ذات دلالة مقصودة من دون تحويل.

2-البنية السطحية:

البنية السطحية هي التركيب ذو الدلالة المقصودة المتحول عن بنية عميقة وفق قواعد التحويل وهي "التركيب الذي تظهر به الجملة بعد تطبيق بعض القواعد التحويلية على تركيبها الباطني، أو هي الجزء الملحوظ الظاهر في الجملة؛ أي: الرموز المجسدة والرموز الصوتية والمكتوبة أو المقصود بها ذلك التركيب الذي تظهر فيه الجملة بصورتها الحالية الفعلية؛ وأما العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري فتسمى تحويلا لأنها تحول التركيب الباطني لجملة ما، إلى تركيب ظاهري جديد، وينظم هذه العلاقة ما يعرف بالقوانين التحويلية"[4].

كما يمكن القول أنها المعنى الذي يُعبر عنه بكلمات مرتبة ترتيبا محكما وفق ما يقتضيه النحو بكفاية لغوية وأداء كلامي مستقيمين موافقين لتلك القواعد لأنها نتيجة لما قد جرى على البنية العميقة من أجل إضافة معنى أو معان لما تدلّ عليه المكونات الدلالية المعجمية

---

1 – الألسنة التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنة)، مشال زكريا، ص163.

2 – في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، ص58.

3 – مجلة جامعة القدس مفتوحة في الأبحاث والدراسات، أحمد المهدي المنصوري، وإسمهان الصالح، ص327

4 – مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، ص57.

وتعلق بعضها ببعض، فهي"الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقا بالقواعد التحويلية في اللغة، فبها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبّر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة"[1].

إن البنية السطحية من منظور مقارنتها تركيبا ودلالة بالبنية العميقة تمثل "ترتيب الوحدات السطحي الذي يحدد التفسير الفونيتيكي والذي يُردّ إلى شكل الكلام الفعلي الفيزيائي وإلى شكله المقصود والمدرك"[2].

أو هي "التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة؛ إنها التفسير الصوتي للجملة"[3].

ويتضح أن "الوسيلة التي تقوم بنقل البنية التحتية إلى البنية السطحية في نموذج الدلالة التوليدية تختلف تمام الاختلاف عن ما هو سائد في أدبيات النحو التوليدي التحويلي، كما إن هذه الآلية تخالف الوسيلة الواردة في نموذج النحو الوظيفي نظرا لإقراره بعدم نجاعة القواعد التحويلية، ويفترض قواعد خاصة يطلق عليها اسم (قواعد التعبير)"[4].

ومما سبق يستخلص ارتباط البنية السطحية بالبنية العميقة، لأن ذلك الارتباط ما هو إلا نتاج بعض العمليات العقلية التي سميت حديثا بتحويلات القواعد، وقواعد اللغة تمثل تلك العلاقات الارتباطية في النظرية التشومسكية الذي يصف البنية العميقة والبنية السطحية وعلاقتهما التحويلية لأن علاقة التكلم "يجب أن تتضمن تنظيما متناهيا يولد عددا غير متناهٍ من البنى العميقة والسطحية المترابطة بصورة ملائمة"[5].

إن ما يحدث من تحويلات على البنى العميقة، وتركيب بُنى سطحية يجعل من التركيبين بُنيتين مترابطتين دلاليا، فكما تُقدم العميقة المعنى الأولي بما أتيح من مدخلات معجمية، تُقدم السطحية المعنى المتكامل المقصود تبليغه، وتتيح الفهم التام لكل أصولي من تلك الجمل المولدة والمحولة، ولا يقتصر فهم المعنى على فكرة البنية العميقة إنما تسهم البنية

---

[1] – في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، ص59.

2 – انظر الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، ص163

[3] – محاضرات في المدارس المعاصرة، شفيقة العلوي، ص53.

[4] – من البنية العميقة إلى البنية السطحية في الدلالة التوليدية، بنيونس عليوي، شبكة الألوكة، ص10.

5 – انظر المرجع نفسه، ص 163.

السطحية في إجلاء الدلالة وإيضاح المعنى لما تحتويه من عناصر تؤشر إلى ما وراء الدلالات المعجمية.

وبرغم أن البنية العميقة ليست ظاهرة في الكلام فإنها تظل أساسية لفهمه وإعطائه التفسير الدلالي فهذه البنية تتمثل في ذهن المتكلم بوصفها حقيقة عقلية قائمة يعكسها الناتج الكلامي.

فالبنية العميقة "تقدم التأويل الدلالي والقوانين التي توضح العلاقة بين بنيتي السطح والعمق في الجمل والتي تسمى التحويلات النحوية"[1].

"ولا تزال النظرية التشومسكية تبين العلاقة بين البنيتين وتحدد قوانين التحويل والتوليد دون إهمال للحدس الذي يقصد به تشومسكي حدس الباحث للوصول إلى نية المتكلم على إنتاج الجمل وعلى صحة وخطأ ما يتلقاه من جمل"[2].

3-علاقة البنية السطحية بغيرها من البُنى:

يرى أندري مارتيني أن الجملة هي أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتابعة للخطاب لأن حقيقة الخطاب ليست إلا تسلسلا من الجمل المتتابعة وهذا "يفضي بنا إلى الحديث عن مفهومين هامين في النظرية التشومسكية حيث أنه يشترط في الجملة أن تكون سليمة من حيث تركيبها النحوي متماشية وقياس اللغة، والثاني مفهوم الاستحسان بأن تكون الجملة مقبولة من ناحية مناسبتها لمدلولات اللغة المعنية"[3].

والجملة التي تتألف من أصوات وتحمل مدلولات من معجم ما ونظام نحوي لِلُغةٍ ما، هي البنية السطحية أو هي الجملة في شكلها النهائي، وإن تتالي البنى السطحية يشكل خطابا يعطي فكرة، فلا بدّ لهذه البنى أن تكون مترابطة فيما بينها، وتكون لها علاقات دلالية تجمع بين جميع روابطها وتحقق تداخلها وذلك "أن الجملة تعدّ من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية نص ... وطالما جعلت اللغة المكتوبة أساسا، فقد قرر من خلال العرف أن

3 – نظرات في النحو التحويلي، حسام سعيد النعيمي، مجلة آفاق عربية، بغداد، عدد1، 1999، ص42

[2] – العمدة في الجملة العربية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، خطاب صالح، رسالة ماجستير، ص57،58

[3] – مبادئ اللسانيات العامة، خولة طالب الابراهيمي، دار هومة الجزائر، (دط)، 2000، ص105

وحدات تتصف باستقلال وتمام نسبيين داخل سياق أكبر للفقرة أو النص تحدّها نقطة أو علامة نداء أو علامة استفهام... الجملة إذن قطعة من نص"[1].

فالعلاقة القائمة بين الجمل مع الأخذ في الحسبان نسبية حدود الجملة (أي أن الجمل تتداخل عناصرها أحيانا فتترابط ترابطا عضويا) خاصة في النصوص الأدبية أو في المشافهة هي علاقات ترابط تلمح من استعمال حروف الربط أو تدرك من المعنى العام.

فالربط إذن نوعان:

ربط بواسطة وربط بغير واسطة.

3-1-ربط بواسطة:

ويتم باستعمال حروف الربط من حروف العطف والحالية والتفسير والاستنتاج وبعض ما يدل على ارتباط اللاحق بالسابق كالفواصل في علامات الوقف ونقطتي التفسير وغيرها.

وبذلك تكون العلاقة بين لفظين أو معنيين أريد الجمع بينهما في الحكم عملا أو وصفا أو أريد تبيان سبب لنتيجة أو تفسير لمفسر وما إلى ذلك مما تستوجبه الصياغة ويقتضيه التأليف.

3-2-ربط بغير واسطة:

ويقصد بذلك احتواء الجملة الأصلية جملة فرعية، أو الجملة الكبرى جملة أصغر منها، فتكون الجملة الفرعية أو الصغرى إحدى مكوناتها أو إحدى توابعها كالجمل الحالية والوصفية أو الواقعة فاعلا أو مفعولا به أو خبرا ... إلخ

وبذلك يتضح أن الارتباط بغير واسطة هو ارتباط معنوي قد يكون عضويا ظاهرا وقد يكون عضويا محولا.

إن العلاقة بين البنى السطحية في نظرية تشومسكي تقوم على السياق العام للنص وترتبط ببعضها بروابط لفظية وما يقوم مقامها من ألفاظ تختلف باختلاف اللغات كما ترتبط بمعان غير مذكورة تفهم من السياق كالجمل الاعتراضية، كما إن العلاقة الإبدالية بين الجمل التي تعني الإضراب عن جملة واستبدال جملة بأخرى هي روابط معنوية تكون بلا واسطة.

[1] – التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010 ص40-41

عاشرا– جوانب التحويل في النحو التحويلي:

تتميز البنية العميقة بالتجريد والإيجاب، لكن المتكلم يعمد إلى معانٍ تخرج عن هذا التجريد وذاك الإيجاب، وهي أمور يقتضيها الحال في التواصل والتعبير عن المراد تبليغه وهذا يعني أنه يلجأ إلى التحويل من العميقة إلى دلالات أخرى، فالانطلاق من البنية العميقة بدلالتها الأصلية لا يكفي لاستيعاب كل الدلالات، ولذا فإن بلوغ الهدف وفق قوانين التحويل يقتضي اللجوء إلى جوانب التحويل كلها أو بعضها.

1– جوانب التحويل:

1–1–الزيادة:

إن الزيادة في النظرية التحويلية هي إضافة صوتية ودلالية تضم إلى عناصر البنية السطحية أو البنية العميقة فلو قيل: 'حضر زيد' فإن الإيجاب يظل قائما وقد يراد النفي أو الاستفهام أو التوكيد فتضاف 'ما' أو 'هل' أو 'قد' –على الترتيب– فهذه الزيادات التي طرأت إنما مست ركنا أو أكثر وأعطت دلالة إضافية إن لم تكن جديدة، فالزيادة لا تقتصر على الحروف وإنما تشمل كل ما يمكن أن يضاف من المفردات والتراكيب التي تقبلها قوانين التوليد والتحويل.

1–2–: الحذف:

إن الحذف في النحو التحويلي يقابل الزيادة، ويعني الاستغناء عن نطق أو كتابة ما لا لزوم لذكره، كما في الإجابة عن استفهام هل حضر زيد؟ بـ(نعم) أو (لا) فيُحذَف ركنا الجملة ويُكْتَفى بحرف الجواب إثباتا أو نفيا؛ وغالبا ما يكون الحذف في الفضلات، لأن ركني الإسناد لا يمكن حذفهما وإن حذفا فيظلان مقدرين لأن حرف الجواب (نعم) مثلا جاء يمثل طرفي الإسناد وإنما تحولت الجملة بالحذف تخفيفا، بدليل أن المعنى الأصولي للبنية العميقة ظل موجودا ومفهوما رغم أنه لم يذكر.

ويكون الحذف في أركان الإسناد نطقا أو رسما (فيحذف الخبر أو الفاعل أو نائبه...) لكنهما يبقيان مقدرين يستدلّ عليهما من دلالة ما مثّلهما من لفظ أو معنى.

1-3-: التعويض أو الاستبدال:

إن التعويض بمفهومه التحويلي هو استبدال صوت بصوت أو بأصوات أخرى مع تحول دلالي، فحين يُسأل: من حضر؟ في جملة (حضر زيد)، فإن زيدا استبدل باسم الاستفهام (من) فزيد مقدر في الحضور مع جهل به، والاسم (من) يمثل كل الذين يحتمل حضورهم، لذلك استبدل بزيد، وفي الإجابة استبدل به زيد؛ ويكون التعويض في الاستفهام ونائب الفاعل ويشمل الضمائر ...الخ

1-4: التوسع والتمدد:

من أهم جوانب التحويل الزيادة في الأصوات وهو الذي اصطلح عليه التوسع، ويعني ذلك تعويض المورفيم الواحد بجملة كأن يعوض الفاعل أو الخبر المفرد بجملة تقوم مقامه، فالمورفيم الواحد يصبح جملة بفعل التحول، ويحدث التوسع أيضا بأن يكون العنصر الواحد (الركن الواحد) المفرد البسيط مركبا من مورفيمين أو أكثر كما في القول (عليك أن تجتهد) فـ(أن تجتهد) مورفيمان عوضا مورفيما واحدا وهو (الاجتهاد).

إن التوسع لا يشمل فقط المورفيمات وإنما يشمل أيضا المعاني ففي الجملة: (سمعت خبرا) يمكن تعويض المورفيم (خبرا) بألفاظ ودلالة أوسع فيقال (سمعت أنك ناجح) فكونك ناجحا هي الخبر الذي سمعت. وهذا يعني أن التوسع يكون في ركن من أركان الجملة بزيادة حرف أو كلمة أو جملة أو أكثر من ذلك، فيكون في ركنيها أوفي تابع لها أو ملحق أو أكثر.

1-5-: إعادة الترتيب (الإحلال والاستبدال):

لكل جملة تركيبها وترتيبها في أية لغة، فالجملة الاسمية في العربية مثلا تبدأ بالمبتدأ ويليه الخبر والفعلية تبدأ بالفعل ويليه الفاعل والمفعول، لكن مقتضيات التحويل تفرض تغييرا في نظم الجملة وترتيب أركانها، ويكون ذلك في العربية وجوبا أو جوازا؛ ومن مقتضيات التحويل الاستفهام بحكم وجوب الصدارة لأدوات الاستفهام وأسمائه، ويترتب عن الإحلال والاستبدال تحول الجملة من اسمية إلى فعلية ومن فعلية إلى اسمية، وقد تحل الضمائر محل الأسماء الظاهرة كما في القول (كتب محمد رسالة) قد يُعاد ترتيبها فتصبح (الرسالة كتبها محمد) فاقتضى التحويل أن تستحيل الجملة اسمية وأن يعوض المفعول به أصلا بالضمير (ها)

الذي تقدم على فاعله (محمد) ولإعادة الترتيب وجوه متعددة يصلح كل منها لقصد تواصلي هو البنية السطحية المراد تبليغها.

1-6-: الإقحام:

يضاف إلى ما سبق من تلك الجوانب التحويلية في النظرية التشومسكية جانب الإقحام وهو ما اختصت به الجملة العربية ويعني الإقحام أن "المتكلم يقحم لفظا أو جملة بغرض التوكيد كما جاء في قول الشاعر:

(فهيهات هيهات العقيق ومن به)، فتكرار هيهات إقحام، أو كما في القول للمخاطب: (تعال أنت) فأنت أُقحمت توكيدا لأن الفاعل أنت محذوف وجوبا"[1].

2-ميزات النظرية التوليدية:

إن الدارس الباحث في النظرية التوليدية التحويلية لا يعزب عنه أن يلحظ أن هذه النظرية قامت على أسس تضمن استيفاءها شروط التركيب وقواعد التحويل وما يتطلبه الأمر من كفاية وصياغة وحسن أداء، وهو ما جعلها تمتاز بميزتين اثنتين كانتا سمتها البارزة.

- كونها نظرية لسانية تتبنّى مفهوما عقلانيا للمعرفة العلمية انطلقت من نظريات سابقة انتقدت تغييبها للجانب العقلي للغة واعتنائها فقط بالجوانب الشكلية التركيبية، وواجهت تلك النظريات مع التجريب.

- كونها نظرية تعتني بالنحو أكثر من اللغة فهي تُعنى بالآلة الصورية التي تمكن من توليد أعداد لا محدودة من المتواليات التي تنتمي إلى لغة إنسانية.

لقد كان العمل التنظيري في العملية التوليدية التحويلية معنيا ببناء آليات ونماذج صورية تحاكي خصائص اللغة البشرية فهي تعد ثورة علمية أنجبت نموذجا جديدا للتفكير في اللغة وقد "قاد تشومسكي ثورة علمية فعلية نجم عنها بروز أنموذج جديد للتفكير في اللغة أفرز مجموعة من الإشكالات التي يجب أن يعتني بها اللغوي وضمّنها الاهتمام بسلوكهم الفعلي.

[1] - النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، أحمد المهدي المنصوري وإسمهان الصالح، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد29، شباط 2013، بتصرف، ص222-225.

ومع هذا الأنموذج بزغ زمن التركيب حين اتجه اللساني ليس فقط إلى ما هو موجود من السلاسل اللغوية الموجودة، ولكن إلى ما يمكن أن يوجد"[1].

تعد النظرية التوليدية التحويلية النحو نظرية استنباطية صورية منتجة لكل الجمل النحوية وليست نشاطا تصنيفيا، لأن التحويل الإبستمولوجي في اللسانيات التوليدية لم يتناول فقط المفاهيم الوصفية للغة ولكنه تناول النظرية اللسانية كلها "يبدو أن المسألة الأكثر صميمية في النظرية اللسانية تتمثل في تجريد فرضيات وتعميمات انطلاقا من نماذج نحوية خاصة تستوفي شرط الملاءمة الوصفية، وهي فرضيات وتعميمات تُحمل بعد ذلك –كلما كان الأمر ممكنا– على النظرية العامة المتعلقة ببنية اللغة، فيتم بذلك إثراء النظرية وإضافة مزيد من الهيكلة على نموذج الوصف النحوي. فكلما قمنا بشيء من هذا النوع فإننا سنكون قد استعضنا عن حكم من الأحكام الصادقة على لغة بعينها بحكم مقابل ينسحب على اللغة بصفة عامة، فيصبح الحكم الأول عبارة عن نتيجة من نتائج الحكم الثاني. وإذا كان حكمنا الافتراضي الأعمق هذا مخالفا للصواب فإنه سيظهر بوضوح عندما نقيس مفعوله على مظاهر أخرى من مظاهر تلك اللغة، فإننا نبدي إشارة واضحة وهي وجوب صياغة فرضيات عامة للعمل تتعلق بطبيعة اللغة وذلك كلما كان الأمر ممكنا، وسنتمكن انطلاقا من تلك النظريات من استخلاص السمات الخاصة بالنماذج النحوية لمختلف اللغات"[2].

"لعل أهم ما يميز تشومسكي أنه يسعى إلى إقامة (نظرية عامة) للغة تصدر عن اتجاه عقلي، وقد بدأ هذا الاتجاه خافتا أول الأمر في كتاباته الأولى ثم ما لبث أن قوي وصار أساس المنهج كله، وهذه النظرية العقلية تنبني في جوهرها على ما يمكن تسميته (بلا نهائية) اللغة. إنه يرى أن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (ومن مجموعة محدودة من الرموز الكتابية) ومع ذلك فإنها تنتج أو تولد جملا لا نهاية لها ... وهذه النظرية تتوجه إلى الإنسان صاحب اللغة أو إلى ما يسميه تشومسكي بالمتكلم السامع المثالي في مجتمع لغوي متجانس يعرف لغته معرفة كاملة"[3].

---

1 – اللسانيات واللغة العربية، الفاسي الفهري، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 1986، ج1ص65

2 – تشومسكي، مظاهر النظرية التركيبية (بالانجليزية)، ترجمتي، Aspects of the theory of syntax46. Cambrdge، Noam Chomsky? The M.I.T Press ، p46.

3 – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص114-115.

إن أبرز ما يلحظه الدارس للنظرية التوليدية التحويلية هو أن البنية العميقة هي الفكرة التي تدور في ذهن المتكلم وأدوات تكوينها من معجم وأصوات غير معلنة، وهي التي يشترك فيها جميع المتكلمين على اختلاف لغاتهم وقواعدها، وما عمليات التوليد والتحويل إلا تصريح بالمُراد الذي يدور في الذهن كفكرة مجردة مع إضافات تقتضيها الحال للإفصاح عن تحديد المقصود، ويتجلى ذلك في الأساليب المستعملة لتحديد المفهوم؛ فإن كانت البنية العميقة تقتضي التجريد والإيجاب فإن البنية السطحية تتنوع فتحتمل الإيجاب كما تحتمل النفي والشك وكل الأغراض البلاغية التي تندرج تحت الكفاءة اللغوية والمعرفة بقواعد التحويل والتوليد.

وقواعد اللغة وكفاءة المتكلم وأداؤه لا تعدو أن تكون آليات لإبراز تلك الفكرة الذهنية إلى السطح، فهي تتم بواسطة عمليات ذهنية وفق قواعد اللغة وكفاءات المتكلم أو السامع المثالي، فإن الذي يستطيع أن يقول أو يفهم جملا لم يعرفها من قبل إنما استند في ذلك إلى البنية العميقة كفكرة مجردة حوّلها إلى مفهوم آخر أو مفاهيم مختلفة تطفو على السطح باستعمال قواعد التوليد والتحويل.

فالنظرية التوليدية التحويلية إذاً تحدد موضوع دراستها بالإنسان المتكلم المستمع المثالي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، فهو إضافة إلى كونه موضوع دراسة، يُعد مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته الضمنية بقواعد اللغة في أدائه الكلامي ذلك أنه يستطيع أن ينتج جمل لغته وأن يفهمها وأن يحكم بصوابها أو بعدمه في التركيب.

إن المتكلم السوي هو الذي ينتج ما لا نهاية من الجمل بمفاهيم موحدة أو متنوعة استنادا إلى فكرة ذهنية واحدة أو ما أسماه تشومسكي (البنية العميقة)، إذ يقوم بعمليات التحويل والتوليد وفق ما تقتضيه قواعد النحو للغته أو اللغة التي يتقنها على اعتبار اختلاف المستويات المعجمية بين اللغات الذي يظهر جليا في الأداء الصوتي، كما يظهر الاختلاف في التركيب النحوي أيضا، رغم أن الأداء التواصلي واحد وهو ما يؤكد ما ذهب إليه تشومسكي من أن اللغة عملية عقلية منتجة.

كما إن تمييز المتكلم بين ما هو أصولي من الجمل وما ليس أصوليا منها دليل على الدور العقلي للغة، إذ يتيح معرفة ما هو صحيح يؤدي الدلالة المطلوبة مما هو غير صحيح لا

يحمل معنى وإن كان أحيانا يفهم انطلاقا من عملية تصحيح تلقائية مصدرها الكفاءة اللغوية.

حادي عشر: آراء الباحثين في نظرية تشومسكي:

مثل كل نظرية اجتهد مُنَظِّرها في سبك دعائمها، وسبر أغوار امتداداتها، وانتقاء أدقها وتفسير تفاصيلها، فإن النظرية التوليدية التحويلية لقيت استحسانا وتبنيا؛ فكان لها أنصار ومروجون، ولكنها ككل عمل بشري لم يخلُ من مثالب أعرب عنها بعض منتقديها، وقد ذهب فريق إلى أنها امتداد لنظريات سابقة وتجديد لرؤى من التراث الإنساني.

وهذا بعض ما قيل عنها من أنصارها ومن منتقديها:

محمد علي الخولي: "لقد كان تشومسكي، وهو لغوي أمريكي، أول من وضع النظرية التحويلية في قالبها المنهجي"[1].

هادي نهر: "وقد جاء الكتاب الثاني مكملا طروحات جومسكي في كتابه الأول ومزيدا عليها مسائل مفصلة استكمل بها الرجل نظريته التي كانت ردا على النظريات والاتجاهات التي انبثقت عن البنائيين، ولتبني صرح مدرسة طبعت منذ نشأتها الدرس اللغوي المعاصر بطابعها، ويكفي في الاستدلال على أهمية هذه المدرسة ومبلغ نفوذها أن ندرك أن الدراسات اللغوية اليوم إما أن تكون مهتدية بمبادئها، أو أنها تجعلها النقطة التي تبتدئ منها لتبرر اختلافها عنها إن اختلفت، ونجد أيضا أن الاتجاهات والفرضيات القائمة اليوم في الدرس اللغوي عموما أو في جزء منه إما أن تكون قد انبعثت من تلك المدرسة بحيث نراها تستند إليها في مسلماتها العامة ومناهج بحثها، أو أن تكون رد فعل على مبادئها ومسلماتها، أو نقدا لبعض مناهجها في البحث وأساليبه"[2].

جون ليونز: "فإذا كان الأمر على هذا النحو الذي يؤكده تشومسكي، فمعنى هذا أن النحو التحويلي هو أفضل نظرية ظهرت حتى الآن لوصف تركيب اللغة الإنسانية وتفسيرها بطريقة

[1] – قواعد تحويلية اللغة العربية، محمد على الخولي، ص50.

[2] – دراسات في اللسانيات (ثمار التجربة)، هادي نهر، ص171.

منهجية، ومعنى هذا أيضا أن معرفة النحو التحويلي وفهمه يعد ضرورة أساسية لأي فيلسوف أو عالم أحياء يرغب في دراسة قدرة الإنسان اللغوية"[1].

إبراهيم مصطفى إبراهيم: يقول مصطفى إبراهيم متحدثا عن نظرية تشومسكي:"وعليه فالنحو التوليدي أو التحويلي ليس بنظرية علمية وحسب، بل يمتد إلى ثناياها ويكمن بين طيات اللغة بالإضافة إلى مساعدته في صناعة نظام من القواعد الصالحة للتطبيق على الجمل في اللغات كلها"[2].

كلاوس هيشن: قال متحدثا عن تشومسكي:"في دراسة تاريخ علم اللغة قد نشأ من اقتناعه بأن كثيرا من مقاربته اللغوية، هو أساسا، عبارة عن تطور مصوغ بشكل أفضل للممارسة الأوربية التقليدية، ولم يكن هذا كله خاليا من الجدال الحاد، وهو ما زاد بالتأكيد من الاهتمام الحالي بتاريخ الموضوع"[3].

صبري إبراهيم السيد: قد عاب على النظرية اعتمادها على الحدس كمبدأ من مبادئها وهذا ما رفضه كثير من العلماء فأغلبهم يرون أن عملية "الحدس شيء غير علمي، ولا تخضع للملاحظة المباشرة، بالإضافة إلى أنها متغيرة وغير جديرة بالثقة"[4].

كما انتقد أيضا اعتمادهم على الاستبطان من منظور أنه "لا يمكننا استبطان البنية العميقة كما نستبطن البنية السطحية"[5]

عبده الراجحي: "والحق أن تشومسكي يمثل 'ثورة' حقيقية لأنه قوض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى 'طبيعة' اللغة، والحق أيضا أن اللغويين لا يتفق جميعهم مع تشومسكي في ما قدم من جديد، بل لا تزال المدارس اللغوية الوصفية كما كانت من قبل وبخاصة في عدد من الجامعات الأوروبية،

---

[1] – نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: حلمي خليل، ص32.

[2] – فلسفة اللغة نشأتها تطورها أبرز أعلامها، إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2008، ص270.

[3] – القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2010 .ص224.

[4] – تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم السيد، ص265.

[5] – ينظر، المرجع نفسه، ص266.

لكن هؤلاء جميعا لا يستطيعون أن يتغافلوا عن منهج تشومسكي، بل إن كل مدرسة تحدد منهجها وأصولها بالقياس إلى مدرسته وأصوله"[1].

خليل عمايرة: وقد قال متحدثا عن بعض أسسها ومبادئها "ونرى أن في بعض الأسس أو الجوانب غموضا وتعميما، مرده إلى طريقة صاحب النظرية في عرض أفكاره، فهو يعتمد على مصطلحات عامة غامضة، بعضها موجود في نظريات العلماء الذين سبقوه في الدرس اللغوي ولكنه يذهب بها إلى معان جديدة دون أن يشير إلى التعريف الجديد الذي يحدد ما يريده هو به، هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد أنه يعرض فكرة ثم يقلع عنها إلى غيرها وبسرعة غير متوقعة، فأفكاره متقلبة متبدلة تارة، متتابعة تارة أخرى، ولا نعني بذلك بوجه أنها نظرية غير ثابتة، فهي النظرية التي تشغل الباحثين اللغويين في الغرب والشرق، ولكننا أردنا أن نبين للقارئ الكريم ما يجده الباحث من مشقة وعناء ليقف على نقطة أو فكرة في نظرية تشومسكي أو في تطور تفكيره، إذ عليه أن يستخلصها من عدد كبير من الكتابات منه وعنه، فكيف إن أراد أن يعرض إطارا شاملا لنظرية واسعة"[2].

محمود فهمي زيدان: "النظرية التحويلية أرادت إقامة نسق صوري أولي لقواعد بناء الجمل في اللغات الطبيعية، وهو نسق مختفٍ وراء القواعد النحوية التي يتلقنها الطفل في النحو المدرسي، وهنا ينكشف لنا أن هذه القواعد الصورية الأولية هي الخلفية العميقة غير الظاهر والقائمة في العقل الإنساني بفطرته: كشفها ووصفها وتفسيرها"[3].

حماسة عبد اللطيف اعتمد اللغويون العرب نظرية تشومسكي فتبناها بعضهم وقرنها بعضهم بالموروث اللغوي العربي خاصة نظرية النظم للجرجاني، فعالج حماسة عبد اللطيف الأنماط التحويلية في النحو العربي متتبعا سلك التحويلات المختلفة التي تعرض للعربية تركيبا وإفرادا، واتجه مازن الوعر وجهة تركيبية خالصة فحدد أنماط التراكيب الأساسية في العربية، في حي رأى آخرون أن تشومسكي تأثر بالنحو العربي عموما ونظرية النظم خصوصا وعلى هذا المنوال سارت: "محاولات الدارسين بتقديم المقترحات التحويلية وتطبيقها على التراث النحوي

[1] – النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ص109-110.

[2] – في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، ص 68.

[3] – في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، ص147.

العربي معتقدين تماثلا منهجيا في أسس التحليل. وقد وصل الأمر ببعضهم تأويل هذا التماثل بمطالعة تشومسكي لقضايا العربية أثناء بحوثه في اللسانيات العامة وفي النحو العبري"[1].

جاسم علي جاسم: "إن تشومسكي عالم لغوي، وإن أباه عالم لغوي كذلك، وله اطلاع على اللغات السامية كالعربية والعبرية وغيرها. ولقد كتب تشومسكي رسالته للماجستير عن الصيغ الصرفية في العبرية. والأكثر أهمية من ذلك أن اللغويين اليهود في الأندلس قاموا بكتابة قواعد لغتهم نحويا وصرفيا على طريقة النحو العربي ...وكانت اللغة العربية تدرس بشكل رسمي ومعتمد في جامعة باريس في القرن14 وتسربت هذه المعلومات إلى المدرسة الفرنسية في القرن17، واستفادت من النحو العربي ومدارسه التي تأثر بها تشومسكي، كما يعترف بنفسه بها، فتجد في النحو العبري ظاهرة التقديم والتأخير والتأويل والحذف والزيادة وغير ذلك من الظواهر النحوية العربية، وهذه الظواهر معروفة لدى تشومسكي وطبقها على الانجليزية ووجد لها صدى مدويا في الآفاق في تلك الفترة الراكدة لغويا، فعمل على إحياء اللغة الانجليزية، وأحدث زلزاله العربي فيها وأعاد بناءها من جديد من خلال الظواهر النحوية العربية الجديدة عليها، وذلك من خلال التقديم والتأخير والتأويل الذي لم يعرف في النحو الإنجليزي من قبله وجاء به من البصرة بخبر يقين"[2].

وقد تباينت آراء الباحثين حول تأثر تشومسكي بالنحو العربي بين مؤيد ومعارض، وأدلى كل منهم بدلوه بالحجج والبراهين.

مازن الوعر: "إنه لا غرابة أن نرى عالما لسانيا أمريكيا معاصرا هو نوم تشومسكي يقف وقفة دهشة وعجب من التراث العربي اللغوي (النحوي والدلالي)"[3].

أحمد المتوكل: وقد علق تشومسكي على "رسالة 'أحمد المتوكل' الموسومة ب'النظرية الدلالية عند العرب القدامى' قائلا: إن ما قاله العرب القدامى في حقل الدلاليات يعد فكرا فلسفيا عميقا لا بد من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر وقد وعد تشومسكي المتوكل بأنه سيعتمد هذه النظرية في الأعمال التي سيقوم بها في المستقبل"[4].

---

[1] – الأنماط التحويلية في النحو العربي، حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ط1، ص11.

2 – تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، جاسم علي جاسم، ص70-71.

[3] – المرجع نفسه، ص72.

[4] – المرجع نفسه، ص72.

نهاد الموسى: أما من أيد فكرة تأثر تشومسكي بغيره نجد نهاد الموسى يقول: "يتجاوز القول بتشابه النحو العربي مع النظرية اللسانية التوليدية إلى النظر في إمكان أخذ تشومسكي عن النحو العربي"[1].

أحمد مؤمن: كما يعد أحمد مومن من المؤيدين لتأثر تشومسكي بالنحو التقليدي وذلك لقوله: "استفادت هذه القواعد (التوليدية التحويلية) من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي فأخذت نقاط القوة منهما، وانتقدت نقاط ضعفهما، ولئن كان تشومسكي قد اعترف ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي فإنه انتقد على الخصوص شكله العام"[2]. وذكر في موضع "إن نظرية القواعد التوليدية التحويلية في تطورها الحالي ما هي إلا نسخة حديثة ومعدلة عن نظرية يور رويال"[3].

كمال أبو ديب: شبه كمال أبو ديب نظرية تشومسكي بنظرية الجرجاني ورجح عمل الجرجاني عليها، حين قال متحدثا عن البنية العميقة والبنية السطحية لدى الجرجاني وتشومسكي: " وربما كان نوع التحليل الذي أتى به الجرجاني في هذا الفصل أول بل أفضل تحليل في اللغة العربية لـ 'البنية السطحية (المنجزة)' و'البنية العميقة (الشجرية)' وإيضاح التماثل بين المفاهيم التي طورها الجرجاني، وطورها تشومسكي مؤخرا، سهل جدا... ولتوضيح الفرق بين البنيتين فقد أعاد الجرجاني صياغة كل واحدة منهما بالطريقة نفسها التي استعملها تشومسكي الآن من أجل الكشف عن البنى العميقة للتركيبات التركيبية المتماثلة"[4].

بريجيتة بارتشت :أما بريجيتة بارتشت الألمانية فقذكرت في كتابها 'مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى نوام تشومسكي': "إن النحو التوليدي في 'نموذج جوانب النظرية النحوية' هو التخطيط لنحو توليدي شامل، وحتى الآن لم تدرس إلا أجزاء من نظرية نحوية،

---

[1] – نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1980، ص54-55.

[2] – اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص203.

[3] – المرجع نفسه، ص203.

[4] -،Al-Jurjani's Theory of poetic Imagery and its BacKgound; Abu deeb Kamal، ph D Thesis.oxford university England. 1971

نقلا عن: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، جاسم علي جاسم، التراث العربي (مجلة فصلية) ص 74.

ومن أكثر التجديدات ثراء ضم المكون الدلالي وربطه بالمكونات الأخرى للنحو. وكانت الإشارة إلى الجانب الإدراكي للكفاءة اللغوية وإلى الكليات التي تعد أساسا لها، محدّدة أيضا للتطور اللاحق للنحو التوليدي.

وبنظرية المعيار هذه كسب تشومسكي بصورة نهائية انتباه عالم التخصّص العالمي، فقد وقف الأتباع والمعارضون على عرض إجمالي لها، استطاعوا أن يشتغلوا به أو يحتكوا به"[1].

والخلاصة فإن الرؤية المنطقية الفلسفية لتشومسكي، جعلته ينتقد البنوية كونها اكتفت بوصف التراكيب وتحليلها تحليلا شكليا لا يولي المعنى أي اعتبارا ولا يُعنى بدوره، ولم يعرْ الكفاءة اللغوية قيمتها الحقيقية.

لذلك، أنشأ تشومسكي يضع قواعد جديدة وقوانين تتماشى وما يراه من صحة التحليل وعقلانية استخدام اللغة، حتى خلص إلى وضع النظرية التوليدية التحويلية التي تقوم على توليد الجمل الجديدة اللامتناهية وتحولاتها الدلالية وفق ما تقتضيه قواعد النحو ومنظومة التحويل المستندة أساسا إلى الكفاءة اللغوية والآداء الصحيح لدى 'المتكلم والسامع المثالي'.

لم يكن ما جاء به تشومسكي وليد لحظة تأمل أو انتقاد فكرة، إنما استغرق عقودا من الزمن قضت في التصحيح والافتراض والتجريب والتنقيح، حتى وصلت النظرية إلى ما هي عليه اليوم؛ فقد مرت بمراحل عديدة يمكن حصرها فيما يلي:

المرحلة الأولى (النظرية الكلاسيكية): وهي المرحلة التي شملت الاهتمام بالبنى النحوية التركيبة التي رافقها تحليل مغاير لتحليل الجمل الكلاسيكية، وكانت مرحلة الاعتماد على العقل في إنتاج اللغة.

المرحلة الثانية (النظرية النموذجية): وهي مرحلة اعتبار اللغة تطورا للكفاءة الفطرية، والتي بين فيها تشومسكي ثراء عملية التحول والبحث الدؤوب في علاقة النحو بالدلالة.

المرحلة الثالثة (النظرية النموذجية الموسعة): وهي مرحلة نضوج النظرية التوليدية التحويلية، إذ توضحت تفاصيلها، وظهرت البنية العميقة والبنية السطحية، وكشف فيها عن قواعد التوليد والتحويل بما يتوافق وكفاءة المتكلم وآداءه.

[1] – مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نوام تشومسكي، بريجيته بارتشت،ترجمة سعيد حسيب بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص 290.289.

تقوم النظرية التوليدية التحويلية على مبادئ أساسية هي:

التوليد، والإبداعية، والنحوية، والحدس، وظاهرة الغموض، والبنيتان العميقة والسطحية، والتحويل، والنحو الشكلي، والنحو العالمي.

أما قواعدها العامة فتتلخص في:

القواعد التوليدية : وهي القواعد التي تتم بها عملية إنتاج الجمل.

القواعد التحويلية: وهي القواعد التي تربط بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري.

أما أهم مرتكزات النظرية التوليدية التحويلية فهما:

الكفاية اللغوية: وهي الملكة التي تكون لدى المتكلم ومكتسباته اللغوية وقدرته علة توظيفها توظيفا صحيحا ابتداء من إنتاج الجمل وفهم تراكيبها وإدراك الأصولي منها وغير الأصولي بتمايزها.

الأداء الكلامي: زهو الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية فالكفاية اللغوية تظهر من الأداء الصحيح للغة وتراكيبها وتمايزها.

وتقوم نظرية تشومسكي على مكونات أساسية هي:

المكون الصوتي، والمكون الدلالي ثم المكون التركيبي. وكلٌ من هذه المكونات له عمله وكيفياته.

من أبرز ميزات النظرية التوليدية التحويلية مظاهر التحويل فيها كالحذف والزيادة، والاستبدال، والتوسع والتعويض والإقحام الخ ... وهي المظاهر التي تُعتمد في التحليل والتفسير كما في التركيب لما تحمله من أثر على دقة التركيب ووضوح الدلالة.

كما إن للبنية العميقة علاقة بالبنية السطحية، كما للبنية السطحية علاقة بغيرها من البنى. فالأولى هي علاقة النواة بتفرعاتها والثانية هي علاقة التراكيب ببعضها والدلالات بزياداتها وتسير هذه لتلك ووصفها الخ...

لقد أثار تشومسكي ونظريته الجديدة اهتمام اللسانيين في كل بقاع الأرض، فأشاد بها كثيرون، ونقدها بعض آخر، واعتمدتها الأغلبية نظرية لسانية أضفت على الدرس اللغوي صبغة العالمية.

الفصـــــــل الرابع

شواهد وتطبيقات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

لم يرد في النحو العربي مصطلح التحويل صراحة، لكن التحويل ورد عمليا في كل ما كان من الدرس اللغوي العربي، وقد ظهرت آثاره جلية في أغلب المصنفات، سيما تلك التي عنيت بتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية. وهو ما يثبت أن الموروث اللغوي اعتنى بالتحويل واعتمد تفاصيله وفق ما تقتضيه قواعد النحو. فالتحول الدلالي وارد بكل تفاصيله في الدرس اللغوي العربي، وليس أدل على ذلك مما صنّفه علماء العربية من مصنفات في البلاغة والدلالة وفقه اللغة.

إن ما قدّمه عبد القاهر الجرجاني يعدّ فتحا في علوم اللغة لم يعرفه سابقوه وما 'أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز' إلا أمارات ذاك الفتح وأثره. وهما الكتابان اللذان احتويا ما ينبغي للدارس الحصيف أن يعتدّ به للولوج إلى عمق المعنى، أو العروج إلى الأشرف من المعاني بضبط المبنى.

أما نعوم تشومسكي الذي قضى خمسين سنة أو يزيد وهو يضع أسس نظريته التوليدية التحويلية التي انتقدت الوصفية في الدرس اللساني، فقد تمكن حقا من التأسيس لمنهج علمي يمكن للكاتب اتّباعه وهو يحاول الوصول إلى أقصى ما يمكن من الوضوح والجمالية فيما يكتب، وللقارئ أو السامع أن يفهم ويمحّص ما يلقى من الكلام فلا يحيد به عن مبتغاه؛ فقد بيّن ما يكون من التأليف أوله وآخره، وما يعتريه من التوليد والتحويل ما يتعدد به من المبنى، ويتحقق به المراد من المعنى.

لقد كانت نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية تقدمان منهجا للتحليل والتفسير والفهم الدقيق، كما كانتا تقدمان سبل التأليف والارتقاء، وما هو كفيل بتنكّب الغموض واللبس، وهو ما سيحاول البحث أن يثبت ما أمكن منه.

بين تشومسكي والجرجاني:

1- تشابه أسس النظريتين:

يرى بعض الباحثين تشابها بين نظريتي النظم للجرجاني والتوليدية التحويلية لتشومسكي يصل حد التطابق أحيانا، سيما في منطقية الأسس التفسيرية، وربط النحو بالدلالة، وتجاوزهما مرحلة المعيارية القديمة، وانكفاء النحو على تمييز الخطأ من الصواب.

1-1- اعتماد الأسلوب المنطقي الفلسفي:

إن نظرية النظم تعتمد الأسلوب اللغوي الفلسفي المنطقي في تفسير الكلام وشرحه؛ وهذا ما تأثر به تشومسكي في تحليله للجملة الانجليزية، وطريقة التحليل التي اتبعها الجرجاني هي التي اعتمدها تشومسكي؛ فكلاهما يعد 'اللغة' عملية عقلية يلعب فيها المنطق دور التركيب والاختيار والتغيير وما إلى ذلك مما يسمح بتركيب جمل تواصلية يفسرها العقل ويفرق بينها رغم تشابكها وتشابهها.

1-2- علاقة اللغة بالفكر:

إن الجرجاني نحا بمنهجه التحليلي منحى جديدا، فبيّن أثر النفس والتأمل الباطني في دراسة الأثر الأدبي وما يقوله لاشين عن نظرية الجرجاني:"(إن التركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي وله معنى ثان ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالة الإضافية، هي المقصد والهدف في البلاغة... وأوضح أن التراكيب النحوية الصحيحة، والأساليب اللغوية السليمة يستتبعهما حتما، معان ثانية ودلالات إضافية، هي التي يبحث عنها علماء البلاغة). وكذلك ما يقوله محمد مراد عن نظرية النظم (لقد ربط عبد القاهر بين نظرية النظم وبين إعجاز القرآن واللفظ والمعنى مع التصوير الفني ومع الفصاحة والبلاغة، ربطا متينا لإبراز العلاقة القائمة بين اللغة والفكر)"[1].

[1] - تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، جاسم علي جاسم، ص79-80.

2- مظاهر التشابه بين النظريتين:

لقد قارن بعض الباحثين بين نظرية الجرجاني ونظرية تشومسكي، منهم الباحثة'بدرة عمار علي فرخي' في مذكرتها 'النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث' التي عقدت فيها مقارنة بين الجرجاني وما جاء به تشومسكي في منهجه حيث توصلت إلى:

2-1- تجاوز النحو مرحلة المعيارية:

- "الخلفية العميقة لنظرية الجرجاني ونظرية تشومسكي، واحدة فالنحو عند تشومسكي يتجاوز مرحلة الصحة والخطأ المعياريين القديمين، بل يتجاوز ذلك إلى مرحلة أعمق تمس بشكل تحتي بالناحية الدلالية ويتجاوز مفهوم النحو عند الجرجاني قواعد الصحة والخطأ وقواعد الإعراب إلى المعاني النحوية وهو بذلك يمنح مصطلح النحو مدلولا أوسع كما وضح ذلك تشومسكي"[1].

2-2- علاقة النحو بالمعنى:

- كما يشير تشومسكي في حديثه عن المعنى إلى "أن المعنى جزء متمم للنحو في عملية التحويل ونجد الجرجاني يقول (إن النظم ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلام، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك).

2-3- التحويل في النظريتين:

- كما تناول الجرجاني مختلف التحويلات الملحقة بالتراكيب الثابتة والمنفية وذلك من خلال إحداث تحويلات على جملة (زيد ينطلق) مثلا لتحول إلى (زيد منطلق) وهكذا تتوالد هذه التراكيب نحو (منطلق زيد) و(زيد هو المنطلق)..."[2].

2-4- التحليل السطحي والتحليل العميق:

- كما عرض الجرجاني "للتحليل السطحي والتحليل العميق قائلا: (إذا قلت ضرب زيد عمرا ضربا شديدا تأديبا له فإنك تحصل على مجموع هذه الكلم وهو معنى واحد لا عدة معاني كما

[1] - النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث، بدرة عمار علي فرخي، المشرف: نهاد الموسى، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2003، ص13.

[2] - ينظر: المرجع السابق، ص114.

يتوهمه الناس، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد المعاني نفسها وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعليق) أي مستوى التحليل السطحي، ويمكن تمثيل مستوى البنية العميقة من خلال (زيد: الفاعلية، عمرا: المفعولية ...)"[1].

2-5- الحدس في النظريتين:

- "إن حدس المتكلم قد تمثل عند الجرجاني، عندما أشار إلى ما يعرف بمعاني النحو والتي تكتسب سليقة، والدالة على تلك العلاقات التي تربط بين معاني الألفاظ وقبل النطق بها، وهي معان يعرفها كل ناطق لغة باعتبارها مادة معنوية مجردة، ليس من الضروري أن يكتسبها المتكلم في مدارس نحوية متخصصة وهي نقطة التقاء الجرجاني مع تشومسكي، فهذا الأخير لم يهمل الحدس بل كان جوهرا في نظريته، فالمتكلم بوسعه أن ينشئ جملا أصولية دون الحاجة إلى معرفة تلك القوانين النحوية التي تنظم الكلمات في السلسلة الكلامية الواحدة"[2].

أشار كل من العالمين إلى "أن المتكلم يطبق قوانين النحو ومعانيه سليقة وحدسا ليكون كلامه ذلك منظوما وأصوليا. وفي الوقت ذاته لم يهمل العالمان مسألة المعنى فهو عند الجرجاني المسؤول عن إحكام الألفاظ، وما هذه الأخيرة سوى قوالب إذ لا يمكنها أن تشكل بمفردها ما يعرف بالنظم عند الجرجاني"[3].

3- الأسس المشتركة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية:

من خلال المقارنة يتبيّن أن الأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي تكاد تكون هي ذاتها التي أرساها عبد القاهر الجرجاني، وأقام عليها نظرية النظم؛ رغم اختلاف العصور ودوافع التنظير إلا أن 'العِلْمية' جمعت بينهما، الأمر الذي جعل النظريتين تتقاطعان في أهم الجوانب الارتكازية في البناء اللغوي؛ ولعلّ أهمها ما يلي:

[1] - ينظر: المرجع نفسه، ص114-115.

[2] - النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث، بدرة عمار علي فرخي، ص116-117.

[3]- المرجع السابق، ص117.

3-1-ربط اللغة بالجانب العقلي:

يربط تشومسكي اللغة بالجانب العقلي، بل إن نظريته قامت أساسا على انتقاد البنويين لإهمالهم العقل، فاللغة عنده ترتبط بالجانب العقلي ولم يكن إنتاج اللغة عملية آلية أبدا، وهو ما يراه الجرجاني مع اختلاف عصريهما وفلسفتهما ودوافع التنظير لدى كل منهما "حيث يؤكد تشومسكي أن اللغة ملكة فطرية، وهي وحدة من وحدات العقل وتعتمد نظرية النظم عند الجرجاني الأسلوب الفلسفي المنطقي في تفسير الكلام وشرحه"[1].

3-2-جانب الأصالة والفرعية:

استنادا إلى ما اعتمده النحاة في أصل الألفاظ والجمل وتقسيمها أصلا وفرعا؛ فعدّوا المصدر أصلا والمشتقات فرعا عنه، والنكرة أصلا والمعرفة فرعا عنها، والمفرد أصلا والتثنية والجمع فرعا؛ وكل ما يتعلق بالجانب اللغوي مما يقبل التفرع مبنياً عنه؛ وأقروا " أن المصدر أصل المشتقات، وأن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع وأن المذكر أصل المؤنث، وأن التصغير والتكبير يردّان الأشياء إلى أصولها"[2].

وهذه كلها أمور تقرها النظرية التوليدية التحويلية ما عدا ما ليس موجودا في اللغات الأوروبية كالتثنية التي هي فرع عن المفرد في العربية.

كما إن الأصلية وهي التي تسمى:'التركيب الباطني'، والفرعية وهي التي تسمى 'التركيب السطحي' تُعدّان محور النظرية التوليدية التحويلية التي اصطلحت عليهما:' البنية العميقة' و'البنية السطحية'.

3-3-قضية العامل:

يُعتقدأن نظرية العامل نظرية اختص بها النحو العربي كونها ولدت معه لتبين جوانب الإعراب وعلاقة العامل بمعموله، وهو الذي اختصت به العربية، لكنْ "يعدّ العامل حجر الزاوية في النحو

[1] نظرية منهج البحث اللغوي بين التراث العربي وعلم اللغة الحديث، زويل علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 1986، ص43

[2] تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عبد القادر صالح سليم، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص12.

العربي، وقد اهتم اللغويون المحدثون بذلك ومنهم تشومسكي الذي تنطلق عنده نظرية ربط العامل من منطلقين أساسيين هما: الأثر والمضمر"[1].

3-4-تحديد الفروق:

ويقصد بذلك "تحديد الفروق بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة: فالنظم عند الجرجاني لمعان في النفس وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي، أما البناء فهو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، كما إن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات في السياق"[2].

3-5-ربط النحو بالدلالة:

من أشهر ما عرف به النظم عند الجرجاني هو قوله 'النظم هو توخي معاني النحو' في إشارة مباشرة إلى الدلالة وارتباطها بالنحو؛ كما أن بحوث تشومسكي في علاقة النحو بالدلالة وارتباطهما كانت من أهم ما وسم به كتابة 'مظاهر النظرية النحوية'.

3-6-القدرة اللغوية:

ويُقصد بها اقتدار المتكلم وتمكّنُه من قواعد اللغة،التي يتكلمها ويفهم جملها، فالمقدرة اللغوية عند الجرجاني تقابلها الكفاية اللغوية عند تشومسكي، وهي أمر لا بد أن يكون عليه المبدع والمتلقّي المبدع،كما يكون عليه المتكلم والسامع المثالي.

3-7-الربط بين الألفاظ والجمل:

من المعلوم بالضرورة أن للجمل علاقات تربط بعضها ببعض لينشأ من تلك العلاقات ما يتيح التبليغ والتواصل، لأن الجملة الواحدة في استقلالها مبنًى ومعنًى تقصُر عن أداء المراد كاملا؛ ولأن لكل جملة مبناها ومعناها المستقلين فإن روابطَ ظاهرةً وأخرى خفيةً تؤدي وظيفة الربط.

قسّم اللغويون الربط قسمين:

---

[1] النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، عبد المطلب محمد، مجلة فصول، المجلد5، عدد12، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص31.

[2] المرجع نفسه،ص31

3-7-أ. الربط بواسطة: ويعني أن تكون العلاقة التي تربط جملة بأخرى تتمّ بواسطة حرف من حروف الربط، كحروف العطف والحالية، مثل: جاء محمد وخرج علي'، وخرج محمد وهو مستعد للامتحان'. لكن هناك روابط أخرى ليست من العطف، وليست حروفا في مثل: 'جاء محمد حين خرج علي'، ففي كل مثال ارتبطت جملة بجملة أخرى وبواسطة رابط له مدلوله ودلالته المضافة.

إن العلاقات بين البنى الإسنادية تتميّز بارتباط معنى كل بنية بمعنى غيرها، وليس بارتباط المبنى بالمبنى، لأن المعاني متحوّلة باندماجها إلى معنى هو الغاية من الربط، بينما المباني متولّدة، وفي كل مولَّد معنى مستقل قابل للارتباط بغيره؛ ومن هنا يتبيّن أن الربط بواسطة هو استعمال أداة من أدوات الربط لدمج معنيين وإنشاء معنى جديد هو المعنى الحقيقي المقصود بفضل حرف العطف أو الاستفهام أو اسم الشرط كما سلف الذكر،والمعنى المقصود ينشأ من الربط، فالقول 'خرج محمد وجاء علي' يعني ما تعنيه كل بنية إضافة إلى عدم اجتماعهما معا، وهو المعنى الناشئ من الربط كما يفهم من:'جاء علي حين خرج محمد' إضافة إلى ما هو ظاهر هو تزامن خروج هذا بمجيء ذاك.

3-7-ب -الربط بغير واسطة: وهو أن ترتبط بنيتان (جملتان) أو أكثر ببعضهما، وتجتمع لإنشاء المعنى الناتج من دلالاتها مندمجةً، وهو المقصود.وقد يكون ارتباط الجمل ببعضها ارتباطا عضويا كما في الجملة الكبرى إذ تحتوي على جملة أخرى تكون أحد مكوناتها أو أحد توابعها كما هو الحال في الجمل الواقعة مفعولا به أو فاعلا أو خبرا أو الواقعة حالا أو نعتا الخ...ومثال ذلك أن يقال: 'علمت أنك مستعجل أبطأك طول الطريق'. أو هي جملة صغرى، ففي هذه البنية وحدات إسنادية مترابطة بلا واسطة، فالوحدة 'أنك قادم' تقوم مقام المفعول به فهي مرتبطة ارتباطا عضويا بالجملة 'علمتُ' كونها من معمولات فعلها وسدت مسدّ المفعولين.وجملة 'أبطأك طول الطريق'، ارتبطت بسابقتها ارتباطا غير عضوي وبلا واسطة لأنها ليست جزءا أساسيا في الجملة الأولى مع إمكان ارتباطها بالواو على الحالية فالارتباط إذًا ارتباط معنوي قد يكون عضويا ظاهرا وقد يكون عضويا محولا،أي ما كان أصله مفعولين تحول جملة تسدّ مسد المفعولين كما سبق. أما في 'أبطأك طول الطريق' فقد ارتبطت دلاليا بالوحدتين 'علمت' و' أنك مستعجل' وبلا واسطة.

إن العلاقة بين البنى السطحية (الجمل التواصلية) تقوم على السياق العام للنص أو الخطاب، لكنها تظل ترتبط ببعضها بروابط لفظية كالحروف والظروف وما يؤدي وظائف الربط من ألفاظ

تختلف باختلاف اللغات، كما ترتبط بمعنى غير مذكور (بلا واسطة) يفهم من السياق كما في الجمل الاعتراضية

إن ما يسمى في الموروث العربي بالفصل إنما هو فصل في المبنى فقط لأن الواو جامعة للجملتين رابطة بينهما، ولما كان المعنى من الجمل ودلالتها هو الغاية، فإنه يمكن الجمع بين النقيضين بالقول بأن الفصل هو في حقيقته الوصل، بمعنى أن الفصل إنما يختص بالمبنى فيفصله والمعنى فيوصله؛ أما الوصل فقد يجمع الجملتين مبنى ومعنى، وقد يجمع المعنيين فقط، ومن هنا جاءت أهمية الفصل بين وظيفة الفصل ووظيفة الوصل تحقيقا وتدقيقا.

يتضح من هذا أن الصبغة العلمية لنظرية الجرجاني وما عليه نظرية تشومسكي من العلمية هي الأُسُّ المشترك الذي جمع بينهما في كثير من الجوانب لأن الحقيقة العلمية تجمع كل اللغات رغم اختلافها، أما ما خرج منها في لغة من اللغات فلخصوصيتها وليس لغياب العلمية فيها.

التطبيقات:

أولا: الفصل بين الجمل ودوره في إظهار أصولية البُنَى السطحية واستقامة الكلام.

إن المقصود بالفصل بين الجمل هنا هو تحديدالبنية الإسنادية لكل جملة، وتحديد لواحقها من أركان التكملة، مع ضبط ما يربطها بغيرها وتحديد دلالته لمعرفة المشترك بينها تفاديا للبس، وتحققا من أصولية الجمل واستقامتها.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة 3

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ شروع في بيان التي أشير إليها بقوله سبحانه ﴿إِلاَّ مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ والمراد تحريم أكل الميتة وهي ما فارقه الروح حتف أنفه من غير سبب خارج عنه "والدم" أي المسفوح منه، وكان أهل الجاهلية يجعلونه في المباعر ويشوونه ويأكلونه، وأما الدم غير المسفوح كالكبد فمباح، وأما الطحال فالأكثرون على إباحته وأجمعت الإمامية على حرمته،... "وما ذبح على النصب" جمع نصاب كحمر وحمار، وقيل: واحد الأنصاب كطنب وأطناب، واختلف فيها فقيل: هي حجارة كانت حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين حجرا وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها، فعلى أصلها، ولعل ذبحهم عليها كان علامة لكونه لغير الله تعالى، وقيل: هي الأصنام لأنها تنصب فتبعد من دون الله تعالى، و"على" إما بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير: وما ذبح مسمى على الأصنام"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له (وما أهل لغير الله) أي رفع الصوت به لغير الله؛ وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنقت بسبب (والموقوذة) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه. وقرأ عبد الله والمنطوحة، وفي رواية عن أبي عمرو السبْع بسكون الباء، وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث القاهرة،دط، 2005، م3، ج6، ص324- 325.

حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرّحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

"﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي الْبَقَرَةِ. وَقَالَ هُنَا ابْنُ عَطِيَّةَ: وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ مُقْتَضٍ لِشَحْمِهِ بِإِجْمَاعٍ انْتَهَى. وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَقَدْ خَالَفَ فِيهِ دَاوُدُ وَغَيْرُهُ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَى ذَلِكَ فِي الْبَقَرَةِ، وَتَأَخَّرَ هُنَا بِهِ وَتَقَدَّمَ هُنَاكَ تَفَنُّنًا فِي الْكَلَامِ وَاتِّسَاعًا، وَلِكَوْنِ الْجَلَالَةِ وَقَعَتْ هناك فصلا أولا كَالْفَصْلِ، وَهُنَا جَاءَتْ مَعْطُوفَاتٌ بَعْدَهَا، فَلَيْسَتْ فَصْلًا وَلَا كَالْفَصْلِ، وَمَا جَاءَ كَذَلِكَ يَقْتَضِي فِي أَكْثَرِ الْمَوَاضِعِ الْمَدَّ.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَخْنُقُونَ الشَّاةَ وَغَيْرَهَا، فَإِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَيْسَ الْمَوْقُوذَةُ إِلَّا فِي مِلْكٍ، وَلَيْسَ فِي صَيْدٍ وَقِيذٌ. وَقَالَ مَالِكٌوَغَيْرُهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي: الصَّيْدِ مَا حُكْمُهُ حُكْمُ الْوَقِيذِ، وَهُوَ نَصٌّ فِي قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمِعْرَاضِ: «وَإِذَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالضَّحَّاكُ: النَّطِيحَةُ الشَّاةُ تَنْطَحُهَا أُخْرَى فَيَمُوتَانِ، أَوِ الشَّاةُ تَنْطَحُهَا الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ. وَقَالَ قَوْمٌ: النَّطِيحَةُ الْمُنَاطَحَةُ، لِأَنَّ الشَّاتَيْنِ قَدْ يَتَنَاطَحَانِ فَيَمُوتَانِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: كُلُّ مَا مَاتَ ضَغْطًا فَهُوَ نَطِيحٌ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو مَيْسَرَةَ: وَالْمَنْطُوحَةُ وَالْمَعْنِيُّ فِي قَوْلِهِ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ: مَا افْتَرَسَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ. وَلَا يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ، لِأَنَّ مَا فُرِضَ أَنَّهُ أَكَلَهُ السَّبُعُ لَا وُجُودَ لَهُ فَيَحْرُمُ أَكْلُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ بَعْضَهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَهَا. وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْفَيَّاضُ، وَطَلْحَةُ بْنُ سَلْمَانَ، وَأَبُو حَيْوَةَ: السَّبْعُ بِسُكُونِ الْبَاءِ، وَرُوِيَتْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ فِي غَيْرِ الْمَشْهُورِ، وَرُوِيَتْ عَنْ أَبِي عَمْرٍو. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: وَأَكِيلَةُ السَّبُعِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَكِيلُ السَّبُعِ وَهُمَا بِمَعْنَى مَأْكُولِ السَّبُعِ، وَذِكْرُ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ هُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أُجْمِلَ فِي عُمُومِ قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ المائدة[1] وَبِهَذَا صَارَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَالْمُسْتَثْنَى مَعْلُومَيْنِ.

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، دط، 2008، ص592-593.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قَالَ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وقتادة، وابراهيم، وطاووس، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَالْجُمْهُورُ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَذْكُورَاتِ أَيْ مِنْ قَوْلِهِ: وَالْمُنْخَنِقَةُ إِلَى وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ. فَمَا أَدْرَكَ مِنْهَا بِطَرْفٍ بَعْضٌ، أو بضرب بِرِجْلٍ، أَوْ يُحَرِّكُ ذَنَبًا. وَبِالْجُمْلَةِ مَا تُيُقِّنَتْ فِيهِ حَيَاةٌ ذُكِّيَ وَأُكِلَ. وَقَالَ بِهَذَا مَالِكٌ فِي قَوْلٍ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ الْمَدَنِيِّينَ: أَنَّ الذَّكَاةَ فِي هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ هِيَ مَا لَمْ يُنْفَذْ مَقَاتِلُهَا وَيُتَحَقَّقْ أَنَّهَا لَا تَعِيشُ، وَمَتَى صَارَتْ إِلَى ذَلِكَ كَانَتْ فِي حُكْمِ الْمَيْتَةِ. وَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ فَالِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، لَكِنَّهُ خِلَافٌ فِي الْحَالِ الَّتِي يُؤْثَرُ فِيهَا الذَّكَاةُ فِي الْمَذْكُورَاتِ. وَكَانَ الزَّمَخْشَرِيُّ مَالَ إِلَى مَشْهُورِ قَوْلِ مالك فإنه قال: إلا مَا أَدْرَكْتُمْ ذَكَاتَهُ وَهُوَ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْمَذْبُوحِ وَتَشْخُبُ وِدَاجُهُ. وَقِيلَ: الِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ عَائِدٌ إِلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ وَهُوَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ وَمُخْتَصٌّ بِهِ، وَالْمَعْنَى: إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمْ فِيهِ حَيَاةً مِمَّا أَكَلَ السَّبُعُ فَذَكَّيْتُمُوهُ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ. وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَالتَّقْدِيرُ: لَكِنْ مَا ذَكَّيْتُمْ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ فَكُلُوهُ. وَكَأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ رَأَى أَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ وُجِدَتْ فِيمَا مَاتَ بِشَيْءٍ مِنْهَا، إِمَّا بِالْخَنْقِ، وَإِمَّا بِالْوَقْذِ، أَوِ التَّرَدِّي، أَوِ النَّطْحِ، أَوِ افْتِرَاسِ السَّبُعِ، وَوَصَلَتْ إِلَى حَدٍّ لا تعيش فيه بسبب بِوَصْفٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَى مذهب مَنِ اعْتَبَرَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ، وَإِنَّمَا نَصَّ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي حُكْمِ الْمَيْتَةِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذِكْرِ الْمَيْتَةِ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْحَوَادِثَ عَلَى الْمَأْكُولِ كَالذَّكَاةِ، وَأَنَّ الْمَيْتَةَ مَا مَاتَتْ بِوَجَعٍ دُونَ سَبَبٍ يُعْرَفُ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ. وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ، يَقْتَضِي أَنَّ مَا لَا يُدْرَكُ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ كَالْجَنِينِ إذا خرج من بطن أمه المذبوحة ميتا"[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أصله الميّتة بالتشديد، لأنه مخفف، ولو قرئت الميِّتة لجاز، يقال ميِّت، ومَيْت، والمعنى واحد، وقال بعضهم الميِّت يقال أنه لم يمت، والميْتُ لما قد مات، وهذا خطأٌ إنما ميِّت يصلح لما قد مات ولما سيموت، وقوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾... وقوله: (والدم) قيل: إنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر ويشوونها ويأكلونها، فأعلم الله عز وجل أن الدم المسفوح –أي المصبوب– حرام، فأما المتلطِّخ بالدم فهو كاللحم في الحل.

_1 البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشر، بيروت، ج جميل، دار الفكر للنشر، بيروت، ج4، ص170-173.

وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ موضعه رفع، والمعنى: وحرم عليكم ما أهل لغير الله به، ومعنى ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذكر عليه اسم غير الله، وقد فسرنا أن الإهلال رفع الصوت بالشيء فما يتقرب به من الذبح لغير الله، أو ذكر غير اسمه فحرام (لحم الخنزير) حرام، حرّم الله أكله وملكه والخنزير يشمل على الذكر والأنثى.

وقوله: (والمنخنقة)، وهي التي تنخنق برقبتها، أي بالحبل الذي تشد به، وبأي جهة اختنقت فهي حرام. ...﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ موضع (ما) أيضا رفع عطف على ما قبلها.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي إلا ما أدركتم ذكاته من هذه التي وصفنا، وموضع (ما) نصب، أي حرِّمت عليكم هذه الأشياء إلا الشيء الذي أدرك ذبحه منها، وكل ذبحٍ ذكاةٌ، ومعنى التذكية أن يدركها وفيها بقية تشخب معها الأوداج، وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أدركت ذكاته، وأهل العلم يقولون إن أخرج السّبع الحشوة، أو قطع الجوف قطعا خرج معه الحشوة فلا ذكاة لذلك، وتأويله أنه يصير في حالة ما لا يؤثر في حياته الذّبح، وأصل الذكاة في اللغة كلها تمام الشيء فمن ذلك الذّكاء في السن والفهم، وهو تمام السِّنِّ، قال الخليل: الذَّكاء في السن أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة... (إلا ما ذكيتم) ما أذكيتم ذبحه على التمام.

وقوله: ﴿وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ والنصب الحجارة التي كانوا يعبدونها، وهي الأوثان واحدها نصاب، وجائز أن يكون واحدا، وجمعه أنصاب.

وقوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ موضع "أن" رفع، والمعنى: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، وواحد الأزلام زُلم، وزَلم، وهي سهام كانت في الجاهلية مكتوب على بعضها "أمرني ربي" وعلى بعضها "نهاني ربي"... والاستقسام بالأزلام فسق، والفسق اسم لكلِّ ما أعلم الله أنه مُخرِج عن الحلال إلى الحرام، فقد ذم الله به جميع الخارجين من متعبَّداته وأصله عند أهل اللغة: قد فسقت الرُّطبة إذا خرجت عن قِشرها.

ولو كان بعضُ هذه المرفوعات نصبا على المعنى لجاز في غير القرآن، لو قلت حُرِّمتْ على الناس الميتة والدَّم ولحم الخنزير، وتحمله على معنى وحرّم الله الدّم ولحم الخنزير لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأ فيه أن نقرأ بما لم يَقرأ به من هو قدوة في القراءة، لأن القراءة سنة لا تُتَجاوَزُ"[1].

قال محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ أي حرام عليكم أيها المؤمنون أكل الميتة وهي ما مات حتف أنفه من غير ذكاة والدم المسفوح ولحم الخنزير، قال الزمخشري: كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم في الأمعاء يشوونه ويقولون لم يجرم من فزد –أي فصد– له وإنما ذكر لحم الخنزير ليبين أنه حرام بعينه حتى ولو ذبح بالطريق الشرعي... ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ أي وما ذبح على الأحجار المنصوبة، قال قتادة: النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فنهى الله عن ذلك، قال الزمخشري: كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها، يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع"[2].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

"﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ...﴾ اسم ما لم يسمّ فاعله وما بعده عطف عليه، ويجوز فيما بعده النصب بمعنى وحرم الله عليكم الدم،... ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ في موضع نصب بالاستثناء ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ وحقيقته في اللغة تستدعوا القسم بالقداح"[3].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث القاهرة، دط، 2003، ج2، ص116-117-118-119.

[2] صفوة التفاسير،(تفسير القرآن العظيم)محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط14، 2017، م1، ص301.

[3] إعراب القرآن، أبوجعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي زاهر، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط2، 1985، ص210.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

"إلا": أداة استثناء، و"ما" موصول مستثنى منقطع. وقوله: "وما": اسم موصول معطوف على "ما أكل"، والمصدر "أن تستقسموا" معطوف على "ما ذبح". وجملة "ذلكم فسق" مستأنفة. وجملة "فلا تخشوهم" مستأنفة. وقوله: "واخشون": الواو عاطفة، وعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المقدرة منصوب الفعل..."[1].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾:حرمت: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح والتاء تاء التأنيث الساكنة لا محل لها. عليكم: جار ومجرور متعلق بحُرّمت والميم علامة جمع الذكور وحرك بالضم للوصل التقاء الساكنين. الميتة: نائب فاعل مرفوع بالضمة.

﴿وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾: الاسمان معطوفان بواوي العطف على (الميتة) مرفوعان بالضمة. الخنزير مضاف إليه مجرور بالكسرة.

﴿وَمَا أُهِلَّ﴾: الواو عاطفة. ما: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع لأنه معطوف على (الميتة) أهلّ: فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الفتح ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو. والجملة الفعلية (أهلّ..) صلة الموصول لا محل لها.

﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ لغير الله به: جاران ومجروران متعلقان بأهلّ. الله لفظ الجلالة: مضاف إليه مجرور للتعظيم بالإضافة وعلامة الجر الكسرة.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾: الأسماء معطوفة بواوات العطف على (الميتة) مرفوعة مثلها بالضمة. و(الموقوذة) هي التي ضربت حتى ماتت. و(المتردية) هي التي سقطت.

[1] إعراب القرآن، محمد متولي الشعراوي،دار الروضة للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، دت، م1، ص230.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: أعرب. أكل: فعل ماضٍ مبني على الفتح. السبع: فاعل مرفوع بالضمة. والجملة الفعلية (أكل السّبع) صلة الموصول لا محل وحذف الضمير العائد إلى الموصول المنصوب محلّا لأنه مفعول به. أي ما أكله السبع.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: وما: أداة استثناء. ما: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مستثنى بإلّا. ذكيتم: أي أدركتم بمعنى: ذبحه: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك والتاء ضمير متصل –ضمير المخاطبين– مبني على الضم في محل رفع فاعل والميم علامة جمع الذكور. وما: سبق إعرابه.

ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وأن: تعرب إعراب (أهلّ لغير الله). الواو حرف عطف. أن: حرف مصدرية ونصب.

﴿تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾: الجملة الفعلية: صلة (أن) المصدرية لا محل لها وهي فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة. الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة و(أن) وما بعدها: بتأويل مصدر معطوف على (الميتة) في محل رفع. التقدير: حرم عليكم الاستقسام بالأزلام. بالأزلام: جار ومجرور متعلق بـ تستقسموا"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما أجمله في السابق، وهو قوله تعالى: (إلاّ ما يتلى عليكم). وحرمت فعل ماض مبني للمجهول، وعليكم متعلقان بحرمت، والميتة نائب فاعل، والدم ولحم الخنزير معطوفان على الميتة (وما أهل لغير به) عطف أيضا، وما اسم موصول، وأهل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو، والجملة صلة الموصول، ولغير الله متعلقان بأُهِلّ، وبه متعلقان بأهلّ أيضا ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ كلها معطوفة داخلة في حكم المحرمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾إلا أداة استثناء، وما اسم موصول مستثنى متصل منصوب، وجملة ذكيتم صلة الموصول، وجملة الاستثناء حالية ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ الجملة معطوفة على المحرمات ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ المصدر المؤوّل معطوف أيضا،

[1] إعراب القرآن الكريم، بهجت عبد الواحد الشيخلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2006، مج3، ص13.

أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة، واسم الإشارة راجع إلى الاستقسام بالأزلام خاصة، وقيل: إلى جميع ما تقدم"[1].

3: دراسة الشاهد.

إن الدارس المتمعن لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

يدرك أن الله حرم أكل لحوم أصناف من الحيوانات لذاتها أو لحالها، فلحم الخنزير والدم ذكرا لفظا وما تبقى من الحلال أصلا حرم بالموت أو بالذبح على النصب ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...﴾ إلخ...، فهذه المعاني بيّنة ظاهرة، فالفعل حُرِّم لم يسمّ فاعله، لأنه معروف معلوم بداهة، وتتالت المتعاطفات.

إن الجملة النواة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ تتألف من الفعل حُرِّمَ، ونائب الفاعل الميتة الذي توسطها متعلق الفعل. فكان الفعل حُرِّم مسندا، والميتة مسندا إليه، وبتحليل التركيب في غير كلام الله يتضح أن الإسناد تام، وأن البنية الإسنادية إنما هي نواة المراد تبليغه، وهي البنية العميقة في مصطلح تشومسكي، وأن تحولا طرأ عليها ببناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، وقد كان لازما (حَـرُم) فتمت تعديته بتضعيف عينه، ويلحظ من ذلك أن الميتة لم تَحْرُمْ من ذاتها، وإنما حرّمت بفعل فاعل وهو الله تعالى، فكانت بمعنى الأمر بالامتناع عن أكل الميتة أو النهي عن أكلها.

ثم يعطف على الميتة ما دخل في حكمها (الدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به)، وهي متعاطفات تدخل في حكم الميتة وهو التحريم المقرّر بالفعل حُرِّم، وإن لم تكن بحالها. ولحم الخنزير حالة خاصة، وما أهل لغير الله به كذلك. وتتالى المتعاطفات في توسع للجملة.

إن التدقيق في المتعاطفات تحيلنا إلى أنواع: منها ما حرم إطلاقا، وأخرى حرمت مع استثناء، وهو ما لا يمكن للفعل الأول أن يكون هو فعلها لفظا ودلالة، لأن ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة بيروت – دار ابن كثير بيروت، ط11، 2011، مج2، ج6، ص178.

وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ تقتضي أن تكون جملة مستقلة في تركيبها، مرتبطة بدلالة ما قبلها، وهي إما أن يكون فعلها (حرمت) محذوفة بدلالة السابقة عليه، وإما أن تكون مستأنفة خبرها محذوف، بدلالة السياق عليه، وهنا يتوجب طرح السؤال: لماذا يجب أن يتألف هذا من جمليتين رغم أن هناك فعلا واحدا وهو الحكم المقضي به على جميع المتعاطفات؟. والجواب: يكون انطلاقا من قول الجرجاني: (...فلا يتصور أن تعرف للفظ موضعا دون أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب وتعمل الفكر هناك).[1] فاللفظ 'ذكيتم' مدخل معجمي يعني إراقة دم الحيوان، ذبحا، أو نحرا، أو عقرا، أضيف إليها وهو فقها يعني ما سبق مع تسمية اسم الله، وجاء ذلك في عبارة 'إلا ما ذكيتم' وهذه العبارة في التركيب النحوي استثناء، والاستثناء هو إخراج شيء من حكم عام أو استثناء من حكم كان يفترض أن يكون محكوما به على المخرج منه أو المستثنى، فهل يمكن للتذكية أن تستثني (الميتة من الحرمة أو الدم أو لحم الخنزير وتخرجها من الحكم)؟.

والعملية في الاستثناء تقضى بأن يكون هناك حكم، ثم يستثنى منه بعض ما يفترض دخوله فيه، لأنه لا يمكن أن يستثنى شيء من نفسه، أو نخرج حكم شيء من محكوم به عليه، فيكون ذلك محالا أو غير أصولي، فلا يمكن تذكية الميتة؛ بمعنى أن عدَّ الأسماء متعاطفات من الميتة إلى ما أكل السبع يجعل الجملة في الكلام المحال في تصنيف سيبويه، وغير الأصولي في تصنيف تشومسكي، ولأن الكلام مستقيم أصولي تركيبا ودلالة، فإن الواو الرابطة بين التركيب الأول المستقل ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وبين ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ تكون إما عاطفة جملة عن جملة واصلة بينهما، أو تكون ابتدائية استئنافية، ولذلك يكون هناك معنيان. الأول: وهو التحريم القطعي في الأصناف الأربعة المذكورة التي لا يجوز تذكيتها، فالميتة لا تُذكى، ولحم الخنزير يحرم لذاته، فلا يمكن تصوره، يذكي بالاستثناء، والدم أيضا، وما أهل لغير الله به، ولو كان مذبوحا. فمعنى التحريم ههنا يفسد بالاستثناء، ولا يقبله العقل، لذلك فليست البنية إلا جملة مستقلة تركيبا ودلالة؛ أما ما بعد هذه المحرمات قطعا، فما من موجب لتحريمها إلا افتقارها للذكاة لأنها ليست ميتة، وليست مما أهل لغير الله، وليست لحم الخنزير ولا كانت دمًا، فهي

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص57.

جميعها مما يجوز أكلها، وحدث ما يجعلها في حكم الميتة، لكنه لم يتم، فالمنخنقة ليست ميتة، إنما قد تموت، وبيّن إنْ كان الموت بذكاتها دخلت في المستثنيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وخرجت من الحكم الأول، وهنا يكون قد شملها الاستثناء، والجملة إنما هي جملة مستقيمة تركيبا ودلالة أصولية نحوًا ومعنى.

أما التحجج نحوًا بأن الأصناف متعاطفات وأن الاستثناء منقطع فإن ذلك يبطل بسبب القاعدة النحوية ذاتها، فالمنقطع من الاستثناء ـ رغم اختلاف النحاة والمفسرين فيه ـ هو ما لا يكون من غير جنس المستثنى منه المحكوم عليه كما في قوله تعالى:"فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس".فإبليس ليس من جنس الملائكة؛ أو هو ما لا يكون المستثنى فيه بعض المستثنى منه.كقولك "جاء بنوك إلا ابن زيد". فإبليس لم يسجد فهو مستثنى أصلا من الساجدين وليس من الملائكة، وابن زيد مستثنى ممن جاؤوا وليس من بنيك، وفي الآية الكريمة "... إلا ما ذكيتم هي من جنس الحيوان الذي يؤكل بالذكاة فهو استثناء متصل، لكنه ليس من جنس الدم ولحم الخنزير فهو منقطع، إلا انه من جنس المنخنقة والموقوذة...فهل يمكن أن يقال هو منقطع ومتصل في الآن ذاته؟ أما أن نعده استثناء متصلا من الجملة المعطوفة على الجملة الأولى فليس في ذلك أي لبس؛ وبذلك تكون الجملتان مستقيمتين أصوليتين دقيقتين في دلالاتهما.

والخلاصة فإن للجملتين معنيين مستقلين تركيبا ودلالة، أو مبنى ومعنى، أخذت الثانية من الأولى معناها بالنسق أو بالابتداء، وكان للحذف دوره في النظم الذي أفضى بهما إلى أن تكونا من المستقيم الحسن.كما تجدر الإشارة إلى أنه من مظاهر التحويل في الجملة الأولى بناء الفعل للمفعول بعد تعديته بالتضعيف، وتعويض الفاعل بالمفعول به وهو أمر اقتضاه النظم، علما أن الفاعل لم يحذف إلا لأنه معلوم للجملتين، وفي الجملة الثانية المنفصلة بالواو تركيبا، فإن الحذف كان في الحالتين سواء عُدّت فعلية حذف فعلها لدلالة الحال عليه أو عُدّت اسمية حذف مسندها(خبرها)بتقدير فعل أو اسم؛ ذلك أن البنية الإسنادية، قد تستقل بدلالتها وتكون جملة مفيدة تامة.كما في حرمت عليكم الميتة، وكذلك البنية العميقة لدى تشومسكي، وأما الفضلات من المتعاطفات إن هي إلا بُنى إسنادية تسند إلى سابقتها حذف أحد طرفيها استغناء عن ذكره، وتخفيفا نطقا ورسما، وتحاشيا لتكرار ما لا موجب له ولا فائدة فيه. كما تكون بنية مستقلة في تركيبها مرتبطة دلالة بغيرها.

أما مكملات الجملة من مفعولات وظروف أزمنة وأماكن وتوابع فإنها تظل ضمن البنية الإسنادية، لأن للأفعال أزمنةً، وللأحداث أماكنَ وأسباباً وغاياتٍ ترتبط بها جميعا ولا تؤثر إلا بمقدار الغاية من إدراجها وموافقتها قواعد النحو ومقتضيات التركيب. ولم يكن كل ذلك ليتضح لولا الفصل بين البنى الإسنادية الأساسية وتحديد قيودها ولواحقها وروابطها. يضاف إلى ذلك كله دور المتلقي العارف باللغة ودلالات مفرداتها، ومنظومة قواعدها.

وفي مقارنة تطبيقية صريحة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية كنظام تركيبي وكمنهج تحليلي فإننا نجد –في غير كلام الله– البنية العميقة والمعنى النفسي في ذهن المتلقي يعودان إلى أصل واحد هو البنية الإسنادية "حرمت الميتة" وهي بنية متحولة اتصلت بها بنى أخرى لتشكل معها البناء المراد تبليغه أو البنية السطحية، وهي التي تتركب من بنيتين عميقتين هما 'حرمت الميتة وحرمت المنخنقة' وما لحقهما من مكملات ولواحق. وما طرأ عليهما من تحويل فكانت كالآتي:

المدخلات المعجمية	نظرية النظم	التوليدية التحويلية
حرمت الميتة	مسند ومسند إليه (معنى ذهني).	بنية عميقة (عمادها الإسناد).
عليكم	شبه جملة متعلق بالمسند. يحدد المقصودين بالتحريم (المخاطبين).	زيادة شبه جملة. يحدد المقصودين بالتحريم (المخاطبين).
	الفعل تحول بالتضعيف إلى متعد ثم بُني لما لم يُسمّ فاعله لمعرفته.	الفعل تحول إلى متعد ثم بني لما لم يُسمّ فاعله لمعرفته (حسب نحو اللغة).
	'الميتة' تحولت من مفعول به فضلة إلى نائب فاعل عمدة لدلالته المخصصة وأهميته.	تحول في المسند إليه لتخصيصه، أي أن التحول مسّ الأهم في التركيب بذكره.
	توسطت عليكم المتساندين لدلالة عليكم المخصصة للمخاطبين (يفهم بالسليقة).	الزيادة المحددة للمفهوم المدرك بالحدس.
	تقدم الفعل وتوسط المتعلق وتأخر نائب الفاعل (توخيا لمعاني النحو).	ترتب الفعل ونائبه حسب قواعد النحو وارتباطهما بالدلالة.
والمنخنقة...إلا ما ذكيتم	بنية إسنادية ثانية مرتبطة بالبنية الأولى تحمل أحكامها يربطها رابط وهو الواو.	بنية إسنادية ثانية مرتبطة بالبنية الأولى تحمل أحكامها ترتبط بها بواسطة.
الواو	الواو: رابط يصح أن يكون حرف نسق أو حرف استئناف (في العربية).	الواو: رابط حرف نسق أو حرف استئناف (في العربية).
المنخنقة	نائب فاعل لفعل محذوف أو مبتدأ لمحذوف	مسند إليه ومسنده محذوف
إلا ما ذكيتم	مكمل للجملة واستثناء من المتعاطفات	ركن تكميلي بدلالة الاستثناء
حرمت عليكم .....ذكيتم	الكلام مستقيم حسن.	الجملة أصولية.

النتيجة جملتان مفصولتان بواو العطف أو بواو الابتداء (وفقا للعربية).

وفي الجملة الثانية حذف الفعل، أو حذف الخبر. وجملة الاستثناء تختص بالجملة الثانية فقط لأن إسنادها إلى الجملة الأولى يجعل من الكلام غير أصولي عند تشومسكي وغير مستقيم عند الجرجاني. والأهم في كل ذلك مفهوم الواو بين الجملتين ووظيفته التي يجب أن تكون عاطفة جملة عن جملة، أو استئنافية تفصل الجملة الأولى عن الثانية، وبفصلها يستأنف مفهوم التحريم السابق، ويقطع الاستثناء عن الأولى، وبذلك يكون الجرجاني كما تشومسكي قد تجاوزا بالنحو مرحلة المعيارية، وأكدا علاقة النحو بالمعنى، وتطبيق النحو سليقة وحدسا. فمثلا نجد الـ تُعرّف النكرة وهذا معيار نحوي، فالميتة المعرفة بـ الـ ليست بدلالة المجردة منها، فلو قيل: 'حُرمت ميتة' لاختص الفعل بميتة واحدة فقط، وبإضافة 'الـ' دلت على كل ميتة دون تخصيص. وهو ما أشار إليه الجرجاني كما أشار إليه تشومسكي في ربط النحو بالدلالة.

ومن ذلك كله يتبين التشابه بين النظريتين وأسسهما المشتركة. وأن الاختلاف يكمن في خصوصية اللغة أكثر من مكونات النظريتين.

ثانيا: تحوّل المدخل المعجمي من معنى إلى آخر والمدخل التركيبي (النحوي)من حالة إلى أخرى.

عند التحول على مستوى البنية السطحية يمكن للمدخل المعجمي أن ينزاح عن دلالته الأصلية كمؤشر دلالي ليحمل دلالة أخرى، كما يمكن للمدخل التركيبي (النحوي)التحول إلى حالة غير حالته الأولى التي كان عليها في لبنية العميقة.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾الأنبياء 30

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ عطف على أَنَّ السَّمَاوَاتِ... إلخ، ولا حاجة إلى تكلف عطفه على (فَتَقْنا) والجعل بمعنى الخلق المتعدى لمفعول واحد، ومن ابتدائية والماء هو المعروف أي خلقنا من الماء كل حيوان أي متصفٍ بالحياة الحقيقية، ونقل ذلك عن الكلبي وجماعة ويؤيده قوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء) (النور45). ووجه كون الماء مبدأ ومادة للحيوان وتخصيصه بذلك أنه أعظم مواده وفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه ولا بد من تخصيص العام لأن الملائكة عليهم السلام وكذا الجن أحياء وليسوا مخلوقين من الماء ولا محتاجين إليه على الصحيح.

وقال قتادة: 'المعنى خلقنا كل نامٍ من الماء'، فيدخل النبات ويراد بالحياة النمو أو نحوه، ولعل من زعم أن في النبات حسًّا وشعورًا أبقى الحياة على ظاهرها، وقال قطرب وجماعة: المراد بالماء النطفة، ولا بد من التخصيص بما سوى الملائكة عليهم السلام، والجن أيضا بل بما سوى ذلك والحيوانات المخلوقة من غير نطفة كأكثر الحشرات الأرضية، ويجوز أن يكون الجَعْل بمعنى التصيير المتعدى لمفعولين وهما هنا (كلٌّ، ومن الماء)، وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به، و(من) اتصالية كما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم: (ما أنا من ددٍ ولا الدد مني)، والمعنى صيّرنا كل شيء حي متصلا بالماء، أي مخالطا له غير منفك عنه، والمراد أنه لا يحيا دونه، وجوّز أبو البقاء على الوجه الأول أن يكون الجار والمجرور في موضع الحال من (كُل) وجعل الطيبي (من) على هذا بيانية تجريدية فيكون قد جرد من الماء الحي مبالغة كأنه هو، وقرأ حميد (حيّا) بالنصب على صفة (كل) أو مفعول ثان لجعل،

والظرف متعلق بما عنده لا بـ حيًّا، والشيء مخصوص بالحيوان لأنه الموصوف بالحياة، وجوز تعميمه للنبات.

وأنت تعلم أن من الناس من يقول: إن كل شيء من العلويات والسفليات حي حياة لائقة به وهم الذين ذهبوا إلى أن تسبيح الأشياء المفاد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(الإسراء44) قالي لا حالي، وإذا قيل بذلك فلا بدّ من تخصيص الشيء أيضا إذ لم يجعل من الماء كل شيء حيّا، ولم أقف على مخالف في ذلك منا، نعم نقل على ثالسالملطى —وهو أول من تفلسف بملطية– أن أصل الموجودات الماء حيث قال: الماء قابل كل صورة ومنه أبدعت الجواهر كلها من السماء والأرض"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"﴿وجعلنا﴾ لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدى إلى واحد فالمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى —خلق الإنسان من عجل– وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: صيرنا كل شيء حيّ بسبب من الماء لا بد به منه، ومن هذا نحو من في قوله عليه الصلاة والسلام (ما أنا من دد ولا الدد مني) وقرئ حيا وهو المفعول الثاني"[2].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء 30

﴿وَجَعَلْنا﴾ إِنْ تَعَدَّتْ لِوَاحِدٍ كَانَتْ بِمَعْنَى ﴿وَخَلَقْنَا مِنَ الْماءِ﴾ كُلَّ حَيَوَانٍ أَيْ مَادَّتُهُ النُّطْفَةُ قَالَهُ قُطْرُبٌ وَجَمَاعَةٌ أَوْ لَمَّا كَانَ قِوَامُهُ الْمَاءَ الْمَشْرُوبَ وَكَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ جُعِلَ مَخْلُوقًا مِنْهُ كَقَوْلِهِ ﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء37 قال الْكَلْبِيُّ وَغَيْرُهُ، وَتَكُونُ الْحَيَاةُ عَلَى هَذَا حَقِيقَةً وَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَامًّا مَخْصُوصًا إِذْ خَرَجَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَلَيْسُوا مَخْلُوقِينَ مِنْ نُطْفَةٍ وَلَا مُحْتَاجِينَ لِلْمَاءِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ خَلَقْنَا كُلَّ نَامٍ مِنَ الْمَاءِ فَيَدْخُلُ فِيهِ النَّبَاتُ وَالْمَعْدِنُ، وَتَكُونُ الْحَيَاةُ فِيهِمَا مَجَازًا أَوْ عَبَّرَ بِالْحَيَاةِ عَنِ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَهُوَ النُّمُوُّ وَيَكُونُ أَيْضًا عَلَى هَذَا عَامًّا

[1] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م9، ج17ص47-48.
[2]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص570.

مَخْصُوصًا، وَإِنْ تَعَدَّتْ جَعَلْنا لِاثْنَيْنِ فَالْمَعْنَى صَيَّرْنَا كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ بِسَبَبٍ مِنَ الْمَاءِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ حَيٍّ بِالْخَفْضِ صِفَةٌ لِشَيْءٍ. وَقَرَأَ حُمَيْدٌ حَيًّا بِالنَّصْبِ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِجَعَلْنَا، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ لَغْوٌ أَيْ لَيْسَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِجَعَلْنا أَفَلا يُؤْمِنُونَ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَفِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ، وَالْمَعْنَى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ هَذِهِالْأَدِلَّةَ وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا وَيَتْرُكُوا طَرِيقَةَ الشِّرْكِ، وَأَطْلَقَ الْإِيمَانَ عَلَى سَبَبِهِ وَقَدِ انْتَظَمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلَيْنِ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ مِنَ الْأَدِلَّةِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ"[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾

قال: "كانتا" لأن السموات يعبر عنها بلفظ الواحد، وأن السموات كانت سماء واحدة، وكذلك الأرضون كانت أرضا واحدةً، فالمعنى: أن السموات كانت سماء واحدة مرتقةً ليس فيها ماء، ففتق الله السماء فجعلها سبعا وجعل الأرض سبع أرضين.

وجاء في التفسير: أن السّماء فتقت بالمطر، والأرض بالنّبات، ويدلُّ على أنه يراد بفتقها كون المطر فيها قوله عزّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وقيل: رتقا ولم يقل رتقين، لأن الرتق مصدرٌ، المعنى: كانتا ذواتي رتق فجُعِلتا ذواتي فتق، ودلّهم بهذا على توحيده –عزّ وجل– ثم بكتَّهم فقال: "أفلا يؤمنون"[2].

قال محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي جعلنا الماء أصل كل الأحياء وسببا للحياة فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ولا نبات"[3].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

قال تعالى: "﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ الأنبياء 30

[1]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص 425

[2]- معاني القرآن إعرابه، الزجاج، ج3، 316.

[3] - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م2، ص239.

قال الأخفش: قال: (كانتا) لأنهما صنفان كما تقول العرب: هما لقاحان أسودان، وكما قال جل وعز: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السموات وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر41) قال أبو إسحاق: كانتا لأنه يعبر عن السموات بلفظ الواحد بسماء ولأن السموات كانت سماء واحدة، وكذا الأرضون. قال: وقال: (رتقا)، ولم يقل: رتقين، لأنه مصدر والمعنى: كانتا ذواتي رتق. قال أبو جعفر: وروي عن الحسن أنه قرأ (كانتا رتقا) قال عيسى: هو صواب، وهي لغة. ﴿وَجَعَلْنامِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ نعت لشيءٍ وأجاز الفرّاء: كلَّ شيءٍ حيًا بمعنى: وجعلنا كل شيء حيّا من الماء"[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء الآية30

جملة "أو لم ير" مستأنفة، والمصدر المؤول سد مسد مفعولي يرى، وجملة "وجعلنا" معطوفة على جملة "فتقنا"، وجملة "أفلا يؤمنون" مستأنفة"[2].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا﴾: الفاء استئنافية. فتق: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الواحد المطاع و(نا) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. الهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به. الميم عماد والألف علامة التثنية لا محل لها أو تكون (ما) هي علامة التثنية بمعنى ففصلنا بعضها عن بعض. وجعلنا: معطوفة بالواو على (فتقنا) وتعرب إعرابها.

من الماء كل: جار ومجرور متعلق بجعلنا بمعنى خلقنا من الماء. كل: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

شيءٍ حيٍّ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المنونة. حيٍ: صفة -نعت- لشيء مجرور مثله بالكسرة المنونة بمعنى: كل حيوان ونبات"[3].

---

[1]- إعراب القرآن، النحاس، ص551.

[2] - إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، م2، ص813.

[3]- إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م6، ص345.

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾وجعلنا عطف على ما تقدم، وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلقنا، ومن الماء متعلقان بجعلنا، لأنها بمعنى خلقنا، أو: بمحذوف حال من كل شيء؛ لأنه كان في الأصل وصفا له فلما قدم عليه نصب على الحال، ولك أن تجعل وجعلنا بمعنى صيّر متعديا لاثنين، فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثانٍ، وكل شيء مفعول أول، أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف،ولا نافية، ويؤمنون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل"[1].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾الأنبياء 30

إن المقصود بالدراسة هنا هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. بالتدقيق في الجملة في غير كلام الله نجد البنية الإسنادية (جَعَلْنَا) تتألف من الفعل جعل، وضمير المتكلمين. المعنى الذهني الذي تحمله البنية هو الإنجاز من الفاعل، وتلك هي البنية العميقة عند تشومسكي.

ويُلحظ أن الإسناد أصلي تام، وهو يؤلف جملة بسيطة أولية، أو نواة جملة فعلية في العربية، فعلها يقتضي مفعولين، لأن المدخل المعجمي جعل دلالته على الإنجاز تحمل معنى إنجاز تحويل شيءٍ شيئا آخر، والجملة النواة أو البنية العميقة لا تحقق الغرض التواصلي أو الإخبار بما يراد تبليغه، فكان لا بدّ من مدخلات معجمية أخرى، أو مكونات دلالية إضافية هي الفضلات أو اللواحق، لذلك نجد شبه الجملة (مِنَ الْمَاءِ) متعلقا بالفعل (جعل) وكل شي هو المنجز، ونعني بذلك المفعول به الأول. وما يلحظ هو غياب المفعول به الثاني، أو حذفه وجوبا، لأن وجوده سيحول الدلالة، ولذلك تستحيل الجملة من أصولية مستقيمة إلى غير أصولية مستحيلة، والتحول طرأ على الفعل ووظيفته النحوية، وعلى الوصف ومحله من الإعراب، تغيير حالته وعلامة إعرابه وما اقتضى ذلك من تحول صوتي فيه، لأن القول (جَعَلْنَا كُلَّ شَيْءٍ حَياً) باستيفاء الفعل مفعوليه يجعل من الجملة محالاً. وإلا فهمنا أن كل ما يدخل الماء فيه صار حياً، في حين أن القصد أن كل حي إنما يدخل الماء في تركيبه

[1]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، م5، ج17، ص26.

هو كائن حي وهي المحال. إن حذف المفعول الثاني اقتضى تحويل الفعل من ناصب لمفعولين إلى متعد لمفعول واحد، وتحويل الوصف حي من مفعول ثان إلى نعت للمفعول الأول، وأن الصيغة النهائية الأدق متحولة بفضل قواعد التحويل من مركب إسنادي جعلنا ووحدة إسنادية (كل شيء حي من الماء).

فالبنية العميقة في الأصل قبل التحول "كل": مبتدأها عُرف بالوصف، "ومن الماء": شبه جملة خبرها وهو أصل المقصود بالإخبار الذي قصد تبليغه، ثم أضيف إلى البنية الإسنادية الأصلية (جلعنا)، فكانت معمول الفعل 'جعل' ومنصوبه.

والملاحَظ فإن التحويلات كانت انطلاقا من البنية الإسنادية التي هي المعنى الذهني، أو البنية العميقة بفضل قواعد التحويل ابتداء من تحويل الفعل إلى متعد لمفعول واحد، ثم المفعول الثاني إلى وصف. ولم يكن ذلك ليتأتّى لولا تحول دلالة 'جعل' التي تعني صيّر إلى دلالة خلق. وهو ما لا يستساغ فالمعنى المعجمي لا يجمع بين الدلالتين، لكن باتباع قواعد التحويل التي كانت مع الترتيب في النظم أتاحت التحويل إلى ما صار عليه المعنى المراد تحويله.

وقد يكون الفعل "جعل" بدلالته التحويلية فيكون كل شيء صار حيا من الماء فإن التحول سيكون في الحياة من الحال حيّا ويصير الحي بمعنى الموجود وهو أضعف من أن يكون تأويلا لكلام محكم. أما من قرأ 'حيًّا على الوصف لـ 'كل' بتأويل وجعلنا كل شيء حيا من الماء فهو أقرب إلى المعنى المراد لكن ببعض ضعف في التأليف، ولذلك فإن الصورة التركيبية التي عليها الآية هي الأدق نظما، والأقوم تركيبا، والأفصح معنى والأجمل تعبيرا. فلا يجد المتلقي فيها من إعمال العقل ما يحيد بها عن دلالتها.

والخلاصة فإن التحول الدلالي من البنية الإسنادية الأولية قد يأتي أحيانا من تحول نحوي إعرابي فيكون من الحال إلى النعت، أو من المفعول إلى الوصف، أو بتقديم مؤوّل عن الموضع، فيحول دلالة المدخل المعجمي أو وظيفته النحوية وما تقتضيه من محل وحالة وعلامة إعرابية، كما كان في المفعول الثاني 'حيا' الذي تحول إلى وصف المضاف إليه الأقرب فصار نعتا لـ 'شيء' وهو الجزء المضاف لـ'كل' فهو بوصفه المضاف إليه دون المضاف، أحال الفعل متعديا لفعل واحد بتحويل دلالته من دلالة صيّر إلى دلالة خلق.وهو ذاته الذي حدث بتحوله من النصب إلى الجر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: استقامة المحال بالتحويل وتأثير السياق في التحول الدلالي.

مِن البنى الأساسية المجردة ما ليس أصوليا مستقيما رغم سلامته تركيبا، فهو غير أصولي عند تشومسكي، ومستقيم كذب عن سيبويه، لكنه يستقيم بفضل قواعد التحويل مع ما يؤديه السياق من دور في دلالة التراكيب وتحولاتها.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة(177).

1: تفسيره.

قال الألوسي (روح المعاني).

"﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البر اسم جامع لأنواع الخير والطاعات المقربة إلى الله تعالى، والخطاب لأهل الكتابين، والمراد من قبل المشرق والمغرب السمتان المعنيتان، فإن اليهود تصلى قبل المغرب إلى البيت المقدس من أفق مكة، والنصارى قبل المشرق والآية نزلت ردّا عليهم حيث أكثروا الخوص في أمر القبلة وادعى كل طائفة حصر (البر) على قبلته ردّا على الآخر فرد الله تعالى عليهم جميعا بنفي جنس البر عن قبلتهم لأنها منسوخة، فتعريفه للجنس لإفادة عموم النفي –لا للقصر– إذ ليس المقصود نفي القصر أو قصر النفي، ويحتمل أن يكون الخطاب عامّا لهم و للمسلمين –فيكون عودا على بدء –فإن الكلام في أمر القبلة وطعنهم في النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان أساس الكلام إلى هذا المقطع، فجعل خاتمة كلية أجمل فيها ما فصل، والمراد ذكر المشرق والمغرب التعميم– لا تعيين السمتين–وتعريف(البر) حينئذ إما للجنس فيفيد القصر، والمقصود نفي اختصاص البر بشأن القبلة مطلقا على ما يقتضيه الحال من كثرة الاشتغال والاهتمام بذلك والذهول عما سواه، وإما للعهد أي ليس البر العظيم الذي أكثرتم الخوض فيه وذهلتم عما سواه ذلك، وقدم للمشرق على المغرب مع تأخر النصرانية رعاية لما بينهما من الترتيب المتفرع على

ترتيب الشروق والغروب، وقرأ حمزة وحفص (البرَّ) بالنصب والباقون بالرفع، ووجه الأول: أن يكون خبرا مقدما كما في قوله:

سلى إن جهلت الناس عني وعنهم *** فليس (سواءً)عالم وجهول [1]

وحسن ذلك أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف ولا يوصف به والأعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولاً فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب أطراف النظم الكريم، ووجه الثانية: أن كل فريق يدعي أن البر هذا فيجب أن يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك إلا أن بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ (بأن تولوا) بالباء

﴿ولكن البرَّ من آمن بالله﴾ تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل، و(أل) في (البر) إما للجنس فيكون القصر ادعائيّا لكمال ذلك الجنس في هذا الفرد، وإما للعهد أي ما ينبغي أن يهتم به ويعتنى بشأنه ويجد في تحصيله، والكلام على حذف مضاف أي برّ من آمن، إذ لا يخبر بالجثة على المعنى، ويجوز أن لا يرتكب الحذف ويجعل المصدر بمعنى اسم الفاعل أو يقال بإطلاق البر على البار مبالغة، والأول أوفق لقوله: ﴿ليس البرَّ﴾ وأحسن في نفسه لأنه كنزع الخف عند الوصول إلى الماء ولأن المقصود من كون ذي البر من آمن إفادة أن البر إيمانه فيؤول إلى الأول، والمراد بهذا الإيمان إيمان خال عن شائبة الإشراك لا كإيمان اليهود والنصارى القائلين: عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، وقرأ نافع وابن عامر (ولكن) بالتخفيف، وقرأ بعضهم (البار) بصيغة اسم الفاعل"[2].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"(البرّ) اسم للخير ولكل فعل مرضٍ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى البيت المقدس والنصارى قبل المشرق، وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، وزغم كل واحد

[1]- البيت للسموأل بن غريض بن غريض بن عاديا الأزدي، شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان ينتقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق. وهو من بحر الطويل.

[2] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي تحقيق: محمد السيد سيد إبراهيم عمران،دار الحديث، القاهرة، 2005، م1، ج 2، ص607-608.

من الفريقين أن البرّ التوجه إلى قبلته، فرد عليهم وقيل ليس البرّ فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البرّ، ولكن البر ما نبينه.وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة، فقيل ليس البرّ العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمر القبلة، ولكن البرّ الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة برّ من آمن وقام بهذه الأعمال"[1].

"وقرئ وليس البرَّ بالنصب على أنه خبر مقدم. وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد فقط كقولك:ليس المنطلق بزيد ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ﴾ على تأويل حذف المضاف: أي برّ من آمن، أو بتأويل البرّ بمعنى ذي البرّ"[2].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

"﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ قال قتادة، والربيع، ومقاتل وعوف الأعرابي: نزلت في اليهود والنصارى، كانت اليهود تصلي للمغرب والنصارى للمشرق، ويزعم كل فريق أن البرّ ذلك.

وقال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والضحاك، وسفيان: نزلت في المؤمنين، سأل رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزلت، فدعاه وتلاها عليه.

وقال بعض المفسرين: كان الرجل إذا نطق بالشهادتين وصلى إلى أي ناحية ثم مات وجبت له الجنة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت الفرائض، وحدَّت الحدود، وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزلها الله.

وقيل: سبب نزولها إنكار الكفار على المؤمنين تحويلهم عن بيت المقدس إلى الكعبة، ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لأنها إن كانت في أهل الكتاب، فقد جرى ذكرهم بأقبح الذكر من كتمانهم ما أنزل الله واشترائهم به ثمنا قليلاً، وذكر ما أعد لهم، ولم يبق لهم مما يظهرون به شعار دينهم إلاَّ صلاتهم، وزعمهم أن ذلك البر، فردّ عليهم بهذه الآية. وإن كانت في المؤمنين فهو نهي لهم أن يتعلقوا من شريعتهم بأيسر شيء كما تعلق أهل الكتابين، ولكن عليهم العمل بجميع ما في

[1]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،، دط، 2008، ج1، ص330

2 - المرجع نفسه، ص330

طاقتهم من تكاليف الشريعة على ما بينها الله تعالى. وقرأ حمزة، وحفص ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بنصب الراء، وقرأ باقي السبعة برفع الراء. وقال الأعمش في مصحف عبد الله: لا تحسبن البرَّ، وفي مصحف أبيّ، وعبد الله أيضاً: ليس البر بأن تولوا، فمن قرأ بنصب البر جعله خبر ليس، وأن تولوا في موضع الاسم، والوجه أن يلي المرفوع لأنها بمنزلة الفعل المتعدّي، وهذه القراءة من وجه أولى، وهو أن جعل فيها اسم ليس: أن تولوا،وجعل الخبر البر، وأن وصلتها أقوى في التعريف من المعرّف بالألف واللام، وقراءة الجمهور أولى، من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قليل، وقد ذهب إلى المنع من ذلك ابن درستويه تشبيها لها بما أراد الحكم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسيط خبر ما، وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب.

قال الشاعر:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم ... وليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر.

أليس عظيماً أن تلمَّ ملمّة ... وليس علينا في الخطوب معوَّلُ

وقراءة: بأن تولوا، على زيادة الباء في الخبر كما زادوها في اسمها إذا كان ان وصلتها.

قال الشاعر:

أليسَ عجيباً بأن الفتى ... يصابُ ببعض الذي في يديه

أدخل الباء على اسم ليس، وإنما موضعها الخبر، وحسَّنَ ذلك في البيت ذكرُ العجيب مع التقرير الذي تفيده الهمزة، وصار معنى الكلام: أعجب بأن الفتى، ولو قلت أليس قائماً بزيد لم يجز.

والبرّ اسم جامع للخير، وتقدم الكلام فيه، وانتصابُ قبل على الظرف وناصبه تولوا، والمعنى: أنهم لما أكثروا الخوض في أمر القِبلة حتى وقع التحويلُ إلى الكعبة.

وزعم كل من الفريقين أن البر هو التوجه إلى قبلته، فردّ الله عليهم، وقيل: ليس البر فيما أنتم عليه، فإنه منسوخ خارج من البر.

وقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن يذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة.

وقال قتادة قبلة النصارى مشرق بيت المقدس لأنه ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام لقوله تعالى:﴿مَكَاناً شَرْقِياً﴾ واليهود مغربه والآية ردّ على الفريقين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءامَنَ بِٱللَّهِ﴾ البرُّ: معنىً من المعاني، فلا يكون خبره الذوات إلاَّ مجازاً، فإمّا أن يجعل: البرُّ، هو نفس من آمن، على طريق المبالغة، قاله أبو عبيدة، والمعنى:ولكنّ البارَّ. وإمّا أن يكون على حذف من الأول، أي: ولكنّ ذا البر، قاله الزجاج. أو من الثاني أي: برُّ من آمن، قاله قطرب، وعلى هذا خرَّجه سيبويه، قال في كتابه: وقال جل وعز: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءامَنَ﴾ وإنما هو: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله.

وإنما اختار هذا سيبويه لأن السابق، إنما هو نفي كون البر هو تولية الوجه قِبلَ المشرقِ والمغرِبِ، فالذي يستدرك إنما هو من جنس ما ينفى، ونظير ذلك: ليس الكرم أن تبذل درهماً، ولكنَّ الكرم بذل الآلاف، فلا يناسب: ولكنّ الكريم من يبذل الآلاف إلاَّ إن كان قبله: ليس الكريم بباذل درهم.

وقال المبرد: لو كنت ممن يقرأ القرآن ولكن البر بفتح الباء، وإنما قال ذلك لأنه يكون اسم فاعل، تقول:بررت أبرّ، فأنا برّ وبارّ، قيل: فبني تارة على فعل، نحو: كهل، وصعب، وتارة على فاعل، والأولى ادّعاء حذف الألف من البرّ، ومثله: سرٌّ، وقرّ، ورَبٌّ، أي: سارّ، وقار، وبارّ، ورابٌّ.

وقال الفراء: من آمن، معناه الإيمان لما وقع من موقع المصدر جعل خبراً للأوّل، كأنه قال: ولكن البر الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل.

وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندب

جعل نبات اللحية خبراً للفتى، والمعنى:لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى، وقرأ نافع، وابن عامر: ولكن بسكون النون خفيفة، ورفع البرّ، وقرأ الباقون بفتح النون مشدّدة ونصب البرّ، والإعراب واضح.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلاْخِرِ وَٱلْمَلَئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّينَ﴾ ذكر في هذه الآية إن كان الإيمان مصرحاً بها كما جاء في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال:«أن تؤمنُ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ واليومِ الآخرِ والقدر خيره وشره» ولم يصرح في الآية بالإيمان بالقدر، لأن الإيمان بالكتاب يتضمنه، ومضمون الآية: ان البرّ لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب بل بمجموع أمور.

أَحَدُهَا: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ أَخَلُّوا بِذَلِكَ، أمّا اليهود فللتجسم وَلِقَوْلِهِمْ: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ سورة التوبة:30 وَأَمَّا النَّصَارَى فَلِقَوْلِهِمْ: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ سورة التوبة: 30.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْيَهُودُ أَخَلُّوا بِهِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً﴾ البقرة:80، وَالنَّصَارَى أَنْكَرُوا الْمَعَادَ الْجُسْمَانِيَّ.

وَالثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالْيَهُودُ عَادَوْا جِبْرِيلَ.

وَالرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودُ أَنْكَرُوا الْقُرْآنَ.

وَالْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالنَّبِيِّينَ، وَالْيَهُودُ قَتَلُوهُمْ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طَعَنَا فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم.

وَالسَّادِسُ: بَذْلُ الْأَمْوَالِ عَلَى وَفْقِ أَمْرِ اللَّهِ، وَالْيَهُودُ أَلْقَوُا الشُّبَهَ لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ.

وَالسَّابِعُ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالْيَهُودُ يَمْتَنِعُونَ مِنْهَا.

وَالثَّامِنُ: الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَالْيَهُودُ نَقَضُوهُ.

وَهَذَا النَّفْيُ السَّابِقُ، وَالِاسْتِدْرَاكُ لَا يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِمَا، لِأَنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ التَّوَجُّهُ إِلَى الْقِبْلَةِ بِرًّا، ثُمَّ حَكَمَ بِأَنَّ الْبِرَّ أُمُورٌ.

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"وقوله عز وجلّ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة(177))

المعنى ليس البر كله في الصلاة

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ إلى أخر الآية، فقيل إن هذا خصوص في الأنبياء وحدهم، لأن هذه الأشياء التي وصفت لا يؤديها بكليتها على حق الواجب إلا الأنبياء عليهم السلام،وجائز أن يكون لسائر الناس،لأن الله عزّ وجلّ قد أمر الخلق بجميع ما في هذه الآية ولك في البرّ وجهان: لك أن تقرأ ليس البرُّ أن تُولوا، فمن نصب جعل الله أَن مع صلتها الاسم، فيكون المعنى:ليس توليتُكُم وجُوهَكُم البرّ كلّه ومن رفع البر فالمعنى:ليس البرُّ كلُّه توليتكم،فيكون البر اسم ليس،وتكون ﴿أن تُوَلُّوا﴾ الخبر"[1].

قال علي الصابوني: (**صفوة التفاسير**).

"التفسير: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي ليس فعل الخير وعمل الصالح محصورا في أن يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق أو المغرب ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي ولكن البرّ الصحيح هو الإيمان بالله وباليوم الآخر ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ أي وأن يؤمن بالملائكة والكتب والرسل ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ أي أعطى المال على محبته له ذوي قرابته وهم أولى بالمعروف ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أي وأعطى المال أيضا لليتامى الذين فقدوا آباءهم والمساكين الذين لا مال لهم، وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله ﴿وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي الذين يسألون المعونة بدافع الحاجة، وفي تخليص والأرقاء والفداء ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي وأتى بأهم أركان الإسلام وهما الصلاة والزكاة ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ أي ومن يوفون بالعهود ولا يخلفون الوعود ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي الصابرين على الشدائد وحين القتال في سبيل الله وهو منصوب على المدح ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم وألئك هم الكاملون في التقوى،وفي الآية ثناء على الأبرار وإيحاء إلى ما يلاقونه من اطمئنان وخيرات حسان"[2].

---

[1]- معاني القرآن وإعرابه،أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج،تحقيق:عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث،القاهرة،جامعة الأزهر، 2005،.ج1،ص213.

[2]- صفوة التفاسير، (تفسير القرآن الكريم)، محمد على الصابوني ،دار الصابوني،ط14، 2017، ج1،ص 105-104

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

"﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة(177).

الْبِرَّ اسم ليس والخبر ﴿أن تولوا﴾، وقرأ الكوفيون ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا﴾ جعلوا ﴿أن﴾ في موضع رفع والأول بغير تقديم ولا تأخير وفي قراءة أبي مسعود وابن مسعود ﴿لَيْسَ الْبِرُ بِأَنْ تُوَلُّوا﴾ فلا يجوز في البر هاهنا إلا الرفع ﴿ولكنَّ البرَّ﴾، وقرأ الكوفيون ﴿ولكن البرُّ﴾ رفع بالابتداء ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الخبر، وفيه ثلاثة أقوال: يكون التقدير ولكن البرُّ برُّ من آمن بالله ثم حذف".

"أي ذا إقبال، ويجوز أن يكونَ البرُّ بمعنى البار والبرّ كما يقال: رجلٌ عَدلٌ، وفي الآية إشكال من جهة الإعراب لأن بعدها هذا ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ﴾ فيه خمسة أقوال يكون و﴿وَالْمُوفُونَ﴾ رفعًا عطفًا على ﴿من﴾، و﴿الصَّابِرِينَ﴾ على المدح أي وأعني الصابرين، ويكون و﴿وَالْمُوفُونَ﴾ رفعاً بمعنى: وهم الموفون مدحا للمضمرين و﴿الصَّابِرِينَ﴾ عطفا على ذوي القربى، ويكون و﴿وَالْمُوفُونَ﴾ رفعاً على وهم والموفون و﴿الصَّابِرِينَ﴾ بمعنى وأعني الصابرين فهذه ثلاثة أجوبة لا مطعَن فيها من جهة الإعراب موجودة في كلام العرب وأنشد سيبويه:

لا يَبعَدن قومي الذين هُم سُمُ العُداوة وآفة الجزر

النّازلينَ بكُل مُعتَرك والطيبونَ مَعَاقدَ الأُزر

وإن شئت قلت:النازلون والطيبين، وإن شئت رفعتهما جميعا ويجوز نصبها قال الكسائي: يجوز أن يكون و﴿الُموفونَ﴾ نسقا على ﴿من﴾، و﴿الصابرين﴾ نسقا على ﴿ذوي القربى﴾.

قال أبو جعفر وهذا القول خطأ وغلط بَيِّنٌ لأنك إذا نصبت والصابرين ونَسقَته على ذوي القربى دخل في صلة ﴿من﴾فقد نسقت على ﴿من﴾ من قَبل أن تَتمَّ الصلة وفرقتَ بين الصلة والموصول بالمعطوف"[1].

وأضاف قائلا:

"والجواب الخامس: أن يكون و﴿الموفون﴾ عطفاً على المضمر الذي آمنَ ﴿الصابرين﴾ عطفا على ﴿ذوي القربى﴾ قال الكسائي: وفي قراءة عبد الله ﴿والموفين والصابرين﴾ قال أبو جعفر:يكونان منسوقَين على ذوى القُربَى وعلى المدح. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله في ﴿النساء﴾، و﴿المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ (162)"[2].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

"والمصدر المؤول "أن تولوا" خبر "ليس"، و"قبل" ظرف مكان متعلق ب"تولوا" جملة "ولكن البرّ من آمن" معطوفة على جملة "ليس البرّ أن تولوا" لا محل لها "ذوي" مفعول به ثان منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والجار "في الرقاب" متعلق ب"آتى" على تضمينه معنى "وضع" و"الموفون": اسم معطوف على "من آمن" مرفوع بالواو. "إذا عاهدوا": ظرف مجرد من معنى الشرط متعلق ب"الموفون" و"الصابرين": مفعول به لفعل محذوف تقديره: أمدح، وجملة "وأمدح" معطوفة على الاستئنافية "ليس البرّ من آمن". و"حين": ظرف متعلق بالصابرين، وجملة " أولئك الذين" مستأنفة

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم):

"ليس البرّ: فعل ماض ناقص من أخوات (كان) مبني على الفتح.

البرّ: خبر (ليس) مقدم منصوب بالفتحة الظاهرة في آخره.

[1] - إعراب القرآن أبي جعفر النحاس،المكتبة التوفيقة القاهرة مصر ط1، 2013، ص 72-73

[2]- المرجع نفسه إعراب القران ص 73

أن تُولُّوا: حرف مصدري ناصب.تولّوا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة.و(أن) وما بعدها: بتأويل مصدر في محل رفع اسم (ليس) المؤخر والجملة الفعلية (تولّوا) صلة حرف مصدري لا محل لها من الإعراب.

وجوهكم قبل: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره والكاف ضمير متصل – ضمير المخاطبين- مبني على الضم في محل جر مضاف إليه والميم علامة جمع الذكور قبل: ظرف مكان متعلق بتولوا منصوب على الظرفية بالفتحة الظاهرة في آخره.

المشرق والمغرب: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره والمغرب: معطوف بالواو على (المشرق) ويعرب مثله.

ولكن البرَّ: الواو استئنافية تفيد الاستدراك.لكن حرف مشبه بالفعل من أخوات (إنّ) البرّ:اسم (لكنّ) منصوب بالفتحة في أخره وحذف خبر (لكن) المرفوع بالضمة اختصاراً..التقدير:البرّ برّ من آمن..

من ءَامَنَ: اسم موصول بمعنى (الذي) مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.ويجوز أن يعرب في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره:هو من آمن..وفي هذه الحالة تكون الجملة الاسمية (هو من آمن) في محل رفع خبر (لكن) آمن: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو وجملة (آمن..) صلة الموصول لا محل لها

بالله واليوم: جار ومجرور للتعظيم متعلق بآمن واليوم معطوف بالواو على لفظ الجلالة مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه):

"﴿ليس﴾ فعل ماض جامد ناقص و إنما جُمِّدت لأن لفظها لفظ المضيّ، ومعناها نفي الحال، فلم يتكلف لها بناء آخر، فاستعملت على لفظ واحد، ولأنها خالفت بقية الأفعال في أنها وضعت سالبة للمعنى والأفعال ليس من أصلها أن توضع لسلب المعنى، وإنما توضع لإيجابه، فتنزلت منزلة الحرف فجمدت ولم تتصرف.والدليل على أنها فعل اتصال الضمائر المرفوعة بها كاتصالها ببقية الأفعال

[1]- إعراب القرآن الكريم ،بهجت عبد الواحد الشيخلي،دط،2006، مج1، ص329-330.

وأصلها في الوزن:لَيسَ،على وزن فعل بكسر العين، ولولا إلزام ياء ليس حتى صارت في حكم ياء ليت لوجب في حكم التصريف قلبها ألفاً لتحريكها وانفتاح ما قبلها، فيكون اللفظ بها يصير (لاس) كما تقول هاب في الماضي من لفظ الهيبة ﴿البرَّ﴾ خبر ليس المقدم ﴿أن تولوا﴾ أن حرف مصدري ونصب، وتولوا فعل مضارع منصوب بأن، والمصدر المنسبك من أن وما في حيِّزها اسم ليس المؤخر، وقرئ برفع البر على أنه اسم ليس و إن تولوا خبرها ﴿وُجُوهَكُم﴾ مفعول به ﴿قبل﴾ ظرف مكان متعلق بتولوا ﴿المشرق﴾ مضاف إليه ﴿والمغرب﴾ عطف على المشرق ﴿ولكن﴾ الواو حرف عطف،ولكن حرف مشبه بالفعل ﴿البرّ﴾اسمها ﴿من آمن﴾ من اسم موصول خبر لكن، ولابد من تأويل حذف المضاف، أي: بر من آمن، ويمكن أن يقال: لا حذف، وإنما جعل البر نفسه من آمن للمبالغة، وجملة آمن صلة لا محل لها ﴿بالله﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمن ﴿واليوم﴾ عطف على الله ﴿الأخر﴾ صفة ﴿والملائكة والكتاب والنبيين﴾ عطف أيضا على الله ﴿وأتى﴾ فعل ماض معطوف على آمن داخل في حيِّز الصلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿المال﴾ مفعول به ﴿على حبه﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، والمصدر مضاف إلى مفعول له، أي: مع حبه ﴿ذوي القربى﴾ مفعول آتى، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع ذي بمعنى صاحب، والقربى مضاف إليه ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين﴾ كلها معطوفه على ذوي ﴿وفي الرقاب﴾ الجار والمجرور معطوف أيضا، أي: وآتى المال في فكّها من الأسر، أو إعاقتها ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ عطف على من آتى المال ﴿والموفون﴾ عطف على (من آمن) و لك أن تعربه خبرا لمبتدأ محذوف لبعده، أي: هم الموفون ﴿بعهدهم﴾ الجار والمجرور متعلقان بالموفون لأنه جمع موفٍ، وهو اسم فاعل من أوفى ﴿إذا﴾ ظرف متعلق بالموفون ﴿عهدوا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف ﴿والصابرين﴾ كان سياق الكلام أن يكون منسوقا على ما تقدم، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره: أمدح، إشعارا بفضل الصبر، وتنويهاً بذلك الفضل ﴿في البأسآء والضرآء﴾ الجار والمجرور متعلقان بالصابرين، وهما مصدران جاءا على وزن فعلاء، وليس لهما أفعل، أو هما اسمان للمصدر بمعنى البؤس والضرَّ، يقعان على المذكر والمؤنث ومثلهما أشأم من قول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ***** كأحمر عاد ثم ترضع فتفطـم

يعني:فتنتج لكم غلمان شؤم ﴿وحين البأس﴾ ظرف زمان متعلق بالصابرين، والبأس مضاف، وهو شدة القتال في سبيل الله ﴿أولئك﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿الذين﴾ اسم موصول خبر ﴿صدقوا﴾ الجملة من الفعل والفاعل لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ﴿أولئك﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وأولئك مبتدأ ﴿هم﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له أو مبتدأ ثان ﴿المتقون﴾ خبر أولئك، أو هم، والجملة الاسمية خبر أولئك"[1].

3: دراسة الشاهد.

"﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ البقرة(177).

يُلحظ من القراءة برواية حفص عن عاصم أن 'البرَّ' جاءت منصوبة كونها خبرا مقدما للناسخ ليس، ولم يخلّ ذلك أو يقلل من المعنى وذلك عند تفسير الجملة بالنظر إلى الدلالة المتعلقة بالآية وحدها أو بالجملة منفصلة عما يليها مما استدرك من معاني البرّ.

بالرجوع إلى التركيب الإسنادي قبل النفي بـ ليس في غير كلام الله فإن البنية الموجبة التي انطلق منها هي: 'البرُّ أن تولوا وجوهكم'.

ففي غير كلام الله يكون 'البرّ' مبتدأ والمصدر المؤول خبره وهذا لدخول الناسخ، فالمتلقي القارئ قدّم الخبر وأخّر المبتدأ. فصارت البرّ خبر ليس.ولأن ليس ترفع المبتدأ وتنصب الخبر إعرابا وتنفي الخبر عن المبتدأ دلالة تبين أنّه نصب البرّ تقديما بنيّة تأخير المبتدأ وهو ما حول الدلالة من نفي تولية الوجوه كونه البرّ إلى نفي البرّ كونه تولية الوجوه، ومرجع ذلك ترتيب المعاني في النفس ولو كانت معاني معجمية للألفاظ.وهو ما رآه القارئ واستقر في نفسه فبَنى عليه الإعراب والتفسير.

ولكن لأن المبتدأ ثابت والخبر متحول، فإن الأرجح أن يعتمد الترتيب الأصلي وهو ابتدائية البر وخبرية تولية الوجوه؛ ولعلّ الاستدراك بـ 'لكن' في الآية نفسها كان للبرّ ولم يكن للخبر في الرواية ذاتها لكنّ البرَّ من آمن بالله بالنصب وهو ما يشير إلى أنّ النصب في البداية مبرر إعرابا أو دلالة،

[1] - إعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويشي،دار ابن كثير دمشق بيروت،2010،مج1،ص225-226

كذلك في آية أخرى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فإن لفظ 'البرُّ' مبتدأ قبل دخول ليس عليه والمصدر المؤول خبره بدليل دخول الباء وهي التي تدخل على الأخبار المنفية

والأصل في غير كلام الله تبدو الجمل الأولى من مكوناتها الإسنادية البرّ أن تولوا متحولة عن "تولية وجوهكم البرّ" برّ من آمن ثم تلك المتعاطفات التي لا تخلو من بُنًى إسنادية يعرض البحث بعضها لإثبات مظاهر التحول فيها وأثر النظم على دلالتها

البرُّ أن تولوا وجوهكم: بنية عميقة تتركب من مسند 'تولية' (أن تولوُا المتحولة بالتوسع)، ومسند إليه وهو البرّ، فالإسناد فيها لم يَعْدُ الربط بين المدخلات المعجمية المتتابعة التي تمثل المكون الفونولوجي بفعل الكفاءة اللغوية التي جعلت الأصوات والمعاني في تناسق وثيق بَيِّن من قواعد اللغة، فكانت البنية مبتدأ وخبرا وفق الترتيب الأصلي للجملة الاسمية العربية، فجاءت منتجا صحيحا وفق قواعد اللغة، كما إنّ المكون الدلالي المرتبط أصلا بالمعرفة بالمعاني المعجمية وهو ما يظهر في الجمل لأن المعنى المنتج معنى مفيد، وهو مرتبط بمبدأ تمايز الجملَ صحيحها من غلطها في سياق صحيح ضمن منظومة التركيب باعتماد المكون التركيبي.

فالبنية العميقة 'البُر تولية الوجوه' اقتضت إيجاد مدخل معجمي يحلل المسند وتَحوّله من اسم ظاهر إلى تركيب مصدري له فعل استوفى فاعله ومفعوله ولواحقهما.

ولما كانت الجملة في سياق محدد تبين أن المسند لم يكن إلا جزءا من المسند إليه وليس هو المطلوب تبليغه بل يجب نفيه عن المسند إليه الأمر الذي أثار لبْسا في أصولية الجملة أو عدمها رُفع بنسخ الجملة بالفعل الناقص ليس الذي نفى المسند عن المسند إليه وفق الأداء الكلامي الذي بتّ في أصولية الجملة من عدمها وفي دلالتها القطعية من الاحتمالية من هنا نلاحظ تحويل المعنى وتوليد جملة أخرى تحتمل أنّ يكون المسند مسندا إليه والعكس.

أما من حيث النظم فإن الجملة الأولى في غير كلام الله جملة منسوخة عنصراها اسم ظاهر ومصدر مؤول أو أولهما اسم ظاهر وثانيهما خبره، وهو بالترتيب النحوي يستعمل المعنى المقصود بعد المعنى الذهني لأن تولية الوجه قبل المشرق والمغرب في الصلاة جزء من البر، والسياق يقتضي ألا يكون هذا هو البر كله إعدادا لإبراز البر الذي تريد الجملة أن توضحه، وقد استعمل في ذلك الناسخ "ليس" الذي ينفي الخبر عن المبتدأ، وهو ما يلحظه الملاحظ في رواية ورش وغيرها من الروايات.

أما ما يلحظ من قراءة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ هو تقديم الخبر عن المبتدأ وبالتالي تقديم خبر ليس عن اسمها قد لا يفي بالدلالة، حتى لا يكون هناك اللبس في نفي البر عن تولية الوجوه لأن المعنى هو نفي تولية الوجوه عن البر الكامل باعتباره جزءا منه وليس هو تمامه، الأمر الذي يفسره ما بعده بالاستدراك، فقراءة البر بالنصب إعرابية نحوية سوّت بين البر وتولية الوجوه في المعني الذهني لدى المتلقي لنفي إحداهما عن الأخرى، ومن هنا يتضح جليا أن الرفع أرجح نحويا ودلاليا.

من حيث النحو فإنه في قراءة ابن مسعود: ﴿لَيْسَ الْبِرّ بِأَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ أظهرت وجود الباء الزائدة المختصة بالدخول على لأخبار والتي تنتفي عندها قراءة ليس البرَّ بالنصب لأن الاسم والخبر للناسخ تَحَدَّدا دلالة ولفظا ونطقا ومرتبة وإعرابا واختصاصا بالباء الزائدة كما ورد في إعراب النحاس للآية، ثم إن الجملة الموالية لكلمة البرّ أعادت الابتداء إلى اسم الناسخ ليس والخبرية إلى ما يعادله فالبر يعدل﴿...من آمن بالله ...﴾ في الجملة ذاتها، وكان يمكن أن يساوي بينهما لأن من تأويلات الجملة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة(177) وكان عليه هنا رفع البر على أنه خبر لكنَّ.

والشاهد في هذا كله أن المسند لا يمكن نفيه عن المسند إليه إذا كان هو ذاته وأن القصد من نفيه هو رفع اللبس في احتسابه خبرا عنه، أو جزءا من مخبر عنه أو صفة له أو حالة تؤدي وظيفة الإخبار، لأنه لا يمكن نفي ذات عن ذاتها.كما إننا بعودنا إلى الآية الكريمة ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ وهو في هذا السياق يختلف عن الأول لأنه في بنيته العميقة تركيب إسنادي غير أصولي ومعنى ذهني غير مستقيم لم يكن ليؤدي معنى مستقيما أصوليا بغير الناسخ "ليس". وهنا يبرز دور الزيادة في التحول الدلالي لأن ليس حولت البنية الأصلية غير الأصولية أو غير المستقيمة عند سيبويه إلى تركيب مستقيم حسن فالأصل في غير كلام الله يرى المتلقي البنية العميقة' البر أن تأتوا البيوت من ظهورها' فهو يتصور إتيان البيوت من ظهورها البر (معنى ذهنيا) لكنه لا يرى فيه استقامة، وأنه يجب نفي الأول عن الثاني بحكم ثبات البر وتحول الإتيان. ومن هنا جاءت إضافة ليس لا لتجعل من المعنى معنى مستقيما فحسب، إنما لتجعله حكما على نفي الخبر عن المبتدإ وحكما وجب

الالتزام به وما إلى ذلك من المعاني.الأخلاقية والاجتماعية وحتى القانونية. ولم يكن ذلك ليظهر بغير قانون التحول الذي أقر به اللغويون ووضع تفاصيله الجرجاني قديما وتشومسكي حديثا.

إن الذي اعتمد النصب(البرَّ) إنما اعتمد السياق الخارجي (سبب النزول) فنفَى تولية الوجوه عن البر إجمالا مستهدفا به ما كان من لغط القوم في مسألة القِبلة، وهو تحول في المعنى المقصود اختصت به هذه المسألة إمعانا في الإشارة إلى عبثية القائلين المشككين في سبب تحويل القبلة وإلى ما يثيرونه بذلك من شكوك ... وهنا يتضح أن للسياق الخارجي تأثيرًا في تحول الدلالات العامة رغم ثبات معاني المدخلات المعجمية؛ فالبر لا تعني غير مفهومه المعجمي وتولية الوجوه في الصلاة قبل جهة ما كذلك، لكن في سياق الآية تحددت مظاهر البر وبدت تولية الوجوه "منسوخا خارجا من البر"، وبهذا المعنى لا بد أن يكون البر خبرا مقدما منصوبا منفيا عن تولية الوجوه.

والمسألة هنا تؤكد دور البنية الإسنادية في التحولات الدلالية،التي تعددت مظاهرها بتعدد رؤى المتلقي والناظم على المستويات التركيبية والمعجمية والصوتية.واستنادا إلى السياقين الداخلي والخارجي، فالراجح أن من قرأ البر بالنصب غلّب السياق الخارجي على الداخلي أي أنه وجّه عنايته إلي نفي ما اختصم فيه القوم من تفضيل قبلة بعضهم على قبلة بعض أو تقوّلهم على تغيير القبلة ــ كما ورد في أسباب النزول ــ فنفى البر عما يزعمون. قطعا، وفي ذلك دلالة على أن التحولات الدلالية قاعدتها البنية الإسنادية وعمادها النظم تركيبا، وروافدها اللواحق والسياقات.

ومن هنا يمكن أن يُرَجَّح رفع البر في الآية الكريمة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ على نصبها لامتناع ذلك في غير هذه الجملة من رواية ابن مسعود أو من الآية: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.وهذا يقود إلى أن للواحق والقيود دورا في الدلالة انطلاقا من البنية الإسنادية وأن الأصولية من عدمها والاستقامة من مُحالها ترتبط ارتباطا وثيقا بما يأتلف من الكلام الملحق بالبنية الإسنادية.

رابعا: العلاقة الدلالية بين الوحدات الإسنادية والمركب الإسنادي.

للوحدات الإسنادية دلالات تؤول إليها دلالة الأصل بفعل التحويل سواء أكانت ركنا من المركب أو مكملا له.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة(275).

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي يأخذونه فيعم سائر أنواع الانتفاع، والتعبير عنه بالأكل لأنه معظم ما قصد به، والربا في الأصل الزيادة من قولهم: ربا الشيء يربو إذا زاد، وفي الشرع عبارة عن فضل مال لا يقابله عوض في معارضة مال بمال وإنما يكتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع فصار اللفظ به على طبق المعنى في كون كل منهما مشتملا على زيادة غير مستحقة فأخذ لفظ الربا الحرف الزائد وهو الألف بسبب اللفظ الذي يشابهه وهو واو الجمع حيث زيدت فيه الألف كما يأخذ معنى لفظ الربا بشابهته معنى لفظ البيع لاشتمال المعنيين على معارضة المال بالمال بالرضا-وإن كان أحد العوضين أزيد-وقيل: الكتابة بالواو والألف لأن للفظ نصيبا منهما وإنما لم تكتب الصلاة والزكاة بهما لئلا يكون في مظنة الالتباس بالجمع، وقال الفراء: إنهم تعلموا الخط من أهل الحيرة وهم نبط لغتهم-ربوا- بواو ساكنة فكتب كذلك وهذا مذهب البصريين، وأجاز الكوفيون كتابته وكذا تثنيته بالياء لأجل الكسرة التي في أوله، قال أبو البقاء: وهو خطأ عندنا 'لا يقومون' أي يوم القيامة-و به قرىء كما في الدر المنثور.

"إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان" أي إلا قياما كقيام المتخبط المصروع في الدنيا والتخبط تفعل بمعنى فعل وأصله ضرب متوال على أنحاء مختلفة، ثم تجوز به عن كل ضرب غير محمود، وقيام المرابي يوم القيامة كذلك مما نطقت به الآثار، فقد أخرج الطبراني عن عوف بن مالك قال: "قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك الذنوب التي لا تغفر، الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم

القيامة، وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط" ثم قرأ الآية، وهو مما لا يحيله العقل ولا يمنعه، ولعل الله تعالى جعل ذلك علامة له يعرف بها يوم الجمع الأعظم عقوبة له كما جعل لبعض المطيعين أمارة تليق به يعرف بها كرامة له، ويشهد لذلكأن هذه الأمة يبعثون يوم القيامة غرا محجّلين من آثار الوضوء، وإلى هذا ذهب ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة–واختاره الزجاج–وقال ابن عطية: المراد تشبيه المرابي في حرصه وتحركه في اكتسابه في الدنيا بالمتخبط المصروع كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة: قد جنّ، ولا يخفى أنه مصادمة لما عليه سلف الأمة، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وداع سوى الاستبعاد الذي لا يعتبر في مثل هذه المقامات 'من المسّ' أي لجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا جن وأصله اللمس باليد وسمى به لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون، وهذا لا ينافي ما ذكره الأطباء من أن ذلك من غلبة مرة السوداء لأن ما ذكروه سبب قريب–وما تشير إليه الآية سبب بعيد–وليس بمطرد أيضا بل ولا منعكس فقد يحصل مس ولا يحصل جنون كما إذا كان المزاج قوّيا وقد يحصل جنون ولم يحصل مس، كما إذا فسد المزاج من دون عروض أجنبي، والجنون الحاصل بالمس قد يقع أحيانا، وله عند أهله الحاذقين أمارات يعرفونه بها، وقد يدخل في بعض الأجساد على بعض الكيفيات ريح متعفن تعلقت به روح خبيثة تناسبه فيحدث الجنون أيضا على أتم وجه وربما استولى ذلك البخار على الحواس وعطلها، واستقلت تلك الروح الخبيثة بالتصرف فتتكلم وتبطش وتسعى بآلات ذلك الشخص الذي قامت به من غير شعور للشخص بشيء من ذلك أصلا، وهذا كالمشاهد المحسوس الذي يكاد يعد منكره مكابرا منكرا للمشاهدات.

وقال المعتزلة، والقفال من الشافعية: إن كون الصرع والجنون من الشيطان باطل لأنه لا يقدر على ذلك، كما قال تعالى حكاية عنه:"ومَا كانَ لي عَليكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ"(ابراهيم22)، و(ما) هنا وارد على ما يزعمه العرب و يعتقدونه من أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، وأن الجني يمسه فينخلط عقله، وليس لذلك حقيقةوليس بشيء، بل هو من تخبط الشيطان بقائله ومن زعماته المردود بقواطع الشرع فقد ورد "ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخا" وفي بعض الطرق "إلا طعن الشيطان في خاصرته" ومن ذلك يستهل صارخا إلا مريم وابنها لقول أمها:"وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم"(آل عمران36) وقوله صلى الله عليه وسلم: (كفوا صبيانكم أول العشاء فإنه وقت انتشار الشياطين) وقد ورد في حديث المفقود الذي اختطفه الشياطين وردته في زمنه عليه الصلاة

والسلام أنه حدث من شأنه معهم قال:"فجاءني طائر كأنه جمل قبعثرى فاحتملني على خافيه من خوافيه" إلى غير ذلك من الآثار"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية (الربوا) كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها شبيها بواو الجمع (لا يقومون) إذا بعثوا من قبورهم (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون، والمسّ الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضا من زعمائهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله، وكذلك جنّ الرجل معناه ضربته الجنّ ورؤيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات.فإن قلت: بم يتعلق قوله(من المسّ) قلت: بلا يقومون: أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلق بيقرم: أي كما يقوم المصروع من جنونه. والمعنى: أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذلك)العقاب بسبب قولهم (إنما البيع مثل الربا) فإن قلت: هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين؟ قلت: جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع"[2].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.البقرة(275)

[1] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الألوسي، م 2، ج 3، ص66-67.
[2]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 398-394.

الرِّبَا: الزِّيَادَةُ يُقَالُ: رَبَا يَرْبُو وَأَرْبَاهُ غَيْرُهُ. وَأَرْبَى الرَّجُلُ، عَامَلَ بِالرِّبَا، وَمِنْهُ الربوة والرابي. وَقَالَ حَاتِمٌ: وَأَسْمَرَ خَطِّيًّا كأن كعوبه ... نوى القشب قَدْ أَرْبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ.

وَكُتِبَ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَاوِ وَالْأَلِفِ بَعْدَهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ بِالْيَاءِ لِلْكَسْرَةِ، وَبِالْأَلِفِ. وَتُبْدَلُ الْبَاءُ مِيمًا قَالُوا: الرِّمَا، كَمَا أَبْدَلُوهَا فِي كَتَبَ قَالُوا: كَتَمَ، وَيُثَنَّى: رِبَوَانِ، بِالْوَاوِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، لِأَنَّ أَلِفَهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنْهَا. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: وَيُكْتَبُ بِالْيَاءِ، وَكَذَلِكَ الثُّلَاثِيُّ الْمَضْمُومُ الْأَوَّلُ نَحْوُ: ضُحَى، فَتَقُولُ: رِبَيَانِ وَضَحْيَانِ، فَإِنْ كَانَ مَفْتُوحًا نَحْوَ: صَفَا، فَاتَّفَقُوا عَلَى الْوَاوِ.

وَأَمَّا الرِّبَا الشَّرْعِيُّ فَهُوَ مَحْدُودٌ فِي كُتُبِ الْفُقَهَاءِ عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ.

تَخَبَّطَ: تَفَعَّلَ مِنَ الْخَبْطِ وَهُوَ الضَّرْبُ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ، وَخَبَطَ الْبَعِيرُ الْأَرْضَ بِأَخْفَافِهِ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَتَصَرَّفُ وَلَا يَهْتَدِي: خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَتَوَرَّطَ فِي عَمْيَاءَ. وَقَوْلُ عَلْقَمَةَ:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ... أَيْ: أَعْطَيْتَ مَنْ أَرَدْتَ بِلَا تَمْيِيزٍ كَرَمًا.والأكل هنا قيل على ظاهره من خصوص الأكل، وأن الخبر: عنهم، مختص بالآكل الربى، وقيل: عبر عن معاملة الربا وأخذه بالأكل، لأن الأكل غالب ما ينتفع به فيه، كما قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَا﴾ وقيل: الربا هنا كناية عن الحرام، لا يخص الربا الذي في الجاهلية، ولا الربا الشرعي. وقرأ العدوي: الربو، بالواو وقيل: وهي لغة الحيرة، ولذلك كتبها أهل الحجاز بالواو لأنهم تعلموا الخط من أهل الحيرة، وهذه القراءة على لغة من وقف على أفعى بالواو، فقال: هذه أفعو، فأجرى هذا القارىء الوصل إجراء الوقف.

وحكى أبو زيد: أن بعضهم قرأ بكسر الراء وضم الباء وواو ساكنة، وهي قراءة بعيدة، لأن لا يوجد في لسان العرب اسم آخره واو قبلها ضمة، بل متى أدى التصريف إلى ذلك قلبت تلك الواو ياءً وتلك الضمة كسرة،وقد أولت هذه القراءة على أنها على لغة من قال: في أفعى: أفعو، في الوقف. وأن القارىء إما أنه لم يضبط حركة الباء، أو سمى قربها من الضمة ضماً.

و: لا يقومون، خبر عن: الذين، ووقع في بعض التصانيف أنها جملة حالية، وهو بعيد جداً، إذ يتلكلف إضمار خبر من غير دليل عليه. وظاهر هذا الإخبار أنه عن الذين يأكلون الربا، وقيل: هو إخبار ووعيد عن الذين يأكلون الربا مستحلين ذلك، بدليل قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ﴾ وقوله:

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ وقوله: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ومن اختار حرب الله ورسوله فهو كافر، وهذا القيام الذي في الآية قيل هو يوم القيامة.

وقال ابن عباس، ومجاهد، وجبير، والضحاك، والربيع، والسدي، وابن زيد: معناه لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة إلاَّ كالمجانين، عقوبة لهم وتمقيتاً عند جمع المحشر، ويكون ذلك سيما لهم يعرفون بها، ويقوي بهذا التأويل قراءة عبد الله: لا يقومون يوم القيامة.

وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه كأنه يخبط في المعاملات في الدنيا، فجوزي في الآخرة بمثل فعله. وقد أثر في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أكلة الربا، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، وذكر حالهم أنهم إذا قاموا تميل بهم بطونهم فيصرعون، وفي طريق أنه رأى بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم.

قال ابن عطية: وأما ألفاظ الآية فيحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون، لأن الطمع والرغبة يستفزه حتى تضطرب أعضاؤه،كما يقوم المسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته، إما من فزع أو غيره قد جن. هذا وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

وتصبح عن غب السرى وكأنها *** *** ألمَّ بها من طائف الجن أولق

لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود وتظاهرت به أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل. وهو حسن، إلاّ كما يقوم الكاف في موضع الحال، أو نعتاً لمصدر محذوف على الخلاف المتقدم بين سيبويه وغيره، وتقدم في مواضع.

و: ما، الظاهر أنها مصدرية، أي: كقيام الذي، وأجاز بعضهم أن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره إلاَّ كما يقومه الذي يتخبطه الشيطان. قيل: معناه كالسكران الذي يستجره الشيطان فيقع ظهراً لبطن، ونسبه إلى الشيطان لأنه مطيع له في سكره.

وظاهر الآية أن الشيطان يتخبط الإنسان، فقيل ذلك حقيقة هو من فعل الشيطان بتمكين الله تعالى له من ذلك في بعض الناس، وليس يفي العقل ما يمنع من ذلك، وقيل: ذلك من فعل الله لما يحدثه فيه من غلبة السوء أو انحراف الكيفيات واحتدادها فتصرعه، فنسب إلى الشيطان مجازاً

تشبيهاً بما يفعله أعوانه مع الذين يصرعونهم، وقيل: أضيف إلى الشيطان على زعمات العرب أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه، فورد على ما كانوا يعتقدون، يقولون: رجل ممسوس، وجُنَّ الرجل.

قال الزمخشري: ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عنده كإنكار المشاهدات.

وتخبط هنا: تفعَّل، موافق للمجرد، وهو خبط، وهو أحد معاني: تفعل، نحو: تعدى الشيء وعداه إذا جاوزه.

من المس، المس الجنون يقال: مسفهو ممسوس وبه مس. أنشد ابن الأنباري، رحمة الله تعالى:

أعلل نفسي بما لا يكون *** *** كذي المس جن ولم يخنق

وأصله من المس باليد، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه، وسمي الجنون مساً كما أن الشيطان يخبطه ويطأه برجله فيخيله، فسمي الجنون خبطة، فالتخبط بالرجل والمس باليد، ويتعلق: من المس، بقوله: يتخبطه، وهو على سبيل التأكيد، ورفع ما يحتمله يتخبطه من المجاز إذ هو ظاهر في أنه لا يكون إلاَّ من المس، ويحتمل أن يراد بالتخبط الإغواء وتزيين المعاصي، فأزال قوله: من المس، هذا الاحتمال. وقيل: يتعلق: بـ يقوم، أي: كما يقوم من جنونه المصروع.وقال الزمخشري: فإن قلت: بم يتعلق قوله: من المس؟ قلت: بـ لا يقومون، أي: لا يقومون من المس الذي بهم إلاَّ كما يقوم المصروع.

وكان قد قدم في شرح المس أنه الجنون، وهو الذي ذهب إليه في تعلق: من المس، بقوله:لا يقومون، ضعيف لوجهين:

أحدهما: أنه قد شرح المس بالجنون، وكان قد شرح أن قيامهم لا يكون إلاَّ في الآخرة، وهناك ليس بهم جنون ولا مس، ويبعد أن يكنى بالمس الذي هو الجنون عن أكل الربا في الدينا، فيكون المعنى: لا يقومون يوم القيامة. أو من قبورهم من أجل أكل الربا إلاَّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، إذ لو أريد هذا المعنى لكان التصريح به أولى من الكناية عنه بلفظ المس، إذ التصريح به أبلغ في الزجر والردع.

الوجه الثاني: أن ما، بعد: إلا، لا يتعلق بما قبلها، إلا إن كان في حيز الاستثناء، وهذا ليس في حيز الاستثناء، ولذلك منعوا أن يتعلق ﴿بالبينان والزبر﴾ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾، وإن التقدير: ما أرسلنا بالبينات والزبر إلا رجالا"[1].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ... ﴾ البقرة(275)

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"وقوله عز وجل:﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ المعنى: الذين يأكلون الربا لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون، من حال جنونه، زعم أهل التفسير أن ذلك عَلَمٌ لهم في الموقف، يَعْرِفُهُم به أهل الموقف، يُعْلم به أنهم أَكَلَةُ الربا في الدنيا، يقال بفُلان مَسٌ، وهو ألْمَس وأَوْلَق"[2].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"التفسير: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أي الذين يتعاملون بالربا ويمتصون دماء الناس لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع من جنونه، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سويا، يقومون مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند الموقف هتكًا لهم وفضيحة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أي ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرمه الله، وقوله: الربا كالبيع فلماذا يكون حرامًا؟ قالى تعالى ردا عليهم ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ أي أحل الله البيع لما فيه من تبادل المنافع، وحرم الربا لما فيه من الضرر الفادح بالفرد والمجتمع"[3].

2: إعرابه:

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

1 - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج2، ص 703-707

2 - معاني القرآن الكريم، الزجاج، ج1، ص304

3 - صفوة التفاسير، الصابوني، م1، ص158.

"﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ رفع بالابتداء والخبر ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ لأنه تأنيث غير حقيقي أي فمن جاءه وعظ كما قال: إنّ السماحَةَ والمروءةَ ضُمِنَا"[1].

قال الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم)

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. البقرة(275)

'إلا' للحصر، و'الكاف' نائب مفعول مطلق و'ما' مصدرية، أي قياما مثل قيام. والمصدر 'بأنهم قالوا' مجرور بالباء متعلق بالخبر. وجملة 'هم فيها خالدون' خبر ثان لأولئك في محل رفع[2].**قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).**

"﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. يأكلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والوا ضمير متصل في محل رفع فاعل.الربا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على الألف للتعذر والجملة الفعلية((يأكلون الربا)) صلة الموصول لا محل لها.

لا يقومون إلاَّ كَمَا: الجملة الفعلية: في محل رفع خبر المبتدأ((الذين)).لا: نافية لا عمل لها.يقومون: تعرب مثل إعراب ((يأكلون)).إلاَّ: أداة حصر لا عمل لها بمعنى: لا يقومون من قبورهم.الكاف: حرف جر وتشبيه.ما: مصدرية.

يقوم الذي: الجملة الفعلية: صلة حرف مصدري لا محل لها.يقوم: فعل مضارع مرفوع بالضمة. الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل و((ما)) المصدرية: وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلق بمفعول مطلق محذوف. التقدير: لا يقومون قيامًا إلاّ مثل قيام الذييتخبطه الشيطان: الجملة الفعلية: صلة الموصول لا محل لها. يتخبطه: فعل

1 - إعراب القرآن ،أبي جعفر النحاس، ص 108

2- إعراب القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، ج1، ص108

مضارع مرفوع بالضمة والهاء ضمير متصل-ضمير الغائب-مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم. الشيطان: فاعل مرفوع بالضمة.

من المس ذلك: جار ومجرور متعلق بيتخبط. و((من)) هنا للتعليل. ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ اللام للبعد والكاف حرف خطاب والمشار إليه محذوف. التقدير: ذلك العقاب وحذف ((العقاب)) لأن ما قبله يدل عليه"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾كلام مستأنف مسوق لذكر حكم الربا، وهي الزيادة في المعاملة بالنقود. و'الذين' مبتدأ، وجملة 'ياكلون الربا' لا محل لها لأنها صلة الموصول. ﴿لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ 'لا' نافية، و'يقومون' فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، و'الواو' فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الذين، و'إلا' أداة حصر، و'كما يقوم' الكاف حرف جر، و'ما' مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول مطلق، أو حال، وجملة 'يقوموا' لا محل لها لأنها واقعة بعد موصول حرفي، والذي فاعل، وجملة 'يتخبطه الشيطان' لا محل لها لأنها صلة الموصول، و'من المس' جار ومجرور متعلقان بيقومون، أي: لا يقومون من جراء المس إلا كما يقوم المصروع، ولك أن تعلقهما بيقوم، أي: كما يقوم المصروع من جنونه، واختار أبو حيان تعليقهما بيتخبطون على سبيل التأكيد، ورفع ما يتحمله (يتخبطه) من المجاز، وهو وارد، وما اخترناه أولى.﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾اسم الإشارة مبتدأ، والإشارة إلى العذاب النازل بهم، و'الباء' حرف جر، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك، أي: بسبب قولهم، وجملة الإشارة استئنافية، و'قالوا' فعل ماض مبني على الضم، و'الواو' فاعل. ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ 'إنما' كافة ومكفوفة مهملة، و'البيع' مبتدأ، و'مثل' خبر البيع، و'الربا' مضاف إليه وعلامة جره الكسرة المقدرة، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. 'الواو' حالية بتقدير قد بعدها، وفيه دلالة على أن القياس يهدمه

[1]- إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م1، ص560

النص، لأنه قد يكون فاسدا، وليس ثمة أفسد من قياسهم لتحليل ما حرم الله، و'أحل' فعل ماض، و'الله' فاعله، و'البيع' مفعول به، 'وحرم الربا' عطف، والجملة بعد الواو حالية"[1].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ...﴾ البقرة(275).

أول ما يلحظ –في غير كلام الله– أن الجملة موسعة، تداخلت وحداتها الإسنادية (يأكلون) (يقومون) (يقوم) (يقوم الذي) لتؤلف جملة مركبة.وبتحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية نجد: جملة اسمية تتألف من مبتدإ مسند إليه ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، وخبر مُسْنَدٍ ﴿لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ... ﴾

أما المبتدأ (المكون الاسمي) فيتألف من جزأين: الأول اسم موصول مبهم، والثاني صلة الموصول التي تتألف من فعل وفاعل ومفعول. وهو جملة تامة يمكن عَدُها منفصلةً مركباً إسنادياً أوجملة مفيدة يحسن السكوت عليها. لكنها من مكملات الاسم الموصول الذي هو مبتدأ في الجملة الموسعة الكبرى، وهي التي لا تفيد إلا داخل التركيب الإسنادي الكلي.

والخبر: ﴿لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ فقد جاء الخبر جملة فعلية منفية فيها حصر نوع الفعل (القيام) وجملة الحصر مجرورة بالكاف (ما بعد المصدرية كما تبين في إعراب الجملة).

فالبنية الإسنادية ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ... ﴾ هي جملة مفيدة أصولية مستقيمة الدلالة، بترتيب أصلي، لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا حذف، إنما هي جملة مركبة تامة العناصر مكتملة الدلالة.

إن العلاقات القائمة بين الوحدات الإسنادية والمركب الإسنادي هي علاقة تكاملية، فصِلات الموصول (يَأْكُلُونَ الرِّبَا) و(يقوم) و(يتخبطه الشيطان) اختصت كل منها باسم تحدده دلاليا، على أن

[1]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، م1، ص368

هذا الاسم متشابك في دلالته مع باقي عناصر الجملة، ولا يتضح التحديد إلا بالقرائن الإسنادية. فالواو في يقومون تعود على الذين ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، وهي التي تربط المسند ﴿لا يَقُومُونَ﴾ بالمسند إليه ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، فالعملية النحوية متشابكة معقدة، لأن واو الجماعة في كل فعل إنما يعود إلى الذين.

فكيف يمكن الفصل بينهما في دلالاتها، وهو ما يؤكد ترابط الوحدات الإسنادية داخل المركب الإسنادي لإنشاء المعنى المراد تبليغه، بمعنى أن كل وحدة إسنادية على حده ليست مركبا إسناديا مستقلا لأنها لا تحقق الفائدة معزولة عن غيرها، لكنها مجتمعة تشكل مركبا إسناديا مستقلا تركيبا ودلالة، فالتركيب من ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ إلى الإخبار عنهم ﴿لا لا يقومون إلا كما يَقُومُ ﴾،﴿ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ هو الجملة المفيدة التامة المستقلة بعناصرها، وهي البنية السطحية في اصطلاح تومشكي والتي كان بها التمدد والتوسع، فالمسند فيها كان جملة فعلية منفية نفيا غير حقيقي، لأن القول لا يقومون لا ينفي الفعل، إنما يحصره في الكيفية التي ذكرت الآية، هو قيام ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾، ولهذا كان التمدد، وبه كان التوسع.

أما الوحدات الإسنادية المحتواة داخل الجملة فهي في الموروث النحوي العربي جمل مقصودة لغيرها. ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ مقصودة لتكون صلة الموصول للذين، وكذلك 'يتخبطه الشيطان' فهي صلة الذين وقبلها 'يقوم' صلة ما.أما جملة 'لا يقومون' فجاءت خبرا للمبتدإ. وباقي الوحدات الإسنادية جاءت مقصودة لغيرها، ثم هي جمل لا محل لها من الإعراب باستثناء لا يقومون والتي جاءت خبر المبتدأ. وما يتخبطه التي في تأويل مصدر في محل جر مجرورة بحرف الجر. وهي كذلك جمل صغرى.

والخلاصة: فإن البنية الإسنادية للجملة العربية يمكن أن تلحق بها عناصر توسيعية تتمدد وفق ما تقتضيه الدلالة، وما يستوجبه البلاغ.

إن الجملة الكبرى في غير كلام الله انطلقت من معنى ذهني هو 'كيفية قيام آكلي الربا'.والأصل أن هناك ثلاثة معانٍ: الكيفية وأكل الربا والقيام. ثم يمكن ضبطها في أكل الربا وقيامهم. لكن أكل الربا يقتضي فاعلا والقيام كذلك؛ والفاعل غير محدد فكان 'الذين يأكلون الربا' فكأنما دمج الدال ووصفه في الدال ليتضح الدال والمدلول في صورة واحدة هي (الذين يأكلون

الربا)،ثم كان هو ذاته الذي يقوم فكان التعويض عن الذين وصِلتها بواو الجماعة فاعلا للفعل. وصار للبنية الإسنادية أركان تركيبية مستقيمة نحوا لكنها لا تضيف شيئا جديدا فكانت الكيفية وهي المقصودة بما تحمله من مقاصد المنع ودلالات العذاب،وكان لا بد من إحداث أسلوب يتوافق مع المراد تبليغه فكان الحصر والتشبيه الذي اقتضى زيادة أدوات على المكون التركيبي ليؤدي المكون الدلالي وظيفته.

لقد اقتضى المعنى الذهني إجراء عمليات معقدة لتوليد المعنى الجديد المراد تبليغه ابتداء من الترتيب مرورا بالربط بين الجمل المقصودة لغيرها والتعويض والزيادة في بعضها والوصل بين الوحدات وكل ما استلزمته قواعد التوليد التي عملت على التحويل من البنية العميقة إلى السطحية بكل دلالاتها، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا اعتماد قواعد النحو والتركيب إعمال العقل لأن التركيب اللغوي عملية عقلية تقوم على المعرفة المستفيضة بوسائل التركيب وكيفيات الصياغة

ومن ذلك نخلص إلى أن الوحدات الإسنادية بتحولاتها تندرج ضمن التحولات الدلالية للبنية الإسنادية التي هي 'المركب الإسنادي' وهو ما يؤكد علاقة الوحدات بالمركب في الجملة الكبرى، أو ما أسماه القدماء علاقة الجمل المقصودة لغيرها بالجمل المقصودة لذاتها.

خامسا: أثر نفسية المتلقي في ترتيب المكونات التركيبية وتحديد الدلالات.(وتعددالتأويلات)

لا يخفى دور الفضلة في التحول الدلالي وإبراز المعاني التي قد تختلف باختلاف الحالة النفسية للمتلقي وهي التي يكون لها الأثر المباشر في تعدد التأويلات.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ سورة الأنبياء95

1: تفسيره:

قال الألوسي: (روح المعاني).

"(وحرام على قرية) أي على أهل قرية، فالكلام على تقدير المضاف، أو القرية مجاز عن أهلها، والحرام مستعار للممتنع وجوده بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول، وقال الراغب: الحرام الممنوع منه إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع، أو من جهة من يرتسم أمره؛ وذكر أنه قد حمل هذه الآية على التحريم بالتسخير كما في قوله تعالى: (وحرمنا عليه المراضع).القصص12 وقرأ أبو حنيفة وحمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة والأعمش وأبو عمرو في رواية (حِرْم) بكسر الحاء وسكون الراء. وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء، وقرأ عكرمة (وحَرِمٌ) الحاء وكسر الراء والتنوين، وقرأ ابن عباس وعكرمة أيضا وابن المسيب وقتادة أيضا بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المضى، وقرأ ابن عباس وعكرمة بخلاف عنهما وأبو العالية وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضى أيضا وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قرأ بفتح الحاء والراء والميم على المضى أيضا وقرأ اليماني (وحُرِّمَ) بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم على أنه فعل ماض مبني لما لم يسمَّ فاعله.

(أهلكناها) أي قدرنا هلاكها وحكمنا به في الأزل لغاية طغيانه وعتوه في ما يزال. وقرأ السلمى وقتادة (أهلكتها) بتاء المتكلم، وقوله تعالى: (أنهم لا يرجعون) تأويل اسم مرفوع على الابتداء خبره (حرام) قال ابن الحاجب في أماليه: ويجب حينئذ تقديمه لما تقرر في النحو من أن الخبر عن أن يجب تقديمه،وجوز أن يكون (حرام) مبتدأ و(أنهم) فاعل له سدّ مسد خبره وإن لم يعتمد على نفي أو استفهام بناء على مذهب الأخفش فإنه لا يشترط في ذلك الاعتماد خلافا للجمهور كما هو مشهور وذهب ابن مالك أن رفع الوصف الواقع مبتدأ لمكتفَى به عن الخبر من غير اعتماد جائز

بلا خلاف وإنما الخلاف في الاستحسان وعدمه فسيبويه يقول: هو ليس بحسن، والأخفش يقول: هو حسن وكذا الكوفيون كما في شرح التسهيل، والجملة لتقرير ما قبلها من قوله تعالى: (كل إلينا راجعون) وما في أن من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد في (حرام) وتخصيص امتناع عدم رجوعه بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسب ما نطق به قوله تعالى: (كل إلينا راجعون) لأنهم المنكرون في البعث والرجوع دون غيرهم وهذا المعنى محكي عن أبي مسلم بن بحر، ونقله أبو حيان عنه لكنه قال: إن الغرض من الجملة على ذلك إبطال قول من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم من أنه لا كفران لسعي أحد وأنه يجزى على ذلك يوم القيامة، ولا يخفى ما فيه"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"ستعير الحرام للممتنع وجوده، ومنه قوله عز وجل –إن الله حرمهما على الكافرين– أي منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم. وقرئ حُرم حِرم بالفتح والكسر وحرم وحرم. ومعنى (أهلكناها) عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها. ومعنى الرجوع، الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة، ومجاز الآية أن قوما عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون ويقولون –يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين– يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب. وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل: وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور، ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك، والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا: أي لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأول. فإن قلت: بم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هي؟ قلت: هي متعلقة بحرام وهي غاية له، لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم الساعة"[2].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿وَحَرامٌ﴾ وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ وَالْأَعْمَشُ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ وَحِرْمٌ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ. وَقَرَأَ قَتَادَةُ وَمَطَرٌ الْوَرَّاقُ وَمَحْبُوبٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بِفَتْحِ

[1] روح المعاني، الألوسي، ص115-116.
[2]- الكشاف، الزمخشري، م2، ص583.

الْحَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ. وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ وَحَرِمٌ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالتَّنْوِينِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا وَابْنُ الْمُسَيَّبِ وَقَتَادَةُ أَيْضًا بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْمِيمِ عَلَى الْمُضِيِّ بِخِلَافٍ عَنْهُمَا، وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْمِيمِ عَلَى الْمُضِيِّ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ وَالْمِيمِ عَلَى الْمُضِيِّ. وَقَرَأَ الْيَمَانِيُّ وَحُرِّمَ بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مُشَدَّدَةً وَفَتْحِ الْمِيمِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿أَهْلَكْناها﴾ بِنُونِ الْعَظَمَةِ.

وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ وَقَتَادَةُ بِتَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، وَاسْتُعِيرَ الحرام للمتنع وُجُودُهُ وَمِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾ سورة الأعراف:50 وَمَعْنَى ﴿أَهْلَكْناها﴾ قَدَّرْنَا إِهْلَاكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَالْإِهْلَاكُ هُنَا إِهْلَاكٌ عن كفر و﴿لا﴾ فِي ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ صِلَةٌ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيدٍ كَقَوْلِكَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ، أَيْ يَرْجِعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمَعْنَى وَمُمْتَنِعٌ على أهل قرية قدرنا عَلَيْهِمْ إِهْلَاكَهُمْ لِكُفْرِهِمْ رُجُوعَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْإِيمَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ، فحينئذ يرجعون ويقولون ﴿يَا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وَغَيًّا بِمَا قَرُبَ مِنْ مَجِيءِ السَّاعَةِ وَهُوَ فَتْحُ ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وقرى ﴿إِنَّهُمْ﴾ بِالْكَسْرِ فَيَكُونُ الْكَلَامُ قَدْ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿أَهْلَكْناها﴾ وَيُقَدَّرُ مَحْذُوفٌ تَصِيرُ بِهِ ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها﴾ جُمْلَةً أَيْ ذَاكَ، وَتَكُونُ إِشَارَةً إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَذْكُورِ فِي قَسِيمِ هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ، وَالْمَعْنَى ﴿وَحَرامٌ عَلى﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ قدرنا إهلاكهم لكفرهم عمل صالح يَنْجُونَ بِهِ مِنَ الْإِهْلَاكِ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ وَعَلَّلَهُ بِأَنَّهُمْ ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الْكُفْرِ، فَكَيْفَ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ فَالْمَحْذُوفُ مُبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ ﴿وَحَرامٌ﴾ وَقَدَّرَهُ بَعْضُهُمْ مُتَقَدِّمًا كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْإِقَالَةُ وَالتَّوْبَةُ حَرَامٌ. وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالْفَتْحِ تَصِحُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَتَكُونُ ﴿لَا﴾ نَافِيَةً عَلَى بَابِهَا وَالتَّقْدِيرُ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. وَقِيلَ ﴿أَهْلَكْناها﴾ أَيْ وَقَعَ إِهْلَاكُنَا إِيَّاهُمْ وَيَكُونُ رُجُوعُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَيَتُوبُونَ بَلْ هُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْعَذَابِ. وَقِيلَ: الْإِهْلَاكُ بِالطَّبْعِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَالرُّجُوعُ هُوَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها﴾ حَكَمْنَا بِإِهْلَاكِهَا أَنْ نَتَقَبَّلَ أَعْمَالَهُمْ لِأَنَّهَا ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أَيْ لَا يَتُوبُونَ، وَدَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ قَبْلُ ﴿فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ﴾ أَيْ يُتَقَبَّلُ عَمَلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا عَقِيبَهُ وَبَيَّنَ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يُتَقَبَّلُ عَمَلُهُ.

وَقَالَ أَبُو مُسْلِمِ بْنُ بَحْرٍ ﴿حَرامٌ﴾ ممتنع و﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ انْتِقَامُ الرُّجُوعِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَإِذَا امْتَنَعَ الِانْتِفَاءُ وَجَبَ الرُّجُوعُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ رُجُوعُهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَيَكُونُ الْغَرَضُ إِنْكَارَ قَوْلِ مَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ، وَتَحْقِيقَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ لَا كُفْرَانَ لِسَعْيِ أَحَدٍ وَأَنَّهُ يُجْزَى عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: الْحَرَامُ يَجِيءُ بِمَعْنَى الْوَاجِبِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ سورة الأنعام:151 وَتَرْكُ الشِّرْكِ وَاجِبٌ. وَقَالَتِ الْخَنْسَاءُ:

حَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا *** عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى صَخْرِ

وَأَيْضًا فَمِنَ الِاسْتِعْمَالِ إِطْلَاقُ الضَّمِيرِ عَلَى ضِدِّهِ، وَعَلَى هَذَا فَقَالَ مُجَاهِد وَالْحَسَنُ ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الشِّرْكِ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: إِلَى الدُّنْيَا. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيَتَّجِهُ فِي الْآيَةِ مَعْنًى ضِمْنُهُ وَعِيدٌ بَيِّنٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ثُمَّ عَادَ إِلَى ذِكْرِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ مِنْ كَفْرِهِمْ وَمُعْتَقَدِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُحْشَرُونَ إِلَى رَبٍّ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى مَعَادٍ فَهُمْ يَظُنُّونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا عِقَابَ يَنَالُهُمْ، فَجَاءَتِ الْآيَةُ مُكَذِّبَةً لِظَنِّ هَؤُلَاءِ أَيْ وَمُمْتَنِعٌ عَلَى الْكَفَرَةِ الْمُهْلِكِينَ ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بَلْ هُمْ رَاجِعُونَ إِلَى عِقَابِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، فَيَكُونُ لَا عَلَى بَابِهَا وَالْحَرَامُ عَلَى بَابِهِ. وَكَذَلِكَ الْحُرُمُ فَتَأَمَّلْهُ"[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"قرئت: حِرمٌ وحَرَامٌ، هاتان أكثر القراءة، وقد قرئت: حَرُمَ على قريةٍ، وحَرِم على قُريةٍ، وحَرِم على قُرية، وجاء في التفسير: حَرِمٌ في معنى حَتْمٌ، وجاء أيضا عن ابن عباس أنه قال حتْمٌ عليهم ألاَّ يراجعوا إلى دنياهم، وجاء عنه قتادة أنهم لا يرجعون إلى توبة، وعند أهل اللغة حِرْمٌ وحَرِامٌ في معنى واحد مثل حِلّ وحلال، وظاهر "حرام عليهم أنهم لا يرجعون" يحتاج إلى أن يُبَيَّن ولا أعلم أحدا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير بينه"[2].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء 95، قال ابن عباس: أي ممتنع على أهل القرية أهلكناهم أنهم لا يرجعون بعد الهلاك إلى الدنيا مرة ثانية وفي رواية عنه ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي؛ لا يتوبون، قال ابن كثير: والأول أظهر وقال في البحر: المعنى وممتنع على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم الساعة فحينئذ يرجعون"[3].

2: إعرابه.

[1]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد الأندلسي، ج7، ص465-466

[2]- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج3، 328.

3 - علي الصابوني، صفوة التفاسير، الصابوني، م2، ص252.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

﴿"وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قراءة زيد بن ثابت وأهل المدينة، وعن علي وابن مسعود وابن عباس ﴿وَحِرْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾، وقد روي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿وحَرِمَ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ بفتح الحاء والميم وكسر الراء، وروي عنه بضم الراء وفتح الحاء والميم. والآية مشكلة، وقد ذكرنا فيها أقوالا: فمن أحسن ما قيل فيها وأجلّه ما رواه ابن عُيينة وابن عليّة وهشيمٌ وابن إدريس وحومد بن فضيل وسليمان بن حيان ومعلّى عن أبي داود ابن هند عن عكرمة عن ابن عباس رحمه الله في قوله جل وعز: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ قال وجب أنهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال: لا يتوبون.

قال أبو جعفر: واشتقاق هذا بيّن من اللغة، وشرحُهُ أنّ معنى حُرِّمَ الشيءُ حُظِرَ ومُنِعَ منه، كما أن معنى أُحِلّ أُبيح ولم يمنع، فإذا كان حرامٌ وحَرِمٌ بمعنى واحد فمعناه أنه قد ضُيِّقَ الخروجُ منه ومُنعَ فقد دخل في باب المحظور بهذا، فأما قول أبي عبيد: إنّ ﴿لا﴾ زائدة فقد ردّه عليه جماعة؛ لأنها لا تُزاد في مثل هذا الموضع، ولا فيما يقع فيه إشكال ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيدًا أيضًا، لأنه إن أراد: وحرام على قرية أهلكناها أنهم يرجعون إلى الدنيا، فهذا ما لا فائدة فيه، وإن أراد بالتوبة فالتوبة لا تُحَرِّمُ[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿"وحرامٌ" الواو مستأنفة، ومبتدأ، والجار "على قرية" متعلق بنعت لـ"حرام"، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنها موصوفة، وجملة 'أهلكناها' نعت ل 'قرية'، و'حرام' بمعنى واجب؛ نحو: "قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم ألا تشركوا"، وترك الشرك واجب، والمصدر "أنهم لا يرجعون" خبر المبتدأ. قال ابن عباس في تفسير الآية: واجب على قرية أهلكناها أنه لا يرجع منهم راجع"[2].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

وحرام على قرية: الواو استئنافية. حرام: مبتدأ مرفوع بالضمة المنونة. على قرية: جار ومجرور متعلق بحرام.

1 - أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، النحاس، ص558.

2- إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، م2، ص827.

أهلكناها: الجملة الفعلية في محل جر صفة –نعت– لقرية بمعنى عزمنا على إهلاكها أو قدرنا وهي فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الواحد المطاع و(نا) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل و(ها) ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

أنهم لا يرجعون: حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل و(هم) ضمير الغائبين مبني على السكون في محل نصب اسم (أنَّ). لا: نافية لا عمل لها. يرجعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل. والجملة الفعلية (لا يرجعون) في محل رفع خبر (أنّ)، و(أنّ) وما في حيزها من اسمها وخبرها بتأول مصدر في محل رفع خبر المبتدأ. (حرام) بمعنى عودتهم إلى الحياة مرة أخرى أو بمعنى لأنهم لا يرجعون"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الواو عاطفة من عطف الجمل، أو استئنافية، وحرام خبر مقدم، وعلى قرية متعلقان بحرام، وجملة أهلكناها صفة لقرية، وإن واسمها، وجملة لا يرجعون خبرها، وقيل: لا زائدة، وهو قول أبي عبيدة، كقوله: (ما منعك ألا تسجد) أي: يرجعون إلى الإيمان، والمعنى: وممتنع على أهل القرية قدرنا عليهم إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون، ويصح أن تكون نافية على بابها، والتقدير: لأنهم لا يرجعون. قال الزجاج: (وحرام على قرية أهلكناها): حكمنا بإهلاكها أن تتقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون، ودلّ على هذا المعنى قوله قبل: (فلا كفران لسعيه) أي: يتقبل عمله، ثم ذكر هذا عقيبه، وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

وعبارة ابن هشام في (المغني): (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) فقيل: لا زائدة، والمعنى: ممتنع على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة، وعلى هذا فحرام خبر مقدم وجوبا؛ لأن المخبر عنه أن وصِلتها"[2].

3: دراسة الشاهد.

[1] - إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م6، ص402-403.

[2]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، م5، ج17، ص74.

قال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء95

يُلحَظ بالتمعن في بعض التفاسير أن المفسرين قد اختلفوا –استنادا إلى القراءات– في اعتماد المكون الصوتي للألفاظ (حَرامٌ، وحِرمُ، وَحِرْمٌ، وحَرِمَ)."فقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها"[1]. وقرأ من غير العشرة بكسر الحاء وبفتحها؛ فاختلفوا في قراءتها واختلفوا أيضا في دلالتها المعجمية، فالمتلقي أو السامع المثالي، أعاد التركيب إلى أصوله وإلى دلالة الألفاظ المعجمية أولا، ليتحدد معلم المعنى الأساسي حسب نظم الجرجاني، والبنية العميقة عند تشومسكي، وهي المتكونة من المسند والمسند إليه إنهم لا يرجعون، حَرَامُ.

ومن مكونات الجملة يتضح شيئان: الامتناع والرجوع، وكلاهما يشكل وحدة إسنادية مع غيره لم يحسن السكوت عليها، لأنها كونت جزءا مما يجب أن يكتمل في المعنى العام. بينما يشكلان المعنى التام والإفادة الحقيقية بارتباطهما ببعضهما. ففي غير كلام الله "حرام الرجوع"، أو "الرجوع حرام"، وهذه هي البنية الإسنادية الأصلية التي بنيت عليها المعاني، وهي:في نظرية تشومسكي البنية العميقة، وفي نظرية الجرجاني المعنى الذهني.وهو التركيب الإسنادي.الذي بنيت عليه التراكيب الأخرى والدلالة المراد تبليغها.

وبالعودة إلى المتلقي الحصيف أو إلى السامع المثالي، نلمس المسحة النفسية التي جعلت البعض يختلف عن البعض في التأويل رغم اتفاقهم على دلالة الجملة. ذلك أن المفسر حقق المقصود من الدلالة، فالنحوي بحسب رؤيته حقق في كيفية.الترتيب، وذلك أن كليهما رتب المعنيين في نفسه أولا، ثم فصَّل في التركيب فمن أعرب (حرام مبتدأ) تقدم في نفسه الامتناع عن الرجوع بتأويلاته المتعددة: (التوبة، الرجوع إلى الدنيا ...)، ومن قدم الامتناع لأهميته جعله خبرا مقدما، فقد رأى العقاب مستحقا لأنهم لم يرجعوا عن غيهم، أو حرم عليهم الرجوع ولم يتوبوا ...، فكان الحرام خبرا له، أي عدم الرجوع.

[1] النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،تحقيق: نجيب الماجدي،شركة أبناء الأنصاري للطباعة والنشر، صيدا لبنان،دط، 2008، ص 599.

والملفت في هذا أن هذه المعاني لم تكن لتبرز لو لا تلك اللواحق من الصفات والمتعلقات والمفعولات المضمرة، فكأنما المعنى أنهم استحقوا ذلك لأنهم لا يتوبون أو لا يرجعون.

أما من الجانب النحوي فإن الجملة بها تقديم لا على نية التأخير: 'فحرام' تقدمت وهي الخبر، وهي وصف للممتنع من الرجوع بدليل (لا ترجعون) الذي هو المبتدأ، لأن ذلك هو السبب في الهلاك، وهو المحرم، بحكم أن الوصف يكون خبرا ولا يكون الموصوف خبرا لوصفه، وهو الأرجح. والخلاصة فإن للبنية الإسنادية دورا في التحول الدلالي وهو ما تبيّن واضحا 'حرام أن لا يرجعوا' التي تحولت إلى معنى الوعيد بالهلاك لأهل قرية لم تعد إلى الحق، ولم تتب إلى خالقها لتحمل دلالة شاملة تصريحا.بأن اللارجوع محرم على كل من تمادى في غيّه تشبها بأهل تلك القرية وهذه كلها معان تحملها الجملة، فكيف وهي آية من كلام الله.

قد يكون لوقع الكلام في نفس المتلقي دافع إلى التأويل بالتقديم والتأخير أو الحذف والتقدير في عناصر الإسناد من دون الإخلال بالدلالة ولا بتحولاتها لأن ذلك لا يجوز أن يكون إلا انطلاقا من البنية الأولى للعملية الإسنادية. التي يثبت بواسطتها ما آلت إليه المعاني بعد إجراءات التحويل المرتبطة بقواعد التحويل وبخطواته ومراحله التي يجب أن تضمن استقامة الكلام وأصولية الجملة، لأن أي خلل في تقدير دلالات المدخلات أو في مواضعها سوف يخلّ بقواعد التركيب فتتشعب التأويلات، ويضيع المعنى، ويسقط في المحال وغير الأصولي.

وفي ذلك كله لعبت الفضلات دورا في إبراز المعاني بما أحدثته على البنية من تحولات دلالية لأن الرجوع تحدد معناه وحدد أن الهلاك حاصل لأهل القرية وأهلكناها في عموم الآية وصف للقرية بينت مآل من لم يرجع ومن لا يرجعون، فتعمّم الحكم بالهلاك لمن كانوا وبالوعيد لمن يتبع أعمال أهل القرية، وهي معان لم يصرح بها في الجملة أصلا لكنها ثابتة سيقت من البنية الرئيسة ومما لحقها من مكمّلات.

سادسا: التقديم والتأخير والجمع بين المبتدأ ومعطوفه.

التقديم والتأخير مظهر من مظاهر التحول سواء في نظرية النظم أو في النظرية التوليدية التحويلية، وهو ملزم للمعطوف على المبتدأ -إن وُجد- أن يشكل معه المكون التركيبي الأساسيوهو (المركب العطفي) الملازم للمبتدأ إسنادا وترتيبا، فلا يمكن تقدم أحدهما دون الآخر ولا تأخره، لأنه يشاركه في المسند (الخبر)الذي لا يكون إلا مطابقا مهما تعددت المتعاطفات.

الشاهد:

قال تعالى:﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾الرحمن 11

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني):

وقوله تعالى فيها فاكهة إلخ... استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعة لنفع الأنام، وقد قيل حال مقدرة من الأرض، أو من ضميرها، فالأحسن حينئذ أن يكون الحال من المجرور، و(فاكهة) رفع على الفاعلية والتنوين بمعونة المقام للتكثير أي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) هي أوعية التمر أعني الطلع على ما روى ابن عباس جمع كم بكسر الكاف وقد تضم، وهذا في: كم الثمر وأما كم القميص فهو بالضم لا غير، أو كل ما يكم ويغطي من ليف وسعف وطلع فإنه مما ينتفع به كالمكموم من الثمر والجمّار مثلا،واختاره من اختاره، ومما ذكر يعلم فائدة التوصيف"[1].

وقال جار الله الزمخشري (الكشاف).

فاكهة ضروبا مما يتفكه به، والأكمام كل ما يكم، أي يغطي من ليفه وسعفه، وكفراة وكله منتفع به كما ينفع بالمكوم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل الأكمام أوعية الثمر، الواحد كم بكسر الكاف[2].

[1] - روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، الجزء27، ص 135.

2 - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص44

قال ابو حيان الاندلسي: (البحر المحيط)

فِيها فاكِهَةٌ: ضُرُوبٌ مِمَّا يُتَفَكَّهُ بِهِ. وَبَدَأَ بِقَوْلِهِ: فاكِهَةٌ، إِذْ هُوَ مِنْ بَابِ الِابْتِدَاءِ بِالْأَدْنَى وَالتَّرَقِّي إِلَى الْأَعْلَى، وَنَكَّرَ لَفْظَهَا، لِأَنَّ الِانْتِفَاعَ بِهَا دُونَ الِانْتِفَاعِ بِمَا يُذْكَرُ بَعْدَهَا. ثُمَّ ثَنَّى بِالنَّخْلِ، فَذَكَرَ الْأَصْلَ وَلَمْ يَذْكُرْ ثَمَرَتَهَا، وَهُوَ الثَّمَرُ لِكَثْرَةِ الِانْتِفَاعِ بِهَا مِنْ لِيفٍ وَسَعَفٍ وَجَرِيدٍ وَجُذُوعٍ وَجُمَّارٍ وَثَمَرٍ. ثُمَّ أَتَى ثَالِثًا بِالْحَبِّ الَّذِي هُوَ قِوَامُ عَيْشِ الْإِنْسَانِ فِي أَكْثَرِ الْأَقَالِيمِ، وَهُوَ الْبُرُّ وَالشَّعِيرُ وَكُلُّ مَا لَهُ سُنْبُلٌ وَأَوْرَاقٌ مُتَشَعِّبَةٌ عَلَى سَاقِهِ، وَوَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: ذُو الْعَصْفِ تَنْبِيهًا عَلَى إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَقُوتُهُمْ مِنَ الْحَبِّ، وَيَقُوتُ بَهَائِمَهُمْ مِنْ وَرَقِهِ الَّذِي هُوَ التِّبْنُ. وَبَدَأَ بِالْفَاكِهَةِ وَخَتَمَ بِالْمَشْمُومِ، وَبَيْنَهُمَا النَّخْلُ وَالْحَبُّ، لِيَحْصُلَ مَا بِهِ يُتَفَكَّهُ، وَمَا بِهِ يُتَقَوَّتُ، وَمَا بِهِ تَقَعُ اللَّذَاذَةُ مِنَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ. وَذَكَرَ النَّخْلَ بِاسْمِهَا، وَالْفَاكِهَةَ دُونَ شَجَرِهَا، لِعِظَمِ الْمَنْفَعَةِ بالنخل من جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَشَجَرَةُ الْفَاكِهَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثَمَرَتِهَا حَقِيرَةٌ، فَنَصَّ عَلَى مَا يَعْظُمُ بِهِ الِانْتِفَاعُ مِنْ شَجَرَةِ النَّخْلِ وَمِنَ الْفَاكِهَةِ دُونَ شَجَرَتِهَا.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ، بِرَفْعِ الثَّلَاثَةِ عَطْفًا عَلَى الْمَرْفُوعِ قَبْلَهُ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو حَيْوَةَ وَابْنُ أَبِي عبلة: بِنَصْبِ الثَّلَاثَةِ، أَيْ وَخَلَقَ الْحَبَّ. وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ وَالرَّيْحَانُ حَالَةَ الرَّفْعِ وَحَالَةَ النَّصْبِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ وَذُو الرَّيْحَانِ حَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَالْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو:

وَالرَّيْحَانُ بِالْجَرِّ، وَالْمَعْنَى: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ الَّذِي هُوَ عَلَفُ الْبَهَائِمِ، وَالرَّيْحَانُ الَّذِي هُوَ مَطْعَمُ النَّاسِ، وَيَبْعُدُ دُخُولُ الْمَشْمُومِ فِي قِرَاءَةِ الْجَرِّ، وَرَيْحَانٌ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ. وَأَجَازَ أَبُو عَلِيٍّ أَنْ يَكُونَ اسْمًا، وَوُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا عَلَى وَزْنِ فَعْلَانَ كَاللَّبَّانِ.

وَأُبْدِلَتِ الْوَاوُ يَاءً، كَمَا أَبْدَلُوا الْيَاءَ وَاوًا فِي أَشَاوَى، أَوْ مَصْدَرًا شَاذًّا فِي الْمُعْتَلِّ، كَمَا شَذَّ كَبَنُونَةٍ وَبَيْنُونَةٍ، فَأَصْلُهُ رَيْوِحَانٌ، قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ فَصَارَ رَيِّحَانَ، ثُمَّ حُذِفَتْ عَيْنُ الْكَلِمَةِ، كَمَا قَالُوا: مَيْتٌ وَهَيْنٌ[1].

وقال الزجاج معاني القرآن وإعرابه:

1_ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشر، بيروت، ص57-58

وقوله عز وجلّ (فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام)

معنى الأكمام ما غطّى، وكل شجرة تخرج ما هو مكمّم فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة ما غطّى جمّارها من السعف والليف والجدع، وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، والطلعة كمها قسرها، ومن هذا قيل للقلنسوة: كِمّة لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كما القميص لأنهما يغطيان اليد"[1].

وقال محمد على الصابوني (صفوة التفاسير):

(فيها فاكهة) أي فيهامن أنواع الفاكهة المختلفة الألوان والطعوم والروائح (والنخل ذات الأكمام) أي وفيها النخل التي يطلع فيها أوعية الثمر قال ابن كثير: أفرد النخل بالذكر لشرفه ونفعه رطبا ويابسا،والأكمام هي أوعية الطلع كما قال ابن عباس، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عنه العنقود فيكون بسرا ثم رطبا، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه"[2].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

فيها فاكهة مبتدأ والنخل ذات الأكمام عطف عليه، الواحد كم وهو ما أحاط بها من ليف وسعف وغيرهما.

والحب ذو العصف والريحان مرفوع على أنه عطف على فاكهة، أي وفيها الحب، ذو العصف نعت لها، والريحان عطف أيضا[3].

وقال محمد متولي الشعراوي 'إعراب القرآن الكريم':

" فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام' جملة '(فيها فاكهة): حال من الأرض. ذات: نعت.

والحب ذو العصف والريحان) 'الحَبّ' معطوف على النخل، 'ذو' نعت"[4].

---

[1] - معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج، ج5،ص76

[2]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني،المجلد 3،ص 276

3 - إعراب القرآن ،أبو جعفر النحاس، ص965

4 - إعراب القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي،ج3، ص 1352.

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي:(إعراب القرآن الكريم)

"فيها فاكهة: الجملة الاسمية في محل نصب حال من الأرض' فيها جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم. فاكهة: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة المنونة بمعنى: فيها ضروب مما يتفكه به.

والنخل ذات الأكمام: معطوفة بالواو على فاكهة' وتعرب مثلها بمعنى: وفيها النخل. ذات: صفة –نعت– للنخل مرفوع بالضمة وهو مضاف. الأكمام: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة بمعنى ذات الأوعية الثمرية والحب ذو: معطوف بالواو على فاكهة' مرفوع مثلها بالضمة أي وفيها الحب.ذو: صفة –نعت– للحَب مرفوع مثله وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف بمعنى: وفيها الحبوب كالقمح والشعير وكل ما يتغذى به"[1].

وقال محي الدين الدرويش (إعراب القرآن الكريم)

(فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام).

"فيها: خبر مقدم، وفاكهة مبتدأ مؤخر،والنخل عطف على فاكهة، وذات الأكمام صفة للنخل والجملة في محل نصب على الحال من الأرض"[2].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى:﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾الرحمن 11

وبتحليل الجملة في غير كلام الله يتبين أن هناك جملة اسمية تقدّم خبرها بما تقتضيه شروط تقدم الخبر في قواعد النحو العربي حين يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة؛ وهي جملة 'فيها فاكهة'. كما إن قواعد النظم تستوجب تقديم الخبر لقربه من الأرض المتكلم عنها والتي اضمر لها بالضمير 'ها'؛ لكن المتأمل في الجملة وفي المتعاطفين لا شكّ يدرك أيضا أن هناك مبتدأً آخر حذف خبره لدلالة ما سبق عليه، فـ'النخل' اسم معطوف على المبتدإ 'فاكهة' وشاركه الخبر ولم يُغْنِ ما بعده عن الخبر دلالة لأنه وصف له لا خبر عنه. وهنا يُلحظ أمران: أولهما ما ذكر، وحينها تكون الواو عاطفة

1_ إعراب القرآن الكريم، بهجت عبد الواحد الشيخلي، ج9، ص636-637

2_ إعراب القرآن الكريم، محي الدين الدرويش، ج7، ص 368

جملة على جملة، فيكون النخل مبتدأ وخبره محذوف يقدّر حسب التأويل استنادا إلى ما قبله؛ والثاني أن ' النخل' معطوف على فاكهة وحينها يمكن القول أن اسما معرفة موصوفا عُطف على نكرة؛ فإن تقدم خبر فاكهة فما سبب تقدم خبر 'النخل'؟ وهو معرفة مخصصة بالوصف وليس هناك من دواعي تقديم الخبر إلا النظم والبيان لأنه لو قيل: 'والنخل ذات الأكمام فيها' لعاد الضمير على 'فاكهة' و التبس المعنى بما لا يصح مع ما لا يأتيه الباطل أبدا. إن قواعد النحو تستوجب الترتيب الأصلي من مبتدإ وخبر في هذه الحالة كما إن حذف الخبر لا يستوجبه شيءٌ من قواعد التركيب، وأن 'النخل ذات الأكمام' في صياغتها ودلالتها لا يمكن أن تكون جملة تابعة لسابقتها رغم استقلالها على اعتبار أنها ليست جملة لخلوها من الخبر ومن أسباب حذفه. وهنا يتأكد أن النخل معطوف على فاكهة ليشتركا في الخبر، وعندها يكون كل منهما مسندا إليه ومسندهما واحد وهو شبه الجملة 'فيها'،وأن فاكهة ذكرت بالتنكير المخصص بمحذوف وهو (كثيرة أو متنوعة)، والمقام مقام وصف لما هو من النعم. في حين خُصّ النخل بالوصف (ذات الأكمام) لتخصيصه وتمييزه. والشاهد هنا هو هذا التحول الدلالي من بنية إسنادية بسيطة بدلالة المعنى المعجمي للفظ فاكهة ومكانها المحدد بشبه الجملة 'فيها' إلى دلالة التحضيض على التدبر في خالقها المنعم بها بإتاحتها في الأرض التي وضعت ولم تكن في السماء التي رفعت وإلى حمده والثناء عليه وإلى النظر إليها وهي المتنوعة الكثيرة التي تستدعي استحضار الذهن لتصوّر كل ما يفكه به وتخيّل أذواقها، ومنها التي لم يعرفها الإنسان ولم يرها من قبل، ويضاف إلى تلك المعاني التشوق لنيلها والسعي في طلبها وما إليه من المعاني والدلالات التي لا تكاد تحصى.

وفي ذلك دلالة متحولة كما سلف الذكر، تمّ فهمها بفضل تحليلات النظم وقواعده وما حدّده من تقديم، وحذف، وزيادة، وما عمله العقل من استحضار لقواعد اللغة ومعاني المدخلات، ومن تصورٍ لمقتضيات الحال، فكل ذلك أسهم في إدراك التحول الذي انطلق من معنى ذهني مجرد يشير إلى ما في الأرض التي سخرها الله بوضعها من فاكهة أغدق بها ومن نخل إلى دلالات تجاوزت إلى ما يقتضيه ا وجود تلك النعم ونيلها والاستمتاع بها من حمد وثناء؛ وهو ذاته ما أفضت إليه قواعد التحويل من البنية العميقة (فيها فاكهة) إلى باقي المعاني؛ وكان أيضا بفضل التحويل والحذف والزيادة والتقديم.

إن أهم ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن المعنى الذهني أو المعنى النواة هو ذاته المعنى التبليغي التواصلي، أو بعبارة أخرى فإن البنية العميقة هي ذاتها البنية السطحية وهو ما يشير إلى أن التحول الدلالي لا يكون فقط بالزيادة على المعنى الذهني الذي يشكل الجملة النواة أو البنية العميقة، وإنما يكون للسياق العام والعلاقات التي تربط بين المعاني الدور الفاعل في إحداث تلك التحولات كما في هذه الحالة؛ فالتحول الدلالي إذًا ينطلق من البنية الإسنادية الأولى: (الجملة النواة أو البنية العميقة) بما ترتبط به من إضافة المدخلات المعجمية مع ما تقتضيه قواعد النظم أو قواعد التحويل، أو بما ترتبط به من علاقات بغيرها مع الأبنية المجاورة أو بما يكون منهما معاً.

أما على المستوى التركيبي فقد يلاحظ الدارس تقدّم الخبر: 'فيها' على مبتدأين اثنين أو كانت له علاقة بمبتدإ ومعطوف عليه، فهو مسند للمبتدإ 'فاكهة 'ولا ريب، لكن و'النخل' تستوجب علاقة بالخبر ولو كانت معطوفة على المبتدإ.وهو ما يقود إلى القول بأن المعطوفات على المبتدإ تشكل معه "مركبا عطفيا" وتشاركه خبره ويكون لها جميعا خبر واحد مطابق أو أخبار، وقد أشير إلى هذا في موضع آخر من هذا البحث حين عُرض في قوله تعالى: 'والنجم والشجر يسجدان' الرحمن6.

سابعا: التوسع والزيادة في البنية الإسنادية وأثرهما في التحول الدلالي.

قد يكون التوسع في الجملة عموما، وهو مظهر من مظاهر التحول، لكنه قد يكون في أحد عنصري الإسناد أو كليهما، وهو بذلك يحمل دلالات ومعان تضاف إلى المعنى الأصلي للمدخل المعجمي، وبه يكون المؤشر الدلالي أوسع وأكثر إيحاء بما يراد تبليغه.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة184

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 184

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ أي أيها المطيقون المقيمون الأصحاء، أو المطوقون من الشيوخ والعجائز، أو المرخصون في الإفطار من الطائفتين، والمرضى والمسافرين، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب جبرا لكلفة الصوم بلذة المخاطبة، وقرأ أبيّ(والصيام) ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية أو تطوع الخير على الأولين، أو منهما ومن التأخير للقضاء على الأخير﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة، وجواب (إن) محذوف ثقة بظهوره-أي اخترتموه- وقيل: معناه إن كنتم من أهل العلم علمتم أن الصوم(خير لكم) من ذلك، وعليه تكون الجملة تأكيدا لخيرية الصوم وعلى الأول تأسيسا"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"(وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من برّ أو صاع من غيره عند أهل العراق، وعند أهل الحجاز مدّ وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم بالإفطار والفدية. وقرأ ابن عباس يطوّقونه تفصيل من الطوق إما بمعنى المطاقة أو القلادة: أي يكلفونه أو يقلدونه، ويقال لهم

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م1، ج2، ص227.

صوموا. وعنه يطوقونه. بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه، ويطوقونه بإدغام التاء في الطاء، ويطيقونه بمعنى يتطوقونه وأصلهما يطيقونه ويتطيقونه على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان: أحدهما نحو معنى يطيقونه، والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ، ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المطوقون وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير، ويجوز أن ينتظم في الخطاب والمريض والمسافر أيضا. وفي قراءة أبيّ (والصيام خير لكم)"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (**تفسر البحر المحيط**).

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وَقَرَأَ أُبَيٌّ: وَالصَّوْمُ خَيْرٌ لَكُمْ. هَكَذَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَطِيَّةَ. وَنَقَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ: أَنَّ قِرَاءَتَهُ: وَالصِّيَامُ خَيْرٌ لَكُمْ، وَالْخِطَابُ لِلْمُقِيمِينَ الْمُطِيقِينَ الصَّوْمَ، أَيْ: خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْفِطْرِ وَالْفِدْيَةِ، أَوْ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ، أَيْ: خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْفِطْرِ وَالْقَضَاءِ، أَوْ: لِمَنْ أُبِيحَ لَهُ الْفِطْرُ مِنَ الْجَمِيعِ. أَقْوَالٌ ثَلَاثَةٌ.

وَأَبْعَدَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِأَوَّلِ الْآيَةِ، وَهُوَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ﴾أَيْ: وَأَنْ تَصُومُوا ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَالظَّاهِرُ الْأَوَّلُ، وَفِيهِ حَضٌّ عَلَى الصَّوْمِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُحْذَفَ اخْتِصَارًا لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ أَيْ: مَا شَرَعْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، أَوْ فَضْلِ أَعْمَالِكُمْ وَثَوَابِهَا، أَوْ كَنَّى بِالْعِلْمِ عَنِ الْخَشْيَةِ أَيْ: تَخْشَوْنَ اللَّهَ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَقْتَضِي خَشْيَتَهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ فاطر.228[2].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 184

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص335.

[2]-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسيج2، ص192-193

"رفع خير خبر الابتداء، المعنى صومكم خير لكم، هذا كان خيرًا لهم مع جواز الفدية، فأما ما بعد النسخ فليس بجائز أن يقال: الصوم خير من الفدية والإفطار في هذا الوقت لأنه ما لا يجوز البتة فلا يقع تفضيل عليه فيوهم فيه أَنه جائز، وقد قيل إن الصوم الذي كان فرض في أَول الإسلام صوم ثلاثة أَيام في كل شهر ويوم عاشوراءِ، ولكن شهر رمضان نَسَخَ الفرضَ في ذلك الصوم كله"[1].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

قال تعالى: "﴿وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعملون﴾ أي والصوم خير لكم من الفطر والفدية إن كنتم تعلمون ما في الصوم من أجر وفضيلة، ثم بين تعالى وقت الصيام فقال: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾أي والأيام المعدودات التي فرضتها عليكم أيها المؤمنون هي شهر رمضان الذي ابتدأ فيه نزول القرآن حال كونه هداية للناس لما فيه من إرشاد إعجاز وآيات واضحات تفرق بين الحق والباطل"[2].

1: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة 184 ابتداء وخبر أي فالصوم خير لكم"[3].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: مبتدأ، و"خير" خبر المبتدأ.وجملة"إن كنتم تعلمون" مستأنفة لا محل لها، وجواب الشرط محذوف دَّل عليه ما قبله"[4].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

وأن تصوموا: الواو استئنافية. أن: حرف مصدري ناصب. تصوموا: فعل مضارع منصوب بأنْ وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة. الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف

[1]- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، 219.
[2] - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م1، ص 108.
[3]- إعراب القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، ص 76.
[4]- إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، م1، ص75.

فارقة وجملة ((تصوموا)) صلة حرف مصدري لا محل لها و((أن)) وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع مبتدأ أي وصومكم أو صيامكم.

خير لكم: خبر المبتدأ مرفوع بالضمة المنوّنة الظاهرة في آخره

لكم: جار ومجرور متعلق بخير والميم علامة جمع الذكور"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

قال تعالى: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ البقرة 184

"﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾الواو استئنافية مسوقة لتقرير الأفضلية، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ﴿خير﴾ خبره﴿لكم﴾ الجار والمجرور متعلقان بخبر﴿إن﴾شرطية ﴿كنتم﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها.﴿تعلمون﴾ الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم،.وجواب الشرط محذوف،...والجملة الشرطية تفسيرية للخبرية[2]".

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 184

ومما يلحظ في غير كلام الله من هذه التراكيب الإسنادية أن البنية الإسنادية 'أن تصوموا خير لكم' تتألف من مسند إليه 'أن تصوموا' ومسند 'خيرٌ'. وهما في النحو العربي: المبتدأ والخبر.

والبنية الإسنادية تؤلف جملة تامة المعنى تتوفر على الإفادة، فهي جملة مفيدة مستقيمة من منظور النظم للجرجاني تؤدي الوظيفة التبليغية التواصلية في غير لبس ولا غموض، وهي في منظور تشومسكي بنية سطحية أصولية يُكتفى بها لتبليغ المعنى المقصود تاما. وقد لحق بها شبه الجملة لكم المتعلقة بـ 'خير'.

[1] إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م1، 391-392-393-394.

[2] - إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويشي، م1، ج2، ص236.

لقد أضافت التوابع للجملة أن حددت لمن يكون الخطاب، فهو بذلك يبين المخاطبين لأنه من دون ذاك التوسع كان الخبر 'خير' مطلقا، قد يفهم منه العموم على أن الصوم خير أو أفضل، لكن الزيادة 'لكم' وجهت خير الصوم وحصرته في المخاطبين دون غيرهم، فالمعنى تحول من أن الصوم خير عموما إلى أنه خير يمسّ المخاطبين خصوصا دون غيرهم، وفي هذا تحول حدث وفق قواعد التحويل التشومسيكة، فالزيادة أضافت معنى جديدا.

كما أن المسند إليه 'أن تصوموا' متحول بفعل التوسع إلى أكثر من مورفيم، وكان في الأصل واحدا 'الصوم'، وبالتوسع تحول جملة أو وحدة إسنادية تتكون من حرف مصدري وفعل مسند وفاعل، فكان الفعل تصوم مسندا إلى واو جماعة المخاطبين، وهذا التحول يحمل معنى إضافيا عن المصدر الصريح 'الصوم' لأن المصدر المؤول يحمل التحضيض على الفعل في هذا المعنى كما يحمل معنى الاختيار أيضا، بينما الأصل الصريح ثابت لا يدل إلا على معناه المعجمي لكنه بفضل التوسع حمل دلالات جديدة منها التحضيض، وتحديد المخاطبين، وجمعهم؛ وهو ما لم يكن من دلالات المصدر الصريح.ويضاف إلى ذلك الاختيار بعد الإسناد. فالتوسع تحوّلٌ في المعاني إن في النظم وإن في التوليد والتحويل.

إن هذا التحول الذي حدث على المكون الاسمي للبينية العميقة 'الصوم خير' اقتضى الزيادة للمحافظة على الحدث الفعلي وأثبت الفاعل للفعل واو الجماعة، وظلت الجملة أصولية، وهذا هو التحول الدلالي الذي طرأ على البنية العميقة ونقلها من الصوم المطلق إلى التحضيض على الصوم مع الاختيار لمجموع المخاطبين.

أما من حيث النظم فقد احتفظت البنية بترتيبها الأصلي كونها جملة اسمية مبتدأها مؤول ينوب عن مصدر صريح 'الصوم' مثبت له المعنى، وخبرها 'خير' مثبت به المعنى للمبتدإ، والأصل 'الصوم خير'، وقد تم التحول في الدلالة بإضافة معنى الفعل الذي يفيد الاختيار والحض على الفعل، كما أن الفرق في الوصف تحقق بالتنكير في الخبر، فالخبر 'خير' أضاف معنى الإفطار المباح وهو الخيار الثاني، وأظهر التخيير والأفضلية، فالمدخل المعجمي 'خير' يدل على الأفضلية في حال اختيار الصوم، ويوحي إلى الخير أيضا بتأويل المتلقي، فخير هنا تدل على التفضيل كما تدل على الخير، لأن المعنى

في نفس المتلقي وذهنه هو أفضلية اختيار الصوم وفعله على الإفطار، وهو ما يستحسن اختياره في حالة من يطيقونه فيما سبق من حالات.

إن الدلالة المتحولة عن المعنى الأولي من إسناد المورفيمات أحدها إلى الآخر يتسع تأويلها إلى ما لا يتنافى مع أصله، بل يحتفظ به مع زيادةٍ تطابقهُ.

والخلاصة فإن البنية الإسنادية المؤلفة من مسند إليه على شكل وحدة إسنادية تحول صرفيا عن مصدر صريح، ومن مسند تلا مسنده في ترتيب طبيعي للجملة الاسمية، الأصل فيهما أنهما متحولان تركيبا ودلالة، بمعنى أن هناك توليدا لجملة أخرى من البنية العميقة، وتحولا في الدلالة على مستوى البنية السطحية.

ومما سبق يُلْحَظ أن تحول المصدر الثابت الصريح إلى مصدر مؤول، إنما يكون لأغراض تضاف إلى المعنى الأولي لإنشاء التحول الدلالي، فإن كان الصوم خيرا فإن 'أن تصوموا' تحمل معنى التحضيض أيضا، وتحول الحاصل نظما وتوليدا.الصيام من عموم خيره إلى السعي إلى خيره، فالصوم خير إخبار مجرد يعطي السامع الاختيار في الفعل من عدمه، بينما وأن تصوموا تؤدي معنى اختيار الفعل مع التحضيض عليه بالسعي إلى فعله، ولم يكن ذلك إلا بفضل التحول.

إن التوسع في تحويل المصدر الصريح مصدرا مؤولا لا يختص دلالةً بأمر واحد إنما يُحدِث ذلك زيادة على المعنى الصريح تُفهم من مدلول البنية الإسنادية وعلاقتها بالحكم السابق أو المعنى اللاحق أو بالمعنى العام لأصل الجملة، فإن كان ما يفهم من "﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾البقرة 184هو الاختيار مع التحضيض فإن ما يفهم من قوله تعالى: "﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾النساء 23 هو التحريم مع التحذير. ومن هنا يتضح أن التوسع في عنصري البنية الإسنادية أحدهما أو كليهما يضيف معاني جديدة ودلالات على المدخل المعجمي كما تضيف الزيادة معاني أخرى للمعنى العام وهو مظهر من مظاهر التحول الدلالي.الذي تلعب البنية الإسنادية دورا رئيسا فيه.

ثامنا: الزيادة ودورها في تحديد الزمن الداخلي والخارجي للأحداث وإضافة معاني ليست من دلالات المدخلات المعجمية.

كل تحوّل دلالي يطرأ على البنية السطحية يرتبط بطبيعة الجملة ومدخلاتها المعجمية ومؤشراتها الدلالية، ومن ذلك ما يحدد الزمن الداخلي والزمن الخارجي للأحداث التي تشملها البنية الواحدة أو البنى المترابطة كما في الشاهد الآتي.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات الآية 25

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

﴿"إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ظرف للحديث لأنه صفة في الأصل، أو للضيف، أو (المكرمين) إن أريد إكرام إبراهيم لأن إكرام الله تعالى إياهم لا يتقيد، أو منصوب بإضمار اذكر ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي؛ نسلم عليك سلاما، وأوجب في البحر حذف الفعل لأن المصدر سادّ مسدّه فهو من المصادر التي يجب حذف أفعالها، وقال ابن عطية: يتجه أن يعمل في (سلاما) قالوا: على أن يجعل في معنى قولا ويكون المعنى حينئذ أنهم قالوا: تحية وقولا معناه (سلامٌ) ونسب إلى مجاهد وليس بذاك.

(قال سلامٌ) أي عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته أحسن من تحيتهم أخذًا بمزيد الأدب والإكرام، وقيل: (سلامٌ) خبر مبتدأ محذوف أي أمري (سلام) وقرئا مرفوعين، وقرئ (سلاما قال سِلمًا) بكسر السين وإسكان اللام والنصب، والسلم السلام، وقرأ ابن وثاب، والنخعي، وابن جبير، وطلحة (سلاما قال سِلمٌ) بالكسر والإسكان والرفع، وجعله في البحر على معنى نحن أو أنتم سلم (قوم منكرون) أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الإسلام، أو لأنهم عليهم السلام ليسوا ممن عهدهم من الناس، أو لأن أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس، و(قومٌ) خبر مبتدأ محذوف والأكثر على أن التقدير: أنتم قوم منكرون وأنه عليه السلام قاله لهم للتعرف كقولك لمن لقيته: أنا لا أعرفك، تريد عرف لي نفسك وصفها، وذهب بعض المحققين إلى أن الذي يظهر أن التقدير هؤلاء (قوم منكرون) وأنه عليه السلام قاله في نفسه، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه من غير أن يشعرهم بذلك فإنه الأنسب بحاله عليه السلام لأن في خطاب الضيف

بنحو ذلك إيحاشا ما، وطلبه به أن يعرفوه حالهم لعله لا يزيل ذلك، وأيضا لو كان مراده ذلك لكشفوا أحوالهم عند القول المذكور ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم وإلا فيما 'في ضيف' من معنى الفعل أو بإضمار اذكر (سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغني به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما. وأما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف معناه: عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى، وهذا أيضا من إكرامه لهم. وقرئا مرفوعين، وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام، وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام، أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم، كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم، أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال: أنتم قوم منكرون فعرّفوني من أنتم"[2].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ، فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ، وَفِي مُوسى إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ، فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ، وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ، وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

[1] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م14، ج27، ص17-18.

[2]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص17-18.

﴿هَلْ أَتاكَ﴾: تَقْرِيرٌ لِتَجْتَمِعَ نَفْسُ الْمُخاطَبِ، كَمَا تَبْدَأُ الْمَرْءَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَدِّثَهُ بِعَجِيبٍ، فَتُقَرِّرَهُ هَلْ سَمِعَ ذَلِكَ أَمْ لَا، فَكَأَنَّكَ تَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ لَا. وَيَسْتَطْعِمُكَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ تَفْخِيمٌ لِلْحَدِيثِ وَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمِ رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا عَرَفَهُ بِالْوَحْيِ، وَضَيْفُ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهِ سَوَاءٌ. وَبَدَأَ بِقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً عَنْ قِصَّةِ عَادٍ، هَزْمًا لِلْعَرَبِ، إِذْ كَانَ أَبَاهُمُ الْأَعْلَى، وَلِكَوْنِ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَيْهِ جَاءُوا بِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، إِذْ كَذَّبُوهُ، فَفِيهِ وَعِيدٌ لِلْعَرَبِ وَتَهْدِيدٌ وَاتِّعَاظٌ وَتَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ. وَوَصَفَهُمْ بِالْمُكْرَمِينَ لِكَرَامَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْمَلَائِكَةِ: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾[الأنبياء:26]، قَالَهُ الْحَسَنُ، فَهِيَ صِفَةٌ سَابِقَةٌ فِيهِمْ، أَوْ لِإِكْرَامِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُمْ، إِذْ خَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ وَزَوْجَتِهِ سَارَّةَ وَعَجَّلَ لَهُمُ الْقِرَى. وَقِيلَ: لِكَوْنِهِ رَفَعَ مَجَالِسَهُمْ فِي صِفَةٍ حَادِثَةٍ. وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: الْمُكَرَّمِينَ بِالتَّشْدِيدِ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمْ ضَيْفَ، لِكَوْنِهِمْ فِي صُورَةِ الضَّيْفِ حَيْثُ أَضَافَهُمْ إِبْرَاهِيمُ، أَوْ لِحُسْبَانِهِ لِذَلِكَ. وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ عَدَدِهِمْ فِي سُورَةِ هُودٍ. وَإِذْ مَعْمُولَةٌ لِلْمُكْرَمِينَ إِذَا كَانَتْ صِفَةً حَادِثَةً بِفِعْلِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَّا فَبِمَا فِي ضَيْفِ مِنْ مَعْنَى لفعل، أَوْ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ، وَهَذِهِ أَقْوَالٌ مَنْقُولَةٌ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: قَالُوا سَلَامًا، بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ السَّادِّ مَسَدَّ فِعْلِهِ الْمُسْتَغْنَى بِهِ.

﴿قالَ سَلامٌ﴾ بِالرَّفْعِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفُ الْخَبَرِ تَقْدِيرُهُ: عَلَيْكُمْ سَلَامٌ. قَصَدَ أَنْ يُجِيبَهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا حَيَّوْهُ أَخْذًا بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ سَلَامًا دُعَاءٌ. وَجُوِّزَ أَنْ يَكُونَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ محذوف، أي أَمْرِي سَلَامٌ، وَسَلَامٌ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ قَدْ تَحَصَّلَ مَضْمُونُهَا وَوَقَعَ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيَتَّجِهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي سَلَامًا قَالُوا، عَلَى أَنْ يَجْعَلَ سَلَامًا فِي مَعْنَى قَوْلًا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ: أَنَّهُمْ قَالُوا تَحِيَّةً وَقَوْلًا مَعْنَاهُ سَلَامًا، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ. وَقَرَأَ ابْنُ وَثَّابٍ، وَالنَّخَعِيُّ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَطَلْحَةُ: قَالَ سِلْمٌ، بِكَسْرِ السِّينِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ، وَالْمَعْنَى: نَحْنُ سِلْمٌ، أَوْ أَنْتُمْ سِلْمٌ، وقرئا مرفوعين. وقرىء: سَلَامًا قَالُوا سِلْمًا، بِنَصْبِهِمَا وَكَسْرِ سِينِ الثَّانِي وَسُكُونِ لَامِهِ. ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَنْكَرَ سَلَامَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ وَذَلِكَ الزَّمَانِ. وَقِيلَ: لَا نُمَيِّزُهُمْ وَلَا عَهْدَ لَنَا بِهِمْ. وَقِيلَ: كَانَ هَذَا سُؤَالَهُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَنْتُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَعَرِّفُونِي مَنْ أَنْتُمْ. وَقَوْمٌ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ قَدَّرَهُ أَنْتُمْ، وَالَّذِي يُنَاسِبُ حَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ لَا يُخَاطِبُهُمْ بِذَلِكَ، إِذْ فِيهِ مِنْ عَدَمِ الْإِنْسِ مَا لَا يَخْفَى، بَلْ يَظْهَرُ أَنَّهُ يَكُونُ

التَّقْدِيرُ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. وَقَالَ ذَلِكَ مَعَ نَفْسِهِ، أَوْ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَغِلْمَانِهِ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُ ذَلِكَ الْأَضْيَافُ"1.

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

قال تعالى: "﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ وقرئت: فنصب الأولى على معنى السلام عليكم سلام، وسلمنا عليك سلاما، ومن قرأ (قال سلامٌ) فهو على وجهين: على معنى قال سلام عليكم، ويجوز أن يكون على معنى أمرنا سلام، ومن قرأ سِلمٌ فالمعنى قال سلم، أي أمري سِلمٌ، وأمرنا سِلمٌ أي لا بأس علينا.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ رفعه على معنى أنتم قوم منكرون"2.

قال محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي؛ حين دخلوا على إبراهيم قالوا: نسلم عليك سلامًا ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي؛ قال عليكم سلام أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم؟ قال ابن كثير: وإنما أنكرهم لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا أنكرهم وقال أبو حيان: والذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك، إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى، وإنما قال ذلك في نفسه، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه، بحيث لا يسمع ذلك الأضياف"3.

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

"(إذ دخلوا عليه) أي حين دخلوا (فقالوا سلاما) منصوب على المصدر، ويجوز أن يكون منصوبا بوقوع الفعل عليه. ويدلّ على صحة هذا الجواب أن سفيان روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (قالوا سلاما) قال سدادًا. (قال سلامٌ) مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف أي أمري سلام، وقرأ

1 - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي،ج9، ص554-.555

2 - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص44-45.

3 - صفوة التفاسير، الصابوني، ج3، ص235-236.

حمزة والكسائي (قال سِلمٌ)، وفيه تقديران: أحدهما أن يكون سلام وسِلم بمعنى واحد مثل حِلّ وحَلالَ، ويجوز أن يكون التقدير: نحن سِلمٌ (قوم منكرون) على إضمار مبتدأ وإنما أنكرهم في قبل؛ لأنه لم يعرف في الأضياف مثلَهُم"[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات 25

"إذ" ظرف متعلق بحال من "حديث"، أي: هل أتاك حديثهم واقعا وقت دخولهم عليه، "سلاما" نائب مفعول مطلق أي: نسلِّم سلاما، و"سلام" مبتدأ خبره مقدر أي: سلام عليكم، "قوم" خبر لمبتدأ مقدر أي: "أنتم".

كلمة سلاما بالنصب دلت على أنها مفعول لفعل مقدر أي: نسلم عليك سلاما، والجملة الفعلية تدل دائما على حدث سيحدث، وهو الأمر الذي جاءوا من أجله"[2].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

قال تعالى: ﴿"إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات25:

إذ دخلوا عليه: ظرف زمان بمعنى (حين) مبني على السكون في محل نصب متعلق باسم المفعولين (المكرّمين) على تفسير إكرام إبراهيم لهم أو متعلق بما في (ضبف) من معنى الفعل أو يكون اسما في محل نصب مفعولا به بفعل محذوف تقديره: اذكر إذ. دخلوا: الجملة الفعلية في محل جر مضاف إليه لوقوعها بعد (إذ) وهي فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة. الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة. عليه: جار ومجرور متعلق بـ دخلوا.

فقالوا سلاما: معطوفة بالفاء على (دخلوا) وتعرب إعرابها. سلامًا: مصدر –مفعول مطلق– منصوب وعلامة نصبه الفتحة المنونة سادّ مسدّ الفعل مستغن به عنه وأصله: نسلم عليك سلاما ويجوز أن يكون مفعول (قالوا).

[1] - إعراب القرآن، النحاس، ص932.

[2]- إعراب القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، ج3، ص1314.

قال سلام: الجملة الفعلية استئنافية لا محل لها. قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو. سلام: مبتدأ مرفوع بالضمة المنونة لأنه اسم نكرة وجاز الابتداء بنكرة لأن فيه معنى الدعاء ولأنه معدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه: سلام عليكم. أي فأجابهم إبراهيم: سلام عليكم والجملة الاسمية (سلام عليكم) في محل نصب مفعول به –مقول القول– لأن المعنى: فقال: سلام عليكم ويجوز أن يكون أن يكون التقدير: عليكم سلام.. أي بتقدير الخبر المحذوف وتأخير المبتدأ الصريح.

قوم منكرون: خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنتم قوم مرفوع بالضمة المنونة. منكرون: صفة – نعت– لقوم مرفوع مثله وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض من تنوين المفرد وحركته بمعنى غير معروفين"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

قال تعالي: "﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات 25

إذ ظرف لما مضى من الزمن نصب بالمكرمين، لأن إبراهيم أكرمهم، أو فيما في ضيف من معنى الفعل، أو بإضمار اذكر، أو بحديث، أي: هل أتاك حديثهم وقت دخولهم عليه، ورجّحه ابن هشام؛ لأنه مصدر فيه رائحة الفعل، وجملة دخلوا في محل جر بإضافة الظرف، وعليه متعلقان بدخلوا، فقالوا معطوف على دخلوا، وسلاما مفعول مطلق، استغني عن فعله؛ لأنه سدّ مسدّه، وأصله: نسلّم عليكم سلاما، وقال فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وسلام مبتدأ، ساغ الابتداء به مع أنه نكرةً لتضمنه معنى الدعاء، وإنما عدل إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات، وديمومة السلام حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم، والخبر محذوف، تقدير: سلام عليكم، وقرئا مرفوعين، وقوم خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: وأنتم، أو هم، ومنكرون صفة لقوم"[2].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات 25:

[1] - إعراب القرآن الكريم، بهجت عبد الواحد الشيخلي، م9، ص512.

[2]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، م7، ج27، ص292-293.

الآية الكريمة تروي قصة إبراهيم عليه السلام حين دخل عليه ضيوفه...وما قبلها ... ﴿هَلْ أَتَاكَحَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25)﴾ الذاريات24- 25

إن تحليل الُبنى الإسنادية في غير كلام الله يستوجب البحث في المكونات التركيبية وعلاقاتها ببعضها، فالجملة تتألف من أربع بُنى إسنادية، 'دخلوا' 'قالوا' 'قال' 'قوم منكرون' تحمل كلٌ منها معنى مجردا، أو بنية عميقة في ذهن كل قادر على استعمال اللغة. فهي بُنىً إسنادية تتركب الأولى من الفعل 'دخل' المسند إلى الضمير المتصل واو الجماعة، وكذلك 'قالوا'، أما قال فمسند إلى ضمير مستتر، و 'قومٌ' أسندت إلى مضمر تقديره أنتم. ولا معنى لهذه المدخلات غير معانيها المعجمية، ولا معنى لها تبليغيا إلا متصلة مترابطة، لأن في ترابطها يتجلى المعنى، فلا بد لها من تحولات دلالية، فكانت بفضل ما زيد فيها، وكانت البداية بـ إذْ وهي ظرف يحدد زمن الدخول والقول والرد على القول، وإنكار القوم، ثم دخلوا عليه، فبإضافة عليه تحدد دخولهم على إبراهيم، ولا يكون الدخول إلا من خارج الحيز إلى داخله، وذاك الحيز يترجمه العقل إلى البيت بحكم أنه مكان الاستضافة، كما يدل على أن إبراهيم لم يكن خارج بيته أو خلوته أو أي حيز هو فيه، فشبه الجملة عليه أضاف معنى آخر للبنية الإسنادية التي تولدت منها جملة جديدة تحدد الزمان والمكان، ليس للدخول وإنما لعموم القصة 'هل أتاك حديث إبراهيم' وهو جزء من الجواب، فالمعنى 'إذ' لم يحدد الزمن لأنه ليس هو المراد، وإنما حدد بداية القصة، أو بداية تفاصيل أحداثها، و'عليه' بينت الدخول من الخارج، وأعقبها قولهم 'قالوا سلاما' أضيف مفعول الفعل قال فتقيد القول، ولم يعد هناك مجال لاحتمال أي قول غير السلام، ثم إن البنية سبقت بفاء العطف، فأفادت تعاقب الأحدث دون تراخٍ. وجاء الجواب بعد قولهم: 'قال سلاما' وتقيد قوله ردا على سلامهم، لكن البنية الأخيرة'قوم منكرون' المؤلفة من خبر موصوف لمبتدأ محذوف ارتبطت بالقول، فهو بعد أن قال 'سلام' أردف 'أنتم قوم منكرون'، فكان الوصل بين السابق واللاحق.

إن ما أضيف إلى المركّبات الإسنادية المذكورة أحدث تحولا تركيبا نتجت عنه دلالة متحولة من دلالات النواة من كل بنية، كما ربطت بين الدلالات المتحولة فتكون المعنى المراد تبليغه والإخبار به، جوابا عن استفهام هل أتاك؟..

ولعل أهم ما يلحظ من هذا التحول الدلالي هو تحديد الزمن الداخلي والزمن الخارجي؛ فأما الداخلي فهي أزمنة الأفعال المألوفة من ماض ومضارع وأمر، وأما الخارجي فهي الأزمنة المقيدة بحين الدخول، وهو ما يفيد بأن زمنه يكون بزمن الحدث الداخلي المقيد بالحدث وانتهائه، لأنه لو قيل: إذ يدخل عليه لتحولت دلالة إذْ إلى الفجائية في بعض البُنى، أو الاستمرار في الأحداث بما للمضارع من استمرارية ولو في الماضي، كذلك يلحظ 'بحسب النظم والتحويل' الإضمار في فاعل قال، والحذف في قول منكرون، ويظهر حسب نظرية النظم الوصل، فالوحدات الإسنادية كلها موصولة بما فيها المرتبطة بالفاء التي أفادت التعقيب، ويظهر الوصل جليا في قولة 'قوم منكرون'.

والخلاصة فإن التحولات الدلالية التي تأتي من بنى إسنادية تركيبية مستقلة تضمن بقاء المعنى الأصلي مقصودا بذاته جزءا من الأحداث محتوى في عمومها دائما، مع تحوله ضمن السياق العام إلى دلالة أخرى مقصودة، فقال سلام ليس بدلالتها القول والنطق والصوت فقط إلا أنها تفيد التحية التي تبادلها الضيوف مع مضيفهم، كما لم يكن الدخول بمعناه المعجمي الولوج فحسب وإنما تحول إلى دلالة أخرى وهي التقاء الضيوف بالمضيّف، أما القول 'قوم منكرون' فليس بدلالة الوصف المجرد للضيوف وإنما هو الإعراب عن الشعور في النفس أو التوجس خيفة من الضيوف، أو إرادة الطمأنينة وهي دلالات لا يعزب عن المتلقي الحصيف أو السامع المثالي أن يدركها جميعا، وأن يؤول من تلك المعاني ما لا يدع مجالا لما يمكن خفاؤه، وهذا هو التحول الدلالي الذي يُسْتجلَى عن طريقة معرفة النظم وقواعد التحويل.

كما إنه بفضل التحويل يمكن تحديد الزمن الداخلي والزمن الخارجي والتفريق بينهما عند الرواية وسرد الأحداث؛ على أن الحوار الداخلي يحتمل أزمنة غير زمن الرواية، فقصة إبراهيم مع ضيوفه سابقة زمن الرواية وحددت إذْ زمن الابتداء بالأحداث، فالواضح أن هناك زمنين: أحدهما داخلي والآخر خارجي ولو تطابقا كما في الآية الكريمة، وقد يختلفان كما في قوله تعالى: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.هود43، فالزمن الخارجي هو زمن رواية حوار نوح عليه السلام مع ابنه أيّان الطوفان والزمن الداخلي هو زمن ردود ابن نوح بما سيفعله للنجاة.

تاسعا: التحول الزماني للأفعال في الشرط ولو تعددت.

إن أزمنة الأحداث تعرف بأزمنة أفعالها عادة، فالماضي لما فات والمضارع للحاضر والأمر لما بعد التكلم والمستقبل للمضارع المصدر بالسين أو بسَوْف؛ لكن هذه الأزمنة تتحول دلالاتها الزمنية بدلالة ما يربطها مما يحمل دلالة زمنية خاصة مثل اسم الشرط 'إذا' الذي تؤول إليه دلالة فعل الماضي ليدل على المستقبل إن في الشرط أو في جوابه وإن تعددت.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ * ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ * الإنفطار الآية1-5

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾الفرقان25 والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس.

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت متفرعة وهو استعارة لإزالتها حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهي مصرحة أو مكنية.

﴿وإذ البحار فجرت﴾ فتحت وشققت جوانبها فزال ما بينها من البرزخ واختلط العذب بالأجاج وصارت بحرا واحدا، وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء الجار فتصير مستوية أي في أن لا ماء، وأريد أن البحار تصير واحدة أولا ثم تنشف الأرض جميعا فتصير بلا ماء، ويحتمل أن يراد بالاستواء بعد النضوب عدم بقاء مغايض الماء لقوله تعالى: ﴿لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾طه107 وقرأ مجاهد والربيع بن خيثم والزعفراني والثورى (فَجرت) بالتخفيف مبنيا للمفعول، وعن مجاهد أيضا (فَجرت) به مبنيا للفاعل بمعنى نبعت لزوال البرزخ الفجور نظر إلى قوله تعالى: ﴿لا يبغيان﴾الرحمن: 20لأن البغي والفجور أخوان.

﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها الذي حثى على موتاها وأزيل وأخرج من دفن فيها على ما فسر به غير واحد، وأصل البعثرة على ما قيل تبديد التراب ونحوه وهو إنما يكون لإخراج سيء تحته فقد يذكر ويراد معناه ولازمه معا وعليه ما سمعت وقد يتجوز ربه عن البعث والإخراج كما في (العاديات) حيث أسند فيها لما في القبور دونها كما هنا، وزعم بعض أنه مشترك بين النبش والإخراج، وذهب بعض الأئمة كالزمخشري والسهيلي إلى أنه مركب من كلمتين اختصارا ويسمى ذلك نحتا وأصل بعثر بعث وأثير ونظيره بسمل وحمدل وحوقل ودمعز أي قال: بسم الله والحمد لله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى وأدام الله تعالى عزه، إلى غير ذلك من النظائر وهي كثيرة في لغة العرب وعليه يكون معناه النبش والإخراج معا واعترضه أبو حيان بأن الراء ليست من أحرف الزيادة وهو توهم منه فإنه فرق بين التركيب والنحت من كلمتين والزيادة على بعض الحروف والأصول من كلمة واحدة كما فصل في الزهر نقلا عن أئمة اللغة نعم الأصل عدم التركيب.

﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ جواب (إذا) لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت أن المراد بها زمان واحد مبدؤه قبيل النفخة الأولى أوهي ومنتهاه الداوهي، والكلام فيه كالذي مر في نظيره، ومعنى (ما قدم وأخر) ما أسلفت من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قال ابن عباس وأبي مسعود، وعن ابن عباس أيضا ما قدم معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة، وقيل: ما عمل ما كلف به وما لم يعمل منه، وقيل: ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته، وقيل: أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ما ذكر فيما قدم"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"(انفطرت) انشقت(فجرت) فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا. وروي أن الأرض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن: وقرئ فجرت بالتخفيف، وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى-لا يبغيان-لأن البغي والفجور أخوان. بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما؛ والمعنى: بحثت وأخرج موتاها.

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،م15، ج30، ص341-342.

وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين. فإن قلت: ما معنى قوله (ما غرّك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم كما يروي عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرّات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه. وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. قلت: معناه أن حق الإنسان أن لا يغترّ بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى، وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأوّل، فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها: غرّه جهله.وقال عمر رضي الله عنه: غرّه حمقه وجهله.وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث: أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أوّلا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورّطه"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (**تفسر البحر المحيط**).

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ * ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الإنفطار الآية1-5

﴿بعثرت المتاع: قلبته ظهراً لبطن، وبعثرت الحوض وبحثرته: هدمته وجعلت أعلاه أسفله.

هذه السورة مكية. وانفطارها تقدم الكلام فيه، وانتثار الكواكب: سقوطها من مواضعها كالنظام. وقرأ الجمهور: ﴿فُجّرَتْ﴾ بتشديد الجيم؛ ومجاهد والربيع بن خيثم والزعفراني والثوري: بخفها، وتفجيرها من امتلائها، فتفجر من أعلاها وتفيض على ما يليها، أو من أسفلها فيذهب الله ماءها حيث أراد. وعن مجاهد: فجرت مبنياً للفاعل مخففاً بمعنى: بغت لزوال البرزخ نظراً إلى قوله تعالى: ﴿لاَّ يَبْغِيَانِ﴾، لأن البغي والفجر متقابلان. ﴿بُعْثِرَتْ﴾، قال ابن عباس: بحثت. وقال السدي: أثيرت لبعث الأموات. وقال الفراء:أخرج ما في بطنها من الذهب والفضة. وقال الزمخشري: بعثر وبحثر بمعنى واحد، وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل: لبراءة المبعثرة، لأنها بعثرت أسرار المنافقين. انتهى. فظاهر قوله أنهما مركبان أن مادتهما ما ذكر، وأن الراء ضمت إلى هذه المادة، والأمر ليس كما يقتضيه كلامه، لأن الراء ليست من

[1] الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 227-228.

حروف الزيادة، لهما مادتان مختلفتان وإن اتفقا من حيث المعنى. وأما أن إحداهما مركبة من كذا فلا، ونظيره قولهم: دمث ودمثر وسب وسبطر"[1].

قال الزجاج:(معاني القرآن الكريم).

"قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت، تتشقَّق السماء يوم القيامة بالغمام، كما قال عز وجل.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾أي: تساقطت وتهافتت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُجّرَ العَذْبُ إلى المالح.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يعني: بحثرت، أي: قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ما قدَّمَتْ من عَمَلٍ أُمرت به وما أَخَّرت منه فلم تعلمه، وقيل: ﴿وأخرت﴾ سَنَّتْ من سُنَّة عُمِل بها بعدها"[2].

وقال محمد علي الصابوني (صفوة التفاسير):

"﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي اذا السماء انشقت بأمر الله لنزول الملائكة كقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُبِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ الفرقان25، ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي وإذا النجوم تساقطت وتناثرت، وزالت عن بروجها وأماكنها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾أي وإذا البحار فتح بعضها إلى بعض، فاختلط عذبها بمالحها، وأصبحت بحرًا واحدا ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي وإذا القبور قلبت، ونبش ما فيها من الموتى، وصار ما في باطنها ظاهرا على وجهها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب أي علمت عندئذ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر، وما قدمت من صالح أو طالح قال الطبري: ما قدمت من عمل صالح، وما أخرت من شيء سنّه فُعمل به بعده"[3].

2: إعرابه.

[1]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي ، ج10، ص420-421

[2]معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص228.

[3]صفوة التفاسير، الصابوني، م 3، ص503.

وقال أبو جعفر النحاس:(إعراب القرآن الكريم)

"﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ * ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ وكذا ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾. لتأنيث السماء على اللغة الفصيحة، وقد حكى الفرّاء فيها التذكير، فمن أنّثها صغّرها سُمَيّة وإن كانت رباعية في الأصل لأنه قد حُذف منها حرف، والسماء مرفوعة بإضمار فعل، وكذا ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾، وكذا ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، ولا يجوز أن تكون مرفوعة بالفعل الآخر إلا على شيء حكاه لنا علي بن سليمان عن أحمد بن يحي ثعلب، قال: زَيْدٌ قام مرفوع بفعله ينوي به التأخير.قيل: معنى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُجّر بعضُها إلى بعض لاضطراب الأرض بزوال الجبال والزلازل فاختلط بعض البحار ببعض.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول بُحثِرَتْ وتأوّله الفرّاء على أن الأرض بحثرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى، واحتجّ بالحديث: ((تُلقي الأرض أفلاد كبدها)). قال أبو جعفر: وهذا غلط وليس في القرآن وإذا الأرض وفيه خصوص القبور، ((وتلقي أفلاذ كبدها)) لا اختلاف بين أهل العلم أنه في آخر الزمان وليس هو يوم القيامة.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ تمام الكلام، وهو جواب ﴿إذا﴾، وفي معناه قولا: قال ابن زيد: ما قدّمت: ما عملت، وما أخّرت: تركت وضيّعت، وأخرت مما أُمِرَتْ بتقديمه من أمر الله جل وعز، والقول الآخر أنِ معنى ما أخرّت ما سَنّتْ من سُنة فعُمل بها بعدها. قال أبو جعفر: هذا عن ابن عباس، وهو أَولى، و به يقول أصحاب الحديث، وينكره بعض أهل الأهواء.والدليل على صحته أن الإنسان إذا ضيع ما أُمِرَ به وأخّره كان ذلك ممّا قدّم من الشر لا ممّا أخّره.

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهي اسم تام والكاف في موضع نصب ب﴿غرَّ﴾"[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ "السماء": فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده، وجملة "انفطرت" مفسرة.

[1]إعراب القرآن، أبي جعفر النحاس، ص 1145-1146.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ "البحار": نائب فاعل.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ جملة "علمت" جواب الشرط.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ "الإنسان" بدل، وجملة ما غرك جواب النداء مستأنفة، "ما": استفهامية مبتدأ، وجملة "غرك"خبر[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، والسماء فاعل لفعل محذوف يدل عليه المذكور، وجملة انفطرت مفسّرة، وجملة انفطرت السماء في محل جر بإضافة الظرف إليها، والظرف متعلق بالجواب، وهو عملت، وما بعده عطف عليه، والبحار والقبور نائب فاعل لفعل محذوف، وجملة علمت لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعلمت نفس فعل وفاعل، وما مفعول به، وجملة أخّرت لا محل لها؛ لأنها صلة ما"[2].

قال عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ 'إذا' ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط غير الجازم، خافض لشرطة متعلق بجوابه. 'السماء' فاعل مرفوع لفعل مضمر، 'انفطرت' فعل وفاعل في محل جر بالإضافة.[3]

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾

إن هذه البنية الإسنادية في غير كلام الله تتركب من ظرف يفيد الشرط، وفعل وفاعل، والمعنى الأولي الذي يجول في ذهن المتلقي هو انفطار السماء، وهو ما يؤكد فعلية البنية الإسنادية (الجملة)

[1] إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، ج3، ص1555.
[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويشي، م8، ج30، ص243.
[3] - إعراب القرآن الكريم، عبد الواحد الشيخلي، ص752

التي أصلها انفطرت السماء، قد أسند الفعل انفطر إلى السماء التي هي مرفوعُه (فاعله)، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

إن أهم ما يلحظ هنا في هذه الوحدة الإسنادية هو حذف الفعل وتقديره، أي أن تأخره لفظا لا يعني تأخيره مرتبة، وهو هنا محذوف دل عليه ما تلاه.

وقد نتساءل لماذا لا يكون ما بعده مبتدأ وخبرا؟ عندها تفقد الجملة استقامتها، وتدخل في باب الاستحالة عندما تكتمل تواصليا؛ أي بعد دخول الشرط عليها، والشرط لا يكون إلا فعلا لأنه لو قيل إذا السماء منفطرة تغيرت إذا من الشرط إلى الفجائية، ولم يبق للشرط فيها معنى، وضاع جواب الشرط بعدها، ودخلت الجملة في الاستحالة من الكلم، فالوحدة الإسنادية 'السماء انفطرت' بإفادتها المستقلة تستحيل غير مفيدة بعد 'إذا' الشرطية لأحكام تركيبية وأخرى دلالية؛ ولذلك كانت السماء فاعلا لفعل محذوف لا مبتدأ خبره الفعل والفاعل بعده.

أما التركيبية فهو انتصاب الظرف إذا بجوابه إذ تعلق به، وجر جملة الشرط بحكم أنه خافض لشرطه، وأما الدلالية فإن الوحدة الدلالية مع الشرط لا تكتمل بها الإفادة لأنها جزء من جملة يجب أن يكتمل شطراها الشرطي والجوابي.

وهنا يمكن اكتشاف أن الحذف(حذف الفعل) كان لدليل الحال عليه، وأن هناك زيادة التاء لمطابقة الفاعل، كذلك الإقحام والتعويض، فالفعل بعد الفاعل أقحم إقحاما لبيان المراد بتقديم الفاعل لفظا لغرض بلاغي وهو تهويل الحدث على السماء بانفطارها ثم حذف الضمير الذي يعوض السماء، وهو فاعل الفعل المذكور، ولم يكن حذفه إلا إضمارا لأنه لم يفقد موضعه ولا وظيفته فهو معمول الفعل وإن اختفى صوتا ورسما.

كما يُلحظ أن الوحدة الإسنادية 'علمت نفس ما قدمت وأخرت' المؤلفة من فعل وفاعل أضيف إليها المفعول 'ما' وصلته 'قَدّمَت' وما عطف عليها، إنما تكوّن الجزء الثاني من الجملة وهو جواب الشرط الذي لا بد من ذكره. إذًا هناك اسم شرط 'إذا'، وجملة شرط فعلية، وبنية فعلية أخرى هي جواب الشرط، لكن هناك وحدات إسنادية معطوفة على وحدة الشرط بما فيها اسم الشرط؛ بمعنى تعددت الشروط، والجواب واحد علما أنها زوائد دلالية لا تركيبية، ومهما يكن فإنها تعني أن

المتعاطفات تشترك كلها في حكم واحد يتمثل ههنا في الجواب، وهو 'علمت نفس ما قدمت وأخرت'، وهي أشبه بالمتعاطفات بعد المبتدأ التي يكون لها خبر واحد.

أما من حيث موافقة النظم فالجملة مرتبة ترتيبا أصليا، وإنما حذف فعلها لدلالة ما بعده عليه وتحقيق الشرط الفعلي ليتوافق دلاليا مع الجواب.

أما في منظور التوليدية التحويلية فالبنية العميقة 'انفطرت السماء' دخلت عليها زيادة 'إذا' الشرطية بدلالتها فتحولت من حقيقة الحدث إلى إرجائه إلى حين يحدث الشرط، وربطت الفعل والظرف الذي يقع فيه بالظرف الذي تعلم فيه النفس ما قدمت وأخرت. وفُهم من الجملة الشرطية بركنيها الإخبار عما سيكون تحقق الشرط الأساس والشروط التي تبعته رغم أن الأفعال كلها ماضية تحولت بفضل المكون 'إذا' وهو الظرف. بمعنى أنه من البنية الإسنادية الأولى مع الثانية تم توليد جملة جديدة تواصلية هي البنية السطحية التي انتهت بتحويل الدلالة من الحدث إلى اشتراط الأول لحصول الثاني، من حدث مفعول واقع إلى حدث مجهول الظرف.أو بعبارة أدق تحول الزمن من الماضي إلى المستقبل بدلالة اسم الشرط؛ فإن كان مما يحمل دلالة المستقبل من الزمان مثل 'إذا' كان الزمن واضحا، وإن كان من أسماء الشرط الأخرى وأدواته فإن دلالة أزمنتها تفهم من السياق العام.

وهنا تتوافق نظرية النظم مع التوليدية التحويلية في أن المعنى الذهني يتولد منه جمل بمعان غير التي كانت، وفق قواعد النظم والتحويل، أو بما تظهر عليه بعد التحويل على مستوى السطح أو المستوى التبليغي.

والخلاصة فإن الوحدات الإسنادية التي لحقت عطفا بحرف النسق بما يسمى جملة الشرط قد اشتركت جميعها في جواب الشرط ومعموله بما يدعو إلى القول أن جملة الشرط يمكن أن تتعدد بالعطف وأن تشترك المتعاطفات دلاليا في الظرف والجواب.كما يمكن للشرط أن يكون واحدا ويتعدد أجوبة الشرط سواء كان العطف بالواسطة أو من دونها. وهذا مظهر من مظاهر التحول الدلالي الذي يكون أساسه البنية الإسنادية.

عاشرا: تحول الدلالة بتلازم اللواحق في أسلوب الحصر.

يتم التحول الدلالي في البنية السطحية بسيطة أو مركبة بتلازم اللواحق (الفضلات) لتحقيق الحصر. (بالنفي مع أداة الحصر إلا)

الشاهد:

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون:115.

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني):

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي ألم تعلموا شيئا فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة حتى أنكرتم البعث، فعبثا حال من نون العظمة أي العابدين،.أو مفعول له أي أفحسبتم أنما خلقناكم للعبث وهو ما خلا عن الفائدة مطلقا أم عن الفائدة المعتد بها أو عما يقاوم الفعل كما ذكره الأصوليون.

واستظهر الخفاجي إرادة المعنى الأول هنا واختار بعض المحققين الثاني ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ عطف على ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أفحسبتم ذلك وحسبتم أنكم لا تبعثون.

وجوز أن يكون عطفا على(عبثا) والمعنى أفحسبتم أنما خلقناكم للعبث ولترككم غير مرجوعين أو عابثين ومقدرين أنكم إلينا لا ترجعون، وفي الآية توبيخ لهم على تغافلهم وإشارة إلى أن الحكمة تقتضي تكليفهم وبعثهم للجزاء، وقرأ الأخوان((تَرجعون)) بفتح التاء من الرجوع ﴿فتعالى الله﴾ استعظام له تعالى ولشئونه سبحانه التي يصرف عليها عباده جل وعلا من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أي ارتفع سبحانه بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح الحميدة"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون:115

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي، م9، ج18، ص 360.

يستقصرونها فكيف بمن دونهم. وعن ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين.﴿عَبَثًا﴾ حال: أي عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له: أي ما خلقناكم للعبث ولم يَدْعُنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي أن نتعبدكم ونكلفكم المشاقّ من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ معطوف على أنما خلقناكم، ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أي للعبث ولتركككم غير مرجوعين، وقرئ ترجعون بفتح التاء ﴿الحق﴾ الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه، أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه.وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون:115.

"وَقَرَأَ الْأَخَوَانِ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ عَلَى الْأَمْرِ، وباقي السبعة وإِنْ نَافِيَةٌ أَيْ مَا لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا أَيْ قَلِيلَ الْقَدْرِ فِي جَنْبِ مَا تُعَذَّبُونَ فِيهِ إِنْ كَانَ اللُّبْثُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ فِي الْقُبُورِ فَقُلْتُ إِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ وَلَكِنَّكُمْ كَذَّبْتُمْ بِهِ إِذْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَيْ لَمْ تَرْغَبُوا فِي الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَانْتَصَبَ عَبَثاً عَلَى الْحَالِ أَيْ عَابِثِينَ أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْمَعْنَى فِي هَذَا مَا خَلَقْنَاكُمْ لِلْعَبَثِ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ لِلتَّكْلِيفِ وَالْعِبَادَةِ. وَقَرَأَ الْأَخَوَانِ لَا تُرْجَعُونَ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَالظَّاهِرُ عَطْفُ وَأَنَّكُمْ عَلَى أَنَّمَا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْحُسْبَانِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى عَبَثاً أَيْ لِلْعَبَثِ وَلِتَرْكِكُمْ غَيْرَ مَرْجُوعِينَ[2].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي أظننتم-أيها الناس- أنما خلقناكم باطلا وهملا بلا ثواب ولا عقاب كما خلقت البهائم ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي وأنه لا رجوع لكم إلينا للجزاء؟ لا ليس الأمر كما تظنون وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة ثم الرجوع إلى دار الجزاء ﴿فتعالى الله﴾ أي

[1] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص45.

2- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشر، بيروت، ج7، ص589

فتنزه وتقدَّس الله الكبير الجليل ﴿الملك الحق﴾ أي صاحب السلطان، المتصرف في ملكه بالإيجاد والإعدام، والإحياء والإفناء، تنزه عن العبث والنقائص وعن أن يخلق شيئا سفها لأنه حكيم"[1].

2: إعرابه.

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. المصدر من"أن" وما بعدها سدَّ مسدَّ مفعولَيْ "حسب"، "أنما" كافة ومكفوفة، "عبثا" مصدر في موضع الحال، والمصدر الثاني معطوف على المصدر الأول"[2].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا: الألف ألف تأنيث بلفظ استفهام. الفاء زائدة-تزيينية-حَسِبْتُمْ: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع التحرك. التاء ضمير متصل-ضمير المخاطبين- مبني على الضم في محل رفع فاعل والميم علامة جمع الذكور بمعنى: أفطنتم. أنّ: حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل و(ما) مصدرية. والجملة الفعلية (خلقناكم عبثا) صلة حرف مصدري لا محل لها و(أنّ) مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي(حسبتم).

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير التفخيم المسند إلى الواحد المطاع و(نا) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. والكاف ضمير متصل-ضمير المخاطبين- مبني على الضم في محل نصب مفعول به والميم علامة جمع الذكور. و(ما) وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب اسم (أنّ) وخبرها محذوف تقديره: جاء التقدير: أفظننتم أن خلقكم جاء عبثًا. ويجوز أن تكون(أنّما) كافة ومكفوفة فتكون أداة حصر. عبثا: حال من ضمير الواحد المطاع في (خلقنا) منصوب وعلامة نصبه الفتحة المنونة بمعنى: عابثين ويجوز أن تكون اللفظة (عبثًا) مفعولا لأجله –له-أي تلهيًا ولعبًا. التقدير: خلقناكم للعب.

[1] - صفوة التفاسير، الصابوني، م2، ص294.

[2] إعراب القرآن ، الشعراوي، م 2، ص867.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: القول الكريم معطوف بالواو على ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ويجوز أن يكون معطوفًا على (عبثًا) أي للعبث ونترككم غير مرجوعين.

أنّ: حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل. الكاف ضمير متصل-ضمير المخاطبين-مبني على الضم في محل نصب اسم (أنّ) والميم علامة جمع الذكور. إلى حرف جر و(نا) ضمير متصل-ضمير التفخيم المسند إلى الواحد المطاع-مبني على السكون في محل جر بإلى والجار والمجرور متعلق بخبر (أنّ). لا: نافية لا عمل لها. ترجعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل لأن الفعل مبني للمجهول. والجملة الفعلية (لا ترجعون) في محل رفع خبر (أنّ) بمعنى لا تردون بالبعث لنحاسبكم ونجزيكم"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وحسبتم فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لتوبيخهم على تماديهم في الغفلة، وصدوفهم عن النظر الصحيح، وأنما كافة ومكفوفة، وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدّت مسدّ مفعولي حسبتم، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به، وعبثًا يجوز إعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال، أي: عابثين، ويجوز إعرابه نصباً أيضاً على أنه مصدر واقع موقع الحال، أي: عابثين، ويجوز إعرابه نصباً أيضاً على المصدرية، أو أنه مفعول لأجله، أي: لأجل العبث، وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه، وأن يكون معطوفاً على 'عبثاً'، أي: للعبث، وأن واسمها، ولا نافية، وجملة ترجعون خبر إن، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل[2].

3: دراسة الشاهد.

الآية الكريمة تتألف من أربع بنى إسنادية، وكل منها ظاهرة الدلالة، وهي في غير كلام الله 'أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون' كل منها وحدة إسنادية مسندها فعل والمسند إليه ضمير متصل.

[1] إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م6، ص 598-599.
[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويشي، م5، ج18، 235.

البنية الأولى في ذهن المتلقي تحمل معنى إيجابيا لا يؤدي المعنى التبليغي التواصلي، لكن بضم بعضها إلى بعض تتكوّن الدلالة المراد تبليغها.

الوحدة الأولى 'حسبتم' لحقت بها همزة الاستفهام وفاء التزيين أنشأت الاستفهام، لكنه لم يتحدد بحكم أن فعلها لم يستوف مفعوليه. أنما أن وما الكافة والمكفوفة دخلت على وحدة 'خلقناكم" فتحولت بذلك معمولا للفعل 'حسبتم' الذي يتطلب مفعولين. عبثا أضيف للمعنى الأول لتكون حالا.

وهنا يتضح التحول من الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام الإنكاري التوبيخي، وأن هذا المعنى نتج بعد دخول أداة الاستفهام والحال التي لا تنطبق مع إيجاب فعل الخلق، وبذلك نشأ التوبيخ.

إن السامع المثالي استطاع بكفايته اللغوية أن يدرك ذلك بفضل ترتيب الألفاظ لأن الفعل والفاعل أو البنية الإسنادية تظل في العمق بمعناها الموجب الثابت، فالحسبان والخلق ظلا ثابتين موجبين، لكن الاستفهام عن حسبان العبثية في الخلق، وهو أمر يستحيل مع الخالق، فكان المراد تبليغه، وهو التوبيخ فتحول الاستفهام إلى انكاري توبيخي، ولم يعد من حقيقة الاستفهام شيء بعد إنكارها واستنكار فعلها، وهو تحول دلالي انطلاقا من البنية الإسنادية 'أفحسبتم'؛ وهو ما يؤكد الدور الذي تلعبه البنية الإسنادية في التحول الدلالي، وهو في ضوء نظرية النظم زيادة وترتيب للمعاني قبل الألفاظ، وهو في التوليدية التحويلية زيادة وهو فيهما معا عملية عقلية، استعرضت الدلالات المعجمية للألفاظ وتأثرها بما يدخل عليها، وقدرتها على التحول إلى ما يريد المتكلم أن يبلغه وما يؤوله به السامع المثالي أو المتلقي المبدع.

ومن ذلك يمكن إدراك أن طرفي الإسناد لا يمكن الاستغناء عنهما أبدا، بينما يرى آخرون أن بعض الزوائد من الفضلات بعد التحويل لا يمكن الاستغناء عنها أيضا، فتستوي مع العمدة في عدم الاستغناء لأنه يضر كما جاء في ألفية ابن مالك.

فحذف فضلة أجز ما لم يضر كحذف ما سبق جوابا وحُصِرْ[1].

1 - متن الألفية، محمد بن مالك، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006، ص18

لكن الحقيقة غير ذلك، وهو أن الفضلة يمكن حذفها من أية جملة شريطة أن يقترن حذفها بحذف ما أوجب وجودها، لأن الزيادات جاءت في عملية توليد جملة جديدة من البنية العميقة، أو من المعنى الذهني بغرض إنشاء معنى أو أسلوب ما، والحال يمكن الاستغناء عنها هنا ومن دون أن يخل بالتركيب ولا بالمعنى، وعسى يكون قولة تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ الدخان38 دليلا يحتج به بعضهم من أنه لا يمكن الاستغناء عن الفضلة، فحذف الحال 'لاعبين' وهو فضلة يفسد المعنى، لكنهم اقتصروا على الحال وحدها من دون النظر إلى نفيها، فالحال هي موجبه النفي وهي زيادة، فإن حذفت الحال وجب حذفها مع نفيها لأن 'ما' النافية دلاليا جيء بها لنفي الحال 'لاعبين'، وليس لنفي الأصل من البنية الإسنادية؛ فإن حذفت الحال الفضلة وموجب زيادتها النفي في غير كلام الله عادت الجملة إلى المنطلق الأصلي 'خلقنا السماوات والأرض وما بينهما' فالحال وأداة النفي متلازمتان لإحداث معنى جديد، فهما جاءتا معا لإضافة معنى الجدية على الخلق، ونفي العبثية عنه واللعب، وليس لنفي الخلق أو لوصفه باللعب.

ومن هنا فإن البنية الإسنادية في حال تجريدها من كل المدخلات الإضافية تظل موجبة ثابتة لأن الأصل في الأفعال والأوصاف الإيجاب الدائم والثبوت المستمر ونفيها لا يعني عدمها إنما نفي وجودها في تلك الوضعية أو ذاك الظرف، فالفعل 'خرج' والوصف 'كبير' مثلا، لا يعدمان بالقول: 'لم يخرج' أو ليس 'كبيرا'، وإنما انتفيا عن الفاعل والموصوف مع بقائهما.

فالبنية الإسنادية المجردة هي النواة لكل معنى يراد التواصل به أو التبليغ بواسطته، ويتفاعل مع المدخلات الإضافية ليؤدي التحولات الدلالية والإيحاءات المراد إظهارها والإفصاح عنها شريطة أن تخضع لقواعد النحو ومقتضيات اللغة.

حادي عشر: المركب العطفي يقتضي مسندا إليه يطابقه جنسا وعددا.

- قد يأتي المسند إليه مركبا عطفيا في الجملة الاسمية، أي أن يَلِيَ المبتدأَ معطوفٌ عليه يشاركه الابتداء كما يشاركه المسند (الخبر) الذي يجب أن يطابق المركب العطفي المتكون من متعاطفين أو أكثر في الجنس والعدد.

- **الشاهد:**

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح الآية29.

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿محمد رسول الله﴾ أي هو أو ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد، على أن الاسم الشريف خبر مبتدأ محذوف و((رسول الله)) عطف بيان أو نعت أو بدل، والجملة استئناف مبين لقوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ وهذا هو الوجه الأرجح الأنسب بالمساق كما في الكشف ويؤيده نظرا إلى بعض ما يأتي من الأوجه إن شاء الله تعالى قراءة ابن عامر في رواية ((رّسول)) بالنصب على المدح، وقوله تعالى: ﴿والذين معه﴾ مبتدأ خبره قوله سبحانه: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وقال أبو حيان: الظاهر أن ((محمد رسول الله)) مبتدأ وخبر والجملة عليه مبنية للمشهود به، أما عني كونه الرسالة فظاهر، وأما على كونه محقق الوعد فقيل: لأن كينونة ما وعده لازمة لكونه صلى الله عليه إذ هو لا يوعد إلا بما هو محقق ولا يخبر إلا عن كل صدق. وجوز كون (محمد) مبتدأ و(رَّسول) تابعا له (واللذين معه) عطفا عليه والخبر عنه وعنهم قوله تعالى: ﴿أشداء﴾ إلخ.

وقرأ الحسن (أشداء..رحماء) بنصبهما فقيل على المدح وقيل على الحال، والعامل فيهما العامل في (معه) فيكون الخبر على هذا الوجه جملة (تراهم) الآتي وكذا خبر (الذين) على الوجه الأول، والمراد بالذين معه عند ابن عباس من شهد الحديبية، وقال الجمهور: جميع أصحابه صلى الله

عليه وسلم ورضي الله تعالى عنهم، و(أشداء) جمع شديد و (رُحَمَاءُ) جمع رحيم، والمعنى أن فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين، وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس فإنه لو اكتفى بالوصف الأول لربما توهم أن مفعول القيد غير معتبر فيتوهم الفظاظة والغلظة مطلقا فدفع بإرداف الوصف الثاني، ومآل ذلك أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء رحماء على الإخوان"[1].

"﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أي ثوابا ورضا، والجملة إما خبر آخر أو حال من مفعول ((تَرَاهُمْ)) أو من المستتر في ((رُكَّعًا سُجَّدًا)) أو استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك؟ فقيل: يبتغون فضلاً ...إلخ"[2].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"عن الحسن رضي الله عنه: شهد على نفسه أنه سيظهر دينك،(محمد)إما خبر مبتدأ: أي هو محمد لتقدم قوله تعالى —هو الذي أرسل رسوله–وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان، وعن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح(والذين معه)أصحابه(أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم، ونحوه–أذلة على المؤمنين أغرّة على الكافرين–واغلظ عليهم–بالمؤمنين رءوف رحيم–وعن الحسن رضي الله عته: بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صحافه وعانقه، والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء؛ وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله، وكذلك التقبيل قال: لا أحبّ أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده، وقد رخص أبو يوسف في المعانقة، ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبرّ والصلة وكفّ الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السجيحة. ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم، وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، وقوله تعالى (من أثر السجود)يفسرها: أي من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان كل من

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م13، ج26، ص376.

[2]- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الألوسي، م13، ج26، ص378.

العليين على بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك يقال له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير. وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود، وكذا عن سعيد بن جبير: هي السمة في الوجه. فإن قلت: فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا تعلبوا صوركم) وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال: إن صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك. قلت: ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة، وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله تعالى. وعن بعض المتقدمين: كنا نصلي فلا يرى أعيننا شيء، ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير، فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض؟ وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق. وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله. وعن الضحاك: ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة. وعن سعيد بن المسيب: ندى الطهور وتراب الأرض. وعن عطاء رحمه الله: استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله (من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (البحر المحيط).

والظاهر أن قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر. وقيل: رسول الله صفة. وقال الزمخشري:عطف بيان، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف، والخبر عنه وعنهم أشداء. وأجاز الزمخشري أن يكون محمد خبر مبتدأ محذوف، أي هو محمد، لتقدم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾. وقرأ ابن عامر في رواية: رسوله الله بالنصب على المدح، والذين معه هم من شهد الحديبية، قاله ابن عباس. وقال الجمهور: جميع أصحابه أشداء، جمع شديد، كقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾،كقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وكقوله: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. وقرأ الحسن: أشداء رحماء بنصبهما. قيل: على المدح،وقيل: على الحال، والعامل فيهما العامل في معه، ويكون الخبر عن المبتدأ المتقدم: تراهم. وقرأ يحيى بن يعمر: أشداء، بالقصر، وهي شاذة، لأن قصر الممدود إنما يكون في الشعر.

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 550-551.

وهذه السيما، قال مالك بن أنس: كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب. وقال ابن عباس، وخالد الحنفي، وعطية: وعد لهم بأن يجعل لهم نوراً يوم القيامة من أثر السجود. وقال ابن عباس أيضاً: السمت: الحسن وخشوع يبدو على الوجه. وقال الحسن، ومعمر بن عطية: بياض وصفرة وبهيج يعتري الوجه من السهر.وقال عطاء، والربيع بن أنس: حسن يعتري وجوه المصلين. وقال منصور: سألت مجاهداً: هذه السيما هي الأثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، وقد تكون مثل ركبة البعير، وهي أقسى قلباً من الحجارة. وقال ابن جبير: ذلك مما يتعلق بجباههم من الأرض عند السجود. وقال الزمخشري: المراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود. وقوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ يفسرها: أي من التأثير الذي يؤثره السجود. وكان كل من العليين، علي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن العباس أبي الملوك، يقال له ذو الثفنات، لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير.انتهى. وقرأ ابن هرمز: إثر، بكسر الهمزة وسكون الثاء، والجمهور بفتحهما. وقرأ قتادة: من آثار السجود، بالجمع. ﴿ذَٰلِكَ ﴾:أي ذلك الوصف من كونهم أشداء رحماء مبتغين سيماهم في وجوههم صفتهم في التوراة. قال مجاهد والفراء: هو مثل واحد،أي ذلك صفتهم في التوراة والإنجيل، فيوقف على الإنجيل. وقال ابن عباس: هما مثلان، فيوقف على ذلك في التوراة؛ وكزرع:خبر مبتدأ محذوف، أي مثلهم كزرع، أو هم كزرع. وقال الضحاك: المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة وتم الكلام،ثم ابتدأ ومثلهم في الإنجيل كزرع، فعلى هذا يكون كزرع خبر ومثلهم. وقال قتادة: مثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قوم ينتبون نباتاً كالزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. وقال ابن عطية: وقوله: كزرع، هو على كلا الأقوال، وفي أي كتاب أنزل، فرض مثل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة، ثمكثر المسلمون فهم كالشطء، وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل. انتهى. وقال ابن زيد: شطأه: فراخه وأولاده. وقال الزجاج:نباته. وقال قطرب: شتول السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان، قاله الفراء"[1].

_1 البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشربيروت، ج9، ص500-503

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

قال تعالى:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ الفتح الآية29.

وصفهم الله بأنّ بعضهم مَتَحَنِّنٌ على بعض، وأنّ عليهم السكينة والوقار، وبعضهم يخلص المودة لبعضٍ، وهم أشدّاء على الكفار، أشدّاء جمع شديد، والأصل أشدداء نحو نصيب أو أنصباء، ولكن الدالين تحركتا فأدغمت الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله: ﴿من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾

وقوله تعالى: ﴿...سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ...﴾

أي في وجوههم علامة السجود، وهي علامة الخاشعين لله المصلين، وقيل يبعثون يوم القيامة غرًّا محجّلين من أثر الطهور، وهذا يجعله الله لهم يوم القيامة علامةً وهي السيماء يبين بها فضلهم على غيرهم.

وقوله: قال تعالى: ﴿... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلإِنجِيلِ...﴾ أي ذلك صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التوراة، ثمّ أعلم أنّ صفتهم في الإنجيل أيضا.﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ معنى﴿أخرج شطأه﴾ أخرج نباته، ﴿فآزره فاستغلظ﴾ أي فآزر الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض ﴿على سوقه﴾ جمع ساق.وقوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾. ﴿الزرّاع﴾ محمد صلى الله عليه وسلم والدعاة إلى الإسلام وهم أصحابه. وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. ﴿منهم﴾ فيه قولان أن تكون "منهم" هاهنا تخليصا للجنس من غيره كما تقول: أنفق نفقتك من الدراهم لا من الدنانير، المعنى اجعل نفقتك من هذا الجنس، وكما قال: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ لا يريد أنّ بعضها رجس وبعضهما غير رجس، ولكن المعنى اجتنبوا الرّجس الذي هو الأوثان. فالمعنى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين أجرا عظيما وفضلهم الله على غيرهم لسابقتهم وعظم أجرهم. والوجه الثاني أن يكون المعنى وعد الله الذين أقاموا منهم على الإيمان والعمل الصالح مغفرة وأجرا عظيما[1].

[1]- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج5، ص24-25

قال محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿محمد رسول الله﴾ أي الرسول المسمّى محمدا هو رسول الله حقاً لا كما يقول المشركون ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ أي وأصحابه الأبرار الأخيار غلاظ على الكفار متراحمون فيما بينهم كقوله تعالى:﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة54] قال أبو السعود: أي يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة، ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة قال المفسرون: وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم، وكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه ﴿تراهم ركّعا سجّدا﴾ أي تراهم أيها السامع راكعين ساجدين من كثرة صلاتهم وعبادتهم، رهبان بالليل أسود بالنهار ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أي يطلبون بعبادتهم رحمة الله ورضوانه قال ابن كثير: وصفهم بكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص لله عزّ وجل والاحتساب عنده بجزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله ورضاه ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ أي علامتهم وسمتهم كائنة في جباههم من كثرة السجود والصلاة قال القرطبي: لاحت في وجوههم علامات التهجد بالليل وأمارات السهر، قال ابن جريح: هو الوقار والبهاء، وقال مجاهد: هو الخشوع والتواضع، قال منصور سألت مجاهدًا عن قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم﴾ أهو أثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو أقسى قلبا من الحجارة، وكنه نور في وجوههم من الخشوع ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ أي ذلك وصفهم في التوراة: الشدّة على الكفار، والرحمة بالمؤمنين، وكثرة الصلاة والسجود ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ أي ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج فراخه وفروعه ﴿فآزره فاستغلظ﴾ أي فقوّاه حتى صار غليظا ﴿فاستوى على سوقه﴾ أي فقام الزرع واستقام على أصوله ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي يعجب هذا الزرع الزرّاع، بقوته وكثافته وحسن منظره، ليغتاظ بهم الكفار قال الضحاك: هذا مثل في غاية البيان، فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم، والشطء أصحابه، كانوا قليلا فكثروا، وضعفاء فقووا، وقال القرطبي: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون، فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ بالدعوة ضعيفا، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوى أمره، كالزرع يبدوا بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ نباته، وأفراخه، فكان هذا من أصح مثل وأقوى بيان ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ أي وعدهم تعالى بالآخرة بالمغفرة التامة والأجر العظيم والرزق الكريم في جنات النعيم، اللهم أرزقنا محبتهم يا رب العالمين"[1]

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

"﴿محمد رسول الله﴾ مبتدأ وخبره ﴿والذين معه أَشِدَّاءُ على الكفُّارِ﴾ مثله وروى قرَّة عن الحسن أنه قرأ ﴿والَّذِينَ معه أشِدَّاءُ على الكفُّارِ رُحماء بيْنهُمْ﴾ بالنصب على الحال وخبر ﴿الذين﴾، ﴿تراهم﴾، ويجوز أن يكون الذين في موضع نصب بإضمار فعل يفسره تراهم.﴿ركَّعًا سجداً ﴾ على الحال ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ أي علامتهم وأصح ما قيل فيه: أنهم يوم القيامة يعرفون بالنور الذي في وجوههم.وفي الحديث ((تأتي أمتي غُراً مُحَجَّلِينَ)).

﴿ذَلَكَ مَثَلُهُمْ﴾ مبتدأ وخبره ﴿في التوراة﴾ تمام الكلام على قول الضّحاك وقتادة، ويكون مَثَلُهُمْ ﴿وفي الإنجيل﴾ مبتدأ، وخبره ﴿كزَرْعٍ﴾ أي هم كزرع. ﴿أخرج شطأه﴾ عن ابن عباس قال: السنبلة بعد أن كانت وحدها تخرج معها سبع سنابل وأكثر وروى حميد عن أنس ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قال: نباته وفراخه.قال أبو جعفر: إنْ خفَّفتَ الهمزة قُلتُ:شَطَهُ فألقيت حركتها على الطاء وحذفتها ﴿فآزره﴾ قال أهل اللغة: أي لحق بالأمهات وأصل آزرهُ قوَّاه ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ جمع ساق على فعول حذف منه ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قيل: الكفار ههنا الزراع؛ لأنهم يغطون الزرع، وقيل: هم الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وهذا أولى؛ لأنه لا يجوز يُعجِب الزراعُ ليغيظ بهم الزراع ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ تكون ﴿منهم﴾ لبيان الجنس أَولَى؛ لأنها إذا جعلت للتبعيض كان معنى آمنوا ثبتوا، وذلك مجاز ولا يحمل الشيء على المجاز ومعناه صحيح على الحقيقة"[2].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

"جملة "والذين معه أشداء" معطوفة على جملة "محمد رسول الله" المستأنفة، "معه": ظرف متعلق بالصلة المقدرة، الجار "على الكفار" متعلق بأشداء، "رحماء" خبر ثان للذين، الظرف"بينهم"

[1] - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج3، ص211-212.

[2] - إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ص911.

متعلق بـ"رحماء"، جملة "تراهم"خبر ثالث للمبتدأ، "سُجَّدا" حال ثانية من الهاء في "تراهم"، جملة "يبتغون" خبر رابع، الجار "من الله" متعلق بنعت لـ"فضلا"، جملة "سيماهم في وجوههم" خبر خامس، الجار"من أثر" متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، جملة "ذلك مثلهم" مستأنفة، من مبتدأ وخبر الجار "في التوراة" متعلق بحال من "مثلهم"، جملة "ومثلهم كزرع" معطوفة على جملة "ذلك مثلهم"، الجار "في الإنجيل" متعلق بحال من "مثلهم"، الجار "كزرع" متعلق بخبر المبتدأ، وجملة "أخرج" نعت لزرع، وجملة "يعجب" حال من فاعل "استوى"، المصدر المؤول المجرور "ليغيظ" متعلق بفعل مقدر أي: شُبِّهوا، جملة "وعد الله" مستأنفة، الجار "منهم" متعلق بحال من واو "عملوا"، "مغفرة" مفعول ثان.

محمد هنا مبتدأ أخبر عنه بأنه رسول الله"[1].

قال عبد الواحد الشيخلي (إعراب القرآن الكريم).

مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ:خبر مبتدأ محذوف تقديره :هو محمد لتقدم قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...) مرفوع بالضمة المنونة. رسول:عطف بيان لمحمد مرفوع مثله وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف. الله لفظ الجلالة:مضاف إليه مجرور للتعظيم بالإضافةوعلامة الجر الكسرة، أو يكون (محمد) مبتدأ. ورسول الله: خبره، أو يكون رسول الله خبر مبتدأ محذوف تقديره ..هو فتكون الجملة الإسمية (هو رسول الله) في محل رفع خبر المبتدأ(محمد)).

وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ: الواو عاطفة.الذين: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.معه:ظرف مكان منصوب على الظرفية يدل على المصاحبة والاجتماع متعلق بخبر لمبتدأ محذوف بتقدير:الذين هم معه، والجملة الاسمية ((هم معه))صلة الموصول لا محل لها والهاء ضمير متصل-ضمير الغائب- في محل جر مضاف إليه بمعنى وأصحاب محمد – المؤمنون.

أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ:خبر المبتدأ(الذين)مرفوع وعلامة رفعه الضمة، ولم ينون لأنه ممنوع من الصرف على وزن – أفعِلاء – على الكفار: جار ومجرور متعلق بأشداء بتأويل فعله.

[1]- إعراب القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، دار الروضة، ط1، ج3، ص1291.

رُحَمَاءُ بَينَهُم: خبر ثان للمبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، ولم ينون لأنه ممنوع من الصرف على وزن (فعلاء)، بين: ظرف مكان منصوب على الظرفية متعلق برحماء وهو مضاف و(هم) ضمير متصل – ضمير الغائبين – في محل جر مضاف إليه.[1]

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"محمد مبتدأ ورسول الله خبره، والذين مبتدأ، ومعه ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة، وأشداء خبر، وعلى الكفار متعلقان بأشداء ورحماء خبر ثان، وبينهم ظرف متعلق برحماء، جمع: رحيم ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ الجملة خبر ثالث، ولك أن تجعلها مستأنفة، وتراهم فعل مضارع وفاعل مستتر، تقديره: أنت، والهاء مفعول به وركعا سجدا حالان، وجملة يبتغون مستأنفة، كأنها جواب لسؤال نشأ عن مواظبتهم على الركوع والسجود، كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك؟ فقيل: يبتغون، أو حال ثالثة، وفضلا مفعول به، ومن الله متعلقان يبتغون، ورضوانا عطف على فضلا ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ سيماهم مبتدأ، وفيها ثلاث لغات: السيما والسيماء والسيمياء، وهي: العلامة، وفي وجوههم خبر، ومن أثر السجود حال ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ ذلك مبتدأ، والإشارة إلى الوصف الآنف وهو كونهم أشداء رحماء، وسيماهم في وجوههم، ومثلهم خبره، وفي التوراة حال ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ ومثلهم مبتدأ، وفي الإنجيل حال، وكزرع خبر مثلهم، وجملة أخرج شطأه صفة لزرع، وهناك أعَاريب، أخرى ستأتي الإشارة إليها من باب الفوائد.فآزره عطف على أخرج، وكذلك فاستغلظ، وقوله: فاستوى، وعلى سوقه متعلقان باستوى، أو بمحذوف حال، أي: كائنا على سوقه قائما عليها، والسوق: جمع ساق ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ الجملة حالية، أي: حال كونه معجبا، والزراع مفعول يعجب، وليغيظ: اللام للتعليل، والفعل المضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بفعل دل عليه السياق، أي:شبهوا بذلك، فالتعليل لتشبيه.قال الزمخشري: فإن قلت: قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا؟ قلت: لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة، ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين آمنوا فهو متعلق بوعد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ وعد فعل ماض، والله فاعل، والذين مفعول به، وجملة آمنوا

[1]- عبد الوهاب الشيخلي، إعراب القرآن الكريم، ج9، ص

صلة، وجملة عملوا صالحات عطف على الصلة، ومنهم حال، ومنهم مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض، يقال: وعده الأمر وبه، وأجراً عطف على مغفرة، وعظيما نعت"[1].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ الفتح الآية29.

لعل أهم ما يلحظ مما سبق أن هناك تفسيرين اثنين: أولهما يقتضي وجود تركيبين مستقلين بمعنيين اثنين عطف أحدهما على الآخر، وهو تركيب ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ كونه مبتدأ وخبرا، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، كون الذين معه مبتدأ، وأشداء وما بعدها أخبار.

فالتحليل الأولي في غير كلام الله للجملة الأولى يقوم على إسناد رسول الله إلى المسند محمد، وبه تم المبنى، والمعنى لأن المتلقي أو السامع المثالي أدرك المعنى المستقيم في أصل الفكرة بالإخبار عن أن محمدا هو رسول الله، وهو ما علم من الجملة من دون عناء، أو تأويل ماعدا ذاك الذي يحذف المسند إليه، ويُعد محمدا مسندا، ورسول الله وصفا أو عطف بيان؛ وكذلك يقوم التحليل الأولي في غير كلام الله للجملة المعطوفة على إسناد الأخبار 'أشداء، رحماء...' إلى المسند إليه ﴿ٱلَّذِينَ مَعَهُ﴾ وهنا تبين أن هناك معنيين ارتبطا بالعطف لا يدخلان في حكم واحد، ولا يشتركان فيه، والأصل أن العطف بالواو يجمع الطرفين (المتعاطفين) أو الأطراف المتعاطفة في حكم واحد. أما اعتبار الواو للاستئناف فإنه يجعل المعنيين منفصلين تماما، حيث يمكن حذف الأول من دون أن يتأثر الثاني، وهو مخالف لقواعد التركيب والتأويل معا، لأن صلة الموصول المزيلة لإبهام 'الذين' المؤكدة لتعريفها اشتملت على رابط يؤكد ارتباط التركيبين ببعضهما، وبالتالي ارتباط المعنيين وهو الضمير في 'معه' الذي يعود على المسند (محمد) في التركيب الأول.

إن فصل المعنى الأول عن الثاني يفقد التركيب الكلي معنى النسق والارتباط، فمعنى البنية الإسنادية محمد رسول الله مرتبط بمعنى البنية التي تليها. لكنه بالنظر إلى المعنى الكلي للتركيبين فإنه يظهر ترابط التركيبين وتحولهما إلى تركيب واحد، أو بنية إسنادية واحدة، مسندهاالأخبار 'أشداء، رحماء، ...' والمسند إليه محمد رسول الله والذين معه، ذلك أن المسند إليه المفرد إذا عطف عليه آخر

[1] - إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش ، مجلد 7، ص 239-240

اشترك معه في الحكم إن لم يكن تركيبا كان دلالة. بمعنى أن الخبر قد يكون لأكثر من مبتدإ شريطة أن يجمعها النسق وهو المسمى المركب العطفي. وقد يُرى أن الخبر أشداء مثلا لا يطابق المبتدأ (محمد) في العدد، وهو ما يؤكد أن التطابق الواجب لا يتأتي إلا بالإقرار بالمتعاطفات واعتمادها مسندا إليه (المسند العطفي)، وهذه التراكيب كثيرة متعددة في كلام العرب كما في القرآن الكريم: قد قال تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾الرحمان06، فالنجم مبتدأ مسند إليه، والجملة يسجدان خبر، وألف الإثنين في يسجدان فاعل، والنجم واحد وهو ما اقتضى الجمع بين النجم والشجر لتحقيق التطابق، ويتضحالمعنى مطابقا للتركيب، وهذا المعنى يظهر بفضل القرينة السياقية المستمدة من المعنى من منظور أن المعنى متمم للنحو كما يقول تشومسكي.

وقد ورد أيضا في أشعار العرب كما في قول كثير: (من الكامل):

رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالّذِينَ عَهِدْتُهُمْ ... يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ العَذَابِ قُعُودَا[1].

فالمعنى هنا أولُ، والنحو يُصدق المعنى بدرجة تركيبه دقة في الصياغة، وجمالية في التعبير، بعد اختيار المدخلات المعجمية، ووضعها في نسق يمكّنها من الإبانة عن المقصود من دون إخلال أو غموض أو لبس.

إن المعنى العام: في 'مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ' ليس تبليغ المعلوم المعروف من أنه رسول الله، ولكن ما كان من الرسالة من صدق وقوة، لأن الذين معه هم الصحابة والأتباع دوما فهم التابعون، وليس هو الذي معهم فيكون تابعا، ومن هنا اقتضى النظم أن يسبق في الذكر لعلو قدره معنويا ولريادته وسبقه لكل فضيلة، والمتبوع يسبق التابع، وتحقق ذلك لفظا ونظما، ثم إنه لرفع قدر التابعين أُشرِكوا معه في وصفه العام 'الشدة، الرحمة،...'، وتفرد بالوصف الخاص، فرسول الله هي له صفة خاصة، لكن 'شديد، ورحيم، وساجد، وراكع' يمكن أن يكون للتابعين نصيب منها على الأقل.

ومن هنا كان الأرجح أن يكون التركيب الإسنادي 'مُّحَمَّدٌ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ ...' يتألف من مبتدأ وخبر، وصف المبتدأ أو عطف عليه للبيان (رسول الله) وفي الحالتين هما تابعان ثم عطف عليه (الذين معه) عطف نسق ليشترك معه في المحكوم به عليه وهو المسند، وإذا كان المبتدأ لا يتعدد فإن

[1]- ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لسان العرب، نشر دار الثقافة بيروت، لبنان، دط، 1971، ص63.

المسند إليه يعطف عليه ما يتحقق به المعنى المراد ويخبر عنه بما يتطابق معهما معا، كما في الآية الكريمة.

ومن ذلك يمكن استنتاج أن المسند إليه في الجملة الاسمية يمكن أن يتكون من أكثر من طرف يخبر عنه بما يطابقة في العدد والنوع سواء كان الخبر مفردا أو وحدة إسنادية (جملة صغرى).

والخلاصة فإن المعنى الصحيح المستخلص من الجملة المستقيمة هو ذاك الذي تؤتيه التراكيب النحوية المستقيمة، وإن قسرالجملة إخضاعا لقاعدة نحوية لا تتطابق معها قد يكون مرده لقصور القاعدة لا لضعف المعنى أو التركيب، وإن الكلام المستقيم ما طابق نظمه ونحوه استقامة معناه، وما كان تحوّله دقيقا وفق قواعد التحويل، ومرتكزات النظم، فينتقل من المعنى الذهني الثابت الإيجابي (بنية عميقة) إلى المعنى التواصلي بكل دقائقه وتفاصيله (البنية السطحية) من دون الإخلال بالنظم ولا بالدلالة.

إن التركيب الإسنادي في الجملة الاسمية يقوم على الاسم المبتدإ به الكلام ويليه خبره، ويكون الخبر مفردا أو وحدة إسنادية لها أحكامها وإعرابها، لكنه في حالات التحول قد تدخل في التركيب أسماء أخرى تشترك بالعطف مع المبتدإ في ما أُسند إليه ويكون الخبر مشتركا بينها كما في قوله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾(الرحمن6)، فالنجم مبتدأ والشجر تابع بالعطف، وجملة 'يسجدان' تخبر عن المبتدإ بما لا يطابقه تركيبا وهو ما يثبت أن الخبر الواحد قد يكون لأكثر من مبتدأ دلالة، وإن لم يصرح به النحو والإعراب، وهو ما يدفع إلى القول أن الدلالة المستقيمة سابقة للنحو وأن المعنى الأصولي أسبق من التركيب، وهو في كل الأحوال متمّم للنحو.

ثاني عشر: محصلة التحول الدلالي للبنية الإسنادية معنى لم يصرح به ولم تذكر مفرداته.

إن للتحول الدلالي للبنية الإسنادية محصّلةً دلاليةً قد تتجاوز دلالات التركيب فتحيل إلى معان خفية لم يصرّح بها ولم تذكر مفرداتها، فتكون مقدمات المعنى المراد أو أسبابه أو ما يتعلق به.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ النساء28.

1: تفسيره:

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أي: في التكليف في أمر النساء والنكاح بإباحة نكاح الإماء- قاله طاوس، ومجاهد- وقيل: يخفف في التكليف على العموم، فإنه تعالى خفف عن هذه الأمة ما لم يخفف عن غيرها من الأمم الماضية، وقيل: يخفف بقبول التوبة والتوفيق لها، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ أي في أمر النساء لا يصبر عنهن-قاله طاوس- وفي الخبر: ((لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريما ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا)) وقيل: يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه، وقيل: عاجز عن مخافة الهوى وتحمل مشاق الطاعة، وقيل: ضعيف الرأي لا يدرك الأسرار والحكم إلا بنور إلهي وعن الحسن رضي الله عنه أن المراد ضعيف

ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء، وليس لضعف الرأي ولا لضعف البنية مدخل في ذلك، وكونه إشارة إلى تجهيل المجوس في قياسهم على أول القولين ليس بشيء، ونصب ((ضعيفا))على الحال، وقيل: على التمييز، وقيل: على نزع الخافض، أي من ضعيف وأريد به الطين أو النطفة ، وكلاهما كما ترى، وقرأ ابن عباس (وخَلَقَ الإنسان) على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

[1] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م3، ج5، ص 22-23.

"﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ لا يصبر على الشهوات وعلى مشاق الطاعات. وعن سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء، فقد أتى على ثمانين سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء. وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات. وقرأ ابن عباس وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان. وعنه رضي الله عنه: ثمان آيات من سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت -يريد الله ليبين لكم-والله يريد أن يتوب عليكم- يريد الله أن يخفف عنكم- إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه-إن الله لا يغفر أن يشرك به- إن الله لا يظلم مثقال ذرة-ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه-ما يفعل الله بعذابكم- (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والقمار وعقود الربا"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (**تفسر البحر المحيط**).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ لَمْ يَذْكُرْ مُتَعَلِّقَ التَّخْفِيفِ، وَفِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ فِي إِبَاحَةِ نِكَاحِ الْأَمَةِ وَغَيْرِهِ مِنَ الرُّخَصِ. الثَّانِي فِي تَكْلِيفِ النَّظَرِ وَإِزَالَةِ الْحَيْرَةِ فِيمَا بَيَّنَ لَكُمْ مِمَّا يَجُوزُ لَكُمْ مِنَ النِّكَاحِ وَمَا لَا يَجُوزُ. الثَّالِثُ: فِي وَضْعِ الْإِصْرِ الْمَكْتُوبِ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، وَبِمَجِيءِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ سَهْلَةً سَمْحَةً. الرَّابِعُ: بِإِيصَالِكُمْ إِلَى ثَوَابِ مَا كَلَّفَكُمْ مِنْ تَحَمُّلِ التَّكَالِيفِ. الْخَامِسُ: أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ إِثْمَ مَا تَرْتَكِبُونَ مِنَ الْمَآثِمِ لِجَهْلِكُمْ.

وَأَعْرَبُوا هَذِهِ الْجُمْلَةَ حَالًا مِنْ قَوْلِهِ: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ، وَالْعَامِلُ فِي الْحَالِ يُرِيدُ، التَّقْدِيرُ: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ مُرِيدًا أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ، وَهَذَا الْإِعْرَابُ ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ قَدْ فُصِلَ بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْحَالِ بِجُمْلَةٍ مَعْطُوفَةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي فِي ضِمْنِهَا الْعَامِلُ، وَهِيَ جُمْلَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ مِنَ الْعَامِلِ وَالْحَالِ، فلا ينبغي أن تجوز إِلَّا بِسَمَاعٍ مِنَ الْعَرَبِ. وَلِأَنَّهُ رَفَعَ الْفِعْلُ الْوَاقِعُ حَالًا الِاسْمَ الظَّاهِرَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَرْفَعَ ضَمِيرَهُ لَا ظَاهِرَهُ، فَصَارَ نَظِيرَ: زَيْدٌ يَخْرُجُ يَضْرِبُ زَيْدٌ عَمْرًا. وَالَّذِي سُمِعَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْجُمْلَةِ الِابْتِدَائِيَّةِ، أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْ نَوَاسِخِهَا. أَمَّا فِي جُمْلَةِ الْحَالِ فَلَا أَعْرِفُ ذَلِكَ. وَجَوَازُ ذَلِكَ فِيمَا وَرَدَ إِنَّمَا هُوَ فَصِيحٌ حَيْثُ يُرَادُ التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ، فَيَكُونُ الرَّبْطُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبَرًا بِالظَّاهِرِ. أَمَّا جُمْلَةُ الْحَالِ أَوِ الصِّفَةِ فَيَحْتَاجُ الرَّبْطُ بِالظَّاهِرِ فِيهَا إِلَى سَمَاعٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص521-522.

مُسْتَأْنَفَةً، فَلَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ. أَخْبَرَ بِهَا تَعَالَى عَنْ إِرَادَتِهِ التَّخْفِيفَ عَنَّا، كَمَا جَاءَ فِي قوله عز وجلّ:﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة185.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وطاووس وَابْنُ زَيْدٍ: الْإِخْبَارُ عَنْ ضعف الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ فِي بَابِ النِّسَاءِ، أَيْ لَمَّا عَلِمْنَا ضَعْفَكُمْ عَنِ النِّسَاءِ خَفَّفْنَا عَنْكُمْ بِإِبَاحَةِ الْإِمَاءِ. قال طاووس: لَيْسَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ أَضْعَفَ مِنْهُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ. وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: مَا أَيِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ بَنِي آدَمَ قَطُّ إِلَّا أَتَاهُمْ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَدْ أَتَى عَلَيَّ ثَمَانُونَ سُنَّةً وَذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيَّ وَأَنَا أَعْشَقُ بِالْأُخْرَى، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيَّ فِتْنَةُ النِّسَاءِ"[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"وقوله: ﴿وخلق الإنسان ضَعِيفًا﴾ أي يستميله هواه"[2].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أي يريد تعالى بما يسر أن يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ أي عاجزا عن مخالفة هواه لا يصبر عن تباع الشهوات، ثم حذر تعالى من أكل أموال الناس بالباطل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل وكل طريق لم تبحه الشريعة كالسرقة والخيانة والغصب والربا والقمار وما شاكل ذلك"[3].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

[1]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج3، ص604-605

[2]- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج2، ص36.

[3] - صفوة التفاسير، الصابوني م1، ص 248.

"﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بابتداء وخبر وأن في موضع نصب ب ﴿يريد﴾، وكذا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾، ﴿وخلق الإنسان﴾ اسم ما لم يُسم فاعله ﴿ضعيفا﴾ على الحال. ومعناه أنّ هواه يستميله وشهوته وغضبه يَستخِفّانِهِ وهذا أشدّ الضعف فاحتاج إلى التخفيف"[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

(جملة"وخلق الإنسان" مستأنفة."ضعيفا"حال من"الإنسان")[2].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾

يريد الله أن: فعل مضارع مرفوع بالضمة، الله لفظ الجلالة: فاعل مرفوع للتعظيم بالضمة. أنْ: حرف مصدري ونصب.

يخفف عنكم: الجملة الفعلية صلة حرف مصدري لا محل لها وهي فعل مضارع منصوب بأنْ وعلامة نصبه الفتحة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هو. عنكم: جار ومجرور متعلق بيخفّف والميم علامة جمع الذكور و((أنْ)) المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل((يريد)).

وخلق الإنسان ضعيفا: الواو استئنافية. خلق: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح. الإنسان: نائب فاعل مرفوع بالضمة ضعيفًا حال من ((الإنسان)) منصوب بالفتحة المنوّنة[3].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ تأكيد لما سبق لبسط التقرير، والجملة مستأنفة تقدم إعرابها ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للتخفيف، وخلق فعل

[1]- إعراب القرآن،أبي جعفر النحاس، ص170.
[2]- إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، م1، ص181.
[3]- إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م2، ص325-326.

ماض مبني للمجهول، والإنسان نائب فاعل، وضعيفاً حال من الإنسان، وهي حال مؤكدة، أي: لا يقوى على مغالبة الشهوات ومدافعة النفس الأمَّارة بالسوء"[1].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ النساء28.

من قراءة الآية وتفسيرها يتبين أن المعنى ظاهر في عمومه، فيه معنى باطن يفهم من السياق ومن علاقة السابق للجملة بالجملة وهو الذي أظهره المفسرون.

وعند تحليل الجملة في غير كلام الله يتضح أن للجملة تركيبين إسناديين أولهما: 'يريد الله أن يخفف عنكم' وثانيهما: 'خلق الإنسان ضعيفا'، مع العطف بالواو، أما البنية الإسنادية الأولى فتتركب من فعل مضارع وهو المسند، ولفظ الجلالة الله، وهو المسند إليه، وهنا يفهم المتلقي المعنى الذي هو إرادة الله، فيعلم يقينا أن كل شيء من إرادة الله، وأن المراد تبليغه بعد التيقن من ذلك هو القيد اللاحق، 'أن يخفف عنكم' وهو أيضا وحدة إسنادية تشكل مكملا للجملة مفعولا لفعل البنية الأولى التي تحمل معنى إرادة الله، والمكمل يحدد ماهية المراد، فالمكمل وحدة إسنادية ذكر مسندها وحذف منها المسند إليه لدلالة ما سبق عليه؛ وجاءت أن يخفف عنكم في شكل مصدر مؤول من الحرف المصدري والفعل الذي يليه، وعلى الرغم من أن معناهما يفيد التخفيف، إلا أن الفعل في المصدر يفيد أيضا الحركية والدوام، أو يفيد الفرق بين الاسم الثابت ومدلوله واستمرارية الفعل، لأنه يجب على المتلقي المؤول للمعنى ذي الكفاية اللغوية أن يفهم الفرق بين استعمال المصدر الصريح 'التحفيف' وإرادة التخفيف، وبين إرادة أن 'يخفف' لأن الأولى توحي أن إرادة التخفيف لحالة واحدة وفي زمن واحد ولمرة واحدة، لكن أن يخفف تؤكد الاستمرار ففعل يريد المضارع يؤكده أن 'يخفف' في استمرار ارادة التخفيف وجعل التخفيف دائما ولجميع الحالات، وهو ما يؤكد التحول الدلالي من إرادة الله المطلقة إلى إرادة التخفيف في تلك الحالة.

أما البنية الثانية، 'وخلق الإنسان ضعيفا' فهي المتحولة من المعنى الذهني الأول الذي يعني 'خلق الله الإنسان وجعله ضعيفا'، فتم البناء بما يقتضي النظم من جمال تعبيري، وحذف ما يستغني

[1] - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، م2، ج5، ص 9.

عنه، وهو ما يفهم من السياق بدلالة ما ذكر، وبني الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، أو للمفعول كما يقول الجرجاني.

من هذه العمليات التحويلية على الجملة يتضح أنها أوجزت الجملة ودققت المعنى، لأن 'خلق الله الإنسان ضعيفا' تحتمل معنيين، أولهما إسناد الضعف إلى المفعول به، والثاني كما لو قيل، خاطب الرجل الأمير خائفا، وحاشا لله من ذلك. أما بناء الفعل إلى المفعول فإنه لم يبق من ذلك الاحتمال شيء رغم أن السياق ينفيه، لأن دقة الدلالة من إعجاز كلام الله، وربط البنيتين بالواو الاستئنافية في عرف النحاة، وهي التي تصل البنية الثانية بالأولى لتحمل معناها إلى ما سبقها، وهو 'أن خلق الإنسان ضعيفا' كان سيثقل عليه الأمر، فأراد الله أن يخفف عنه، ولأن الخطاب من خالق الإنسان إلى الإنسان فخاطبه بالعموم في البنية الأولى 'أن يخفف عنكم' وعمم بالإنسان في الثانية لأنه معنيٌ عموما بذلك التخفيف.

كما نلاحظ أيضا الفرق بين صفة الضعف في تعريفها، وفي حالة تنكيرها، فلو جاءت معرفة لخصت فئة من الضعاف، ولكنها بتجردها من التعريف شملت كل إنسان وحملت معنى أن كل إنسان ضعيف من خلقه، وأن لا قوة له أبدا.

ولو وضعت الجملة في ميزان النظرية التوليدية التحولية لظهر التوليد من البنية العميقة وهي إرادة الله في 'يريد الله التخفيف'، ثم تولدت البنية السطحية 'يريد الله أن يخفف عنكم' إذ كان التوسع في التخفيف بتحوله إلى وحدة إسنادية، فاشتملت الجملة في ركنها الإسنادي على ركن فعلي، وركن اسمي، وفي ركن التكملة على أداة وعلى وركن فعلي. وركن اسمي محذوف، وهو فاعل يخفف. وبتشجير البنية العميقة يظهر ما يلي.

يريد الله التخفيف				
الركن الإسنادي يريد الله			ركن التكملة التخفيف	
ركن فعلي	ركن اسمي		الـ	اسم نكرة
يريد	الله			

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالث عشر: احتفاظ الوحدات الإسنادية بكل مكوناتها اللفظية عند إعادة ترتيبها في تركيب بنية أشمل.

يقتضي إعادة ترتيب الوحدات الإسنادية في تركيب بنية أشمل أن تفقد بعض مكوناتها اللفظية لملاءمة قواعد التركيب فيها، لكنها أحيانا تحتفظ بكل مكوناتها مخالفة للتركيب للحفاظ على ترتيبها ولو تأخرت.

الشاهد:

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف 12

1: تفسيره.

قال الألوسي: (روح المعاني).

"﴿قال﴾ استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل: فماذا قال الله تعالى حينئذ؟ وبه-كما قيل- يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة، وفيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير أي قال الله تعالى لإبليس حين لم يكن من الساجدين ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ المشهور أن ﴿لا﴾ مزيدة بدليل قوله سبحانه في آية أخرى ﴿ما منعك أن تسجد﴾ (ص75) وقد جاءت كذلك في قوله سبحانه: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ (الحديد29) أي ليعلم، وهي في ذلك-كما قال غير واحد- لتأكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحققيه.

واستشكل بأنها كيف تؤكد ثبوت الفعل مع إيهام نفيه، قال الشهاب: والذي يظهر لي أنها لا تؤكده مطلقا بل إذا صحب نفيا مقدما أو مؤخرا صريحا أ غير صريح كما في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ وكما هنا فإنها تؤكد تعلق المنع به، ومن هنا قالوا: إنها منبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود، وقيل: إنها غير زائدة بأن يكون المنع مجازا عن الإلجاء والاضطرار، فالمعنى ما اضطرك إلى أن لا تسجد. وجعله السكاكي مجازا عن الحمل ولا قرينة للمجاز أي ما حملك ودعاك إلى أن لا تسجد؟ وليس بين الجعلين كثير فرق.

وجوز أن يكون ذلك من باب التضمين، وقال الراغب: المنع يقال في ضد العطية كرجل مانع ومناع أي بخيل، ويقال في الحماية، ومنه مكان منيع وقد مُنع وفلان ذو منعة أي عزيز ممتنع على من يرومه، والمنع في الآية من الثاني أي ما حملك عن عدم السجود ﴿إذ أمرتك﴾ بالسجود، و﴿إذ﴾ ظرف لتسجد، وهذه الآية أحد أدلة القائلين بأن الأمر للفور لأنه ذم على ترك المبادرة ولولا أن الأمر للفور لم يتوجه الذم عليه وكان له أن يجيب بأنك ما أمرتني بالبدار وسوف أسجد. وأجيب بأن الفور إنما هو من قوله تعالى:﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر29) وليس من صيغة الأمر إلا أن بعضهم منع دلالة الفاء الجزائية على التعقيب من غير تراخ، وقال آخرون: إن الاستدلال إنما هو لترتب اللوم على مخالفة الأمر المطلق حيث قال سبحانه: ﴿إذ أمرتك﴾ ولم يقل جل شأنه: إذ قلت فقعوا له ساجدين فتدبر، وفي حكاية التوبيخ ههنا بهذه العبارة وفي سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر32) وفي سورة (ص) بقوله سبحانه:﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص75) إشارة إلى أن اللعين أدمج في معصية واحدة وقد وبخ على كل من ذلك لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاءً بما ذكر في موطن آخر وإشعارا بأن كل واحدة غير واحدة من هاتيك المعاصي كافية في التوبيخ وبطلان ما ارتكبه، وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"ألا ترى إلى قوله (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) الاعراف11 ممن سجد لآدم (ألا تسجد) لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله–ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ–ومثلها–لئلا يعلم أهل الكتاب–بمعنى ليعلم.فإن قلت: ما فائدة زيادتها؟ قلت: توكيد معنى الفعل الذي تذخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك(إذ أمرتك)لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجابا وحتمه عليك حتّما لابد لك منه.فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه؟ قلت: للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب. فإن قلت: كيف يكون قوله(أنا

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م4، ج8، ص446.

خير منه)جواب لما منعك؟ وإنما الجواب أن يقول منعني كذا.قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل عن آدم وبعلة فضله عليه، وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي إنكار للأمر واستعباد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله"[1].

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

"﴿قالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّ لَا زَائِدَةٌ تُفِيدُ التَّوْكِيدَ وَالتَّحْقِيقَ كَهِيَ فِي قَوْلِهِ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَيْ لِأَنْ يَعْلَمَ وَكَأَنَّهُ قِيلَ لِيَتَحَقَّقَ عِلْمُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُحَقِّقَ السُّجُودَ وَتَلْزَمَهُ نَفْسُكَ إِذْ أَمَرْتُكَ وَيَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِهَا قَوْلِهِ تَعَالَى مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ وَسُقُوطُهَا فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَتِهَا فِي أَلَّا تَسْجُدَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ وَبَّخَهُ وَقَرَّعَهُ عَلَى امْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ وَإِنْ كَانَ تَعَالَى عَالِمًا بِمَا مَنَعَهُ مِنَ السُّجُودِ وَمَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى التَّوْبِيخِ كَمَا قُلْنَا وَأَنْشَدُوا عَلَى زِيَادَةِ لَا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَفَعَنْكَ لَا بَرْقٌ كَأَنَّ وَمِيضَهُ ... غَابٌ يُقَسِّمُهُ ضِرَامٌ مُثْقَبُ

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَبَى جُودُهُ لَا الْبُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ ... نَعَمْ مِنْ فَتًى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ قائله

وَأَقُولُ لَا حُجَّةَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ إِذْ يُحْتَمَلُ أَنْ لَا تَكُونَ فِيهِ لَا زَائِدَةً لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً وَحُذِفَ الْمَعْطُوفُ وَالتَّقْدِيرُ أَفَعَنْكَ لَا عَنْ غَيْرِكَ وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَقَالَ الزَّجَّاجُ لَا مَفْعُولَةٌ وَالْبُخْلُ بَدَلٌ مِنْهَا، وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ العلاء: الرِّوَايَةُ فِيهِ لَا الْبُخْلِ بِخَفْضِ اللَّامِ جَعَلَهَا مُضَافَةً إِلَى الْبُخْلِ لِأَنَّ لَا قَدْ يُنْطَقُ بِهَا وَلَا تَكُونُ لِلْبُخْلِ انْتَهَى. وَقَدْ خَرَّجْتُهُ أَنَا تَخْرِيجًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ يَنْتَصِبَ الْبُخْلُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أجله ولا مَفْعُولَةٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: لَا فِي أَنْ لَا تَسْجُدَ لَيْسَتْ زَائِدَةً وَاخْتَلَفُوا، فَقِيلَ يُقَدَّرُ مَحْذُوفٌ يَصِحُّ مَعَهُ الْمَعْنَى وَهُوَ مَا مَنَعَكَ فَأَحْوَجَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ، وَقِيلَ يَحْمِلُ قَوْلُهُ مَا مَنَعَكَ مَعْنًى يَصِحُّ مَعَهُ النَّفْيُ، فَقِيلَ مَعْنَى مَا مَنَعَكَ مَنْ أَمَرَكَ وَمَنْ قَالَ لَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ. قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ هَذَا لَيْسَ بِجَوَابٍ مُطَابِقٍ لِلسُّؤَالِ لَكِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْجَوَابَ إِذْ مَعْنَاهُ مَنَعَنِي فَضْلِي عَلَيْهِ لِشَرَفِ عُنْصُرِي عَلَى عُنْصُرِهِ وَهَذَا يَقْتَضِي عِنْدَهُ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ وإذا كان كذلك

[1] الكشاف، الزمخشري، ج2، ص68-69.

فالناشيء مِنَ الْأَفْضَلِ لَا يَسْجُدُ للمفضول، قالو: وَذَلِكَ أَنَّ النَّارَ جِسْمٌ مُشْرِقٌ عُلْوِيٌّ لَطِيفٌ خَفِيفٌ حَارٌّ يَابِسٌ مُجَاوِرٌ لِجَوَاهِرِ السّموات مُلَاصِقٌ لَهَا"[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

"﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.فدل بقوله: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أنَّ إِبليسَ أُمِرَ بالسجود مع الملائكة، ومعنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ إِلْغَاءُ (لا) وهي مؤَكدة، المعنى: ما منعك أن تسجد، فمسألته عن هذا، والله قد علم ما منعه، توبيخ له وَلِيُظْهِرَ أنه معاند، وأنه ركب المعصية خلافا لله، وكل من خالف الله في أَمره فلم يَرَهُ واجِبًا عليه كافرٌ بإِجماع، لو ترك تاركٌ صلاةً وقال إنها لا تجب كان كافرًا، فأعلم الله جل ثناؤه أَن معصية إبليس معصية معانَدَة وكفر، وقد أعلم الله أنه من الكافرين فقال:﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فَالفَصْلُ بين معصية إبليس ومعصية آدم وَحَوَّاءَ أَنَّ إبليس عاند وأقام ولم يتب، وأن آدم وحواءَ اعترفا بالذنب وقالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ومثل(أَلاَّ) في قوله: ﴿ألا تسجد﴾ قوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ (أي) لأن يعلم أهل الكتاب، وقول الشاعر:

أبى جودُه (لا) البخل واستعجلت به (نعم) من فتى لا يمنع الجوعَ قاتله.

قالوا: معناه أبى جودُه البخلَ.

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: الرَّوايَةُ: أبى جوده البخل.

واستعجلت به (نعم) والذي قاله أبو عمرو حسن، المعنى: أبى جوده (لا) التي تُبخَّل الإنسان، كأنه إذا قيل: لا تسرف ولا تبذر مالك، أبى جودُه (لا) هذه، واستعجلت به (نعم) فقال: نعم أَفعل ولا أَترك الجودَ.

1_البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص17

وهذان القولان في البيت هما قولا العلماء، وأرى فيه وجهًا آخر وهو عندي حسن، أرى أن تكون(لا) غير لغو، وأَن يكون البخل منصوبا بدلا من (لا) المعنى: أبى جودُه البُخْلَ واستعجلت به (نعم).

وموضع (ما) في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ رفع، المعنى: أي شيء منعك في السجود، فلم يقل منعني كذا وكذا فأتى بالشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ في معنى: منعني من السُّجود فضلي عَلَيْه، ومثل هذا في الجواب أن يَقول الرجل كيف كنت، فَيَقولُ: أنا صالح، وإنما الجواب كنت صالحا، ولكن المعنى أنه قد أَجابه بما احتاج إليه وزاده أنه في حال مسألته إياه صالح، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنْ الصَّاغِرِينَ﴾"[1].

قال محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

"﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أي قال تعالى لإبليس أي شيء منعك أن تدع السجود لآدم؟ والاستفهام للتقريع والتوبيخ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي قال إبليس اللعين أنا أفضل من آدم وأشرف منه فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ ثم ذكر العلة في الامتناع فقال﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ أي أنا أشرف منه لشرف عنصري على عنصره، لأنني مخلوق من نار والنار أشرف من الطين، ولم ينظر المسكين لأمر من أمره بالسجود وهو الله تعالى، قال ابن كثير: نظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف والتعظيم وهو أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسا فاسدا فأخطأ قبحه الله في قياسه في دعواه أن النار أشرف من الطين، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم، والنار من شأنها الإحراق والطيش، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح والنار محل العذاب ولهذا خان إبليس عنصره فأورثه الهلاك والشقاء والدمار قال ابن سيرين: أول من قاس إبليس فأخطأ فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس"[2].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

[1] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، 260،261،262.

[2] - صفوة التفاسير، الصابوني، م1، ص 406.

"﴿قال ما منعك...﴾: ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، وعند الكسائي بالعائد. والمعنى أي شي منعك ﴿ألا تسجد﴾ في موضع نصب أي من أن تسجد ﴿قال أن خير منه﴾ ابتداء وخبر.في﴿أنا﴾ ثلاث لغات أفصحها: أنا فعلتُ بحذف الألف في الإدراج لأنها زائدة لبيان الحركة في الوقف

قال الفراء: وبعض بني قيس وربيعة يقولون: أنا فعلت بإثبات الألف في الإدراج.

قال الكسائي: وبعض قضاعة يقولون: أأن فعلتُ، مثل عَانَ.

وفي الوقف ثلاث لغات: أفصحها: أَنَا.

قال الكسائي: ومن العرب من يقول: أَنَهْ قال الأخفش: ومن العرب من يقول: أَنْ في الوقت"[1].

قال محمد متولي الشعراوي: (**إعراب القرآن الكريم**).

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف 12

'ما' اسم استفهام مبتدأ، وجملة 'منعك' خبر، 'أن لا تسجد' 'لا' زائدة للتوكيد والمصدر منصوب على نزع الخافض 'من'، 'إذ' ظرف زمان متعلق بـ تسجد، الجار'منه' متعلق بـ خير'، جملة 'خلقتني' تفسيرية للخبرية.

حين نحلل هذا النص، نجد قوله"﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أي ما حجزك، وقد أورد القرآن هذه المسألة بأسلوبين، فقال الحق مرة: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، وقال مرة أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ...﴾.ص 75

وهذا يعني أن الأسلوب الأول جاء بـ (لا) النافية، والأسلوب الثاني جاء على عدم وجود (لا) النافية وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ...﴾.ص 75، كلام سليم واضح يعني: ما حجزك عن السجود.لكن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، هي التي تحتاج لوقفة.

[1] - إعراب القرآن،أبو جعفر النحاس، ص279.

لذلك قال العلماء: إن (لا) هنا زائدة، ومن أحسن الأدب منهم قال: إن (لا) صلة.لكن كلا القولين لا ينفع ولا يناسب؛ لأن من قال ذلك لم يفطن إلى مادة (منع) ولأي أمر تأتي، وأنت تقول: (منعت فلانا أن يفعل)، كأنه كان يهم أن يفعل فمنعته.

إذن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ الأعراف 12، كأنه كان عنده تهيئ للسجود، فجاءت قوة أقوى منه ومنعته وحجزته وحالت بينه وبين أن يسجد.لكن ذلك لم يحدث"[1].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"قال ما منعك: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إليه سبحانه.أي قال الله له: ما: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ –يفيد التوبيخ– منعك: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو والكاف ضمير متصل –ضمير المخاطب– مبني على الفتح في محل نصب مفعول به والجملة الفعلية (منعك) في محل رفع خبر المبتدأ (ما) والجملة الاسمية(ما منعك..) في محل نصب مفعول به–مقول القول–.

ألا تسجد: مكونة من (أن) حرف مصدري ناصب و(لا) نافية زائدة لا عمل لها وهي صلة لتوكيد الفعل وتحقيقه. تسجد: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت. والجملة الفعلية (تسجد) صلة حرف مصدري لا محل لها (وأن) وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به بمنع أي ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه أو يكون المصدر في محل جر بحرف جر محذوف. التقدير: من السجود.

'إذا أمرتك' قال: ظرف زمان بمعنى (حين) مبني على السكون في محل نصب متعلق بمنع، أمرتك: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك والتاء ضمير متصل –ضمير الواحد المطاع– مبني على الضم في محل رفع فاعل والكاف ضمير متصل –ضمير المخاطبين– مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية(أمرتك) في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف. قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو.

[1]- إعراب القرآن، الشعراوي، ج1، ص333.

أنا خير منه: الجملة الاسمية في محل نصب مفعول به –مقول القول– بمعنى: قال ياربي أنا أفضل من آدم. أنا: ضمير منفصل –ضمير المتكلم– مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. خير: خبر المبتدأ مرفوع بالضمة. منه: جار ومجرور متعلق باسم التفضيل (خير)

خلقتني من نار: الجملة الفعلية في محل نصب حال من ضمير المتكلم وهي فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك.التاء ضمير متصل –ضمير الواحد المطاع– مبني على الفتح في محل رفع فاعل. النون نون الوقاية والياء ضمير متصل –ضمير المتكلم– مبني على السكون في محل نصب مفعول به. من نار: جار ومجرور متعلق بحال محذوف من ضمير المتكلم (الياء'في' خلقتني) التقدير حال كوني مخلوق من نار و(من) حرف جر بياني.

وخلقته من طين: الجملة الفعلية معطوفة بالواو على جملة (خلقتني من نار) وتعرب إعرابها والهاء ضمير متصل –ضمير الغائب– مبني على الضم في محل نصب مفعول به"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"﴿قالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة منعك في محل رفع خبرها، والمعنى: أي شيء منعك.وأن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض، أي: ما منعك من السجود.

وإذ ظرف ماض متعلق بـ تسجد، أي: ما منعك من السجود وقت أمري إياك به. ولا: زائدة لتأكيد معنى النفي، وجملة أمرتك في محل جر بالإضافة ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ جملة القول مستأنفة، مسوقة لجواب إبليس عن السؤال الناشيء عن حكاية عدم سجوده، وأنا مبتدأ، وخير خبر، ومنه جار ومجرور متعلقان بخير، وجملة خلقتني لا محل لها لأنها مسوقة لتعليل ما ادعاه غروراً واستكباراً من فضله على آدم. ومن نار جار ومجرور متعلقان بخلقتني من طين عطف على سابقتها"[2].

3: دراسة الشاهد.

1 - إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، م 3، ص 466-467.

[2]- إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويشي، م2، ج8، ص 520-521.

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾

من كل ما سبق يتبين أن الآية الكريمة ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ تتركب من جملة كبرى فعلية، فعلها قال، ومرفوعه مستتر، ومنصوبه جملة صغرى تتركب من وحدات إسنادية ثلاث، أُولاها: 'ما منعك'، وهي اسمية خبرها وحدة إسنادية، فعلها ماض'منَع وفاعله مستتر ومفعوله ضمير متصل، ومتعلقه المنصوب على نزع الخافض، أو هو المفعول الثاني لفعل منع. (من ألا تسجد).فالجملة الكبرى:'قال ما منعك ألا تسجد' هي المركب الإسنادي، وبقية الجمل الثانوية في الجملة الصغرى هي وحدات إسنادية منها البسيطة مثل: ما 'منعك'، ومنها المركبة مثل: 'منعك ألا تسجد'.

إن المتأمل في الجملة الكبرى في غير كلام الله، لا ريب يلحظ تلك التحولات الدلالية التي تغير بها مفهوم الكلام من أصله المجرد أومن الفكرة الذهنية التي يعرفها المتلقي من فعل وفاعل ومفعوليه وهي إحداث المنع إلى دلالة أخرى هي المراد تبليغها. فالبنية الإسنادية منعك المؤلفة من فعل ماض ومعموليه تحول إلى استنكار وتوبيخ بفعل دخول اسم الاستفهام 'ما' عليه وزيادة، بمعنى أن الفعل الدال على الحدث استحال توبيخا واستنكارا بعد الاستفهام. كما الفعل تسجد انتفى حين حدث الأمر به. فالتحول من الإيجاب إلى النفي استوجب التحويل من الاستفهام لأن السائل لا يطلب جوابا لأنه يعلمه فلم يكن مراده إلا الإنكار على المخاطب وتوبيخه وما كان ذلك ليتم لولا قواعد التحويل التي كان للزيادة والتوسع الدور الأكبر فيها.

أما ما يلفت في كل ذلك فهو وجود لا النافية بعد أن المصدرية في الوحدة الإسنادية (أن لا تسجد). 'لا' التي يراها النحاة زائدة إعرابيا بحكم أنها لا تعمل، فلا ترفع ولا تنصب ولا تجزم، ويراها المفسرون تؤكد الفعل بعدها، واستدلوا على ذلك بما يشبهها، والمعلوم أنها للنفي في مثل هذا الموضع. والأصل في غير كلام الله أن يُرى ترتيب المعاني من المتلقي اللبيب أو السامع المثالي، لأنه سيؤول المعنى (إسناديا) إلى ما يعرفه من قواعد التأليف وترابط المعاني، فالمتلقي المثالي يرتب المعاني في نفسه ترتيبا حقيقيا ليجد أن الأمر (إذ أمرتك) كان أولا، وأن (اللا سجود) عدم السجود كان ثانيا، ثم الاستفهام عن المانع المعلوم بغرض التوبيخ كان الأخير رتبة في الحدث الفعلي، واقتضت قواعد التركيب النحوي تغيرا في الترتيب فجاءت الجملة على ترتيبها الحالي، ذلك أن 'ما' الاستفهامية لها الصدارة في الكلام،

وأن أي تأخير لها سيفقدها معناها ومدلولها، فكانت 'ما منعك'؛ ثم إن الامتناع كان عن السجود، فاقتضى الفعل 'منَع' أن يليه مفعوله الثاني (المصدر المؤول) أن 'لا تسجد'. المركب من أن المصدرية والفعل المضارع تسجد و نَفْي الفعل يؤدي إلى نفي المصدر، ولذلك تقدمت أن المصدرية على لا النافية لأنها لو سبقت لدل على نوع من الاختيار، فالقول: (لا أن تسجد) يشير إلى اختيار سابق، وليس في دلالة الجملة أي اختيار، ثم يأتي ظرف 'إذْ أمرتك' ليؤكد معنى دقيقا غاية في الدقة، وهو وجود الطاعة بالسجود حين الأمر.

والجملة بكل مدخلاتها المعجمية وتداخلها أفضت إلى أوضح دلالة يمكن أن تكون عليها وفق المراد لها، ذلك أن قواعد النظم وترتيب المدخلات انطلاقا من البنية العميقة وفق قواعد التوسع والتمدد أوصلت الجملة إلى أقصى ما يمكن أن تكون عليه من جمالية ودقة ووضوح.

إن المتلقي النبيه أو السامع المثالي في تفسيره لهذه الجملة سيرتّب المعاني في نفسه أولا ثم يرتب مدخلات التركيب، وفق مقتضيات النحو، وبتوخي معاني النحو، فتفسيره لهذه الجملة، لا بد أن يراعي قواعد النظم الجرجانية وقواعد التحويل التشومسكية فيها يجد أن ترتيب المعاني قد اختلف عن ترتيب التركيب والتأليف النحوي، لأن الأمر بالسجود كان قبل الحدث الفعلي، وأن عدم السجود كان قبل التوبيخ، لكن قواعد التركيب النحوي تستوجب تقديم التوبيخ كونه جاء في صيغة استفهام إنكاري، وهو الأصحّ والأبلغ لهذه الحالة كون الموبّخ يعدِم الحجة (لا مبرر لعصيانه الأمر ولا حجة له)، ولأن الإنكار جاء في صيغة استفهام فإن التركيب اقتضى صدارة اسم الاستفهام الذي يجب أن يليه المستفهم عنه، فتقدمت النتيجة على مقدماتها.واشتملت وحدة الاستفهام على فعل يجب أن يستوفي مفعوله في الوحدة التالية له من معنى الحدث، فمنصوب الفعل الثاني سواء منصوبا على نزع الخافض أو مفعولا ثانيا في محل نصب يدخل في بنية الجملة الأولى كما هو واضح ويليها الأمر الذي هو وحدة إسنادية فعلية استوفى فعلُها معموليه كان أول الأحداث، مسبوقا بـ إذْ الظرفية التي تجعل منه مضافاإليه.

بعد قواعد التوليد والتحويل استقرت الجملة على ترتيب نهائي هو الأفصح والأوضح والأصح على الإطلاق، لأنه كان يمكن أن يُعبّر عن تلك المعاني بالقول: 'أمرتك فلم تسجد فما المانع؟ وهذا ما يؤكد التوليد الذي قال به تشومسكي، ويثبت التحويل وأقل ما يمكن أن يُلحظ في كل وحدة

إسنادية تحوّلها من البنية الأساس (البنية العميقة) أو (المعنى الذهني)إلى تركيب تواصلي فيه من الجمال ما يؤثر في النفس ويوحي بهيبة المقول التي هي من هيبة القائل، فالقول ما منعك؟ لا يوحي بالتوبيخ إلا مع الإنكار وارتباطه بالبنى الموالية له لفظا، السابقة له حدوثا،فلو قيل مثلا لماذا؟ لفُهم من ذلك البحث عن التعليل، لكن اختيار اللفظ للمعنى وصياغته بما يقتضيه علم المعاني، وترتيبه بما يستوجبه علم النحو وما ينبغي للبلاغة منه، جعل منه كلاما معجزا لا يقف عند حدود البلاغة.

وهنا يجب الإشارة إلى دور العقل في إدارة كل تلك العمليات المعقدة، فقد كان يستحضر كل جزئية في التوليد والتركيب والتحويل وما يكون منها في موضعها وزمنها ويصل إلى المراد من دون العناء في رتبة كل منها.

والخلاصة فإن الجملة المركبة تتركب من مسند ومسند إليه، يكون أحدهما على الأقل وحدة إسنادية، والبنية الإسنادية بعناصرها جميعا تخضع لقوانين النظم والتحول من حذف، وتمدد، وتوسع،وفصل ووصل؛كل ذلك تفعيلا لتحويل المكونات الركنية إلى معنى مستقيم يكون أحسن ما يمكن السكوت عليه يطول أو يقصر حسب الدلالة المراد تبليغها.

ولعل التفسير الأرجح لوجود 'لا' في الوحدة الإسنادية 'ألا تسجد' هو كونها واقعة حيث يجب النفي، ذلك لأن الاستفهام عن المانع من عدم الامتثال للأمر، وليس عن السجود ولأن السجود هو موجب التوبيخ من عصيان الأمر فلزمه النفي ورؤية النحاة بزيادة 'لا' النافية تبرر التركيب لا الدلالة، فلو أعيدت البنى إلى أصولها والأحداث إلى أزمنة حصولها لتبيّن أن هناك أمرا بالسجود كان أولا وتلاه عدم السجود الذي استوجب الإنكار لكنه تقدم بسبب صدارة اسم الاستفهام؛ فتأخر المعاني كتأخر الألفاظ في النظم يكون منها ما على نية التأخير ومنها ما ليس على نية التأخير وهذه إحدى الحالات. لأن الأصل: 'أمر الله، ولم يسجد إبليس فوبّخ الله إبليس'. فتأخير المعنى كان لفظيا فاحتفظت كل وحدة بمكوناتها. وليس قوله تعالى: (ما منعك أن تسجد لمن خلقت بيدي).هو نفسه (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك)، لأن في هذه أمر والامتثال له أوجب من السجود وإن كان به يتم الامتثال.وهو أقوى من عدم السجود لآدم المخلوق.لذلك يمكن القول أن ثبوت لا النافية استوجبه الترتيب الأصلي مع وجود الأمر صريحا لأنه لمّا لم يكن الأمر لم تثبت أداة النفي، وهو ما يؤكد أن استقامة الدلالة تسبق استقامة التركيب وترتبط به؛ وأن قطعية الدلالة تضمن تَنكُّب اللبس وتمنع

احتمالية التأويل، الأمر الذي حَدَا بالمفسرين والنحاة إلى القول بأن: '(لا) في هذه الآية مؤكدة حفظا للمعنى وصونا للمبنى'. وبذلك يتحقق للمركبات الإسنادية المتحولة ترتيبا يطابق مقتضى الحال يمكنها من الاحتفاظ بكل مكوناتها المعجمية لأداء كل تفاصيل المقصود تبليغه مما استوجبه التوبيخ على عدم الامتثال للأمر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابع عشر: الإقحام لتوكيد مكونات أركان التكملة.

قد يأتي الإقحام بعد تمام مكونات التركيب الإسنادي ومكملاته،ليؤكد مكونات أركان التكملة الذي يلعب دور الرابط الدلالي بين الجملة التامة الأولى والموالية لها.

الشاهد:

قال تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ * ﴿قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾الكهف1-2.

1: تفسيره:

قال الألوسي: (روح المعاني).

"(الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين سائر الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به، وهو إما عبارة عن جميع القرآن ففيه تغليب الموجود على المترقب وإما عبارة عن الجميع المنزل حينئذ فالأمر ظاهر، وفي وصفه تعالى بالموصول إشارة بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد الدال عليه اللام على ما صرح به ابن هشام وغيره وإيذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وهو الهادي إلى الكمال الممكن في جانبي العلم والعمل وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا إلى ضميره تعالى من الإشارة إلى تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وكذا تعظيم المنزل عليه ما فيه، وفيه أيضا إشارة بأن شأن الرسول أن يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى: (ولم يجعل له) أي للكتاب (عوجا) أي شيئا من العوج باختلال اللفظ من جهة الإعراب ومخالفة الفصاحة وتناقض المعنى وكونه مشتملا على ما ليس بحق أو داعيا لغير الله تعالى والعوج وكذا العوج الانحراف والميل عن الاستقامة إلا أنه قيل: إلا أنه قيل: هو بكسر العين ما يدرك بفتح العين وبفتح العين ما يدرك بفتح العين، فالأول الانحراف عن الاستقامة المعنوية التي تدرك بالبصيرة كعوج الدين والكلام، والثاني الانحراف عن الاستقامة الحسية التي تدرك بالبصر كعوج الحائط... (قيّمًا) أي مستقيما كما أخرجه ابن المنذر عن

الضحاك وروى أيضا ابن عباس، والمراد مما قبل أنه لا خلل في لفظه ولا في معناه، والمراد من هذا أنه معتدل لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد ولا تفريط فيه بإهمال ما يحتاج إليه حتى يحتاج إلى كتاب آخر كما قال سبحانه: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) ولذا كان آخر الكتب المنزل على خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، وقيل منه ما أريد مما قبله وذكره للتأكيد"[1].

قال جار الله الزمخشري: (الكشاف).

"لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيئا من العوج قط، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان؛ والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء من الحكمة والإصابة فيه. فإن قلت: بم انتصب (قيما)؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب، لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجا. جعله قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح. وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها. وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع."[2]

قال أبو حيان الأندلسي: (تفسر البحر المحيط).

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ * ﴿قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ الكهف1-2

"إنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولداً، أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولداً، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن. ثم استطرد إلى

[1] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، م8، ج15، ص273-274.
[2]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص471-472.

حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله ﴿**وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لما في ﴿عَبْدِهِ﴾ من الإضافة المقتضية تشريفه، ولم يجيء التركيب أنزل عليك.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والعوج في المعاني كالعوج في الأشخاص ونكر ﴿عِوَجَا﴾ ليعم جميع أنواعه لأنها نكرة في سياق النفي، والمعنى أنه في غاية الإستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، لا حوشية ولا عيّ في تراكيبه ومبانيه. و﴿قَيِّماً﴾ تأكيد لإثبات الإستقامة إن كان مدلوله مستقيماً وهو قول ابن عباس والضحاك. وقيل: ﴿قَيِّماً﴾ بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معاشهم ومعادهم. وقيل: ﴿قَيِّماً﴾ على سائر الكتب بتصديقها. واختلفوا في هذه الجملة المنفية، فزعم الزمخشري أنها معطوفة على﴿أَنزَلَ﴾ فهي داخلة في الصلة، ورتب على هذا أن الأحسن في انتصاب ﴿قَيِّماً﴾ أن ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالاً من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وقدره جعله ﴿قَيِّماً﴾. وقال ابن عطية: ﴿قَيِّماً﴾ نصب على الحال من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ، أي أنزل الكتاب ﴿قَيِّماً﴾ واعترض بين الحال وذي الحال قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ ذكره الطبري عن ابن عباس، ويجوزأن يكون منصوباً بفعل مضمر تقديره أنزله أو جعله ﴿قَيِّماً﴾. أما إذا قلنا بأن الجملة المنفية اعتراض فهو جائز،ويفصل بجمل للإعتراض بين الحال وصاحبها.

وقال العسكري: في الآية تقديم وتأخير كأنه قال: احمدوا الله على إنزال القرآن﴿قَيِّماً﴾ لا عوج فيه، ومن عادة البلغاء أن يقدّموا الأهم. وقال أبو عبد الله الرازي: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ يدل على كونه مكملاً في ذاته. وقوله قيماً يدل على كونه مكملاً بغيره، فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله، وأن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه. وقال الكرماني: إذ جعلته حالاً وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير، والصحيح أنهما حالان من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الأولى جملة والثانية مفرد انتهى. وهذا على مذهب من يجوز وقوع حالين من ذي حال واحد بغير عطف، وكثير من أصحابنا على منع ذلك انتهى. واختاره الأصبهاني وقال: هما حالان متواليان والتقدير غير جاعل له ﴿عِوَجَا * قَيِّماً﴾ وقال صاحب حل العقد: يمكن أن يكون قوله قيماً بدلاً من قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ أي جعله مستقيماً ﴿قَيِّماً﴾ انتهى. ويكون بدل مفرد من جملة

كما قالوا في عرفت زيداً أبو من أنه بدل جملة من مفرد وفيه خلاف. وقيل: ﴿قَيِّماً﴾ حال من الهاء المجرورة في ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ﴾ مؤكدة. وقيل: منتقلة، والظاهر أن الضمير في ﴿لَهُ﴾ عائد على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾وعليه التخاريج الإعرابية السابقة. وزعم قوم أن الضمير في ﴿لَهُ﴾ عائد على ﴿عَبْدِهِ﴾ والتقدير ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ وجعله﴿قَيِّماً﴾. وحفص يسكت على قوله ﴿عِوَجَا﴾ سكتة خفيفة ثم يقول ﴿قَيِّماً﴾. وفي بعض مصاحف الصحابة ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ لكن جعله قيماً ويحمل ذلك على تفسير المعنى لا أنها قراءة[1].

قال الزجاج: (معاني القرآن وإعرابه).

قوله عز وجل: "﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ * ﴿قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

"قال أهل التفسير وأهل اللغة: إن معناه الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيِّمًا ولم يجعل له عوِجًا، ومعنى قيّم: مستقيم، والعِوَجُ –بكسر العين– فيما لا يرى له شخص، وما كان له شخص قيل: فيه عَوَج بفتح العين، تقول: في دينه عِوَجٌ، وفي العصا عَوَجٌ، بفتح العين.

وتأويله الشكر لله الذي أنزل على محمد الكتابَ مستقيمًا ولم يجعل له عِوَجًا، أي: لم يجعل فيه اختلافا كما قال جلّ ثناؤه: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا.

وقوله: 'لينذر بأسا شديدا من لدنه'

أي: لينذرهم بالعذاب البائس.

'من لدنه" أي من قبله'[2].

قال علي الصابوني: (صفوة التفاسير).

_1 البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج**7، ص135-136**

[2] - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج3، ص218.

"التفسير: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أي الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال لله الذي أنزل على رسوله محمد القرآن نعمة عليه وعلى سائر الخلق (ولم يجعل له عوجا) أي لم يجعل فيه شيئا من العوج لا في ألفاظه ولا في معانيه، وليس فسه أي عيب أو تناقض (قيما) أي مستقيما لا اختلاف فيه ولا تناقض، قال الطبري: هذا من المقدَّم والمؤخر أي أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا يعني مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا اعوجاج ولا ميل عن الحق، (لينذر بأسا شديدا من لدنه) أي لينذر بهذا القرآن الكافرين عذابا شديدا من عنده تعالى"[1].

2: إعرابه.

قال أبو جعفر النحاس: (إعراب القرآن).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾

قال أبو جعفر: زعم الأخفش سعيد والكسائي والفراء وأبو عبيد أن في أول هذه السورة تقديما وتأخيرا، وأن المعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل قيما ولم يجعل له عوجا.

(قيما) نصب على الحال. وقول الضحاك فيه حسن أن المعنى مستقيم أي مستقيم الحكمة لا خطأ فيه، ولا فساد ولا تناقض (عوجا) مفعول به. يقال: في الدين، وفي الأمر، وفي الطريق عوجٌ، وفي الخشبة والعصا عوجٌ أي عيب أي ليس متناقضا. (وينذر) عطف عليه (الذين) مفعولون"[2].

قال محمد متولي الشعراوي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ "الذي" اسم موصول نعت للجلالة، وجملة "ولم يجعل" معطوفة على الصلة، الجار "له" متعلق بالفعل.

(قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجرا حسنا) "قيما" حال من الضمير في "له"، والمصدر المجرور "لينذر" متعلق ب "أنزل"، "لدنه" اسم

[1]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م2، ص168.

[2] - إعراب القرآن، النحاس، ص493.

ظرفيّ مبني على السكون في محل جر متعلق بنعت ثان ل"بأسا" والمصدر المؤول "أن لهم أجرا" منصوب على نزع الخافض الباء"[1].

قال بهجت عبد الواحد الشيخلي: (إعراب القرآن الكريم).

"﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾

الحمد لله الذي: مبتدأ مرفوع بالضمة. لله: جار ومجرور للتعظيم في محل رفع متعلق بخبر المبتدأ. التقدير: الحمد مختصّ لله. الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة –نعت– للفظ الجلالة.

أنزل على عبده الكتاب: الجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها وهي فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هو. على عبده: جار ومجرور متعلق بأنزل والهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بالإضافة. الكتاب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

ولم يجعل: الواو عاطفة. لم: حرف نفي وجزم وقلب. يجعل: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هو.

له عوجا: جار ومجرور متعلق بيجعل ويجوز أن يكون في موضع مفعول به أول للفعل (يجعل). عوجا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المنونة أي لم يجعل فيه شيئا من الاعوجاج قط لا باختلال ألفاظه –ألفاظ القرآن– ولا بتباين في معانيه.

(قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين)

قيّما لينذر: مفعول به منصوب بفعل مضمر تقديره: جعله قيماً وعلامة نصبه الفتحة المنونة بمعنى: مستقيما معتدلاً. وهو ليس حالاً من (الكتاب) لأن قوله (ولم يجعل) معطوف على (أنزل) فهو داخل في صلة الموصول فإعرابه حالا يفصله بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره: ولم يجعل عوجا جعله قيما لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. اللام حرف جر للتعليل. ينذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه الفتحة والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو.

[1]- إعراب القرآن الكريم، الشعراوي، م2، ص729.

والفعل متعدّ إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما والمحذوف تقديره الذين كفروا. والجملة الفعلية (ينذر الذين) صلة حرف مصدري لا محل لها و(أن) المضمرة وما بعدها بتأويل مصدر –للإنذار– في محل جر باللام والجار والمجرور متعلق بأنزل.

بأسا شديدا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المنونة. شديدا صفة –نعت– للموصوف (بأسا) منصوب مثله وعلامة نصبه الفتحة المنونة بمعنى: ليخوّف به الذين كفروا عذابا شديدا.

من لدنه: حرف جر. لدنه: اسم مبني على السكون في محل جر بمن والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة والجار والمجرور متعلق بصفة ثانية للموصوف (بأسا) بتقدير: صادرا من لدنه أي من عنده"[1].

قال محي الدين الدرويش: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).

"﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾

الحمد مبتدأ، ولله متعلقان بمحذوف تقديره: ثابت الله، فهو الخبر،والذي نعت وجملة أنزل صلة، وعلى عبده متعلقان بأنزل، والكتاب مفعول به، والواو يجوز أن تكون عاطفة، فالجملة معطوفة على أنزل داخلة في حيز الصلة، ويجوز أن تكون اعتراضية، فالجملة معطوفة بين الحال، وهي قيماً وصاحبها، وهو الكتاب، ويجوز أن تكون حالية، فالجملة حال من الكتاب، فتكون قيما حالا متداخلة كما سيأتي (قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه) اضطربت أقوال النحاة والمفسرين في إعراب قيما اضطرابا شديدا، وقد وقع اختيارنا على أن تكون حالا من الكتاب، وجملة ولم يجعل معترضة، واختار أبو البقاء أن تكون حالا من الهاء في له، والحال مؤكدة، واختار الزمخشري أن تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره: جعله قيما، وننقل عبارته لأهميتها فإن قلت: بم انتصب قيما؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر، ولا يجعل حالا من الكتاب، لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجا جعله قيما، لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. وقد فطن حفص إلى هذا

[1]- إعراب القرآن الكريم، الشيخلي، مج6، ص6-7.

الاضطراب في إعراب قيما، فوقف على تنوين عوجاً مبدلا له ألفا سكتة لطيفة من غير قطع نفس؛ إشعارا بأن قيما ليس متصلا بـ عوجا، وإنما هو من صفة الكتاب. وصرح أبو حيان في (البحر) بأن المفردة يبدل من الجملة، كقوله تعالى:(ولم يجعل له عوجا) فقيماً بدل من جملة، ولم يجعل له عوجا؛ لأنها في معنى المفرد، أي: جعله مستقيما.وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً؛ لأنها لا تخرج عن هذا النطاق"[1].

3: دراسة الشاهد.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ * ﴿قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾الكهف1-2

إن المتأمل في قوله تعالى يدرك أن الآيتين مرتبطتان ببعضهما تركيبا ودلالة، ولمعرفة ذلك وجب على المتلقي أن ينظر في التراكيب، ويفكك كلا منها ليرى علاقتها بما بعدها وبما سبقها، فالجمل في غير كلام الله هي 'الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا'. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا'

إن أول ما يُلحظ أن في هذه البُنى الإسنادية بعض الزيادات التي أضيفت لإحداث معنى أو معان تواصلية أخرى، 'فالحمد لله' تركيب إسنادي مستقل يتكون من مبتدأ وخبر في ترتيب طبيعي، ثم أضيفت إليه 'الذي' نعتا للمجرور في الخبر لخبر (لفظ الجلالة)، وأعقب بصلته التي هي وحدة إسنادية وظيفتها تعريف الذي وإزالة إبهامها، وهي عبارة عن جملة فعلية استوفت مفعولها، ثم عطف على صلة الموصول وحدة إسنادية أخرى 'لم يجعل له عوجا'.لوصف حال الكتاب الذي هو مفعول في صلة الموصول السابقة؛ من هنا يمكن القول أن الحمد لله مستوجب بما أنزل على عبده تقدم لأنه الدعاء الذي يقال نطقا أو نية، وهو ما اقتضى الاستجابة لأمر الحمد، فكأنما هي؛ أقول: 'الحمد لله'، فـ'الحمد لله على تنزيل الكتاب'الذي خلا من العوج مرتبط بـ 'قيما' وهو حال من الكتاب عبر الضمير العائد عليه في شبه الجملة 'له'.

[1] - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، مج4، ج15، ص435.

إن البُنى الإسنادية مركبات ووحدات ارتبط بعضها ببعض بواسطة التوابع المفردة مثل 'الذي' و'قيما' أو التي كانت وحدات إسنادية مثل 'أنزل على عبده الكتاب' و'لم يجعل له عوجا'، ويلحظ من ذلك الترتيب التركيبي الطبيعي،لكنّ في الترتيب الدلالي تأخيرا كان له أثر في تفصيل المعنى كما كان له الربط بين المعنيين فالحال 'قيما' تخص 'الكتاب'ووصف الكتاب بأن لا عوج له وكان يمكن أن تتقدم 'قيما' لتغني عن الحال الجملة ثم أقحم الحال 'قيما' ليؤكد أن لا عوج فيه. ولما تكرر الحال أمكن أن تكون بدلا من الأولى، وبذلك صحّ أن تكون الحال المفردة بدلا عن الحال الجملة، وأمكن أن تكون حالا ثانية تؤكد الأولى خاصة أنهما تحملان الدلالة ذاتها مع فارق أن الأولى مرتبطة بفعل التنزيل، والثانية تشمل مطلق الأحوال، فكانت الأعم الأشمل، وفي الحالتين فإن في وجودها في هذا الموضع يضفي على المعنيين الرئيسين دلالة الكتاب التي استوجبت الحمد لله مُنْزِلِهِ، ودلالة صِدْقِيتِهِ في أن يكون منذَرا به ومبشرا لما هو عليه من الحق. وهذه دلالات تفهم من خلال الإقحام

وعند تأمل هذه الُبنى الإسنادية في المركب الإسنادي 'الحمد لله' لا شك يتجلى التوليد والتحويل، فمن الحمد على الكتاب تولدت بنية جديدة لم يجعل له عوجا، وهي دلالة ثانية توضح وصفا في الخبر، ثم يضاف إليه قيما رغم أن قيما جاءت متصلة حيث انبغى الفصل، إلا أن بلاغة معناها في التركيب المتصل هي المقصودة، وهو ما جعلها متصلة تركيبا منفصلة تقديرا، فتقديرها متصلة تركيبا أفضت إلى فصلها نطقا بسكوت أو وقف قصير، لأن في اتصالها إفسادا للمعنى، فتبدو كأنها وصف لـ 'عوجا' وهو ما لا يكون.

إلا أن تُقدر حالا فصلت بينها وبين صاحبها جملة معطوفة على صلة الموصول، فهي حال مسندة إلى فضلة إسنادا ناقصا لا يمكنه بنقصانه أن يسبق 'عوجا' المنفية بنفي فعلها.والمتعلقة بفعل التنزيل زمنا وبفاعله صاحبا.

إن على المتلقي المبدع والسامع المثالي أن يرتب المعاني في نفسه أولا ليدرك أن صلة الموصول وما عطف عليها لا يمكن أن يتأخرا أو يتقدما، وأن 'قيما' بتقديمها إلى موضعها لن يعطيها مكانتها الدلالية، ولذلك فإن وضعها بعد جملتها أعطاها القيمة الدلالية بحال الكتاب في البداية، والقيمة الأكبر بالحديث عن الكتاب من وصفه وحالته التي بها يتم الإنذار والبشرى.

وهنا يبدو ما للوصل من دور في تقوية المعنى، بل وإعجازه، وأن التحولات الكبرى للمعنى كان للوصل فيها النصيب الأعظم من الدور. كما في هذه الآية التي كانت فيها الجملتان مترابطتين دلاليا.

والخلاصة فإن لترتيب المعاني في جملتها وتقدير بعض أجزائها التي وُصِلَتْ –وكان ينبغي لها أن تفصل– مظهرا من مظاهر التحويل الدلالي، كما إن تشابك الوحدات الإسنادية عامل في تحديد المعنى والخروج به من المعنى الأولي إلى ما يحيط به من المعاني في الوحدات الثانوية من دلالات، فتكون متساوية تواصليا بفضل ذلك الترتيب، وقد استوى ذلك في النظم لدى الجرجاني كما في التحويل لدى تشومسكي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة:

إن البنية الإسنادية بطرفيها المسند والمسند إليه إنما هي أصغر وحدة كلامية يمكن أن تنمو وتتطور ليعبّر بها عن معنى قد لا يكون من دلالات مدخلاتها المعجمية، وهي بذلك تشكل النواة التي تنبثق عنها ما لا نهاية من الجمل.وهي التي تتغير معانيها بفضل التحويل وإعادة التركيب بما يتلاءم واللواحق وفق منظومة القواعد النحوية لكل لغة.

إن البنية النواة لا تتجاوز في تركيبها المسند والمسند إليه، أي هي التي تتكون من ركن فعلي وركن اسمي، أو من ركنين اسميين في العربية؛ وقد يأتي الركن الاسمي في شكل مركب عطفي أو تعريفي أو إضافي في مثل قولنا: 'زيد وعمرو قادمان' أو 'قدم الذي دعوناه'؛ وهو ما يشير إلى أن تقسيم الكلام ثلاثة أقسام لم يقلل من الجملة العربية بناءً ولا دلالة، ولم يعقد تحليلها، لأن بقية الأقسام –وإن اعْتُمِدت– تندرج ضمن أركان التكملة أو ما اصطلح عليه في العربية اللواحق والقيود (الفضلة).

لقد أشار سيبويه إلى المركب الإسنادي وتحولاته، فهو حين تحدث عن الاسم، وأن أول أحواله الابتداء، وعن دخول الناصب والرافع والجار عليه، فيصبح غير الذي كان عليه من الابتداء، إنما كان يعني التحولات التي تطرأ بالعامل، وتغيّرُ العامل تحوّلٌ في المعمول ودلالته، لأن دلالة المبتدأ ليست دلالة الفاعل، وليست دلالة المضاف إليه أو المفعول وغيره، وكل ذلك تحول في الدلالة لأن الابتداء أصل وتغيّره بما دخل عليه تحوّل بما يقتضيه المراد تبليغه.

على الرغم من اختلاف عصر الجرجاني عن عصر تشومسكي ، واختلاف اللغة التي انطلق كل منهما من قواعدها، نجدهما يتفقان في اعتماد العقل وربط النحو بالدلالة؛ فنظرية النظم تشترك مع النظرية التوليدية التحويلية في كثير من الأسس، ذلك أن الدرس النحوي عموما تضمّن الكثير من قواعد التوليد والتحويل التي جاءت بها نظرية تشومسكي، فالنظم لمعان في النفس عند الجرجاني هو نفسه البنى العميقة في التوليدية التحويلية، والبناء عند الجرجاني هو البنية السطحية عند تشومسكي، والبنية السطحية هي الحاصلة بعد الترتيب بواسطة

الكلمات، وما التعليق إلا الجانب الدلالي لتلك الكلمات. ويمكن في هذا الجانب أن نخلص إلى ما يلي:

- إن اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي عند تشومسكي يفسّر ربط النحو بالدلالة عند الجرجاني، والمكون الدلالي هو الاسم أو الفعل الذي هو أحد ركني الإسناد.
- إن الكفاية اللغوية للمتكلم أو السامع المثالي تقابلها القدرة اللغوية للمؤلف أو المتلقي، لأن الأداء والإبداع فيه يُمَكّنان من التحويل الصحيح وفق المنظومة النحوية لكل لغة.
- إن التحولات الدلالية التي تنطلق من البنية العميقة لا تظهر إلا في البنية السطحية لأن العميقة هي الأصل الدلالي وقد تحتفظ بدلالتها، كما قد تنتقل إلى المجاز أو إلى المعاني المتعددة للّفظ الواحد.
- قد تتحول البنية السطحية الواحدة عن مجموعة من البنى العميقة أو مجموعة من البنى الإسنادية بفضل قواعد التحويل.

من البنية النواة يمكن أن تتشكل تراكيب جديدة لمعان جديدة تطول أو تقصر، تستقيم أو تستحيل بحسب كفاية المؤلف وقدرته على التحكم في أدوات التحويل وقواعد النحو... ولأن البنى الإسنادية تتداخل عند التحويل وتتشابك في التركيب فإن الأصل يظل مميزا عن الفرع، وهو ما جعل بعض اللسانيين يميزون الأصل بمصطلح 'المركب الإسنادي'، والفرع بمصطلح 'الوحدة الإسنادية'.

إن التحول الدلالي لأية جملة لا بد أن يرافقه تحول تركيبي انطلاقا من البنية الإسنادية، ذلك أن التحول الدلالي يسبق التركيب السطحي الظاهر ، لأن المتكلم إنما يرتب المعاني في نفسه ثم ينتقي لها من الألفاظ ما يوافقها، وفق ترتيب يضمن وضوحها مع ما يستلزمه النظم كالزيادة والاستبدال والحذف؛ فالدلالة المتحولة سابقة للفظ في التأليف، أما المعنى الذهني الأساس، أو البنية العميقة فإنها المنطلق الرئيس الثابت في كل عملية تحويلية، ولو أُبْقي عليها لأصل معناها. ومن ذلك كله توجّب أن يراعى في التحويل ما يلي:

- الفصل بين البنى المتحولة بما يضمن التركيب التام والدلالة التامة لكل جملة مع تأويل المحذوف بإدراك علة حذفه.
- تحديد ما يدخل على الجمل من روابط، وضبط مدلولاتها ووظائفها النحوية ومواضعها، سيما المتشابه منها كواو العطف وواو الابتداء...
- التفريق بين المركب الإسنادي والوحدة الإسنادية، أي التفريق بين البنية الإسنادية الأصل والبنية الفرع؛ مع تحديد الوظيفة النحوية للفرع وعلاقتها بالبنية الأصل، سواء كانت من أركان التركيب الإسنادي أو من أركان التكملة.
- تلازم الفضلات التي يؤتي بها لغرض إجراء أسلوب معين يتم به التحول كالنفي وأداة الحصر في أسلوب الحصر.
- الترتيب الأصلي للبنيات الإسنادية المترابطة، والترتيب الدلالي بعد التحول، وأثر ذلك في الدلالة المتحولة في الجمل المتعاطفة أو الموصول بعضها ببعض.
- التحول الإعرابي وأثره على التحول الدلالي.

ومن هنا يمكن القول أنّ أهمّ ما توّصل إليه البحث:

- الفصل بين الجمل المتعاطفة أو الموصول بعضها ببعض بتحديد بنياتها الإسنادية ولواحقها، يضمن تمايزها استقامةً أو استحالةً، ويُبيّن حدّ تأثير لواحق كلّ منها في تحولها الدلالي لتعطي معنى مستقيما لا لبس فيه ولا غموض.
- وضوح الترتيب الزمني في سرد الأحداث؛ أي أن الترتيب غير الأصلي في تركيب البنى الإسنادية يقتضيه الحال لإبراز المعنى المقصود أولا.
- تعدد المسند إليه بدلالة المسند في المركب الإسنادي المتكون من (مبتدأ وخبر)، فيكون المسند إليه مركبا عطفيا يقتضي مطابقة المسند في الجنس والعدد، سواء كان مكوّنا اسميا مفردا أو وحدة إسنادية فعلية.
- تحوّل المدخل المعجمي من معنى إلى آخر،وتحوّله في الوظيفة النحويّة من محلّ إلى آخر، (من مفعول إلى وصف أو من خبر إلى مجرور إلخ...).
- استقامة المحال غير الأصولي بالتحوّل والزيادة وللنفي دور رئيسٌ في ذلك.

- سبب احتفاظ البنى المتحولة بكل مكوناتها اللفظية عند إعادة تركيبها في بنية أشمل وترتيبها بما يقتضيه التركيب المتحول كما في: (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟)
- توكيد مكونات أركان التكملة بالإقحام بعد تمام البنية السطحية يربط تلك البنية بما بعدها رغم تأخره عن موضعه.
- محصلة التحول الدلالي معنى لم يصرح به ولم تذكر مفرداته، أي أن معنى مضافا أو أكثر يفهم من الجملة وليس من دلالات المدخلات المعجمية.
- الأثر النفسي لدى المتلقي ودوره في ترتيب المكونات التركيبية وتحديد وظائفها النحوية ودلالاتها ويسمح بتعدّد تأويلاتها.
- التحول الزمني لدلالة الأفعال في الشرط وجوابه يرتبط بـ(اسم أو أداة) الشرط ودلالته الزمانية ، كأن يدل الماضي على المستقبل بعد 'إذا' أو على الإطلاق بعد 'مَن'في مثل: (مَن جدّ وجد). ويفهم ذلك من السياق عموما.
- أثر السياق الداخلي أو الخارجي في تحول الدلالات وتعدد التأويلات وارتباطه بثنائية النص والمتلقي.

إن مظاهر التحويل غير المحدودة تنتج دلالات غير محدودة، ولذلك، تتنوع التراكيب ويفهم من كل تركيب دلالة أو أكثر ترتبط بكفاية المتكلم وأدائه، وبقدرة المتلقي وإدراكه.

قائمـــــــة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* **القرآن الكريـــــــــــــــم برواية حفص**

المصادر والمراجع العربية

1- اتجاهات البحث اللساني، مليكة فيتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 1996

2- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرحمان فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2006

3- الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القادر الجرجاني، محمد عباس، 1999

4- الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، محمد عباس، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، دط، 1999

5- الأدب الصغير، عبد الله ابن المقفع، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، ط1، دت

6- الأساس الفكري والبعد اللغوي، عصام سليماني، محيط المعرفة، عالم التربية، 14فبراير2016

7- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 2001

8- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1986

9- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1982

10- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (علم اللغة الحديث)، ميشال زكريا

11- الألسنية علم اللغة الحديث (المبادئ والأعلام)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1980

12- الأنماط التحويلية في النحو العربي، حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة،

ط1، 1990

13- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشر، بيروت، ج جميل، دار الفكر للنشر، بيروت

14- البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 2011م

15- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الاسكندرية، ط9، دت

16- البلاغة، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، ط2، 1985

17- البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، منشورات عيون ودار الشؤون الثقافية العامة، الدار البيضاء، ط2، 1987

18- البيان العربي "دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى"، مكتبة الأنجلو، مصر، ط2، 1958

19- البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003

20- التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010

21- التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط2، 1998

22- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، 1994

23- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، دط، 1986

24- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر، دار الثقافة العربية، دط، دت

25- التوطئة لأبي علي الشلوبيني، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، جامعة الكويت، ط2، 1981

26- الجملة الدنيا والجملة الموسعة، (دراسة وصفية وتحليلية) في كتاب سيبويه، على إسماعيل الحمزاوي، جامعه المنيا، دط، دت

27- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان الأردن، ط2، 2007

28- الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، دط، 1984

29- الجملة العربية، (دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية)، حسين منصور الشيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2009

30- الحدود في النحو: الرماني، ضمن كتاب (رسائل في النحو واللغة)، تح: مصطفى جواد ويوسف مسكوني، ص42، نقلا عن: محاضرات في التطبيق النحوي، أحمد قريش، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان

31- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1965

32- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت

33- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 سنة 1997

34- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984

35- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992

36- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة

والنشر، دط، 1981

37- العلامة الإعرابية في الجملة، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الفكر العربي، كليه العلوم والآداب، القاهرة، دط، دت

38- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت

39- الفصول الخمسون لابن معطي، زين الدين أبو الحسن يحي بن معطي المغربي، تحقيق محمد محمود الطناحي، منشورات عيسى البابي الحلبي، دط، دت

40- الفوائد الضيائية شرح الجامي لكافية ابن الحاجب، نور الدين عبد الرحمن الجامي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1971

41- الفية ابن مالك (متن)، محمد بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية بيروت، دط، دت

42- القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008

43- القاموس المحيط، محمد يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي، شركة القدس للنشر والتوزيع، دط، 2009

44- القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2010

45- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البايبي

46- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البايبي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 2012

47- القواعد الأساسية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت

48- الكافية الكبرى في علم النحو، خليل ابن الملا حسين الإسعردي الكردي، تحقيق: إلياس قبلان التركي، دار صادر بيروت، دط، 2007

49- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004

50- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 2008

51- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005

52- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، ط1، 1986

53- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1986

54- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، د ط، 1979

55- اللغة والخطاب الأدبي والقواعد التوليدية والتحليل الأسلوبي، جي بي تون، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1993

56- اللغة ومشكلات المعرفة –محاضرات ما ناجوا–، نوم تشومسكي، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990

57- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، 2001

58- المسائل العسكريات في النحو العربي، أبو علي الفارسي، تحقيق علي جابر المنصوري، جماعة بغداد، ط2، 1983

59- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مكتبة لبنان، دط، 2009

60- المعنى والظلال، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، ط2، 2007

61- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،

الجمهورية العراقية، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دط، 1982

62- المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، ج1، عالم الكتاب، بيروت لبنان، دط، دت

63- المنهج التوليدي التحويلي (دراسة وصفية تاريخية)، منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال في الجاهليات، رفعت كاظم السوداني، جامعة بغداد، 2000

64- النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، عبده الراجحي، مطبعة الانتصار، (دط)، 1988

65- النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979

66- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعرفة مصر، ط4، 1971

67- النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، عبد المطلب محمد، مجلة فصول، المجلد5، عدد12، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1984

68- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار العلوم، القاهر، ط1، 1983

69- النشر في القراءات العشر،ابن الجزري، تحقيق: نجيب الماجدي، شركة أبناء الأنصاري للطباعة والنشر، صيدا لبنان، دط، 2008

70- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، دط، 1979

71- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012

72- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت

73- إعراب الجمل، وأشباه الجمل، شوقي المعري، دار الحارث، دمشق، ط1، 1997

74- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة بيروت – دار ابن كثير بيروت، ط11، 2011

75- إعراب القرآن الكريم، بهجت عبد الواحد الشيخلي، دط، 2006
76- إعراب القرآن الكريم، بهجت عبد الواحد الشيخلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2006
77- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط11، 2011
78- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي زاهر، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط2، 1985
79- أثر قرينة الإسناد في التوجيه النحوي عند الجرجاني في مصنفه المقتصد في شرح الإيضاح، سعد حسن عليوي، عفراء محمد علي عبد الجبّار، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية، العدد23، .تشرين الأول2015
80- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس اسماعيل الأوسي، المكتبة الوطنية، بغداد، دط، 1988
81- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة-دار المدني بجدّة، دط، دت
82- أسرار العربية عبد الرحمن بن محمد الأنباري دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت لبنان، د ط،1971
83- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط1998
84- تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دت
85- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2007
86- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو محمد بن مالك جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مالك، المطبعة الميرية، بمكة،ط1، 1319هـ
87- تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة

الجامعية مصر، دط، 1989

88- تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عبد القادر صالح سليم، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996

89- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994

90- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، 1999

91- جدل التنزيل مع كتاب خلق القرآن للجاحظ، رشيد الخيّون، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، ط1، 2000

92- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1995

93- جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر)، كمال أبو ذيب، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984

94- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، (دراسات بنيوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1979

95- جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، مديرية مطبعة الجامعة، الموصل العراق، دط، 1985

96- حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، محمد عرفة الدسوقي، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009

97- دراسات في اللسانيات (ثمار التجربة)، هادي نهر، عالم الكتب الحديث أربد، دط، 2011

98- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت

99- دروس في أصول فقه الإمامية، عبد الهادي فضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ط2، 2006

100- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1981

101- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 2005

102- ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لسان العرب، نشر دار الثقافة بيروت، لبنان، دط، 1971

103- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي تحقيق: محمد السيد سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، 2005

104- شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000

105- شرح المفصل موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، تحقيق: أحمد السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ط، دت

106- شرح ديوان ذي الرمة، الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996

107- شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الخير، مكتبة طيبة، دط، دت

108- صرف اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام الأنصاري تحقيق صادي نهر دار اليازوري ا عمان الجزء الثاني دط، 2007

109- صفوة التفاسير، (تفسير القرآن الكريم)، محمد على الصابوني ،دار الصابوني، ط14، 2017

110- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، بيروت، دط، 1973

111- علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية للطباعة، بغداد، ط3، 2007

112- علم اللغة نشأتها وتطورها، محمود جاب الرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985

113- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985

114- فلسفة اللغة نشأتها تطورها أبرز أعلامها، إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2008

115- في الميزان الجديد، محمد مندور، نهضة مصر، ط يناير 2004م

116- في النحو العربي (قواعد وتطبيق)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1972

117- في النحو العربي (نقد وتوجيه)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت، دط، دت

118- في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، ط1، 1982

119- في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985

120- في نحو اللغة وتراكيبها، (منهج وتطبيق)، خليل أحمد عمايرة، دار عالم المعرفة جدة، ط1، 1984

121- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1995

122- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة المصرية، بيروت، 1997

123- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، دار وائل، عمان، ط1، 2003

124- قواعد تحويلية للغة العربية، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر، الأردن، 1999

125- كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1974

126- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط1، 1952

127- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت

128- لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة

129- مبادئ اللسانيات العامة، خولة طالب الابراهيمي، دار هومة الجزائر، (دط)، 2000

130- متن الألفية، محمد بن مالك، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006

131- مجموع رسائل النحو واللغة، عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني، تحقيق: أسامة بن مسلم الحازمي، دار عالم الفوائد، ط1، 1434هـ

132- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2004

133- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1981

134- مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، عاصم شحادة علي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر العلمي، ط2، 2020

135- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر،عمان، الأردن، دط، 1984

136- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج،تحقيق:عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، جامعة الأزهر، 2005

137- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2000

138- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، مؤسسة دار الرسالة

للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت

139- من البنية العميقة إلى البنية السطحية في الدلالة التوليدية، بنيونسعليوي، شبكة الألوكة

140- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، دت

141- من أسرار اللغة العربية، إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 1958

142- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نوام تشومسكي، بريجيتهبارتشت،ترجمة سعيد حسيب بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004

143- موقف عبد القاهر الجرجاني من الاستعارة، توفيق حمدي، ضمن أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، جامعة سفاقس، تونس، 1998

144- نحو التسير، أحمد عبد الستار الجواري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1، 1987

145- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، دط، دت

146- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1980

147- نظرية النظم وقراءة الشعر، محمود توفيق محمد سعد، مكتبتنا، جامعة الأزهر الشريف، دط، دت

148- نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، دار الفكر دمشق ط1، 1983

149- نظرية النظم، صالح بلعيد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2001

150- نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، دط، 1995

151- نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، مكتبة نهضة مصر بالفجوجانا، دط، 1960

152- نظرية منهج البحث اللغوي بين التراث العربي وعلم اللغة الحديث، زويل علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 1986

153- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 1998

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية.

1- Aspects of the theory of syntax

2- Al-Jurjani's Theory of poetic Imagery and its BacKgound; Abu Deeb Kamal،ph D Thesis.oxford university England. 1971

3- Le langage et la pensée; Chomsky; tra، Louis jJan Calvet Payot،Paris

4- Noam Chomsky? The M.I.T Press، Cambridge

المجلات العلمية

1- الجملة في النظام اللغوي العربي، عبد المجيد عيساني، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد5، 2006

2- الحد الدقيق للجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في لغتنا العربية، رابح بومعزة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد8، جوان 2005

3- الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، بشرى تاكفراست، "مجلة"، جامعة ابن يوسف،المغرب، ع4، 2005

4- القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى، عند ابن يعيش، فراس فخري ميران وقصي سمير عبيس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كانون الأول 2014

5- الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد سالم سعد الله، مجلة التربية والعلم، مجلد12، عدد1، جامعة الموصل، العراق، 2005

6- النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، أحمد المهدي المنصوري وإسمهان الصالح، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد29، شباط 2013

7- إعراب القرآن، محمد متولي الشعراوي، دار الروضة للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، دت

8- تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، جاسم علي جاسم، التراث العربي، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عاصمة الثقافة الإسلامية، 2010، العدد 116، ذو الحجة 1430، كانون الأول 2009

9- قراءة في نظرية النظم، بيان شاكر أبو جمعة، مهند حمد شبيب، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، آذار، 2009

10- نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، مختار درقاوي، جامعة، حسيبة بن بوعلي، الشلف، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 12، جوان 2014

11- مراحل تطور نظرية النظم، "من سيبويه إلى الجرجاني"، حسين عبد الله الموسوي، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع20، م5، أكتوبر ديسمبر، 2018

12- مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي، مرتضى جواد باقر، مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد34 -1990

13- نظرات في النحو التحويلي، حسام سعيد النعيمي، مجلة آفاق عربية، بغداد، عدد1، 1999

14- مجلة دراسات في اللغة العربية، وآدابها، ابتسام حمدان خوجة، فصلية محكمة، العدد3، خريف 2010

الرسائل الجامعية

1- النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث، بدرة عمار علي فرخي، المشرف: نهاد الموسى، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2003

2- مناهج الدرس النحوي العربي في القرن العشرين، عطا محمد محمود موسى، إشراف: نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا 'رسالة مكملة لنيل درجة الدكتورا' الأردن، 1992

المواقع الالكترونية

1- فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من العلماء، محمد بن سعد الدبل (21_ 04- 2013) www.alukah.net ، اطلع عليه بتاريخ 25-09-2018

2- محاضرات مقياس التطبيق النحوي، أحمد قريش، كلية الآدب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان

3- نظرية النظم عند الجرجاني وعلاقتها بمفهوم البنية في النقد الحديث"،www.alukah.net عماد محمود علي أبو رحمة، (20-12-2011)، اطلع عليه بتاريخ 25-09-2018.

4- نظرية النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي، فتحي خشايمية، مدونة Fethi12370. wordpress.com يوم 2020/04/12. سا13:48.

فهـــرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمـــــــــة	
الفـصـــــل الأول	7
الجملة العربية ومكوناتها.	8
أولا: تعريف الجملة العربية:	8
1-الجملة لغة:	9
2-الجملة اصطلاحا:	10
2-1-: الجملة في مصنفات القدماء	10
2-2-: الجملة عند المحدثين:	14
ثانيا: أنواع الجملة العربية :	19
1-من منظور ما تبدأ به:	19
2-الجملة من منظور إعرابها:	20
2-1-جمل لها محل من الإعراب:	20
2-2: الجمل التي لا محل لها من الإعراب وهي:	21
3-الجملة من منظور معناها: (التواصلي والبلاغي)	22
4-:الجملة من منظور تركيبها:.	23
5-:الجملة من منظور صحة التركيب ودلالته:	23
ثالثا: تأليف الجملة العربية	25
1-الإسناد لغة:	25
2-الإسناد اصطلاحا:	25
3-:مفهوم الإسناد:	27
4-طرفا الإسناد والصور التي يأتيان عليها:	27
5-الإسناد في الجملة الاسمية.	28
6-الإسناد في الجملة الفعلية .	29
7-الإسناد في الجملة الظرفية	29
رابعا: أنـواع الإسناد:	30
1-الإسناد الأصلي	31
2-الإسناد غير الأصلي	31

3-الإسناد التام	32
4-: الإسناد الناقص.	32
5-الإسناد المعنوي والإسناد اللفظي	33
خامسا: التراكيب الإسنادية لدى اللسانيين المحدثين:	35
1-المركب الإسنادي:	35
2-الوحدة الإسنادية:	36
سادسا-القرائـن الإسنادية:	37
1-قرينة الإسناد في الجملة الفعلية:	39
2-قرينة الإسناد في الجملة الاسمية:	43
3-قرائن التخصيص:	49
4-القرائن الصوتية	54
سابعا:علاقة المسند والمسند إليه بغيرهما من الكلام:	67
1-من حيث التركيب:	68
2-من حيث الدلالة	69
الفصـــــل الثاني	73
نظرية النظم	76
أولا-: نظرية النظم: نشأتها وتطورها	76
1-: تعريف النظم:	76
2-: الإرهاصات الأولى لنظرية النظم:	78
3- الجرجاني وقضية اللفظ والمعنى:	83
4- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني:	88
ثانيا: نظرية النظم وأصولها.	89
1- تعريف بصاحب النظرية وبكتابه (دلائل الإعجاز):	90
ثالثا- نظرية النظم مبادئها ومكوناتها:	91
1- نظرية النظم.	91
2- مبادئ نظرية النظم:	92
3- مكونات نظرية النظم:	94

4-: مكانة المعاني في النظم:	108
رابعا:أهمية نظرية النظم وقيمتها العلمية:	110
1- أهمية نظرية النظم:	110
خامسا: جهود العلماء في إثبات إعجاز القرآن الكريم:	111
سادسا: الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني:	112
1- المبدع:	112
2- النص:	115
3- المتلقي:	117
سابعا-آراء المحدثين في نظرية النظم:	121
الفصـــــل الثالث	141
النظرية التوليدية التحويلية	143
أولا: نشأة النظرية التوليدية التحويلية (أسبابها وأصولها):	143
1-أسبابها:	143
2-أصولها:	145
3-التعريف بصاحب النظرية:	148
4- المراحل التي مرت بها قواعد النظرية التوليدية:	149
ثانيا: موازنة بين البنيوية والتوليدية:	151
1البنوية وتحليلها الشكلي الوصفي	151
2:- أهم الفروق بين البنيوية والتحويلية:	152
ثالثا: مفاهيم اللغة والنحو والقواعد عند تشومسكي	155
1-:مفهوم اللغة عند تشومسكي:	155
2-:مفهوم النحو عند تشومسكي.	157
3- مفهوم القواعد عند تشومسكي:	164
4- طرائق التحليل النحوي عند تشومسكي:	165
رابعا: النظرية التوليدية التحويلية (مكوناتها وقواعدها)	167
1-:مبادئ النظرية التحويلية:	167
2- القواعد العامة للنظرية التوليدية التحويلية.	171

3-علاقة القواعد التوليدية بالقواعد التحويلية:	172
خامسا: مرتكزات النظرية التوليدية التحويلية.	173
1- الكفاية اللغوية:	173
2- الأداء الكلامي:	176
سادسا- عمل القواعد التوليدية والتحويلية.	178
1- القدرة على التوليد والتمييز:	179
2- القدرة على التحليل:	180
سابعا- مكونات القواعد التوليدية التحويلية:	181
1 -المكون الفونولوجي (الصوتي):	181
2-المكون الدلالي:	182
3-المكون التركيبي:	183
ثامنا: شكل القواعد التوليدية والتحويلية:	185
1: عمل المكون التركيبي:	186
2: عمل المكون الدلالي:	188
3: عمل المكون الصوتي.	189
4: عمل مكونات اللغة:	190
تاسعا- البنية العميقة والبنية السطحية وعلاقتهما بغيرهما.	191
1-البنية العميقة:	192
2-البنية السطحية:	192
3-علاقة البنية السطحية بغيرها من البُنى:	194
عاشرا- جوانب التحويل في النحو التحويلي:	196
1- جوانب التحويل:	196
2-ميزات النظرية التوليدية:	198
حادي عشر: آراء الباحثين في نظرية تشومسكي:	201
الفصـــــل الرابع	208
شواهد وتطبيقات	209
بين تشومسكي والجرجاني:	210

1- تشابه أسس النظريتين:	210
2- مظاهر التشابه بين النظريتين:	211
3- الأسس المشتركة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية:	213
دراسة الشواهد	218
أولا: الفصل بين الجمل ودوره في إظهار أصولية البُنَى السطحية واستقامة الكلام.	218
ثانيا: تحوّل المدخل المعجمي من معنى إلى آخر والمدخل التركيبي (النحوي)من حالة إلى أخرى.	231
ثالثا: استقامة المحال بالتحويل وتأثير السياق في التحول الدلالي.	238
رابعا: العلاقة الدلالية بين الوحدات الإسنادية والمركب الإسنادي.	254
خامسا: أثر نفسية المتلقي في ترتيب المكونات التركيبية وتحديد الدلالات.(وتعدد التأويلات)	267
سادسا: التقديم والتأخير والجمع بين المبتدأ ومعطوفه.	276
سابعا: التوسع والزيادة في البنية الإسنادية وأثرهما في التحول الدلالي.	283
ثامنا: الزيادة ودورها في تحديد الزمن الداخلي والخارجي للأحداث وإضافة معان ليست من دلالات المدخلات المعجمية.	902
تاسعا: التحول الزماني للأفعال في الشرط ولو تعددت.	299
عاشرا: تحول الدلالة بتلازم اللواحق في أسلوب الحصر.	308
حادي عشر: المركب العطفي يقتضي مسندا إليه يطابقة جنسا وعددا.	315
ثاني عشر: محصلة التحول الدلالي للبنية الإسنادية معنى لم يصرح به ولم تذكر مفرداته.	328
ثالث عشر: احتفاظ الوحدات الإسنادية بكل مكوناتها اللفظية عند إعادة ترتيبها في تركيب بنية أشمل.	335
رابع عشر: الإقحام لتوكيد مكونات أركان التكملة.	348
الخاتـــــــمة	358
قائمة المصادر والمراجع	363
فهرس الموضوعات	379
الملخصات	385

الملخصات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملـــخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيح دور الإسناد في تكوين النواة الأولى للوحدة الكلامية التي تحمل فكرة أساسية يمكنها أن تتمدد وتتوسع، كما يمكنها أن تحتفظ بأساس دلالتها، لأن علاقة المعنى بالمبنى وما يحمله المبنى بفضل علاقة الإسناد هي التي تمكّن " المركب الإسنادي" من التحولات على المستويين التركيبي والدلالي؛ فالمدخلات المعجمية المرتبطة إسناديا هي التي تشكل المعنى الذهني الذي تنطلق منه التحولات التركيبية والدلالية، أو هي البنية العميقة القابلة للتوليد والتحويل.

لم يذكر الجرجاني التحويل صراحة لكنه تحدث في كل تفاصيله، ذلك أنه أسهب في الحديث عن الفروق بين المعاني المقصود تبليغها لمجرد تقديم لفظ عن آخر من المركب الإسنادي سواء بقصد تأخيره أو من دون قصد لأن المرتبة تلعب دورها في تحول الدلالة. كما فصّل الجرجاني في الحذف وبيّن لطفه ومزاياه وهو لا ريب عامل قوي في التحول الدلالي. كما لم يفت تشومسكي شيء من عوامل التوليد المنبثق عن البنية العميقة التي هي في الأصل المركب الإسنادي بتركيب أوسع ودلالة متحولة قد لا تحملها المدحلات المعجمية، كما إنه تحدث كثيرا وبتفاصيل دقيقة عن التحول الدلالي الذي يطرأ على الأصول الإسنادية بما يعتريها من مظاهر التحويل التي تحددها نظريته.

إن في نظريتي الجرجاني وتشومسكي ما يدعو إلى القول بأنهما تتقاطعان في أغلب ما تعمدان إليه في الدرس اللغوي برغم الاختلاف بين دواعي كل منهما وسنده وغاياته فكانت العلمية هي الجامع بينهما وكان العقل هو الحكم والجمالية هي الشاهد على ذلك؛ وهما بذلك تقدمان منهجا للتحليل وقانونا للتأليف تشترطان له الكفاية اللغوية والاقتدار في حسن الأداء ودقة التأويل.

ومن أهداف هذا البحث أيضا إجراء مقارنة ضمنية بين نظريتي الجرجاني وتشومسكي من خلال تحليل نماذج دقيقة غاية في الدقة تركيباً ودلالةً للتأكد من أن النظريتين كلتيهما منهج للتفسير والتحليل، وطريقة لإنتاج البنى التواصلية، فهي طريقة للتأليف والإبداع، ومنهج لاستجلاء مظاهر التوليد والتحويل وما يتعلق بهما مما يقتضي تعدد التأويل.

ويشير البحث أيضا إلى الجمالية التصويرية التي حاول الجرجاني إرساء دعائمها ليمكّن المبدع من إنتاج المستقيم من الجمل، والتفنن في صناعتها بما يتيح للمتلقي فهماً دقيقا وتأويلا صحيحا لما يقرأ أو يسمع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Abstract:

This research clarifies the role of the predicate in the construction of the first nucleus of the verbal unit.This verbal unit carries a main idea that can be elaborated andexpanded.It can also retain its basic connotations. Because it is the meaning –structure relationship and what the structure embedded, due to the predicative relationship, that enable the "predicative compound" to be transformed on the synthetic and semantic levels.The predicative linked lexical entries are the ones that constitute the mental meaning from which the synthetic and semantic transformations start or it is the deep structure that can be generated and transformed.

Al-Jurjani did not mention the transformation explicitly, but he spoke in all its details, as he elaborated on the differences between the meanings of the same verbal unit when its lexical components are differently classified; because the rank plays a great role in the transformation of the significance. Al-Jurjani also detailed in the deletion and showed its advantages, which is undoubtedly a strong factor in the semantic transformation. Chomsky also did not miss any of the generating factors emanating from the deep structure, which is originally the predicate compound with a broader structure and a mutable significance that lexical interlocutors may not carry, and he spoke a lot in details about the semantic transformation that occurs to the predicate assets, including the manifestations of transformation determined by his theory.

In the theories of Al-Jurjani and Chomsky there is reason to say that they intersect in most of what they intend in the linguistic lesson, despite the difference between the motives of each of them, its support and goals, so the scientific was the one that united them, the mind was the judgment and the aesthetic was the witness to that.

Thus, they present a method of analysis and a law of authorship, which require linguistic competence, good performance, and accurate interpretation.

One of the objectives of this research is also to make an implicit comparison between the two theories of Abdelkaher Al-Jurjani and Noam Chomsky through the analysis of accurate models that are very precise in structure and semantics. The aim of this comparison is to make sure both theories are an approach to interpretation and analysis, and a method for producing communicative structures. It is a way of writing and creativity. It is an approach to elucidate the manifestations of generation and transformation and what is related to them, which requires multiple interpretations.

The research also refers to the pictorial aesthetic that Al-Jurjani tried to lay its foundations to enable the writer to produce straight sentences, and to master their constructions in order to allow the recipient to have an accurate understanding and a right interpretation of what he reads or hears.

Resumé:

Cette recherche vise à clarifier le rôle du prédicat dans la construction du premier noyau de l'unité verbale. Cette unité verbale est porteuse d'une idée principale qui peut être élaborée et élargie. la structure intégrée, en raison de la relation prédicative, qui permet au «structure prédicative» d'être transformée aux niveaux synthétique et sémantique.

Les entrées lexicales liées au prédicat sont celles qui constituent le sens mental à partir duquel les transformations synthétiques et sémantiques commencent ou sont la structure profonde qui peut être générée et transformée. Al-Jurjani n'a pas mentionné explicitement la transformation, mais il a parlé dans tous ses détails, en élaborant sur les différences entre les significations d'une même unité verbale lorsque ses composants lexicaux sont classés différemment ; car le rang joue un grand rôle dans la transformation de la signification. Al-Jurjani a également détaillé dans la suppression et montré ses avantages, ce qui est sans aucun doute un facteur fort dans la transformation sémantique. Chomsky n'a également manqué aucun des facteurs générateurs émanant de la structure profonde, qui est à l'origine le la structure prédicative avec une structure plus large et une signification mutable que les interlocuteurs lexicaux peuvent ne pas porter, et il a beaucoup parlé en détail de la transformation sémantique qui se produit. aux actifs du prédicat, y compris les manifestations de transformation déterminées par sa théorie.

Dans les théories d'Al-Jurjani et de Chomsky, il y a lieu de dire qu'elles se recoupent dans la plupart de ce qu'elles entendent dans la leçon de langue, malgré la différence entre les motivations de chacune d'elles, son soutien et ses objectifs, donc le scientifique était celui qui les unissait, l'esprit était le jugement et l'esthétique en était le témoin. Ainsi, ils présentent une méthode d'analyse et une loi de paternité, qui

nécessitent des compétences linguistiques, de bonnes performances et une interprétation précise.

En outre, l'un des objectifs de cette recherche est également de faire une comparaison implicite entre les deux théories d'Al-Jurjani et de Chomsky à travers l'analyse de modèles précis qui sont dans la structure et la sémantique. Le but de cette comparaison est de s'assurer que les deux théories sont une approche d'interprétation et d'analyse, et une méthode de production de structures communicatives. C'est une manière d'écrire et de créer. C'est une approche pour élucider les manifestations de la génération et de la transformation et ce qui s'y rapporte, qui nécessite de multiples interprétations.

La recherche renvoie également à l'esthétique picturale dont Al-Jurjani a tenté de poser ses fondements pour permettre à l'écrivain de produire des phrases correctes, et de maîtriser leurs constructions afin de permettre au recepteur d'avoir une compréhension juste et une juste interprétation de ce qu'il lit, ou écoute.

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abdelkader University

Constantine

Department of Arabic Language

Faculty of Litterature and

Islamic Civilisation

Serial N° :…….....…

Enrolment N° :……

The predicative structure and its role in semantic transformations in ''Nadm'' theory and generative and transformational one.

Thesis for obtaining the degree of science Doctorate

section of arabic language and Quranic studies.

Speciality: Grammar and Morphology.

Prepared by:

Salah Khettab.

Supervisor:

Ph D. Rabah Dob.

The discussion jury members

Degree	Full Name	Original University	Quality
Ph D	Zinedine Benmoussa	Emir Abdelkader University Constantine	President of the jury
Ph D	Rabah Dob	Emir Abdelkader University Constantine	Supervisor and reporter
Ph D	Karim Khaldoune	Emir Abdelkader University Constantine	Member
Ph D	Salah Khadiche	Abbas Leghrour University Khenchela	Member
Ph D	Youcef Bedida	Hamma Lakhdar University El-Oued	Member
Ph D	Belkheir Arfis	Mohammed Boudiaf University Msila	Member

Universitary year: 2020/2021.